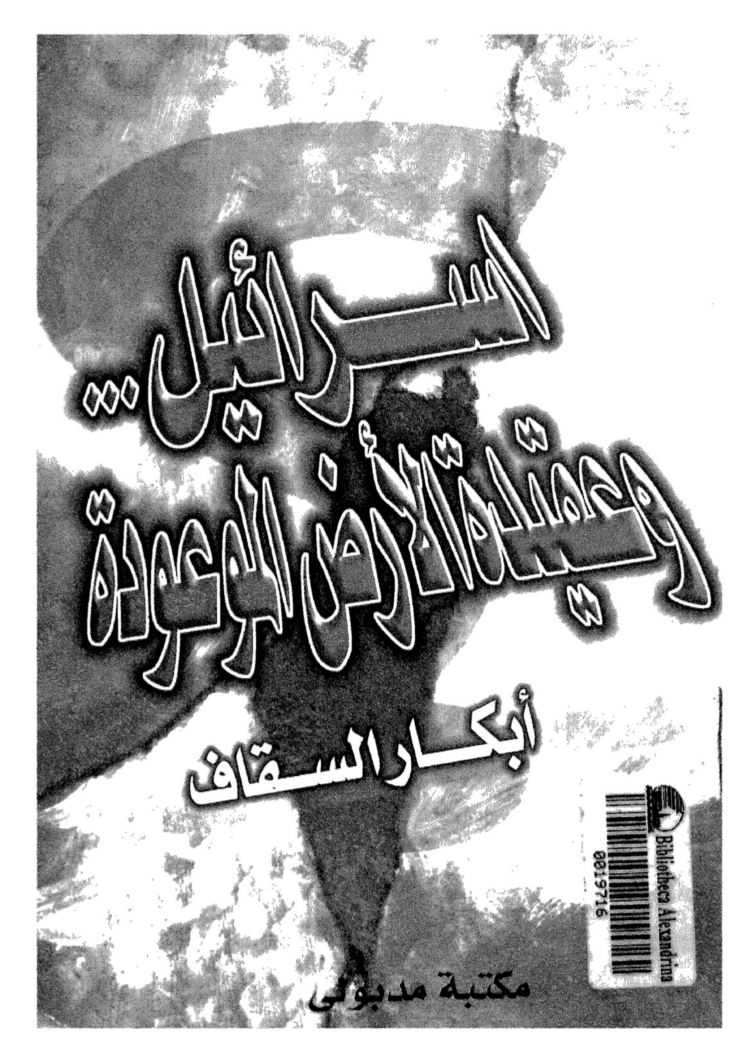

إسرائيل..
وعقيدة الأرض الموعودة
أبكار السقاف
مكتبة مدبولى
Bibliotheca Alexandrina
0019716

إسرائيل
وعقيدة الأرض الموعودة

الـكـتـاب : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة
تـأليـف : أبكار السقاف
الطبعة : الأولى ١٩٦٧ - الثانية - ١٩٩٧ م
الناشر : مكتبة مدبولى ـ ٦ ميدان طلعت حرب القاهرة
ت: ٥٧٥٦٤٢١ ـ تليفاكس: ٥٧٥٢٨٥٤
رقم الإيداع : ٩٧/٥٤٣٩
الترقيم الدولي : ISBN - 7 - 199 - 208 - 977
لوحة الغلاف : ضياء السقاف
الجمع التصويرى والتنسيق الداخلي : دار جهاد ٢٦ ش إسماعيل أباظة - لاظوغلى
ت: ٣٥٦٤٧٨٣

أبكار السقاف

إسرائيل
و
عقيدة الأرض الموعودة

الناشر
مكتبة مدبولى
١٩٩٨

محتويات الكتاب

الصفحة

التمهيـــــد ———— ٢٠

الحقل التاريخى لمنطقة «الأرض الموعودة» ———— ٤٧

الإطار التاريخى لمنطقة «الأرض الموعودة» ———— ٥٧

انبثاق فكرة الأرض الموعودة ———— ٦٧

المهد التاريخى لمولد «إسرائيل» ———— ٩٩

طرد بنى «إسرائيل» فى مصر ———— ١١٥

الزحف الإسرائيلى صوب «الأرض الموعودة» ———— ٢١١

ارتسام رقعة «الأرض الموعودة» فى إطار الفرات والنيل ———— ٢٥٥

بروز «يشوع بن نون» فى إطار التاريخ الإسرائيلى ———— ٢٧١

تكون الدين اليهودى الحالى وعودته بأصله إلى «يشوع» ———— ٢٨١

انتقال عقيدة «الأرض الموعودة» فى المجال العاطفى إلى المجال السياسى ———— ٣٢١

التعقيب ———— ٣٥٧

عقيدة «الأرض الموعودة» فى ميزان التاريخ ———— ٣٥٨

لفتة هامة

لما كانت الصهيونية العالمية قد اعتمدت فى بناء دعوتها السياسية على العقيدة الدينية المتغلغلة فى صدر كل يهودى، وكان هؤلاء يدعون ملكية فلسطين ومن الفرات إلى النيل عملا بنصوص « التوراة» التى يتداولونها اليوم، وبالتالى، لما كانت هذه «التوراة» الحجة الوحيدة التى احتج بها الصوت الصهيونى يوم طالب بالاعتراف بقيام «دولة إسرائيل» فقد تعرض هذا الكتاب لتفنيد هذه« الحجة» واستدعى الموضوع طرح هذه النصوص أمام الرأى العالمى، وعرض ما تشتمل عليه من نظرة تتحدث من الزاوية اليهودية المحضة عن موسى وعن ابراهيم وهارون ولوط، سلام الله عليهم أجمعين، حتى يتبين للعالم أن «حجتهم» هذه منقوضة من الأساس بما تشتمل عليه من إسفاف فى حق هؤلاء الأنبياء الكرام مع إيماننا العميق بعصمتهم وتنزههم عما جاء فيها، وحتى يعلم العالم أن الدين اليهودى الحالى لايعود بأصوله إلى موسى، عليه السلام، وهو الذى برئ منهم ونعتهم بالفسق.

﴿وقال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ ....(١)

إن الإسلام الذى يبسط جناحيه بالرحمة ويرفرف بالسلام يؤمن بتوراة هى على موسى قد أنزلت، ولكنه فرق بين «توراة موسى» و«توراتهم» هذه المفتراة على موسى التى كتبها رجال «بيت يهوذا» فى أعقاب الأسر البابلى.... لذلك حارب محمد ﷺ اليهود، وسماهم كفاراً لكذبهم على موسى ولنبذهم إياه كما نبذوا من بعد «روح الله» عيسى عليه السلام.... وصدق الله العظيم إذ قال فيهم: ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا....وباءوا بغضب من الله. ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله.. ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون....﴾ (٢)

وحقا!.. حقا!..

﴿.. لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود!﴾ (٣)

---

(١) الآية «٢٤» من «سورة المائدة».
(٢) الآية «١١٢» من «سورة آل عمران».
(٣) الآية « ٨٢» من«سورة المائدة».

الإهداء

إلى القائل:

" إن الشرّ الذى وضع فى قلب العالم العربى لابد أن يُقتلع!.. " *

جمال عبد الناصر

أبكار

---

* «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون»
«حديث شريف» رواه البخارى و مسلم.

تحية ...

إلى:

من غاب جسداً وشعّ روحاً..من دفعني لإخراج هذا "الكتاب"..

"عباس محمود العقاد"

تحية...

تحية، يعبق بها أرج الذكرى ، ويشيع فيها عبير الذكريات!..

أبكار

"إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان متلاصقتان،

ولا يمكن تدمير الصهيونية بدون تدمير اليهودية".

وايزمان

إن اليهود يعتبرون أنفسهم سلالة « إسرائيل» وأنهم مهما تباينت جنسياتهم واختلفت أصولهم «عبريون»، كما يعتبرون « الأسفار الخمسة» صادرة عن موسى، وأن النصوص منها إملاء «وحى إلهى» وضعتها الأجيال فى إطار «العهد القديم» أو هذا «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى.. وعلى هذا الأساس يتمسكون بعقيدة «الأرض الموعودة» ويدعون ملكية فلسطين طبقاً لما جاء فى « الأسفار الخمسة» من نصوص ..وهذا مما يجعل قضية فلسطين قضية دينية فى المقام الأول، ولذلك يجب ألا نسقط الجانب الدينى فى قضية فلسطين فإنما هو الأساس!..

ومن ثم فنحن إذ نتناول فى بحثنا هذا « إسرائيل» مستهدفين العثور على منبت هذه « العقيدة» ، «عقيدة الأرض الموعودة» ، فى سبر لأصول تكونها، وفى تمحيص لأسباب نموها وفى تفنيد لعوامل تطورها كمشكلة لم تتكون إلا من الرواسب التاريخية، ولم تطف على صفحة الحاضر إلا من أعماق التاريخ، فليس إلا لنجد أنفسنا قد تناولنا تاريخ « آباء التوراة» وتاريخ «موسى» نفسه فى هذا البحث.. وهذا يحتم علينا أن نقول: إننا إذ نتناول تاريخ «آباء التوراة» وتاريخ موسى فى هذا « الكتاب» فليس إلا لنتناول ذلك من الزاوية اليهودية المحضة، وكما جاءت به نصوص ما قد أشرنا إليه من «أسفار» .. ومن هنا منحنا أنفسنا كامل الحرية ومطلقها فى نقد هذه« الأسفار» التى تنشرها الصهيونية العالمية فى وجه العالم كسجل شرعى يمنحها فلسطين ملكا... فليس إلا على هذه «الأسفار الخمسة» اعتمدت الصهيونية العالمية فى بناء دعوتها، وليس إلا من نصوص هذه«الأسفار الخمسة» افتعلت صرح وليدتها « دولة إسرائيل!.. »

أبكار السقاف

المحتويـات

التمهيد :

من هم « العبريون» ؟ ومن هم « بنو إسرائيل» ؟ ومن هم « اليهود» ؟

الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة»

انحسار العصر الحجرى الحديث عن دورة الفتوح لامتلاك مفرق طرق عالم الشرق الأوسط القديم، وتكشف المعالم الأثرية عن صراع الأفواج البشرية عبر المد الزمنى منذ الألف العاشر ق. م. حتى نهاية العصر البرونزى الرابع والأخير لامتلاك الناصية السياسية لهذا المفرق الرئيسى ذى الاتجاهات الرابطة بين أطراف الشرق القديم. أثر الموجات النابعة من قلب شبه الجزيرة العربية فى مجريات الأحداث السياسية لهذه المنطقة. امتداد موجة عربية تحمل « قبائل كنعان». الناحية السياسية لهذه الأرض التى عرفت «بأرض كنعان» استهدف الأمم المجاورة «أرض كنعان» هدفاً للسيطرة السياسية على دنيا الشرق الأوسط القديم.

الإطار التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة»

العواصف السياسية على بلاد ما بين النهرين تدفع « آباء التوراة» من الفرات الأدنى إلى أرض كنعان. مطلع « إبراهيم » على التاريخ فى أعقاب « الغزو الكاسّى» للفرات الأدنى وانصبابه على السهل الفيضى لبلاد ما بين النهرين وضياع « مملكة أرض البحر».

رواية «التوراة » عن هذه الفترة. ارتحالات « أبرام » عبر« أرض كنعان» حتى وادى النيل فى مشرق الحكم الهكسوسى. الحلم بامتلاك « أرض كنعان» والأراضى الواقعة من الفرات إلى النيل يطوف على الجبين عوضاً عن مُلك « أرض البحر».

انبثاق فكرة « الأرض الموعودة»

« الوعد » بمنح «أرومة إسرائيل» كل « أرض كنعان» والأراضى الممتدة من الفرات إلى النيل. مولد إسماعيل، ونمو فكرة « الأرض الموعودة » على مدارج الأيام. مولد إسحاق ، وطرد إسماعيل. « القربان البشرى» على « جبل المريا». اسم «يهوه» يتجاوب همساً فى مسمع التاريخ.

مولد يعقوب، وخروج فكرة « الأرض الموعودة » من الطور السلبي إلى الطور الإيجابي وتحول الفكرة عنها من المِلك إلى المُلك. يعقوب ينتزع « البركة » من إسحاق.

المهد التاريخي لمولد « إسرائيل»

يعقوب يستبدل اسمه إلى « إسرائيل». يعقوب أو إسرائيل ينزح إلى مصر تحت ظلال العصر الهكسوسي. جعلانات العصر الهكسوسي تحمل بعض أسماء حكام الهكسوس ومن بين هذه الأسماء اسم يعقوب ويوسف. سجلات « تحوت – موسى» الثالث تؤيد وجود صاحبي هذين الاسمين من بين الحكام الهكسوس.

انشقاق التربة الزمنية عن « أبناء إسرائيل» واستيطانهم وادى النيل خلال الاستعمار الهكسوسي للوادى، وترامى ألوان العزة عليهم في مصر. الغفوة عن « الأرض الموعودة» بالعزة في مصر خلال نيف وأربعة قرون من الزمن . تكون « نسل الأسباط الإثنى عشر» إلى «بيوت» استقرت في«أرض غوشن» من شرقي الوادى.

بزوغ شمس الإمبراطورية المصرية، ورواح الغبار الهكسوسي عن انتشار« بيوت إسرائيل» في مصر القديمة خلال حكم الإمبراطورية المصرية.

« بيوت إسرائيل» تهوى في عصر الإمبراطوية المصرية الى مرتبة العبودية. هبات التذاكر عن«أرض الآباء» تنطلق بين «بيوت إسرائيل». إرهاص الوعى« الإسرائيلي» في مصر إلى فكرة «الأرض الموعودة» خلال الحكم الحيثي لأرض كنعان. التدهور الاقتصادى في نهاية حكم«رع– موسى» الكبير. التوثب اللوبي على الحدود المصرية من ناحية« أرض غوشن» من الجهة الشرقية للوادى. يد الزمن تطوى رع موسى الثانى، وتنشر منفتاح الأول ثم منفتاح الثانى. عودة موسى إلى مصر.

اشتداد خطر الزحف اللوبي على الحدود المصرية من جهة«أرض غوشن».

طرد«بني إسرائيل» من مصر

الخطر اللوبي على الحدود المصرية يستدعى طرد هؤلاء الذين كانوا يسكنون« أرض غوشن» من شرقي الوادى ومن حيث أقبل الغزو اللوبي. انتصار مصر على لوبيا. « قصيدة النصر» التى ألفت بمناسبة انتصار منفتاح على لوبيا.

الأماكن المصرية التى سلكها بنو إسرائيل عند طردهم من مصر والمدة الزمنية التى اقتطعوها فى هذا الترحال من مصر إلى سفوح سيناء.

انحسار الزمن عن مطلع عقيدة «الأرض الموعودة»

تقنين الحلم القديم وابتعاث ربوبية «يهوه» من طيات الماضى السحيق. تحول الفكرة عن «الأرض الموعودة» من عقيدة متوارثة إلى عقيدة دينية. تكون الكهنوت الإسرائيلى. قيام «مملكة كهنة» و«شعب مختار» و«أمة مقدسة».

«بيوت إسرائيل» تطالب ب«الأرض الموعودة».

الزحف الإسرائيلي صوب «الأرض الموعودة»

التمرد الكهنوتى على موسى. الثورة الجماعية على موسى «الرب يأمر بموت هرون».

«واقعة ياهص» و«واقعة أذرعى» وأثرهما فى نفسية جماعة إسرائيل.

ارتسام رقعة «الأرض الموعودة» في إطار الفرات والنيل

اشتداد التمرد الكهنوتى على موسى وطغيان الثورة الجماعية عليه. «الرب يأمر بموت موسى».

«يشوع بن نون» يعلن خبر غياب موسى فى «جبل نبو» ومن حيث لن يعود.

بروز «يشوع بن نون» في إطار التاريخ الإسرائيلي

بدء حياة عقيدة «الأرض الموعودة» يشوع بن نون يتولى قيادة بنى إسرائيل، والغنق الإسرائيلى يسلس لقبضته العنان. تحول موسى إلى مجرد رمز. انحسار السجف السياسية والدينية عن يشوع بن نون القائد الحربى والزعيم الدينى الحقيقى لبنى إسرائيل.

تكون الدين اليهودي الحالي وعودته بأصوله إلي يشوع

بنو إسرائيل فى «أرض كنعان». «عهد القضاة» و«عهد الملوك». امتلاك داود آخر حصون كنعان، «صهيون». وفاة سليمان وانقسام مملكته إلى مملكتين. فى الشمال «مملكة إسرائيل». وفى الجنوب «مملكة يهوذا».

«الغزو الآشورى» ومحو مملكة إسرائيل، من خريطة الوجود.

«الغزو البابلى» وانهيار «مملكة يهوذا». أبناء يهوذا يساقون أسرى إلى «بابل». هبات التذاكر عن «صهيون» تعصف بأفئدة اليهوذيين.

الأيدى اليهوذية تنشر القراطيس وتجرى الأقلام.

بروز «الأسفار الخمسة» المكونة «التوراة» على صفحة التاريخ الدينى.

الرجوع إلى أورشليم.

الغزو الرومانى.هدم«المعبد» وتشتيت بنى إسرائيل فى أرجاء الأرض.

الأيدى اليهوذية تنشر القراطيس من جديد، وتجرى الأقلام فتكتب الـ«مشنا» وتسطر«التلمود» البابلى والأورشليمى. أثر الالتحام الكتابى فى إرساخ عقيدة«الأرض الموعودة»وتحويلها إلى عقدة نفسية.

انتقال عقيدة«الأرض الموعودة» من المجال العاطفى إلى المجال السياسى

انبثاق«الصهيونية».

ارتسام الحركة الصهيونية، شرقية وغربية وعالمية وحديثة،فى«مقررات حكماءصهيون»

امتداد رقعة«الأرض الموعودة» إلى إمبراطورية يهودية عالمية.

إرساء حجر الأساس فى صرح« الإمبراطورية اليهودية»على قاعدة تطوى معا الفرات والنيل.

تعبيد الطريق إلى«الإمبراطورية اليهودية» عن طريق افتعال«دولة إسرائيل» على أسس من نصوص «التوراة» أو« الأسفار الخمسة»الأول من «العهد القديم».

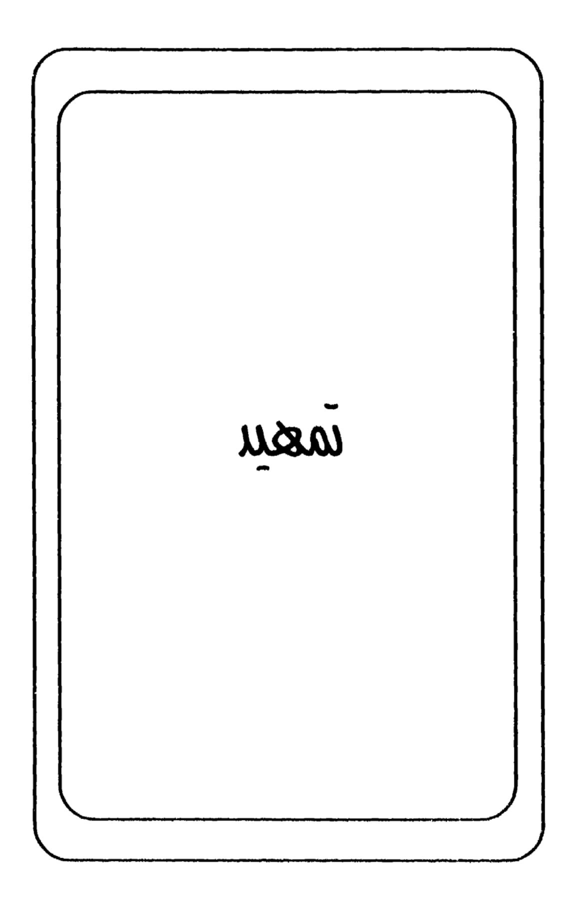
التعقيب:

عقيدة«الأرض الموعودة» في ميزان التاريخ

«التوراة»تحت أضواء التاريخ.

تلاشى القدسية عن« الأسفار الخمسة»وبطلان نسبتها إلى موسى.

ذوب«الجنسية الإسرائيلية» فى تيار الزمن ، وتبدد عقيدة«الأرض الموعودة» فى سراب التاريخ.



تمهيد

يخوض الشرقُ العربى اليوم خضمّ مشكلات مختلفة تنفرد كل واحدة منها بملامح خاصة، وتتسم فى نفس الوقت بالخطورة والأهمية، ولا تقتصر على دائرة واحدة من دوائر التفكير البشرى دون أخرى، فهى تضرب بأعراقها فى دوائر الاجتماع والاقتصاد والعلم والفلسفة والسياسة.

ولكن..

تتفرّد من بين هذه المشكلات كلها مشكلةٌ واحدة لاتعترم فحسب بالخطورة ولا تتسم فحسب بالأهمية، وإنما تعد أكثر هذه المشكلات خطورة وأهمية بل وحيوية لارتباطها بطبيعة الحياة فى الشرق الأوسط ولمساسها المباشر بهذا المزدحم الهائل للصراع البشرى فى مختلف المرافق وسائر النواحى وهذه المشكلة هى :

مشكلة فلسطين

منذ زمن بعيد مداه فى مدى التاريخ وأعقد مشكلة فى جبين الشرق الأوسط إنما هى هذه المشكلة/ إلا أنها الآن أمام الهدف الصهيونى العالمى الحالم بإقامة إمبراطورية يهودية عالمية تحكم العالم، وتستعبد الشعوب الإسلامية والمسيحية سواء قد ازدادت على تعقيد تعقيداً بما نسجته اليدُ الصهيونية حولها من نسيج حاكته من سخب الماضى المتوغل فى القدم، وجعلت سداه« عقيدة الأرض الموعودة» ولحمته تغلغل هذه العقيدة الدينية ورسوخها فى صدر كل فرد من أفراد الجماعة اليهودية.. وهذه،سواء أخفاها اتقاء وتستراً أم جهر بها تيهاً وتفاخراً، هى القائلة بأن أرض فلسطين قد منحت لبنى إسرائيل منحة إلهية وملكا أبدياً لتكون عاصمة لمملكة يهودية تشمل قاعدتها كل الرقاع المترامية فى إطار الفرات والنيل!..

ومن ثم فالمشكلة مشكلة دقيقة وحرجة لاستناد الفكر الصهيونى فى دعوته إلى المصدر الدينى المحض ولاستمداده مادته من المدد العاطفى البحت. بل ولاعتماد الصهيونية العالمية اعتماداً كلياً على هذين المصدرين مستهدفة من وراء ذلك امتلاك العالم عن طريق امتلاك فلسطين أولا ومن بعدها بلاد الشرق الأوسط لتقيم على أنقاضها«الإمبراطورية اليهودية» التى حلم بها«هرتزل» ١٨٦٠-١٩٠٤، وليد الصهيونية البابلية وأبو الصهيونية الغربية والتى رسم رقعتها على صفحات كتابه«الدولة اليهودية» [١] الذى كان بمثابة حجر الأساس فى افتعال «دولة إسرائيل»وجر على العالم هذه الجريرة بجرة قلم واحدة جاءت تقول:

---

(١) ١٨٦٦ «Judenstaat»

«إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لاننساه!.»

ويقيناً إن حجة الصهيونية بادّعائها الحق فى امتلاك فلسطين إنما هى حجة لاتقوم إلاّ على أساس من القول بأن أرض فلسطين هى الوطن التاريخى«لبنى إسرائيل» ، وإنها قد منحت لهم منحة إلهية وأبدية وهذه الحجة لاتعتمد على أساس سياسى أوسند قانونى وإنما على مجرد دعامة دينية كما أكد ذلك«هرتزل» نفسه فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقدت منه الأواصر فى مدينة «بال» بسويسرا، ١٨٩٧م، يوم وقف هو ، نفسه ، يرأس هذا المؤتمر مُعرفاً ماهية الصهيونية وماتستهدفه حركتها بقوله:

«إنّ العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية! وان هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد فى الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين!.»

هذا القول الموضّح للهدف الصهيونى والرامى إلى إنشاء وطن قومىٌ يهودى فى فلسطين تنفيذاً للنصّ الوارد فى «الكتاب المقدس» كان اللهب الذى لفح الذاكرة من كل فرد من أفراد الطائفة اليهودية بلفحات الحنين إلى مايعتبرونه الوطن المُورّث والموروث، كما كان بدوره المادة الأساسية التى أعدها«هرتزل» نفسه لابتناء الصرح من«دولة إسرائيل». هذه «الدولة» التىماافتعلت إلا وارتفع الصوت الصهيونى يعلن العالم بإنشاء «الوطن القومى اليهودى» فى فلسطين تنفيذاً للنص الوارد فى «الكتاب المقدس» وإشعاراً للعالم بقيام هذا«الوطن القومى اليهودى تنفيذاً للنص الوارد فى الكتاب المقدس» اتّخذ الصهاينة من رداء الصلاة اليهودية المؤلف من اللونين الأزرق والأبيض، لـ «دولة إسرائيل» علماً، ومن«نجمة داود» رمزاً، ومن«الشمعدان المقدس» ذى الفروع السبعة شعاراً، بينما مثلوا أنفسهم أدق تمثيل فصوروها؛ «الأفعى السامة»!. هذه «الأفعى السامة» التى بدأ زحف رأسها المميت من فلسطين والذى لن يعود للالتقاء بالذنب الباقى فى فلسطين، وهذا يمثل سائر الجماعة اليهودية، إلا بعد تسميم العالم وإماتة كل من لايمت إلى الجماعة اليهودية بأوشاج قرابة أو نسب، ثم التربع على أنقاض بلاده وأشلاء أهله تحت ظل ملك يهودى يحكم العالم كله من صهيون على عرشٍ مساحته كل الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل!.

هذا الهدف الصهيونى السياسى البحت والمستمد معينه من الينبوع العاطفى المحض بالإضافة إلى هذا الإشعار الدينى من الجانب الصهيونى للعالم فى إنشاء «وطن قومى

يهودى» فى فلسطين تنفيذاً للنص الوارد فى «الكتاب المقدس» لايجىء بالدليل الكافى، فحسب، على أن اليهودية الحالية والصهيونية العالمية هما، كما قال«وايزمان» زعيم الصهيونية الشرقية وأول رئيس«دولة اسرائيل»، متلازمتان متلاصقتان ، وإنما هويحمل البرهان القاطع على الاستغلال السياسى للعقائد الدينية فى نظر معتنقيها ومن يؤمنون بها. فإن هذا«النص» هو الدرع الوحيد الذى تدرأ به الصهيونية عن نفسها كل احتجاج وحجة، وهو الأصل الذى انحدر منه وجودها وبه يقوم قيام كيانها الذى لايتمثل إلا فى هذا النداء الذى ترسله بين الآونة والأخرى بأن فلسطين قد منحت من الإله لإسرائيل منحة أبدية!. ومن هنا كان قيام ممثلها ومندوب«الدولة اليهودية الحديثة» يجهر على منبر «هيئة الأمم المتحدة» عقب الاعتراف بهذه«الدولة» قائلا:

«قد لاتكون فلسطين لنا على أساس حق سياسى أو قانونى، ولكن فلسطين لنا على أساس حق روحانى!.»

لاجدال فى أن هذا«الحق الروحانى» مستمد من الإصحاح الخامس عشر من «سفر التكوين» وهو الذى أشار إليه مؤلف كتاب«الدولة اليهودية»، من قبل، وممثل«دولة إسرائيل» من بعد وهذا الإصحاح يقول:

«قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلا، لنسلك أعطى هذه الأرض. من نهر مصر إلى النهر الكبير.. نهر الفرات!.»

ولكن!..

حتى نبحث فى أمر هذا «النص» وحتى نضعه فى ميزان التاريخ سابرين ماهيته من حيث البطلان أو الإصابة، نقول: إن هذه الصيحة التى دوت بها جدران المؤتمر الصهيونى الأول، وراح رجّع صداها فى أرجاء «هيئة الأمم المتحدة» لم تأت نشازا، وإنما كانت الترجيع الجديد لأصداء الماضى البعيد المتجاوب نغماً حبيبًا فى مسمع كل فرد من أفراد الطائفة اليهودية، كما كانت المد الذى استمد الفكر الصهيونى منه جوهر دعوته! فإن حجة الصهيونية فى دعوتها إنما هى حجة دعامتها الدين، ومادتها هذا«النص» إلى جانب نصوص أخرى من«كتاب» غلف بالقدسية وحومت من حوله أنفاس التقديس، تحمله الصهيونية بيديها، وتقدمه إلى العالم هادرة بأنه هو نفسه البرهان القطاع على حقها الشرعى فى امتلاك أرض فلسطين، ولا فحسب هذه «الأرض» وحدها وإنما كل الرقاع

الممتدة من الفرات إلى النيل!.ثم إنها لم تقف عند هذا الحد وإنما هى لهذا«الحق الشرعى» الذى تدعيه قد سجلت، وأعلنت عندما ارتفعت يدها وعلقت، على مدخل الـ«كنيست»، هذا العبارة:

«حدودك ياإسرائيل من الفرات إلى النيل!.»

ومن ثم، فإن فلسطين ليست هى كل «الأرض الموعودة» التى يدعى الصهاينة ملكيتها..كلا!.

«إننا لم نحقق بعد هدفنا وهو النصر النهائى. فنحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا سوى قسم واحد فقط. وسنجعل الحرب حرفة يهودية حتى يتم تحرير بلادنا كلها، بلاد الآباء والأجداد.. وسنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل!».(١)

بن جـــــريــــون

أو فى ذلك شك؟!

إن فلسطين ليست هى كل «الأرض الموعودة»، وإنما هى جزء منها.. وعن هذا «الجزء» يتحدث الصهاينة فى ترديد لتلك الصيحة التى انطلقت من «تل أبيب» تقول:

«إن إسرائيل بوضعها الحالى لاتمثل إلا خُمس مايجب أن تكون عليه أرض الآباء!.. ومن ثم يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية».(٢)

مناجيم بيجن

كلا..

كلا، لن نتساءل قائلين: ماهى هذه «الأربعة الأخماس» الباقية؟.. فها هى ذى أمامنا منتشرة الخريطة الجغرافية الرسمية المتبعة فى المدارس اليهودية، والتى تدرس اليوم للنشء فى «دولة إسرائيل».. فنحن نرى على هذه الخريطة قد رسمت رقعة«الإمبراطورية اليهودية المرتقبة»!. .. فى إشارة إلى الأراضى الإسلامية المقدسة، وفى مقدمتها«المدينة المنورة»!.. إلى هذه المدينة الضامّة لضريح صاحب الرسالة الإسلامية قد تطاول النظر الصهيونى فلم تتورع اليهودية عن أن تجعلها ضمن هذه«الأربعة الأخماس الباقية»!..

---

(١) مايو سنة «١٩٤٩».

(٢) سنة «١٩٥٣».

وأما إذا تساءلنا؛ كيف سيكون العمل على «تحرير» هذه «الأربعة الأخماس الباقية» ؟.. فإن الجواب مازال يدوّى فى أرجاء الـ «الكنيست» مردداً:

«إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء مالم تشن حرباً وقائية على الدول العربية، وتعمل على مد حدودها داخل هذه الدول، حتى تضمن سلامتها وتحقق الحلم الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية، ألا وهو إقامة إمبراطورية إسرائيلية ممتدة الأرجاء، تفرض سلطانها قوياً يخشاه الجميع!..

وبذلك يتم تحقيق الميثاق الذى قطعه الرب مع إبراهيم!..»[١]

موشى شاريت

هذا بعض من أقوال زعماء الصهيونية العالمية كما سجلتها محاضر «المؤتمر الصهيونى الأول» و«هيئة الأمم المتحدة» والبرلمان الإسرائيلى الـ «كنيست».. وكلها، مجتمعة، تأتى بالأدلة القاطعة على أن الهدف الأخير للصهيونية العالمية هو امتلاك العالم عن طريق امتلاك بلاد الشرق الأوسط من الفرات إلى النيل، وماذلك إلا تطبيقاً لما جاء فى ذلك «الميثاق» الذى سجلته نصوص من «كتابهم المقدس» الذى عليه فى دعواهم يعتمدون والذى لم تتشكل إلا من نصوصه «مشكلة فلسطين»!..

ومن هنا نستطيع أن نقول إننا لن نتبين أبداً مدى خطورة «مشكلة فلسطين» على بلاد الشرق العربى إلا إذا عدنا إلى «الأسفار الخمسة» التى تتصدر «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى وإلا إذا نشرنا أمامنا الـ «تلمود»، وإلا إذا استعرضنا محاضر أو قرارات «حكماء صهيون» المعروفة تحت اسم «بروتوكولات حكماء صهيون».. حينذاك، وحينذاك فقط عندما نتناول كل ذلك على حدة فى معرض البحث، بعد صفحات، سيتجلى لنا بوضوح تام الهدف الجوهرى للصهيونية العالمية من وراء إقامة «إمبراطورية يهودية» على أنقاض الدول العربية أولا فالدول الغربية آخراً وحينئذ نفهم المعنى من استهدافهم استعباد سكان الدنيا جميعاً بعد استعمار دول الأرض جمعاء..

هذا التمادى الصهيونى يدفعنا إلى أن نسأل أنفسنا:

---

(١) سنة «١٩٥٥».

ماهى الوسيلة الناجحة لسحق رأس هذه «الحية السامة» ؟ حتى يجف منها الجسم ويكف منها اللسان عن هذا الفحيح الذى يرسل شرر الشرّ، وسموم العداون فى كل متجه مهدداً روح السلام فى كل ناحية من أنحاء الشرق الأوسط بالخطر؟!

وماهو المبضع الباتر لاستئصال هذه الجرثومة التى استشرى تضخمها استشراء يحاول الفتك بكيان المجتمع البشرى مهدداً حياته الاجتماعية والأخلاقية بالانهيار إن لم يكن بالفناء؟!

***

لاجدال أن القوة العسكرية كفيلة بسحق هذه«الأفعى السامة»، رأساً وذنباً!.. القوة العسكرية قادرة على إزالة «دولة إسرائيل» ونشر من تجمع فيها من اليهود جماعات وفرادى فى سائر أنحاء الأرض، بيْدَ أن الدولة العربية الكبرى تعتنق السلام مذهباً، لاتريد حرباً ولاتقدم على الحروب إلا اضطراراً، إما لرد عدوان أو لكف عداء. وهذا بالإضافة إلى أنها ترى أن «مشكلة فلسطين» مشكلة دينية فى الصميم استمدت مبدأ وجودها من نصوص دينية بحتة، هى التى تتخذ منها حجتها، وهى التى يقوم عليها منطقها، وهذا مما يجعل ساحة الحرب هو الورق وأما السلاح فهو القلم فليس للحجة إلا أن تقارع بالحجة وليس للمنطق إلا أن يحارب بالمنطق، وأما ماسوى ذلك من الوسائل فلن يكون إلا حلا وقتياً، والدولة العربية الكبرى لاتريد هذا الحل الوقتى، فهى ترى أن «مشكلة» قد عقدتها نصوص سطرت، زيفاً، بمداد القدسية لن تزايل العالم مالم تزل عن هذه«النصوص» هذه«عقيدة الأرض الموعودة» فى سراب التاريخ كما من هذا السراب قد حيكت فإن هذه «القدسية» الوهمية التى لم تعرض الرأس العالمى عرضا تذوب به«المشكلة» ستتجدد، حتما، مع الزمن وإلى التشكل من جديد ستعود جديدة مما سيعود بالعالم عامة وعالم الشرق الأوسط خاصة إلى التساؤل من جديد؛

كيف يمكن أن تحل«مشكلة فلسطين» ؟.

من اليقين أنه طالما ظل الصدر اليهودى زاخراً بحرارة هذه «العقيدة الدينية» فلن تحل، قط، «مشكلة فلسطين» حلا حاسماً. قد يجترف التيار الزمنى أطراف هذه«المشكلة» ولكنه لن يغتمر أصولها، وليس إلا فى توار فيه ستتوارى ولردح من الزمن هو مهما طال واستطال، ومهما إلى آماد امتد فلن تميد فى أعماقه أبداً هذه«المشكلة» التى مالم تحل

دينيا وتذوب منطقياً فلن تغيب مطلقاً من صفحة التاريخ السياسى.. ليس إلا تحت رماد الأيام سيختفى اللظى وحتما سينحسر الرماد، يوماً، عن هذا اللظى فتهب العاصفة من جديد وتندلع النيران، ولن يكون لذلك من سبب إلا لأن هذه«العقيدة الدينية» قد ظلت مشتعلة الجذوة بين الجوانح اليهودية.

ومن اليقين أننا لم نضع أمام الرأى اليهودى، نفسه، هذه «العقيدة» فى ميزان التاريخ حتى يستبين لليهود جميعاً مدى الوهم الذى يتخذون منه سنداً فستظل هذه«الأفعى السامة» ترسل الفحيح وتدعى«الحق الشرعى» فى امتلاك فلسطين وهذه حقيقة نستطيع أن نتبينها تماماً إذا اتخذنا المنطق أداة فى تفكيرنا وأخذنا أحداث التاريخ ومجرياته شواهد.. فلقد قُوِّضت، من قبل، لليهود مملكة وأزيلت«دولة إسرائيل»، ولقد نثر هدم«المعبد الثانى» اليهود بعيداً وراء هذه البقعة من الأرض التى يدعون شرعية ملكيتها فغابوا، فى توار، فى تيارات الشعوب التى ينتمون بها عنصراً وجنسية ويتسمون بسمات المظهر الخارجى لأهلها من السحنة واللون واللغة.. ولكن!.«المشكلة» قد ظلت هى هى.. وإلا فكيف يمكن لها أن تذوب وهى تتخذ مساندها من عقيدة دينية تربتها النفس، ومنبتها الجوانح، تُروّيها العاطفةُ، ويغذيها الوجدان والجذور منها، قد تأصلت فى الصدور؟.. ومن ثم كان النقيض الذى زاد هذه«المشكلة» تعقيداً فى جبهة الزمان!.. فلقد حمل اليهود معهم هذه«العقيدة» وأحلوها معهم حيثما حلوا، ومن نفوسهم لم تقتلع باقتلاعهم جماعات من فلسطين، فلقد زادهم التشتت بها التصاقاً وتشبثاً، ولها احتضاناً وصوناً بل وفى حنين يستحن الذكرى إلى عزة ولت، انحنت عليها منهم الحنايا وكإرث عزيز توارثوه عن الآباء راحوا، بدورهم، يورثونه إلى أبنائهم، الذين فى مسامعهم صبوا، وهم بعد فى مهودهم، أنغام الشوق إلى الوطن الموروث لهم«شرعا» والمسلوب منهم «غصباً» !..

ويقيناً لقد انتشر أفراد الطائفة اليهودية بين الشعوب التى يحملون جنسياتها، ثم هم قد احتكوا بهم تحت مظهر واضح من الاندماج والاندغام، ولكنهم قد ظلوا، بالرغم من تفرقهم فى الشعوب، وحدة تترابط تحت ظل التستر والاستتار، بعروة يشدّ منها الوثاق الواحد إلى الآخر رباط قوى ومتين!.. فقد لايفهم الواحد من أبناء الطائفة اليهودية لغة

الواحد الآخر من نفس طائفته الدينية، لاختلاف الوطن والجنس، وقد لاتتجانس طبيعته وطبيعة الآخر لتباين النشأة والبيئة بل والطبع والمعايير.

ولكن. بالرغم من هذا الاختلاف والتباين فهناك رابطة تضامن تجمع بوتقتها بين أفراد هذه الطائفة جميعاً، وهى هذه«العقيدة»، عقيدة«الأرض الموعودة»، التى لم يزد التشتت أهلها إلا بها اشتغالا. فلقد صنعوا منها سلاحا شحذوا منه النصل على مشحذ الوجدان، ثم راحوا يتربصون من ورائه حتى سنحت السانحة للانقضاض فهبوا لإقامة«دولتهم» من جديد. وهكذا من جديد جابهت جبهة الزمن «مشكلة فلسطين».

ومن ثم فإن الحل لهذه «المشكلة»، وإن كان من مظاهره زوال «دولة إسرائيل» وعودة الجماعات اليهودية إلى البلاد التى تنتمى بجنسياتها إليها، لاينحصر إلا فى حلّ واحد وهو حلُّ عقدة هذه«العقيدة» من النفس اليهودية نفسها!.. وهذا أمر يحتم علينا أن نضع هذه «العقيدة» على بساط البحث، وأن نسلّط أضواء التاريخ عليها من كل جانب حتى يتبين العالم أصل وجودها، وأدوار نشأتها، وأطوار تطورها، ويراها وهى تتكون فى مجرى الزمن، ثم وهى تتبلور عبر مجريات الأحداث السياسية من فكرة مبعثرة إلى عقيدة دينية فإلى عقدة نفسية..

ولما كنا لانستهدف إلا انتزاع الحقائق من صدر التاريخ فنحن نستهل بحثنا بهذا السؤال:

ماهو نصيب هذه«العقيدة» من الخطأ أومن الصواب؟..

الجواب عن هذا السؤال يدفع بنا فى الاحتكام إلى المنطق الصرف فنقول:

لاجدال فى أنه حتى إذا صحت الحجة الصهيونية وعلى قاعدة ثابتة الأساس استقامت هذه«العقيدة» فليس فى وسع الشعوب العربية الاعتراف للصهيونية بشرعية«دولتها» فالطوائف الدينية لاتمتلك بلداناً.. وأما!. أما إذا تداعت هذه«العقيدة»وتحت أشعة التاريخ ذابت وثبت بطلانها فليس فى وسع الصهيونية نفسها إلا الانحناء أمام الشعوب العربية انحناء الاعتراف بأنها كانت أسيرة وهم قديم غشى منها الفكر، وأسقم منها القلب بسموم العدوان السقيم!..

ولكن!..

أحقا يجهل الفكر الصهيوني الحقيقة من هذه«العقيدة» ؟. كلا، إن الفكر الصهيونى لايجهل هذه الحقيقة وإنما هو لها يتجاهل، وماذلك إلا لأن هذه«العقيدة» لو تجلت أمام العالم على حقيقتها وتحت أشعة التاريخ ذابت الخيوط التى نسجتها فى نسيج الزمن كنصوص قدسية، وتلاشت فى محض وهم كما قد حيكت من وهم محض لوهت للصهاينة حجة وتهاوت ولتصدعت من تلقاء نفسها«دولة إسرائيل» وانهارت منها الأركان!.. وإلا فكيف لاينهار من أساسه صرح«دولة» لايقوم منه البنيان إلا على أساس هو نفسه نصوص غير شرعية من«كتاب» تنتفي، بانتفائه عن موسى، عنه القدسية انتفاء يجعل «دولة إسرائيل» تتحول إلى ذكرى باهتة فى جبين الزمن ويجعل «الطائفة اليهودية»تستحيل إلى أطياف عابرة فى جفن الغد!.

هذا هو السبب الذى يدفع باليد منا إلى أن نتناول نفس«المصدر» الذى انتزعت منه الصهيونية العالمية دعوتها ونستوحى منه الحكم على نفسه بنفسه وعلى مايحتويه من «نصوص» هى التى عقدت هذه«العقيدة» ثم، بعد ذلك، نستطيع أن نحكم على الدرجة التى يقف عندها هذا«المصدر»، وبالتالى على الدرجة التى تقف عندها هذه«النصوص» فى معيار التفكير السليم.

ولكن..

محال أن تمتد اليد منا فنتناول «الكتاب المقدس»، مصدر العقيدة اليهودية الحالية، أو أن ننشر الصفحات من«الأسفار الخمسة» فيه إلا إذا عدنا بهذه«العقيدة» إلى الوراء وأرجعناها، شيئاً فشيئاً، إلى أصولها العريقة فى القدم وتقهقرنا بها إلى ظروفها الماضية فليس إلاّ عندما نذيب هذه «العقيدة» فى التيارات التى انحدرت منها، وليس إلا عندما نتغلغل بأسبابها فى طيات الماضى القصىّ ونشق إلى العوامل التى جاءت بها غمار القرون الغابرة، ونسلط عليها أضواء التاريخ الذى سبقها لنرى مولدها فى مهد الزمن ونموها فتطورها على مدارج الأيام، نستطيع أن نستجلى العنصر منها كبذرة ألقيت فى تربة الماضى وطوتها طياته خلال أطواء ليل«آباء اسرائيل».. ليس إلا عن طريق هذه الوسائل سنعلم العنصر من هذه«البذرة» التى لن تكون إلاّ واحدة من اثنتين:

إمّا بذرة سليمة ألقيت في تربة صحيحة ،وإما بذرة سقيمة لانتناولها لنحلل منها العنصر إلا ونجدها قد انحلت في يدنا وتحللت إلى .. لاَشيء!.

ومن هنا ينبثق احتياجنا إلى سلاح المنطق ومعول الفكر وهو هذا القلم الذى نتناوله أداة نناقش به حجة الصهاينة في أسلوبهم الدينى الذى يضعونه أساساً لدعواهم السياسية .. بيْد أننا قبل أن نلج إلى لجة البحث وننشر طيات«الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى، الذى يعرف بـ«العهد القديم» في نسخته البروتستنتية وبـ «العهد العتيق» في نسخته الكاثوليكية، في تركيز على «الأسفار الخمسة» الأُوَل في كل منها، وهي الأسفار المنسوبة إلى موسى، نرى لزاماً علينا أن نقول كلمة بخصوص هذه«الأسفار الخمسة» وهي تتألف هذه«الأسفار الخمسة» الأوَل من «الكتاب المقدس» من مجموعة تسمى، علمياً، «التوراة» أى الشريعة.. ويسند اليهود هذه«التوراة» إلى موسى إذ يعتبرون هذه«الأسفار» صادرة عنه وحياً من الإله.. وأما الواقع التاريخي فيتنافر كل التنافر وهذا المعتقد الذى لم تنبثق إلا منه«مشكلة فلسطين» .. فإنما، وإن كان جوهر التقاليد المدونة في هذه «الأسفار» ونواة التشريع فيها تتصل بالزمان الذى بدأ فيه تاريخ «بنى إسرائيل» كجماعة منظمة، إلا أنها بكل نصوصها قد كتبت بعد موسى بأكثر من عشرة قرون من الزمان والبرهان على ذلك مستمد من نفس ماتحتويه هذه«الأسفار» من نصوص.. لا من الازدياد التدريجي في الشرائع الذى سببته مناسبات العصور التالية على عصر موسى من اجتماعية ودينية، والتى تظهر واضحة فيما ترويه هذه النصوص الدالة على تمازج عدة تقاليد، وعلى وجود أكثر من قلم جرى بتسطير هذه«الأسفار» .. كلا!. وإنما لأن أسماء بعض القبائل والمدن التى تتحدث عنها هذه«الأسفار» لم يكن لها في عهد موسى وجوداً .. وهذا بالإضافة إلى ذلك الحدث الذى يختتم به«سفرُ التثنية» ، وهو السفر الخامس من هذه«الأسفار» ، حديثه وهو حدثٌ قد حدثَ، لامحالة، بعد موسى بأجيال لأنه لايتحدث فحسب عن وفاة موسى ودفنه في «أرض موآب» وإنما عن ضياع مكان قبره في ذلك المكان من الأرض.. ولما كان ليس هناك كائن، كان مَن كان، يستطيع التحدث عن نفسه بهذه الصيغة فنستطيع أن نقول: إن الاعتقاد بنسبة هذه«الأسفار» إلى موسى ليس إلا اعتقاداً واهما وباطلا، وأما الإصرار عليه فإصرار يتأرجح مكانه بين جهل بالتاريخ أوتجاهل للتاريخ!.. وإلا فأى برهان

يمكن أن يقدم أقوى من هذا البرهان على انتفاء نسبة هذه «التوراة» إلى موسى من أن مؤلف هذا السفر الأخير من الأسفار المنسوبة إلى موسى لايعرف مكان قبر موسى؟!.

وفي الواقع أن هذه«الأسفار» ، التي تكوّن الدين اليهودي الحالي، لاتعود بوجودها إلا إلى عدة أقلام يهودية، وهي على وجه التحديد أقلام «بيت يهوذا» دون سائر بيوت بني إسرائيل كما أنها لاتعود بتاريخ وجودها إلا إلى مابعد الغزو البابلي لأورشليم«٥٨٦ق.م» . ولم تُعرف إلا عند ماأعاد الفتح الفارسي، «٥٣٩ق.م» ، الأسرى اليهوديين إلى أورشليم... وإلى عدة عوامل تعود بذلك الأسباب فإنه لما لم يكن في وسع اليهود بعد إعادتهم إلى أورشليم أن يقيموا لهم دولة كتلك التي كانت لهم قبل الأسر، وذلك لنضوب الثروة المادية وللافتقار في العدة والعدد، فقد وجدوا أنفسهم في حاجة إلى تنظيم يهيىء لهم أسباب الوحدة القومية، فانحنى الكهنة يراجعون ماسطرته الأقلام اليهودية من قبل يوم جرت وهي في الأسر تعبّد الطريق إلى عودة«بيت يهوذا» إلى الحكم من جديد، فوجدوها كافية بالغرض. فإن هذه الأقلام التي حرصت على تسطير أبرز الأحداث في تاريخ «بني إسرائيل» مستهدفة بذلك وضع قواعد حكم ديني يقوم على المأثور من أقوال القدامى وتقاليدهم، ثم حرصت على صبغ ذلك بصبغة شرعية فاتخذت محوراً اسم «شريعة موسى» ومرجعاً «أوامر الرب» هي أقلام، ولاشك، تمثّل حجارة الأساس في بناء صرح«بيت يهوذا» من جديد!..، ومن ثمّ ماانتهوا من مراجعتها إلا وغلفوها بغلاف القدسية لتطلع على التاريخ الديني في نفس اللحظة التي دعا«عزرا» الجماعة اليهودية إلى الاستماع إلى ماقد أخذ يتلوه عليها من نصوص أسماها «شريعة موسى»!.

ومن ثمّ فإن الشريعة اليهودية الحالية التي يتداولها اليهود اليوم ويلمسها العالم من خلال طبائعهم وطباعهم لاتمت إلى موسى بأسباب ولا تعود بوجودها إلاّ إلى ماكتبته أقلام مؤلّفي هذه«الأسفار الخمسة» وفقاً لأهوائهم وسياستهم ونسبوها، افتراء على الله وافتراء على موسى، إلى موسى وإلى الله، ولم يكتفوا بما سطروه فيها من سخف وانحلال، وإنما نسبوها إلى الله على لسان موسى تطاولا وبهتاناً وزوراً!.

من هنا نستطيع أن نقول: إننا سنبيح لأنفسنا التحدث عن «موسى» وعن «إبراهيم» وعن غيرهما من«أنبياء الله» ، الذين سيأتي ذكرهم في معرض البحث، على ضوء

ماجاءت به صفحات هذه«الأسفار» مع إيماننا العميق بعصمتهم وتنزههم عما جاء فى هذه «التوراة» المفتراة من سفه وفحش وإسفاف!..

ولكن.

ليس معنى ذلك أن الإسلام الذى يُؤمن بموسى، كنبىّ وكرسول وككليم الله عزوجل، لايؤمن بتوراة هى على موسى قد أنزلت.. كلا!.. إن الإسلام، الذى يرفرف على سائر أرجاء الشرق الأوسط ويبسط جناحيه حتى أقاصى الشرق الأقصى، يؤمن بالتوراة ككتاب مقدس.

ولكن!..

بأية«توراة» يُؤمن الإسلام؟!.

إن الإسلام يُؤمن بالتوراة التى جاء فيها الإنذار بالرسالة المحمدية والتبشير بها.. إلا أن الإسلام لايؤمن، قطّ، بتوراة مفتراة كتبها رجال البيت اليهودى وفقاً لمقتضيات سياسة «بيت داود» من سلالة يهوذا، ثم تمادوا ونسبوها، افتراء على موسى، إلى موسى وجعلوها، كفراً منهم بالله، صادرة إليه عن الله!..

وهنا..

وهنا.. تنبثق أمامنا حقيقة جوهرية، وكأنما هى لم تطرق بعد الأذهان، إذ أنها لم تطرق من قبل الأقلام وهى أن الإسلام قد جاء ملغياً لهذا الدين اليهودى العائد بوجوده إلى مؤلفى هذه«الأسفار».. لذلك حارب صاحب الرسالة الإسلامية يهودَ شبه الجزيرة العربية وسماهم كفاراً إن لم يعتنقوا الإسلام، هذا الدين الذى جعل اعتناقه صورة للعودة إلى الدين الذى أوحاه الله إلى موسى.. والذى جاءت تحمل مفهومه هذه الآية:

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.(١)

ومن ثم فإن الدين اليهودى الحالى دين ألغاه الإسلام، وأبطله إبطالا كاملا ولو لم يكن الإسلام قد أبطله لما كان محمد، عليه السلام، قَبل إسلام من أسلم من اليهود،

(١) «١٩» آل عمران».

ولما كان قد أقرهم على نبذهم دينهم إلى دينه.. وهو دين الله الذى أوحاه إلى «الأنبياء» كافة، ولذلك كانت هذه الآية:

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين..﴾.(١)

ولكن!..

الفكر اليهودى الذى لايهمه من أمر دينه إلا عقيدة «الأرض الموعودة» يحاول استجماع شتات تفكيره، فيثير أمامنا نقطة يحسب أنه قد أصاب بها بغيته إذ يشير لنا إلى الآية التى تقول بأن موسى قال لقومه:

﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين..﴾.(٢)

إن لنا فى هذا الصدد سؤالاً لانلقيه لأنفسنا وإنما نلقيه إلى اليهود أنفسهم، وهو:

من هم أولئك القوم، «قوم موسى» !..

لاجدال فى أن «قوم موسى»، بدليل النصوص اليهودية نفسها، كانوا هم وحدهم «بنى إسرائيل».. وحتى يتضح لنا ذلك تماماً فنفرّق، بعد قليل، بين «العبريين» وبين «بنى إسرائيل» وبين «اليهود» نقول: إن هذه الآية لاتحمل «وعداً» بامتلاك هذه «الأرض المقدسة» وإنما هى تكتب لهم دخولها ومساكنة أهلها، وتجعل لذلك شرطاً هو عدم ارتداد «قوم موسى» عن موسى، وإلا انقلبوا خاسرين.

وأمّا إذا تشبث الفكر اليهودى بفكرته فنستطيع أن نأخذه بمنطقه قائلين: فلنفترض، مجازاً، بأن هذه الآية تحمل وعداً فإنّ هذا «الوعد» قد غدا باطلا من الوجهة اليهودية، ومن الوجهة الإسلامية معاً.

فأما من الوجهة اليهودية، فإن الإصحاح الأول الذى تعتمد عليه الصهيونية فى ملكية هذه «الأرض» يقول: «قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض..»

---

(١) ٨٥ آل عمران.

(٢) ٢١ المائدة.

ومن هنا نرى أن هذا «الوعد» خاص بنسل أبرام فقط.. وهل اقتصر «نسل أبرام» على إسحاق؟ أم شمل إسماعيل وغير إسماعيل؟!.

وحتى يتضح لنا أنه ليس هناك شيء، اليوم، اسمه «نسل أبرام» نقول: إن من نفس سطور «توراتهم» تنمحى قدسية القول بأن فلسطين هى للصهاينة وليهود اليوم «أرض موعودة»!..

وأما من الوجهة الإسلامية فإنَّ هذه الآية التى تقول بأن موسى قال لقومه: «ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة..» فإنها آية لو تمعنّا فى معناها لأدركنا، كما أشرنا قبل قليل، إلى أنها قد كتَبت «لقوم موسى» دخولها ومساكنة أهلها، لامتلاكها، كما قد جعلت لذلك الدخول شرطاً، وهو عدم الارتداد وإلا انقلبوا خاسرين!.. وأما و«قوم موسى» قد تمردوا على موسى وارتدوا عنه و:

﴿قالوا ياموسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون..﴾ (١).

﴿ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾.(٢)

فكان رد موسى أن:

﴿قال رب إنى لاأملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين.﴾(٣)

ومن ثم:

﴿.. ضربت عليهم الذلة أين ماثقفوا وضربت عليهم المسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.(٤)

ومن هنا نرى أن هناك تطوراً سار بهذا القول الكريم لاشتماله على شرط لم يلتزم

---

(١) ٢٢ المائدة. (٢) ٢٤ المائدة.
(٣) ٢٤ المائدة. (٤) ١١٢ آل عمران.

به«بنو إسرائيل» فكان افتراق موسى عنهم، كما إلى ذلك تشير الآية، وكان نعتهم بالفاسقين وكان عقاب هذا الفسق أن ضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله عميم.

وعلى ذلك تنمحى، أيضاً، من وجهة النظر الإسلامية، الفكرة القائلة بأن هناك«أرضاً موعودة» لالقوم ليس لهم فى الواقع، الآن، وجود فحسب ولا لاتصافهم بالفسق فحسب، وإنما لأن الإسلام الذى ألغى الدين اليهودى الحالى إلغاء كلياً بقوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وبقوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ قد أنهى، بهذا الإلغاء، الفكرة عن هذا«الوعد» إلغاء نهائياً!.

وهكذا..

هكذا تنمحي من الوجهتين اليهودية والإسلامية معاً القدسية التى صاغتها الأقلامُ اليهوذية من حول«أرض مقدسة» جعلتها وقفاً على أبناء يهوذا وبذلك عقدت فى جبهة الزمن عقيدة «الأرض الموعودة»!.

وعلى هذا الأساس وبهذا اليقين نبدأ فى استعراض فصول هذه «الرواية».. هذه الرواية التى لعبت، منذ نسجت فى إبهار ظلمة إسرائيل واستبهار ليل تاريخهم، أخطر الأدوار علي مسرح التاريخ حتي اليوم!.

حرى بنا قبل أن نخوض إلى لجة البحث فى تاريخ هذه الطائفة الدينية التى أطلق عليها، تجوزا، اسم«الإسـ ائيليين» أن نفْرق بين«العبريين» وبين«بنى إسرائيل» وبين«اليهود».. وهذا يدفَع بنا إلى إلقاء هذا السؤال:

من هم«العبريون» ؟

ومن هم«بنو إسرائيل» ؟

ومن هم «اليهود» ؟

الجواب عن هذا السؤال لايأتى إلاَّ من أنفاس التاريخ نفسه!.

فأما «العبريون» فإنّ تاريخهم، كما وُجد فى آثار «نارعم سن» ، يبتدى بعشيرة من تلك العشائر التى انتشرت، خلال الفترة التاريخية لبلاد مابين النهرين، على حافة«الهلال الخصيب».. وهذه العشيرة عرفت تحت اسم«عبرو» تارة وتارة أخرى تحت اسم «عبريو» وتارات تحت اسم«عبران» وذلك نسبة إلى جدها الأعلى«عابر» كما سيتضح لنا ذلك بعد قليل.. وأما أول ظهور بعض أفرادها على التاريخ فكان فى مدينة «أور» على ضفة الفرات الأدنى وفى السهل الفيضىّ الذى كونته رواسبُ النهرين فى الجنوب فجعلت منه منطقة مستنقعات وسميت: «أرض البحر».

ثم..

ثم هاجر فريق من هذه العشيرة فى أعقاب«الغزو الكاسّى» لبلاد مابين النهرين وضياع مملكة «أرض البحر» ، ١٧٦٠ ق.م، ونزلوا فترة بجوار «حاران» إلى شمال«الهلال الخصيب» بقيادة رئيس لهم، لانشق إليه ثنايا التاريخ القديم لبلاد مابين النهرين إلا ويطلع علينا ، عبر الألواح الصلصالية، حاملا نعت«داميق- ايليشو» وهذه كلمة بابلية معناها «خليل الله».. ونحن لما كنا نعرف من «الأقلام المسمارية» أن هذا النعت كان خاصا بآخر ملك من ملوك «أسرة أرض البحر» الذى فرّ بعشيرته من أمام وجه الغزو الكاسّى الذى اغتمر«أرض البحر» ثم، بالتالى، لما كنا نعرف أن هذه العشيرة التى نحن بصدد الحديث عنها قد ارتحلت من ضفة الفرات الأدنى إلى حافة الهلال الخطيب بقيادة رئيس لها كان يحمل نعت«خليل الله» فإننا نقف، للحظة، حيارى نجد خلالها أنه من الصعب أن نفرق

بين الصورتين لهذا الرئيس الذى يطلع علينا من ثنايا الألواح البابلية كآخر ملك من ملوك«أرض البحر» فى نفس الوقت الذى يطلع علينا من ثنايا «سفر التكوين» كرئيس عشيرة حاملا لقب «العبرانى» واسم«أبرام».. والذى ظل يترحل بجماعته من أفراد هذه العشيرة إلى أن استقر بهم الاستيطان فى «أرض كنعان» وإن كان هذا الاستقرار لم يخل من التنقل بين أرجاء هذه الأرض الفياضة بالخيرات ويتخذ مجراه تارة إلى غرب الأردن وتارة إلى شرقه وحيناً آخر من شرقه إلى الحدود المصرية فإلى التوغل فى أعماق الوادى الخصيب.. هذه الجماعة لم تكن بموجة بشرية أو قبيلة كبرى لها تقاليدها ولغتها الخاصة بها، فليس هناك موجة أو قبيلة تسمى بهذا الاسم وإنما هو اسم خاص أطلق على هذه العشيرة نسبة إلى «عابر» وهو الذى ينتهى إليه نسب«خليل الله ابراهيم».

هؤلاء هم«*العبريون*»..

عشيرة إبراهيم هى، وحدها، التى حملت هذا الاسم وأما من تفرع عن هذه العشيرة من خلف فقد عُرف تحت أسماء أخرى كالعمونيين والموآبيين من نسل عمون وموآب ابنى لوط.. وهؤلاء مع العبريين قد ذابوا، تاريخياً، فى تيار الزمن عندما طوتهم لجة الشعوب كأفراد ومن ثمّ فإن هذه العشيرة، العشيرة العبرية، ليس لها فى واقع التاريخ الحاضر أى وجودا.

وأما«بنو إسرائيل» فهم، وحدهم، أولاد يعقوب بن إسحاق وذلك نسبة إلى يعقوب الذى تغير اسمه، كما يذكر الإصحاح الثانى والثلاثون من «سفر التكوين»، إلى،«إسرائيل»..

أبناء يعقوب وهم«الأسباط» الإثنا عشر، راؤبين وشمعون ولاّوى ويهوذا ويساكر وزبولون من «ليئة» ودان ونفتالى من «بلهة» وجاد وأشير من«زلفة» ويوسف وبنيامين من «راحيل» هؤلاء وحدهم هم؛ «بنو إسرائيل». ثم إن النسل من هؤلاء الأبناء، وهو الذى كُونت به«بيوت إسرائيل»، من بعد، قد أضاف إلى اسم بيته المشتق من اسم أبيه هذا الاسم... وبذلك غدا نسل يعقوب من أبنائه وحدهم، هم؛ «بنو إسرائيل».

هؤلاء هم «*الإسرائيليون*».

أولاد يعقوب بن إسحاق وحده هم وحدهم أصحاب هذا الاسم دون سائر العبريين من سلالة عابر ودون باقى أولاد إبراهيم من غير«سارة». فأمّا إسماعيل وهو من«هاجر»

وأمّا زمران ويفشان ومدان ومديان ويشباق وشوح وهم من «قطورة» فليسوا بالإسرائيليين، ولا بالاسرائيليّ كل من تفرع عن هؤلاء من نسل.. بل حتى نسل«عيسو» ابن إسحاق نفسه ليس بالإسرائيليّ لأن عيسو قد تغير، أيضاً، اسمه إلى «أدوم» وأصبح أولاده ونسلهم يعرفون بالأدوميين.. وهؤلاء قد ذابوا، تاريخيا، فى تيار الزمن وطوتهم لجة الأجيال كبيوت متفرقة بين الشعوب، ومثلهم كان الإسرائيليون!.. فلقد بدأ ذوب بنى إسرائيل فى التيار الزمنى عندما تسرّب عنصر الفناء فى كيانهم عقب وفاة سليمان، ٩٣٥ق.م، وانقسام مملكته، التى قام شاءول بتأسيسها وأتم بنيانها داود، إلى مملكتين قامت إحداهما فى الجنوب بمن تحدر من سبطَى يهوذا وبنيامين واتخذت من أورشليم عاصمة، ولما كان سبط يهوذا هو المتوارث عرش هذه المملكة فقد عُرفت هذه تحت اسم«مملكة يهوذا» أو «مملكة اليهودية» ، كما قامت الأخرى فى الشمال بمن تحدر من نسل الأسباط العشرة الباقين واتخذت«السامرة» عاصمة وراحت تحكم هذا الشمال تحت اسم «مملكة إسرائيل» ... ففى عام ٧٢١ق.م احتل الآشوريون مملكتى إسرائيل ويهوذا. ولما حاولت«مملكة إسرائيل» التمرد على الآشوريين قام هؤلاء، ٧٠١ ق.م، عازمين على محو أبناء إسرائيل من صفحة الوجود فاحتلوا هذه «المملكة» احتلالا كاملا وأباحوها لجندهم واستباحوها لأنفسهم ثم قادوا من تبقى من سكانها أسرى إلى العراق وأحلوا محلهم قبائل عربية جديدة جاءوا بها من سورية وشبه الجزيرة العربية ومن العراق وبهذا محيت «مملكة إسرائيل» من خريطة الوجود نهائياً.

ومن ثمّ فإن«بنى إسرائيل» من نسل الأسباط العشرة شىء ليس له اليوم فى ضوء الواقع التاريخى وجود!.

وأما «اليهود» فينقسمون إلى قسمين رئيسين:

قسم ينتسب إلى «يهوذا» ، رابع أبناء يعقوب،ولم يكن يُنسب إليه إلا بعد أن أصبح اسمه علماً على الإقليم الذى قسم لأبنائه عند تقسيم الأرض بين «بيوت إسرائيل» ثم شمل هذا الاسم نسل بنيامين عندما تضافر هذا الفرع مع فرع يهوذا الذى نشأ منه«بيت داود» والذى، بالتالى، نشأت به«مملكة اليهودية» أو بالأحرى «مملكة يهوذا».. وهذا قسم باد، أيضاً، معظمه وذاب فى تيار الشعوب باقيه غداة اجتاح الغزو البابلى هذه «المملكة».. ففى عام ٥٦٧ق.م احتل البابليون «مملكة اليهوذيين» واستولوا على عاصمتها أورشليم.

ثم لما حاول من كان قد تبقى من اليهود فى هذه المنطقة التمرد على سلطان بابل فى فلسطين عاد البابليون معتزمين هذه المرة أن يحلوا المشكلة اليهودية حلا حاسماً فأحرقوا أورشليم وهدموا «هيكل سليمان» وأباحوا البلاد لأنفسهم واستباحوها لجندهم فقتلوا من وقعت عليه يدهم من سلالة يهوذا ثم أخذوا ملكهم «صدقيا» وحوالى خمسين ألفاً من رجالهم أسرى إلى بابل حيث لم يسع «أبناء يهوذا» إلا الجلوس على ضفة الفرات والتباكى على أورشليم الضائعة والترنم بذكرى «بيت داود» وذكريات «صهيون» .. ولكن، مع هذا الترنم بدأ الحنين إلى «صهيون» وليصبح هذا الحنين إلى صهيون رمزا للحنين إلى «بيت داود» ثم ليمسى هذا الحنين إلى «بيت داود» رمزاً للحنين إلى عودة «مملكة يهوذا» أو هذه «المملكة اليهودية» وليبدأ الخيال مع هذا الحنين يجنح بالرؤوس اليهودية ويشكل من الوهم روايات، ومن هذه الروايات صور هى التى دفعت بالأيدى منهم إلى أن تنشر القراطيس وتُجْرى عليها الأقلام فى تسجيل لهذه الصور وفى تسطير لهذه الأوهام التى سارت نحو هدف واحد هو عودة «بيت داود» على عرش اليهودية ولكن أبت هذه الأقلام إلا أن تغمس بمداد القدسية، ولكى يصبغوا غايتهم بالصبغة الشرعية نسبوها إلى موسى!.

هذه الأقلام اليهودية، التى جرت فى المنفى البابلى تعد العدة لإعادة «مملكة يهوذا» على صفحة المستقبل، هى التى جاءت بهذه «الأسفار الخمسة» التــى نسبوها، افتراء، إلى موسى وحملوها، زوراً، هذا «الوعد الإلهى» الذى حوّلوه من فرد إلى فرد كيما يحصُروه فى «نسل يهوذا» عامة وينتهوا به إلى «بيت داود» خاصة!..

إنّ «بيت داود» لما كان رمزاً لهذه «المملكة» فقد حصرت الأقلام اليهودية هذا «الوعد» فى نسل داود وليعطوا قضيتهم صفة شرعية رأى مؤلفو هذه الأسفار أن من صالحهم أن يبدأوا بإبراهيم!. فجعلوا «الوعد» يأتى لإبراهيم بادىء ذى بدء ثم حولوه إلى إسحق ليخرجوا منه إسماعيل ثم حولوه إلى يعقوب ليخرجوا منه «عيسو» وليحصروه فى سلالة يعقوب أو إسرائيل ثم حولوه إلى «يهوذا» الابن الرابع ليعقوب، ليحصروه فى نسله وهو «بيت داود» ومن «بيت داود» إلى نسل داود لينحصر بذلك فى مملكة الجنوب دون الشمال!.

وهكذا أعدت الأقلام اليهودية العدة لقيام «مملكة يهودية» صاغت حجر أساسها من مادة وهمية هى هذا «الوعد» بـ «الأرض الموعودة»!. هذا «الوعد» الذى لم يكن فى واقعه

إلا ألعوبة من ألاعيب السياسة تتوارى خلف ستار من الدين وكان، فى صميمه، وعداً سياسياً تابعاً لمآرب الساسة من «أبناء يهوذا» ومن أهل الكهنوت منهم الذين مافرغوا من تسطير تلك الصحائف التى كونت«الأسفار الخمسة» إلا وكان الفتح الفارسى لبابل، ٥٣٩ق.م، وإلا أعاد الفرس مــن تبقــى مــن اليهود فــى بابل مــرة أخــرى إلــى فلسطين.

ولكن، هذا الحدث الذى يعتبر من أبرز الأحداث فى تاريخ اليهوذيين لم يعد عليهم بما استهدفوه فى فلسطين من إعادة «دولة» كانت لهم فيها.. ومن هنا كان استشعارهم الحاجة إلى توثيق عرى الرابطة القومية بين الأفراد برباط تمثّل فى هذه«الأسفار» التى تناولها«عزرا» وأخذ يقرأها على اليهود، فى ذلك الاجتماع العام الذى دعا إليه، بعض مقتطفات منها هى تلك التى اتخذت من عقيدة«الأرض الموعودة» محوراً وهى هذه التى ماانتهى من قراءتها إلا وأقسم اليهود على أن يتخذوا من هذه«العقيدة» دستوراً يسيرون عليه!. وبهذا عملوا، فإنهم وإن كانوا قد ظلوا تحت الحكم الفارسى، بالرغم من المركز الدينى الذى منحه الفرس لهم فى القدس، لاقدرة لهم على إبراز نواياهم إلى حيز الفعل فإنما العامل الزمنى كان قد بدأ عمله فى تحويل هذه العقيدة إلى عقدة نفسية بدأت تستقر شيئاً فشيئاً فى أقاصى الضمائر ويزيدها مرور الأيام تعقيداً على تعقيد، ولاسيما عندما غزا المقدونيون فلسطين وألحقها الإسكندر، ٣٣٢ ق.م، بدولة الإغريق وعندما احتلها العرب الأنباط ٦٠ ق.م، وأصبحت تابعة لعاصمتهم«بتراء» وعندما احتلها الرومان وجعلوا منها ولاية رومانيةفى أوائل القرن الأول الميلادى.. ولكن!. هذا اللظى الكامن تحت رماد الأيام كان لابد له من التأجج وهذا ماقد حدث فإن اليهود حاولوا فى هذه المرة استغلال المركز الدينى الممنوح لهم لأغراض سياسية فهاجمهم «تيطس»، ٧٠م، بمساعدة سكان البلاد العرب واحتلّ القدس ودمرها وهدم«الهيكل» وقتل معظم من كان فيها من اليهود وأما من ظل منهم على قيد الحياة ففر إلى مصر وسوريا وبلاد أخرى حيث بدأت تطويهم لجة الأيام وإن كان هذا الحدث لم يجىء بنهاية التاريخ اليهودى من فلسطين إلا عندما جاءت آخر محاولة لهم لإحياء تراثهم فيها وذلك عندما أعلن بعض يهود القدس العصيان على الرومان ودعو إلى قيام«مملكتهم» فهاجمهم«هادريان»١٣٥م ودمر المنطقة اليهودية فى القدس تدميراً شمل من كان قد ظل فيها من اليهود، ثم أتمّ هدم«الهيكل» وبنى مكان القدس مدينة جديدة.

وهكذا أزال الرومان «مملكة يهوذا» من خريطة العالم القديم، ولم تقم لليهود بعد هذه المحاولة قائمة في فلسطين ولم يظهر لهم أى نشاط سياسى استمدقواه من مدد دينى حتى العصرالحديث..

هذا هو القسم الأول من «اليهود».. ولهذا قلنا: إنه قسم باد معظمه وذاب فى تيار الشعوب باقيه..

وأما القسم الآخر فهو الذى مازال باقياً ولم يزل منتشراً وهذا يتمثّل فى هؤلاء اليهود الحاملين لألوان من الجنسيات المختلفة الذين توارثوا الدين اليهودى الحالى عن أسلاف كانوا أنفسهم ينتمون إلى عدة شعوب كانت تسكن شرق أوروبا وتتكلم اللغة اللّيدية.. وهؤلاء، لاتصلهم بالعبريين صلة عنصرية ولابالإسرائيليين أوشاج قرابة تاريخيةفإنما هم ينحدرون من قبائل «الخزر» المنغولية المنتمية إلى سلالة القبائل التركية التى كانت تسكن أواسط آسيا قبل ارتحالها إلى شرق أوروبا واحتلالها تلك المنطقة الفسيحة الواقعة بين جبال«الأورال» شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً حيث أقاموا مملكة ضمت كل تلك الأرجاء وكانت من قبل وثنية ثم انقلبت يهودية وهذا هو السبب المباشر فى انتشار الدين اليهودى فى كل تلك المناطق ثم فى امتداده، من بعد، إلى سائر بلاد الغرب.

هذه هى الحقيقة كما يقررها التاريخُ السياسى وهو يحدثنا عن تقهقر «قبائل الخزر» إلى شرق أوروبا، عقب طردهم من آسيا فى القرن الأول الميلادى، سالكين الطريق الواقع شمالى بحر قزوين فى اكتساح لذلك الشرق الفسيح من أرجاء العالم الغربى حتى أنه لم تنقض سبعة قرون من الزمن إلاّ وكانوا قد احتلوا كل تلك الرقاع التى أشرنا إليها وأسسوا مملكتهم الوثنية.. ولما كانت هذه القبائل قد طبعتها طبائع القسوة المتعطشة إلى إراقة الدماءالتى كانت تتميّز بها شعوب القبائل المنغولية فقد رغب مسلمو الشرق فى أن يرشدوا هؤلاء الخزر إلى سماحة الدين الإسلامى كما رغب مسيحيو الغرب ، بالتالى، فى أن ينشروا السلام فى أرجاء هذه المملكة الدموية الطبيعة والطابع فكان ذلك ترغيباً لحاكم هذه القبائل فى الاطلاع على الدين اليهودى.. وصادف الدين اليهودى من نفس«بولان» هوى!.. فلقد وجد مَلِك هؤلاء الخزر فى الدين اليهودى، بما يحتويه من طقوس دمويةوبما يشتمل عليه من شرائع، تبيح كل كلمة فى قاموس الإباحية، تفسيراً

لأصول دينه الوثنى فاعتنق اليهودية ديناً، ٧٤٠م، ثم تبعته حاشيته فشعبه ثم أعلنه ديناً رسمياً لقبائل الخزر!..

منذ نهاية القرن السابع الميلادى حتى نهاية القرن العاشر عاشت هذه المملكة الخزرية، التى قامت فى القسم الجنوبى من روسيا بين نهرى الفولجا والدون غامرة شواطىء البحر الأسود وبحر قزوين،«دولة يهودية» لايجلس على عرشها ملك إلا إذا كان يهودياً حامياً لهذا الدين الذى أصبح دين هذا الشعب الذى تراوح عدده بين ثمانية وعشرة ملايين وكل فرد فيه كان قد أصبح يهودياً والذى لايعقل، بداهة، أن يكون اعتناقه اليهودية كفيلا بتغيير جنسه!. فهو، من الوجهة العلمية فى«علم الأجناس»، شعب ينتمى إلى القبائل المنغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا قبل ارتحاله إلى شرق أوروبا ثم تأسيسه فيها مملكة انقلبت إلى «دولة يهودية» وإليها يعود الدين اليهودى بأسباب انتشاره فى أرجاء عالم الغرب وذلك عندما تعرضت هذه القبائل الخزرية لغزو الدولة البيزنطية والتحمت فى حروب مع القبائل الروسية التى كانت تسكن شمال هذه المملكة، «مملكة الخزر» .. فلقد هزم الروسُ الخزر وهوت عاصمتهم «انيل» وانطلق الروسيون فغزوا جميع الأراضى التى كانت تتكوَّن منها هذه«المملكة الخزرية» وضموها إلى الدولة الروسية وأصبح الخزريون رعايا الدولة الروسية.. ولما كانت هذه الدولة قد بدأ توسعها وامتداد رقعتها حتى أصبحت أقوى الدول فى شرق أوروبا فإنَّ هذه الهزيمة التى حلت بالخزر وكان فيها انتهاء«دولتهم» وانهيار قوتهم الحربية هى التى أدت إلى تفشى الدين اليهودى وامتداده ليس فى شرق أوروبا وجنوبها الشرقى فحسب وإنما فى امتداده إلى سائر أنحاء العالم الغربى..

حقيقة لقد ظل الخزر فى جنوب روسيا، داخل نطاق الدولة الروسية، المجموعة الجنسية المتماسكة بلغتها اللِّيدية ودينها اليهودى، ولكن حينما هُزمت روسيا من جيرانها الغربيين ونشأت إثر ذلك تلك الدول الكبيرة فى الجزء الشرقى من أوروبا شهد العالم بنشأتها تفشى اليهودية بين الشعوب الواقعة على الحدود الروسية!. فإنَّ هذه الدول، الغاليسية واللتوانية والبولندية والرومانية وغيرها من الشعوب الواقعة على الحدود الروسية، لما كانت قد وفقت فى غزواتها المتجهة إلى الشرق على حساب روسيا فقد انطلقت تضم إلى أراضيها مجموعات من هذا«الشعب الخزرى». ثم، بالتالى، لما كانت حدود تلك المناطق

للدول التى قامت فى شرق أوروبا تتغير تغيرات رئيسية، خلال البضعة القرون التالية على تفكك الدولة الروسية، فقد كان من نتيجة تلك التغيرات أن وُزع «شعب الخزر»، الذى كان عدده يتضاعف تضاعفاً مطرداً، على الحدود السياسية المختلفة والدائمة التغير فكانت أجزاء من أرضهم تُضم إلى روسيا، وأخرى إلى رومانيا، وأخرى إلى غاليسيا، وأخرى إلى ليتوانيا، وأجزاء إلى النمسا، وأخرى إلى أوكرانيا.. وهكذا وزعت سلالة الخزر على سائر دول شرق أوروبا وبدأ عامل الزمن، أيضاً، يأتى هنا بأثره فذابت، عن طريق الاختلاط، الخصائص الخزرية فى الخصائص الجنسية للشعوب التى طوتهم تحت ظلالها.. وهذه السلالة من الخزر التى تجنست بالجنسيات البولندية والرومانية والأوكرانية والنمسوية والليتوانية، وهى جنسيات الغالبية العظمى من الصهيونيين، هى التى كونت هذه المجموعات المنتمية إلى جنسيات مختلفة والمنفصلة جغرافياً والمترابطة عقيدة من يهود سائر بلدان العالم الغربى!.

هؤلاء اليهود الغربيون الذين هم من سلالة الخزر هذه التى وُزعت على الدول المختلفة فى شرقى أوروبا هم الذين قد حاولوا، كما يدلّ التاريخُ الحديث، الاتحاد مرة أخرى ليكونوا «دولة يهودية» على غرار مملكتهم تلك «مملكة الخزر» ، التى كانت تتحكم فى شرقى أوروبا وهؤلاء هم الصهيونيون!.. هؤلاء الصهاينة الذين، كما ثبت تاريخياً، لم يهاجر أسلافهم إطلاقاً إلى فلسطين ولا من فلسطين ولاتربطهم بفلسطين صلة قومية أو تاريخية ولاتصلهم بأهلها صلة وطنية أو لغوية على الإطلاق هم الذين استطاعوا أن يخفوا عن العالم علمهم أنفسهم بهذا الأصل الخزرى الذى ينحدرون منه تحت نداء مدوّ من الادعاء بأن لهم «الحق الشرعى» فى امتلاك فلسطين على أساس أنها «أرض موعودة» لهم كمنحة إلهية أُعطيت لآباء لهم وأجدادا!..

هؤلاء هم الصهاينة الذين تمكنوا، اليوم، من افتعال «دولة» لهم فى فلسطين، ليست هى فى واقعها التاريخى إلا محاولة جريئة لتجميع هذه الجماعات المنحدرة من آباء وأجداد من الخزر لتعيد عهد «دولة الخزر اليهودية»!.. والبرهان على ذلك هو أنّ هؤلاء الصهاينة أنفسهم قد رغبوا، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، فى جمع شتات الخزر الموزعين جنسيات مختلفة على دول العالم الغربى تحت ظل دولة يهودية تتمتع بالحكم الذاتى فى شرق أوروبا، وليس إلا عند ماتبينوا استحالة تحقيق هذه الرغبة السياسية كان أن اتجه

تفكيرهم إلى اختيار مكان آخر يمكنهم إنشاء هذه«الدولة» فيه فأسعفتهم قرائحهم بوسيلة نابعة من قلب دينهم، ألا وهي«عقيدة الأرض الموعودة» !. وهذه هي التي سنضعها أمامهم، بعد صفحات، في ميزان التاريخ وهذه هي التي مكنتهم من اغتصاب أرض فلسطين!.

هذا هو في ضوء الحقائق التاريخية أصل الصهاينة الذين يدّعون أن لهم«حقاً روحانياً وشرعياً في فلسطين»!.

ولكن..

حتى نتبيّن تماماً أن الحركة الصهيونية التي مهدت لافتعال «دولة إسرائيل» هي أحدث محاولة رمت إلى جمع شتات السلالة الخزرية وإسكانها في منطقة جغرافية غريبة عن عن وطنها التاريخي في أواسط آسيا وأنها ليست في مداها الواقعي حركة دينية على الإطلاق وإنما حركة سياسية تتوارى خلف ستار من الدين ولم تجد وسيلة إلى غايتها إلا في ادعاء أصحابها بأن العبريين والإسرائيليين كانوا لهم آباء وأجداداً، نستطيع أن نتساءل:

هل يمُكن للخيال، مهما اتسعت أمامه آفاق التعليل والاستنتاج، أن يوجد صلة بين أسلاف هؤلاء الصهاينة من القبائل المنغولية التي كانت تسكن أواسط آسيا وبين القبائل التي عاشت يوماً في المنطقة الجغرافية المعروفة الآن باسم فلسطين قبل اعتناق الخزر الدين اليهودي بنحو ألفي عام، وأن ينحدر من سلالتهم هؤلاء الصهاينة الذين يدعون أن لهم حقاً شرعياً في رقعة من الأرض افتعلوا فيها«دولة» بمدد نابع من «كتاب» افتراه رجال الدين اليهودي على الله وموسى معاً، ثم راحوا يحاولون تسنيد الأركان المتداعية لهذه «الدولة» بمساند أخرى افتعلوا ظاهرها من «الجنسية الإسرائيلية» وأخفوا باطنها وهو«الجنسية الخزرية» متجاهلين بأنه ليس هناك في الواقع التاريخي شيء اسمه«الجنسية الإسرائيلية»!.

هذا هو القسم الثاني من «اليهود»، وتؤلفه السلالة الخزرية الممثلة في هذه المجموعات المنفصلة من يهود العالم الغربي المنتمين إلى جنسيات مختلفة تهزهم ذكرى مملكة كانت لهم في شرق أوروبا وليس لها من ذكرى اليوم في جفن الزمن إلاَّ جمهورية صغيرة تقع على مقربة من المنطقة الآسيوية التي نزحت عنها قبائل الخزر.

هذه الجمهورية اليهودية المشار إليها هي «بيروبيجان» .. وهي واحدة من الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وتبلغ مساحتها رقعتي بلجيكا وهولندا معا وتضم حوالى مئة ألف يهودى وقد أنشئت منذ حوالى ربع قرن من الزمن وأعلن إذ ذاك أن الغرض من إنشائها هو إعداد «وطن قومى لليهود» ..

ولكن..

رغم قيام هذه الجمهورية فى نطاق الاتحاد السوفيتى فإنّ الحكومة السوفيتية تعد الترويج للصهيونية جريمة معاقباً عليها حتى إنها أغلقت المدارس التى كانت تُدْرس فيها اللغة العبرية، ومن هنا نستطيع أن نلقى ضوءا على موقف الاتحاد السوفيتى يوم أيد مشروع تقسيم فلسطين تقسيما يسمح بإنشاء «دولة يهودية» فيه، ونفهم لماذا اتخذت الحكومة السوفيتية هذا الموقف بعد أن حرمت الصهيونية فى بلادها رغم إقرارها «إنشاء وطن قومى يهودى» لليهود فى «بيروبيجان» وذلك للتخلص من شر تحويل ذلك «الوطن القومى اليهودى» إلى «دولة يهودية» !

وأما القسم الأخير من «اليهود» فمنتشر فى دُول أوروبا الغربية. وهؤلاء، كسلالة الخزر، لايمتون بصلة عنصرية أو صلة دم تاريخية إلى الشعوب السامية التى كانت تسكن فلسطين، وإنما هم ينتمون إلى جنسيات مختلفة اعتنق أسلافها الدين اليهودى، وإلى مجزرة هادريان يعود السبب فى تهويد هؤلاء.. فإن على أثر مجزرة هادريان فر من نجا من اليهود خارج فلسطين هائمين على وجوههم يطوون صدورهم على تعاليم «التوراة» وأمارؤوسهم فممتلئة بأحلام «الأرض الموعودة» هؤلاء المشردون من اليهود إلى جانب التجار منهم وأسرى الحروب هم الذين قاموا بنقل هذا الدين إلى حيث انتقلوا بل بلغوا به إلى شعوب القبائل فى شمال إفريقيا حتى مراكش، كما بلغوا به الصين والهند وإلى الأقطار التى تقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط الشمالى، وبذلك انتشر الدين اليهودى بين شعوب كانت تنتمى إلى كل الأجناس المعروفة، ولذلك نجد فى كل شعب من شعوب العالم وفى كل جنس من أجناسه المختلفة مجموعة تعتنق الدين اليهودى ديناً.

هؤلاء هم«اليهود» بما ينقسمون إليه من أقسام.. لايؤلفون «شعباً» ولا«جنساً» وإنما هم يكونون «جماعة دينية» مكونة من عدة أجناس وأصول..

وهؤلاء الذين تهودوا من ذوى الجنسيات المختلفة الأصول المتباينة والبيئات المتنافرة والذين لاتصلهم بالعبريين صلات قرابة أو عصبية ولا بآباء إسرائيل ولابإسرائيل ولا بأبناء إسرائيل أوشاج نسب يسمون أنفسهم«عبريين» تارة و«إسرائيليين» تارة أخرى ويدعون أن فلسطين وطن موروث لهم عن آباء لهم وأجداد ومنحة إلهية جاء بها «الوعد» لهم على لسان هؤلاء الأسلاف!.

من ثمَّ حتما علينا ونحن إنما نلج إلى لجة التاريخ بحثاً عن «الأصول» و«العوامل» و«الأسباب» التى عقدت فى جبهة الزمن «مشكلة فلسطين» أن نعود إلى تلك العهود التى تقدمت مطلع هذه«المشكلة» على التاريخ وهذا يدفع بنا إلى التغلغل فى عهود موغلة فى القدم، وأن نتبع المعاول الأثرية وهى تسير بنا على هذه الناحية التى يحدها شرقا جبل الزيتون ويترامى عليها ظلال حوريب أوجبل صهيون فى امتداد إلى البحر الميت حتى يغيب فى وادى الأردن بينما تحمل منا اليد«الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى وتنشر منه الصفحات بين دوىٍّ هدير الزمن فى عبوره على هذه «الأرض الموعودة» وهو يقتطع عليها الأجيال!..



الحقل التاريخى لمنطقة
«الأرض الموعودة»

على صليل المعاول الأثرية التى أزاحت السُّجف الفاصلة بين التاريخ وبين ماقبله وبيننا وبين الزمن فى ليله وسَحَره وفجره نطلّ على الماضى من خلال الأطلال وعلى هذه الناحية من الأرض الفريدة فى أهميتها التاريخية من حيث تمسك اليهود بشرعية ملكيتها نطوى التلال حتى ينثنى بنا الزمنُ عائداً إلى الوراء..

ومن هناك..

منذ بدأ هيكل هذه البقعة يتكون وتُؤثر العوامل الجوية بفعلها فتنحت فيه هذه المعالم من جبال وسفوح وأنهر ووديان وتظهر القبائل البشرية فى تجمُّع وفى انفراط يبدأ بنا الزمنُ من لجة هذا الماضى البعيد له استرسال عابراً إلى التاريخ عبر عصور ماقبل التاريخ المنقسمة إلى أقسام رئيسية ثلاثة، فى تمهل عند كل عصر على حدة. فهو لايقتطع بناء العصر الحجرى القديم، طاوياً عهوده الثلاثة، الأسفل والمتوسط والأعلى، إلا ليهدينا إلى أول أثر لبقايا الإنسان قاوم تأثير الزمن فأمامنا مطروحة العظام والآلات التى نحتها صاحب هذه العظام من أحجار الظران مهملة على شواطىء الأنهار وتحت طبقات سميكة من الحصى الذى دحرجته المياه، دليلا على أن وجود الإنسان لايرجع إلى أمان سحيقة سبقت هذا العصر الحجرى الأول فحسب، وإنما على أن الجنس البشرى قد بدأ يرتقى أول مدارج التطور فى نفس هذا العصر الذى جاء فى نهاية تقهقر عصر جليدى وبرهان ذلك نفس هذه الآلات التى لانتناولها إلاَّ لنرى صورة إنسان ذلك العصر على صفحتها وإلا لنتبينه ، بالرغم من بدائية هذه الآلات الدالة على مستواه المنخفض فى شجرة الحياة، إنساناً بدأ يسيطر بذكائه على الحيوان وبدأت معالم البشرية تبرز فيه أوضح من ذى قبل.. هذه المعالم التى ماشتد بروزها إلا وكان ذلك إيذاناً بانتهاء هذا العصر وبداية العصر الحجرى المتوسط، مع عصر جليدى آخر هو الذى دفع بإنسانه من غصون الأشجار إلى أغوار المغاور وطوايا الكهوف حيث عثرنا فيها على مجموعة من هياكله مطروحة إلى جانب مخلفاته هى آلاته التى اصطنعها من النحاس ومن الحديد وتركها أكواما تماسكت بفعل الترشيح المختلط بالمواد الجيرية..هذه الأكوام من الرواسب هى

سجلات تاريخ ذلك العصر وتاريخ إنسانه الذى تساوت مرتبته فى هذه المنطقة والمرتبة التى عليها فى غيرها من مناطق الشرق الأوسط القديم استجابة لوحدة الجو التى كانت فى كل هذه الجهات متشابهة، وبالتالى، لطبيعة الحياة التى كانت على ساحل البحر الأبيض المتوسط كله واحدة. هذه الحياة التى امتدت خطاها إلى أن تعتلى مدارج التطور نحو رقىّ جديد مابدأت معالمه تتسم فى كل هذه الجهات بالوضوح إلا وكان ذلك الإيذان بانتهاء هذا العصر وبداية العصر الحجرى الحديث». وهذا العصر الذى بدأ منذ حوالى عشرة آلاف سنة ق.م. هو فى الواقع فجر الأزمان الحديثة، لا لأن بدايته تتفق مع عصر تقهقر الجليد الذى مازال إلى اليوم فحسب، ولا لأنه عصر نهضة الصناعة وبداية استعمال المعادن من الذهب والنحاس فحسب ولا لارتباطه «بالعصر المعدنى» الذى يليه ويتداخل فيه فحسب، وإنما لأنه العصر الذى أخذت فيه الأحوال العامة للإنسان تتغير تدريجياً ففيه أخذ أفراد القبائل يجتمعون فى قرى ويكونون «الشعوب» وفيه بدأت هذه الشعوب، فيما بينها، تاريخ التصارع والصراع على امتلاك رقاع هذه «الأرض الموعودة» !.

منذ فجر التاريخ بدأت رواية الصراع على امتلاك هذه الرقعة من الأرض التى كانت بحكم موقعها الجغرافى جسراً يصل الشرق بالغرب والغرب بالشرق وممراً من الجنوب، حيث الجزيرة العربية، حتى الشمال، حيث أفريقيا الشرقية بينما كانت يد الزمن عاملة من خلال هذا العصر فى نشر طبقات من البشر أبت إلا الاحتفاظ لنا بسماتهم وهى تطويهم فى طيات هذه الناحية من الدنيا وخاصة فى كهوف «الكرمل» وفى جنوبى «الناصرة» ولتأتى المعاول الأثرية بهم إلينا وهى تطرح تراب الأجيال عن هياكل لهم وجماجم وجدناها متحجرة فى الكهوف وتزيح الركام عن طبقات أربع علت بعضها بعضاً فى «بيت يراه» دليلا على أن هذه الرقعة من الدنيا قد امتلكها فى غضون هذه الفترة الزمنية شعبٌ تتالت عليها أفواجه من شبه الجزيرة العربية فى تدافع حتى بلغت فئات منه وادى النيل. حيث حلت هناك قبائل وفى أحضانه استقرت استقرارا امتد عبر مدى من الزمن غير قصير يدل عليه ماقد وجدناه من محلات لهذا الاستقرار فى العباسية والمعادى وحلوان.. هذا بينما كانت الأفواج التى تخلفت عن مواصلة الترحال إلى وادى النيل قد اغتمرت اغتماراً كلياً هذه الرقعة من «الأرض الموعودة» وانتشرت فى أرجائها لتصبغها بلون تحضرى لم تبهت، بعد، منه المعالم فما زالت معالم ذلك التحضر، وخاصة فى

«جريكو» واضحة فيما تركه لنا هذا الوافد الجديد وراءه من المعابد والمذابح والمحاريب التى غصت بها مناطق هذه الناحية غداة كانت الفلول من هذه الأفواج تمرح على هذه السفوح والوديان قبل أن تطويهم طياتها وتحفظ لنا يد الزمن بهياكلهم هذه وجماجمهم التى لانسلط عليها أضواء «علم الأجناس» إلا ونعود مقتنعين بأن العنصر من هذا الشعب كان «سامياً-حامياً» وإن كان لفظ«سامى» ولفظ«حامى» لايجوز، علمياً، إعطاؤهما أية دلالة جنسية لأن غاية ماهنالك أنهما يمثلان فرعين من سلالة البحر الأبيض المتوسط كوّنا هذا الوافد الجديد الذى يطلع علينا من ثنايا العصر الحجرى الحديث مستهلا أول فصول رواية الصراع البشرى على ملكية هذه«الأرض» عندما راح مسلحاً بأسلحة أحدث مما سبقها وأكمل يغزو القبائل التى سبقته فى الانتشار على هذه الرقعة، ويقتطع عليها مراحل العصر الحجرى الحديث حتى النهاية معلناً لنفسه حق امتلاك هذه الناحية من أرض تمثل مفرق طرق عالم الشرق الأوسط القديم!..

بهذه المقدمة استُهلت السطور الأولى من قصة الصراع البشرى على هذه الرقعة من الأرض، وهى قصة وإن بُهتت منها المعالم فى أبعاد ماقبل التاريخ إلا أنها قد أخذت فى الوضوح شيئاً فشيئاً بمطلع التاريخ غداة بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف إلى خارجها موجاتهاالبشرية..

فى أعقاب ذلك التغير الذى طرأ على جوّ بلاد العرب خلال العصر الحجرى الحديث، نتيجة للتغير الذى طرأ على جو العالم وأدى إلى ذوب ثلوج العصر الجليدى الأخير، بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف موجاتها البشرية إلى خارجها.. فموجة إلى وادى الفرات الأدنى وموجة أخرى إلى وادى النيل، وموجات أخرى تتابعت لتجهز«الهلال الخصيب» وأكثر من ناحية من نواحى الشرق القديم بالسكان وتطبعه بالطابع العربى الأصيل..

وهذا هو الواقع فإن جو شبه الجزيرة العربية لم يكن، لشطر كبير خلال العصر الجليدى الأخير، على النحو الذى نعهده الآن.. فقد كانت الرياح الغربية المشبعة بالرطوبة والبرودة تصل إليها وتُنزل عليها، فى جميع فصول السنة، الغيث المطير. والمحيط الهندى أو بالأحرى فرعه، الخليج العربى، كان بالربع الخالى فيها متصلا مما جعلها بأوساطها وأطرافها خضيرة التربة شجراء الأرجاء، تكتنفها الغابات وتتخللها الآبار وتجرى على صفحتها المياه بما كان فيها متفجراً من العيون. ولهذا كانت مزهوة مأهولة آهلة بالعمران وعامرة بطبقات من البشر.. غير أن التغير الذى طرأ على جوالعالم فأذاب ثلوج العصر

الجليدى بالتدريج قد أصابها تدريجياً، أيضاً، بالتغير الكلى الذى جاء بأثره فى غضون العصر الحجرى الحديث فإن هذا التغير الذى وقع بفعل العوامل الطبيعية وأدى إلى انحباس المطرقد أدى إلى هبوب العواصف والرياح السموم وإلى هياج الحرَّات فجفّت رطوبة التربة وزاد فيها الجفاف وتحولت إلى يبوسة أماتت، بالتدريج، الزرع وهيّجت سطح القشرة الأرضية فحولتها إلى رمال وتراب ثم صحارى راح يشح فيها النبت ويجفُّ فيها الماء.. هذا الجفاف الذى أصاب بلاد العرب وهبط بمستوى الماء فيها عدة أقدام وبدّل، بفعل تبدل جيولوجى يطرأ فى باطن الأرض، طعم المياه وغيّر مجاريها وأدّى إلى تحويل الأرض إلى بقاع صحراوية غاضت فيها الآبار واختفت فيها العيون كان له الأثر الفعّال لافى تاريخ العرب فحسب وإنما فى تاريخ الشرق الأوسط القديم على وجه التخصيص، لأنّ هذا الجفاف الذى أصاب شبه الجزيرة العربية قد جاء بأثره فى حالة الساكنين فيها فدفعهم إلى التنقل منها إلى مواضع أخرى تتوافر فيها شروط الحياة!.

ومن هنا بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف إلى خارجها موجاتها البشرية.. وإذا كان علماء الشرق القديم يختلفون فى تحديد منطقة فى شبه الجزيرة كمنبع كانت لهذه الهجرات «السامية» المتتالية والمتوالية فذهب بعضهم إلى أن أواسط بلاد العرب، ولاسيما منطقة «نجد»، هو منبع الساميين بينما ذهب البعض الآخر إلى أن «العَروض» ولاسيماء«البحرين» هو ذلك المنبع وذهب آخرون إلى أن الجنوب هو ذلك المنبع فليس إلا لتتضافر آراؤهم عند اليقين بأن الموطن الأصلى لجميع الساميين هو جزيرة العرب وأن من هذا الينبوع العربىّ قد تدفقت طبقات من البشر وسكنت كل بقعة اتسمت بالسامية وبرهان ذلك هو أن جميع الآثار السامية تشير إلى أن جزيرة العرب هى الموطن الأصلى الذى ظهر فيه الساميون فلقد ثبت، علمياً، أن هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الأثنولوجية لأقوام أكثر من ناحية من نواحى الشرق الأوسط القديم وليس ذلك إلا لأن من هذا المنبع خرجت منذ منتصف الألف الرابعة ق.م تلك الموجة التى اتجهت إلى الشمال الشرقى وفى وادى الفرات الأدنى حلت ومنها نشأت حضارة البابليين والآشوريين بينما اتجهت أخرى إلى وادى النيل وفيه حلت ومنها نشأت الأسرات الأولى فى مصر القديمة.. وهنا..

هنا ينبغى بنا أن نتمهل قليلا فنقول:

لاجدال فى أن وادى النيل كان مأهولا منذ عصور ماقبل التاريخ بقوم من

الجنس«الحامى» نشأ من البلاد نفسها ومن نفس القارة التى يقع فيها هذا الوادى وينسب إلى لوبيِّى أفريقيا الشمالية المسمين الآن بالبربر كما ينسب إلى «الصوماليين» من سكان أفريقيا الشمالية الشرقية غير أنه عند نهاية «العصر المعدنى» نجد بعض التغير قد أخذ يدخل على هذا الشعب الحامى الجنس الناشىء من طبيعة هذه القارة نفسها وأن هذا التغير، الذى كانت له مميزاته الخاصة التى تختلف اختلافاً بيناً عن الشعب الأصلى، آسيوى العنصر دخل وادى النيل خلال العصر الحجرى الحديث كموجة امتدت فى غير عنف من شبه الجزيرة العربية واغتمرت وادى النيل. وإذا كان علماء التاريخ القديم يختلفون فى تحديد الجهة التى دخلت منها هذه الموجة العربية إلى وادى النيل فذهب بعضهم إلى أنها جاءت عن طريق البحر الأحمر من جهة«قفط» وأنها عن طريق أعالى وادى النيل اتجهت من الجنوب عبر اليمن وأرض «بونت» فى الشاطىء الجنوبى للبحر الأحمر من الجانب الآسيوى ودخلت الوادى حتى «القصير» على الشاطىء المصرى ثم تابعت المسير إلى «أبيدوس» فى مصر الوسطى ومن هناك غزت باقى الوادى بينما ذهب آخرون إلى أنها اخترقت سورية وعن طريق فلسطين فسيناء دخلت شرقى الدلتا ومن ثمّ انتشرت فى الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى، ويعزز هذا الرأى الأخير أن الحضارة فى مصر قد بدأت فى الدلتا فى نفس الوقت الذى زحف العنصر العربى على الوادى ودخل مصر تدريجياً وبغير عنف وأحضر معه حضارة أرقى من حضارة الجنس الحامى الذى لم يكن يعرف إلا الآلات والأوانى الحجرية بينما تزداد معالم هذا العنصر العربى وضوحاً بالذين أسسوا الأسرة الأولى فى مصر.. فإن الذين أسسوا هذه«الأسرة» ، عام ٣١٠٠ق.م،(١) وخلفوا أضرحة أبيدوس وقبور «نجادة» ليسوا إلا سلالة شعب عربى أدخل إلى الوادى معرفة المعادن وعلمه استخدام الذهب والنحاس والبرونز وفنّ البناء بالطوب وأدخل إليه الكتابة، أداة كل تقدم وتنظيم.

هذا الشعب هو الذى أصبح«الجنس الحاكم» وهو الذى وحدّ البلاد من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط تحت صولجان ملك واحد ظهرت فى عهده الكتابة المصرية واتفقت المصادر التاريخية على أنه«مينا»..

---

(١) كان اتجاه علماء التاريخ المصرى فى بادىء الأمرإلى أن حكم «مينا» يقع فى عام ٤٧٧٧ق.م ولكن«المعهد الشرقى» بشيكاجو انتهى إلى تحديد عام ٣١٠٠ ق.م وهو الذى يأخذ به علماء الآثار المحدثون.

وهنا..لنا فى هذا الصدد، كلمة وهى؛ ألا يجب علينا أن نصحّح أوضاعاً تاريخية نستبدل من جرائها نظرتنا إلى موحِّد مصر القديمة الذى يطلع علينا، تحت أحداث أضواء العالم التاريخية، عربياً، وبالتالى إلى مصر بالذات التى تطلع علينا، منذ فجر التاريخ، عربية،.

لاجدال فى أن الأثر السامى العربى قد ترك طابعه على مصر القديمة واضحاً فى عهد الأسرة الأولى وأن وضوحه قد اشتد إبّان الأسرة الرابعة بالرغم من ذلك الاندماج الكلى الذى كان قد أصبح محسوسا بين «الجنسين» والذى كان يتخذ مجراه عبر الزمن بينما كانت شبهُ الجزيرة العربية تواصل قذف موجاتها لتمد الهلال الخصيب، حتى منخفض نهرىّ الأردن والعاصى بسورية، بأفواج أخرى من البشر.. ومن أشد هذه الموجات هديراً كانت تلك التى امتدت، حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م، وأحلت «الكنعانيين» فى سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية وعلى شاطىء السهل الفلسطينى الذى لم يكن قد اطلق عليه هذا الاسم بعد وكان يسمى إذ ذاك «شبلاح».(١)

ومن هنا يستبين لنا تماماً أن«الكنعانيين» من أصل عربىّ بحت. فهم من القبائل العربية«البائدة» التى استوطنت هذه البقعة من الأرض وأنشأت فيها حضارة أثبتت الكشوفُ الأثرية الحديثة تاريخها وامتدادها من غزة جنوباً إلى«رأس شمرة»شمالا حيث عجّت بها شواطىء«البحر الميت» وتلال الأردن وواديه كما زخرت بها مداخل الأودية وأضفة الجداول وحواشى العيون بينما كان التيار الزمنى يسير هادراً على مناطق هذا المفرق الرئيسى لعالم الشرق الأوسط القديم ويقتطع عليها«العصور البرونزية» عصراً عصراً حتى العصر الرابع والأخير الذى ينتقل بنا إلى مرحلة تنقلية جديدة امتدت من القرن الثالث والعشرين إلى القرن الحادى والعشرين ق.م. وهى الفترة التى ساد الكنعانيون خلالها هذه المنطقة وامتلكت قبضتهم تمام الامتلاك الناصية السياسية لهذه البلاد بينما راحت يد الزمن من حولهم تُحَوِّل اسمها من «شبلاح» إلى«أرض كنعان».

هذه الأرض، «أرض كنعان»، هى الحقل التاريخى لمنطقة«الأرض الموعودة» وهى، بالتالى، الإطار الذى ظهرت فيه على التاريخ صورة العبريين ومن هنا يتحتم علينا كما نستبين تماماً هذه «الصورة» أن نطوف، للمحات، بأرض كنعان وعصر كنعان بل

---

(١) «SHEPLAH».

وبهؤلاء الكنعانيين أنفسهم الذين تواترت عنهم الروايات النابعة من قلب تاريخ هزته هزات الخيال فراح يروى أنهم عنصر يعود بأسباب انتشاره إلى شخصية حملت اسم «كنعان» وأن كنعان هذا كان ابناً لشخصية أخرى حملت اسم «حام» وهذه رواية تدفع بنا إلى الإطراق قليلا لنقول:

إننا إذا كنا نعرف أن الاسم الذى يُطلق على الأرض الواطئة هو«كنعان»، كما لاتزال مادة كنع وقنع وخنع بهذا المعنى فى لغتنا العربية، لايسعنا إلا أن نُفكّر فى هذه الرواية التى تُجَسِّد هذا الاسم وتجعله أباً قبلياً جاء إلى مفرق الطرق هذا بأبنائه، اليبوسى والعمورى والاروادى والعرقى والجرجاشى والحمامى والحوى والصمارى والسنّى وحثّ وصيدون، وأن إلــى ماتفرع من هؤلاء الأبناء يعود بأسباب انتشاره هــذا العنصر.. فهــذا رواية وكأنمــا هــى قد دلفت إلينا من عهود الأساطير لأن هذا العنصر لايتجلى تحت ضوء التاريــخ الحــديث إلا سلالة موجة من«العرب البائدة» قذفتها شبهُ الجزيرة العربية إلى حيث امتدت بها الحياة إلــى عهود تركت منها الأثر فى بعض ما تحمله جوانب هذه الأرجاء من أسماء مازالت، حتى اليوم، بها عالقة بما يقوم عليها من مدن وبما يجرى عليها من أنهــر وبمــا يشمخ عليها من جبال. ومثلا على ذلك يأتى فــى المقدمــة اســم «صهيون»..

إن كلمة «صهيون، نفسها، وإن كنا لانجد لها أصلا متفقاً عليه فى اللغة العربية، عربية الأصل، وأكثر الشُراح يرجحون أنها من مادة الصون والتحصين. لأن هذا الجبل كان فعلا من حصون الروابى العالية. والمقصود بالعربية هنا لغة الأصلاء من أبناء شبه الجزيرة العربية الذين سكنوا هذه البقعة من الأرض قبل هجرة العشيرة العبرية إليها بزمن غير قصير. وهؤلاء الأصلاء من «العرب البائدة» الذين أطلقوا على الأرض اسم «كنعان» ليلحق بهم هذا الاسم بينما اختفى معناه فى طيات لغتنا العربية ولم تبق إلا مادته من خنع وقنع وكنع هم الذين أطلقوا على هذا الجبل اسم «صهيون» وليختفى، اختفاء الأصل من كلمة كنعان، الأصل من كلمة صهيون كاسم عربى قديم أطلق على هذا الجبل إلى جانب ماأطلق على بعض بقاع هذه الأرجاء من أسماء لئن كان أقدمها تلك التى جاءت للأنهر والجبال فإنما أحدثها هى تلك التى جاءت فى غضون الألف الثانى ق.م للمدن مستمدة، أصلا، من المذابح والمعابد والمحاريب فلقد كان إذا طاب لأب قبلى مكانٌ واعتزم فيه الاستقرار فأول شىء كان يبدأ به هو أن يقيم مذبحاً أو محراباً وبجانب هذا المحراب أو

المذبح الذى يرتفع على مدارج الأيام إلى «بيت» يلقى جانباً عصا الترحال لتنصرف به الأيام وهو إلى جواره قد خلد لايغادره إلا غراراً وإلا لعودة إليه من جديد.. فقد كان قيام هذا«البيت المقدس» يكفل لمن يقيمه مقاماً ويوطد له مكانة كانت قد رفعته إليها الأيام يوم نشرته أباً لقبيلة يقف هو فيها الكاهن والقاضى، وبالتالى الملك والحاكم المطلق لمدينة لم تلبث أن نشأت بنشأة هذا«البيت» وعمرت بالعمائر المتفرعة ممن أنشأه كأب قبلىّ.. ومن أسماء هذه المدن المستمدة من هذه«البيوت» مازالت ترن فى مسمع الحاضر من شَدْق ذلك الزمن البعيد أصداء تتجاوب من حول عدة«بيوت».. منها«بيت يراه» و«بيت لحم» و«بيت اناث» و«بيت مرسيم» و«بيت شماس» وأما أوقع هذه الأصداء فى مسمع الزمن فما زال «بيت إيل» أو بيت الإله!.

وهنا.. هنا يتمهل بنا الفكر للحظة أمام هذا الإسم، أسم «إيل» وهو الأصل من الكلمة العربية«إله» بينما يسبح منا التفكير مستعرضاً هذه القبائل من «العرب البائدة» التى ترنمت بهذا الاسم حتى تجاوب منه رجع الصدى بين أرجاء هذه البقاع منذ فجر الزمان حتى ضحاه. هذا الاسم المدوى بالجلال والقداسة هو الذى حملته كنعان فى موكب التاريخ وعرفته خاصاً بالإله واختصته بساكن السماء الحاكم من ملكوتها هذا الوجود الذى له قد خلق والذى عن الاعتراف بألوهيته والاتجاه بالتعبد لم ينحرف فرع من فروع كنعان وعن التضافر من حول عبادته لم تشذ من المدن الكنعانية مدينة وذلك فى اتباع لمدينة«يبوس» العاصمة السياسية لهذه البلاد فقد كانت«يبوس»، عاصمة كنعان بالأمس وأورشليم اليوم، محوراً لعبادة «إيل» ومركزاً..

وهنا عند ذكر«يبوس» نقول إنها مدينة استمدت اسمها من قبائل اليبوسى وأنها كانت قاعدة لهذه القبائل من اليبوسيين ولم تعرف باسم«أورشليم» إلا فى خلال تلك الفترات التى استغرقت المرحلة الأخيرة من العصر البرونزى الأوسط إلى نهاية العصر البرونزى الرابع والأخير أى بعد الانصباب البشرى الذى اتخذ مجراه آتياً من سورية ومن بلاد مابين النهرين وخاصة من ضفاف الفرات الأدنى فإن مما وجدناه من الكتابة الإسفينية، التى نعرفها بالمسمارية، وخاصة على ضفاف الأورنتس وفى «حماة»، نعلم أن اللغة البابلية التى غدت حوالى الألف والأربعمائة ق.م لغة السجلات الرسمية فى «أرض كنعان»، هى الدليل القاطع على أن مفرق الطرق هذا قد غدا ساحة للصراع البشرى فحيثما

سرنا في جوانب مفـــرق الطـــرق هـــذا وجـــدنا آثـــار التدمير تطلُّ علينا من أطلال الحصون، ولاسيما فـــي «تل بيت مـــرسيم» بينما ينبعث مـــن ثنايا الأنقاض رجع الصدى يحدثنا بسيرة هـذا التنازع وهذا الـــنزاع المستهـــدف مـــن وراء ملكية مفرق الطرق الرئيسي هذا ذي الاتجاهـــات الأربعـــة الرابطة بين أطـــراف الشرق القـــديم إصـــابة الهـــدف المتمثل فـــي امتـــلاك نـــاصية الشـــرق الأوسط مـــن كل الأطـــراف.

حريٌّ بنا من ثمّ أن نحتكم إلى الآثار وعلينا أن نسير على هدى المعاول الأثرية فنتبع مرامي ذلك الارتحال «العراقي-السوري» الذي اشتد هديره إبّان القرن الثامن عشر ق.م والقرون التالية غامراً من أرجاء الدنياهذه الأرض، أرض كنعان.. فإنما على هدى هذه المعاول الأثرية نرى أضواء التاريخ وتنحسر البقاع عن مدن مستقلة نراها قد نشأت على غرار ماقد ترك المرتحلة وراءهم من مدن الرافدين والتي لم تقم هنا إلا كما قامت هناك من حول محراب أو مذبح كان، حتما، أن يقوم بقيامه «بيت» يتخذ للعبادة مكاناً وللتعبد قبلة اتباعا لتقليد قديم كان قد سار به هناك العرف وكانت قد جرت هناك به العادة وهذا إذا استثنينا مدناً أخرى كانت أسماؤها تستبدل بأسماء لم تكن في واقعها إلا تكراراً لأسماء مدن كانت لم تزل قائمة عهد ذاك في بلاد مابين النهرين، ومثلا على ذلك تجيء في المقدمة مدينة«يبوس» فإن هذه المدينة التي كانت قاعدة لقبائل اليبوسي أو اليبوسيين لم تعرف باسم«أورشالم» ، أي مدينة سالم أو مدينة السلام، إلاّ غداة ارتحل إليها المرتحلون من أبناء الرافدين، وهم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم الذي لم يكن نفسه، إلاّ رجع الصدى لما كان هناك يتجاوب في جنوب الفرات من اسم كانت قد أطلقته الإمبراطورية السومرية على عاصمتها السياسية التي أنشأتها على ضفة الفرات الأدنى والتي عرفت خلال العصور التاريخية للرافدين باسم «أور».. فمنذ حوالي الألف الخامس ق.م حتى مغرب الإمبراطورية البابلية الأخيرة والآخرة في القرن الخامس ق.م ظل عالقاً بهذه المدينة هذا الاسم السومري والذي تجاوب رجع صداه على«أرض كنعان» في عهد كانت الأضواء المصرية نفسها قد انسابت عبر«بيت مرسيم» غامرة النواحي الجنوبية من«أرض كنعان» في امتداد صوب الشمال.

وفي الواقع أن الأضواء المصرية كانت قد انسابت إلى «أرض كنعان» منذ أمد غير قصير وإن كانت خيوط امتدادها لم تتحدّد تحديداً جلياً إلا في عهد الأسرة الثالثة عندما

نشطت التجارة نشاطاً تاماً بين مصر وبين الرافدين. وكأنما «سنفرو» كان قد فطن إلى أهمية مفرق الطرق هذا فمهد لامتداد السيادة المصرية عليه تمهيداً هو هذا الذى بنى فى«وادى طميلات» ،وهو الطريق الجنوبى عبر سيناء إلى فلسطين، نقطاً محصنة تخللتها معابد«سبتو»[1]، رب الشرق. وبذلك وطد سلطان مصر فى سيناء ونظم المواصلات وأمن القوافل فى صعودها من مصر وهبوطها اليها مستهدفاً إنشاء دولة متحدة ثابتة الدعائم عاصمتها مصر التى جعل منها قاعدة للحياة الاقتصادية ومحوراً لهذه الحياة فى عالم الشرق القديم مما تستطيع يدنا، بهديه، أن تمتد فترسم أشعة مصرية تنساب من النيل مخترقة شمال دمشق إلى أواسط تلك الرقاع التى سنعرفها من بعد باسم «فينيقيا» حيث تتلاقى بأشعة أخرى تنساب من الرافدين..

هذا العهد الذى تتلاقى فيه أشعة النيل بأشعة الرافدين على«أرض كنعان» إنما هو، نفسه، نفس العهد الذى يمثّل التربة التى ألقيت فيها بذرة «الأرض الموعودة» فالزمن إنما هو الزمن الذى يتفق تاريخياً وعصر «آباء التوراة».



(١) «Septu».

الإطار التاريخى لمنطقة
«الأرض الموعودة»

يستهل هذا العصر المعروف بالعصر البطريركى تاريخه بمن إليه، كما يقول «العهد القديم»، تعود بأُبوّتها«إسرائيل» رجلاً وجماعة غداة استهل هذا«الأب» مطلعه على التاريخ من خضم ذلك الارتحال الذى اتخذ مجراه من ضفاف الفرات الأدنى إلى«أرض كنعان» .. فنحن إذ نقتفى خطى هؤلاء المرتحلة الذين تدافعوا قبائل وفرادى يجمع شعثهم أكثر من قائد ويُوحِّد بين أهدافهم استهداف هدف واحد يتلخص فى امتلاك رقعة من أرض جرى بينهم عنها التعبير بأنها «أرض باللبن والعسل تفيض» فليس إلاّ لنتتبع من بين هؤلاء القادة فرداً واحداً يناديه التاريخ العبرى باسم:

تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر

ولكن..

عند«عابر» ينبغى بنا أن نتمهل قليلا وأن نستمهل التاريخ عن الاسترسال للحظة، خلالها نستوضح الحقيقة من هذا الاسم. لا لأن «عابر» يُعرف باسم«هود» وإنما لأن الأقلام قد حارت بحثاً عن الأصل من كلمة «عبرى» حتى توقف الكثير منها عند القول بأن «بنى اسرائيل» قد عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى أبيهم «تارح» لأنه قد عبر النهر، أى أنه أتى من وراء النهر، نهر الفرات، إلى«أرض كنعان». يَبْدَ أنَّ إلى هذا السبب لايعود اسم «عبرى»فليس هوبصفة لحقت بتارح! كلا ولاهو باسم موجة بشرية أو قبيلة من القبائل التى كانت تواصل وراء العيش المسير وإنما هو، كما يتجلى من ثنايا التاريخ، لقب عائلة واحدة جاء بها «تارح» إلى «أرض كنعان» ولما كانت هذه تعود بنسبها البعيد إلى «عابر» .. فقد عرف أبناؤها بالعبريين كما نسمع ذلك من الشفاه الكنعانية غداة أطلقت على «إبراهيم» هذا النعت وعرفته«بالعبرانى» وليأتينا بذلك الدليل على أن هذه النسبة إنما هى نسبة إلى جدّ وليست نسبة إلى قوم وعلى أنه ليس إلاّ إلى «عابر»، هذا الجدّ الأعلى الذى ينتمى إليه أفراد العشيرة العبرية، يعود السبب الحقيقى فى حملهم هذا الاسم الذى سبق أن ورد ذكره فى النصوص المصرية القديمة تحت اسم «خبيرو». ولاغضاضة

فى ذلك، لأنه ليس هناك أىّ اختلاف بين الكلمتين. فإن حرفالـ«خ» يساويه حرف الـ«ع» فى اللغة العبرية التى كان لابد أن يرجع فيها الحرف الأخير على الحرف الأول نسبة إلى «عابر» والتى جاءت، بالتالى، كفرع من اللغات السامية نسبة إلى تلك الشخصية التى تقف فى المنتصف من سلسلة نسبهم التى يرتقون بحلقاتها من عابر، عبر«شالح» و«ارفكشاد» إلى «سام»..

و«سام»؟.

من هو «سام»؟.

ومن كان «سام»؟..

سؤال، نلقيه إلى مؤلف السِّفْر الأول من أسفار «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى مع علمنا بأن شجرة الأنساب الواردة فيه لاتقوم على أسس علمية وإنما على بواعث محض عاطفية.

ومن هذا المؤلف اليهودى يجىء الينا الجواب عبر الإصحاح العاشر من هذا السفر الأول من أسفار«الكتاب المقدس»، «سفر التكوين» قائلا، بأن «سام» أبو كل بنى«عابر».. وأن عابر هو ابن شالح بن ارفكشاد بن سام.. وهذا الجواب يحتم علينا أن نناقش، مناقشة علمية، «قصة سام»..

ولكن..

نحن إذ نناقش «قصة سام» مناقشة علمية يتحتم علينا العودة إلى عهد متوغل فى القدم من تاريخ بلاد مابين النهرين وبالتحديد إلى تلك الفترة الزمنية التى اتخذ فيها القدامى مساكنهم فوق مستوى تلك التربة الخصيبة التى كوّنها نهرا الدجلة والفرات عند وصولها إلى البحر من تراكم الرواسب التى تحدرت مواردها من جبال أرمينيا ومن حيث ينبجس هذان النهران، وحتى يصل بنا هذا التاريخ إلى سنة ٢٢٢٥ ق.م، السنة التى حددت فيها تواريخ الأسرة البابلية الأولى فى التقويم العالمى والتى تعد من أهم السنين فى تاريخ الشرق الأوسط لأنها السنة التى نادى خلالها«سومو- أبوم» العمورى بنفسه ملكا على بابل بعد أن قوض الإمبراطورية السومبرية الأولى فى «أور» وقضى على عائلتى «لارسا» و«إيسين» وبسط نفوذه على سائر أرجاء بلاد مابين النهرين جامعاً فى سلطان واحد وبصفة نهائية نهاية المنطقتين!.

حَدثٌ كهذا كان لابدّ أن يُخلَّد اسم«سومو- أبوم» في ذاكرة تلك التاريخ..

والآن..

نحن إذ نعرف أن ترجمة اسم«سومو-أبوم» هي الأب سام فليس إلاَّ لندرك بأن معرفتنا بترجمة هذا الاسم ليس، نفسه، إلاَّ الضوء الذى نلقيه على «سام» هذا الذى يقول عنه مؤلف «سفر التكوين» بأنه «أبو كل بنى عابر»..

أجل..

لاجدال فى أن تاريخ بلاد مابين النهرين قد ضم أكثر من واحد حمل هذا الإسم. بيد أن ذاك الذى ترك أثره فى وعى الزمن، بهذه الصفة التى يذكرها مؤلف«سفر التكوين»، كان «سومو- أبوم» أو «الأب سام» هذا الذى حكم بلاد مابين النهرين، ٢٢٢٥-٢٢١١ ق.م، وكان كمؤسس الأسرة البابلية الأولى.. هذه الأسرة العمورية التى أنشأت الإمبراطوية البابلية الأولى والتى جاء سادس ملوكها وأكثرهم فى أفق التاريخ تألقاً«حمورابى» ٢١٢٣-٢٠٢٠ ق.م، فزدا أثرها عمقاً فى وعى الشرق القديم عندماأسّس رسمياً وحدة هذه الإمبراطورية وغداة حفر على اللوح الحجرى شريعته الوضعية وعلّق فى معرض التاريخ هذا«القانون الموحّد» محتفراً به فى جبهة الشرق القديم آثاراً عميقة الغور بعيدة المدى..

والآن..

الآن نعود إلى مؤلف«سفر التكوين» وهو يحدثنا عن «تارح» بينما نسلس للمخيلة منا العنان أمام ماتصوره نصوصه من صور حتى المدى الذى نرى فى مداه «تارح»شخصية محسة ومحسوسة.. ومن هناك نبدأ نقتفى من «تارح» الأثر وهو يسير عبر تلك الأمواج البشرية فى اغتمارها«أرض كنعان» طاوياً بعصاه من هذه«الأرض» ناحية هى، على حد تعريف هذا المؤلف اليهوذى، كانت تلك الممتدة فيما بين ميناءى صيدا وغزة على شاطئ البحر الأبيض حتى سدوم وعمورة على ضفاف البحر الميت مستصحباً ذويه وفى مقدمتهم ابنه الحامل، عهد ذلك، اسم؛ أبرام..

«أبرام»؟.

يقينا إن عند هذا الاسم ينبغى بنا أن نتمهّل قليلا ونستمهل التاريخ العبرى عن الاسترسال للحظات لنقول:

إن«أبرام» ، من سنعرفه من بعد باسم إبراهيم، ليس عنّا فى خضم هذا الارتحال بقصىٍّ. كلا ولاهو فى أبعاد هذا الترحال ببعيد لا، وليس هو علينا بالرغم من تهافت أضواء التاريخ لهذه الفترة الزمنية بغريب فليس هو بكينونة سرابية الطيف يطويها عن الحقيقة تطاول المدى الزمنى ويحجبها استبهار ليل الأساطير.

كلا!. إن صاحب هذه الشخصية وإن بدأ ظهوره فى افق الزمن فى سماء ملبدة بالغيوم فإنما سجف التاريخ تنحسر عنه تمام الانحسار فى مغرب الحكم الحيّثى ومشرق الحكم الكاسّى لبلاد مابين النهرين بينما يتراجع عنه جذراً مدّ الأساطير حتى لنراه، فى بهرة الضوء السياسى للعصر، يشق ثنايا التاريخ فى أعقاب الغزو الحيثى الذى اجتاح الفرات الأعلى ويطلع علينا عبر المدّ الكاسّى الذى اغتمر الفرات الأدنى مجترفاً«أور» ، هابطا «أرض كنعان» بخطوات وئيدة متئدة، ثابتة الحركة، يحركها فكرٌ ترامت أمامه الأهداف وفى وضوح ارتسمت بل وتحددت المعالم من هذه الأهداف، وبرهان ذلك ماقد تركته هذه الشخصية وراءها على رمال الزمن من آثار تجافى تمام المجافاة ماقد جاء عنها من وصف فى سطور السفر الأول من أسفار «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى..

يقيناً، ليس هناك فى السجلات التاريخية لذلك العصر أى إلماح عن اسم«أبرام» . لا، ولاهناك فى الوثائق الموثوق بها لذلك العهد عن هذا الاسم أى تلميح. فإنما أقدم نص ورد عن هذا الإسم جاء فى قائمة شيشنق الأول، حوالى ٩٤٥-٧٤٥ق.م، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين فى مصر القديمة وصهر سليمان وبالإضافة إلى ذلك حملت هذه القائمة صورة لإبراهيم. غير أن الأثر الذى تركه صاحب هذا الاسم لايحمل الدليل الكافى فحسب على أن حامله قد عبر حقيقة معبر الحياة وإنما هو نفسه برهان على أنه لايمكن أن يكون إلا لشخصية قدرت تمام التقدير مافى جعبتها من إمكانات، وماتشتمل عليه إمكاناتها من قدرة..

وهذا أمر يُحتم علينا مناقشة«قصة أبرام» ، أيضا، مناقشة علمية..

ومناقشة «قصة أبرام» مناقشة علمية تحتم علينا العودة إلى عهد آخر ممعن فى القدم من التاريخ السياسى لبلاد مابين النهرين وعلى وجه التحديد إلى سنة ١٩٢٥ ق.م وهى

السنة التى دالت فيها دولة الإمبراطورية البابلية الأولى غداة أغار الحيثيون على بابل وصارعوا«سمشو-ديتانا» ، أى شمس الدين، آخر ملوك هذه الأسرة العمورية حتى صرعوه.. ومن هنا نبدأ فى تحسس خيوط الأحداث التى لانضع عليها يدنا إلا لنراها وقد حاكت أمامنا صورة لإبراهيم بريئة هى كل البراءة من كل ماقد ألقاه عليها مؤلف «سفر التكوين» من تُرهات، لاتبدو واضحة كل الوضوح إلا ونحن نتابع مجريات الأحداث السياسية فى أعقاب الغزو الحيّثى للرافدين. فلقد أعقب هذا الغزو الحيثى، الذى يقابل منتصف حكم الأسرة الثانية عشرة المصرية، فترة غير مستقرة ولاثابتة اجتاح فيها عجيج الفوضى بلاد مابين النهرين مدى قرن ونصف قرن من الزمان ساد خلالها الاضطراب قبائل البدو وعشائرهم حتى تدافعوا فراراً إلى«أرض كنعان» وليدفعهم هذا الممر الذى يقود إلى مصر إلى قلب الوادى نفسه بل وإلى التوغل فى أرجائه جنوبا بعيداً عن الدلتا.. وصورة حية لهؤلاء المهاجرين الآسيويين مازالت فى معرض التاريخ معلقة فى مصر الوسطى كما حفرت على جدران قبر كُشف ببلدة بنى حسن وتعود بتاريخها إلى السنة السادسة من حكم سنوسرت الثانى، حوالى سنة ١٩٠٠ ق.م، أى بعد مرور خمس وعشرين سنة على تلك الغزوة الحيثية أو بالأحرى من ذلك الاستيلاء الحيثىّ على بابل وهو الذى لانحاول أن نلتقط من خلاله خيط الأحداث إلا ليأتينا سلساً عبر الوثائق المعاصرة لتلك الفترة الزمنية والتى عثرنا عليها على مسافة غير بعيدة من بابل..

تزيح هذه الوثائق المسطرة على أكثر من لوح من الألواح الصلصالية الحجبَ عن الفترة التاريخية القاتمة التى تلت هذا الغزو الحيثى للبلاد حتى الغزو الكاسى الذى اجترفها اجترافاً وبذلك تكشف لنا عن أحداث كانت حتى عهد حديث من عصرنا الحاضر محتجبة وراء غيم الزمان.. فهى تحدثنا عن أسرة حاكمة من أسرها المالكة نسميها هذه الوثائق الأسرة الثانية وتقول بأنها استولت خلال هذه الفترة الزمنية بين الغزوتين على أسفل بابل عند الفرات الأدنى فى «أور» وحاولت حكم البلاد من تلك الجهة التى كونتها رواسب النهرين فى الجنوب فجعلت منها منطقة مستنقعات وسمُيت «أرض البحر» والألواح إذ تحدثنا هذا الحديث عن هذه الأسرة التى قامت خلال هذه الفترة القاتمة من تاريخ البلاد تحاول جمع شعثه من تلك الجهة المسماة «أرض البحر» فليس إلا لتهدينا إلى أن هذه الأسرة التى استولت لردح من الزمن على أسفل بابل عند الفرات

الأدنـى في«أرو» قد حكمت منطقة«أرض البحر» لأكثر من قرن ونصف قرن من الـزمان، ١٦٢٥-١٧٦٢ ق.م، وأن ملوكها الـذيـن اقتصـر عـددهـم علـى ثـلاثة قـد باشروا سلطة غيـر مستقرة ولاثابتة حتـى أغـار الكاسيـون وجـاء«جنداش»، مـؤسس الأسرة الكاسية والثالثة في بابل، وطرد الثالث والأخير من ملوك «أرض البحـر»..

ولكن..

ثمة سؤال يطرأ على الذهن، هنا، وهو:

أىّ الأسماء كان يحملها هذا الملك الثالث والأخير من ملوك «أسرة أرض البحر» الذى اضطره جنداش، سنة ١٧٦٢ ق.م، إلى مغادرة «أرض البحر» ومفارقة «أور الكلدان» ؟.

سؤال، لاتجيب عنه هذه الألواح التى محت رياح الزمن منها بعض السطور إلا من احتفاظها بالنعت الذى كان يُطلق على هذا الملك وهـــو: «داميـق- إيلـيشيو» أى «خليل الله»..

والآن..

نحن إذا كنا نعرف أن آخر ملك من ملوك«أسرة أرض البحر» كان ينعت، كما ورد فى الوثائق البابلية، «داميق- إيليشو» . وأن ترجمة هذا النعت هى«خليل الله»وبالتالى، أننا إذا كنا نعرف أن هذا النعت هو الذى يطلق فى المراجع الدينية على «إبراهيم»، فلا يسعنا إلا أن نقارن بين الوثائق البابلية وبين الأحداث التاريخية لإسرائيل وبنى إسرائيل فى مصر الهكسوسية بينما نقف متسائلين أكان آخر ملك من ملوك«أسرة أرض البحر» شخصاً آخر غير إبراهيم؟..

أجل..

لاجدال فى أن هذا النعت، نعت«داميق- إيليشو»، قد عرفناه فى سجلات بابلية أخرى لملك آخر ورد ذكره فى «القوائم الملكية».. عرفناه فى الفجر الباكر من تاريخ الرافدين وعلى وجه التحديد فـى أعقـاب الغـزو العيلامى الذى اجتاح بابل، حوالى سنة ٢١٤٥ ق.م، غداة انصب العيلاميون بقيادة«كدرمابوك» وأسسوا مملكة لهم فى «لارسا» توالى على حكمها ابنا«كدرمابوك»بالتتالى«واراد-سن» و«ريم- سن» .وهذا الأخير الذى

استولى، في العام الثلاثين من حكمه، على «ايسين» وقضى على استقلالها قدذكر هذا النعت، سنة ٢١٣٢ ق.م، بمناسبة انتصاره هذا الذى سجله على لوح صلصالى نقرأ عليه هذه العبارة؛

«فى هذه السنة.. استحوذ الراعى«ريم- سن» على مدينة «داميق ايليشو» وغنم«ايسين»وامتلك كل مافى ايسين».[1]

ولكن..

هذا الملك العيلامى والثانى فى قائمة ملوك«لارسا» إنما هو قد هزم آخر ملك من أسرة «ايسين» وليس آخر ملك من ملوك أسرة «أرض البحر».. ومنها يتضح لنا أن «داميق- ايليشو» الذى هزمه «ريم- سن» العيلامى غير«داميق- ايليشو» الذى هزمه«جداش- الكاسّى» والذى إذا قمنا بعملية حسابية بسيطة وازنا فيها بين التاريخ البابلى وبين التاريخ الذى جاء فى «سفر التكوين» عن ابراهيم لتبينا أن «داميق- ايليشو» أسرة «أرض البحر» ليس شخصاً آخر غير إبراهيم..[2]

إن الفترة الزمنية من سنة ٢٢٢٥ ق.م، وهى السنة التى أسس فيها«سومو- ابوم» أو «الأب سام» الأسرة البابلية الأولى، إلى سنة ١٧٦٠ق.م وهى السنة التى انهارت فيها أسرة«أرض البحر»، تقع فى مدى زمنى مقداره أربعمائة وخمس وستون سنة..

والآن لنحتفظ بهذا الرقم فى ذاكرتنا بينما نتناول «سِفْر التكوين» لنقرأ فى الإصحاح الحادى عشر منه هذه السطور:

«هذه مواليد سام- لماكان سام ابن مئة سنة ولد ارفكشاد.. وعاش ارفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد رعو.. وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة وولد سروج.. وعاش سروج ثلاثين سنة وولدناحور.. وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد تارح.. وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام».

ومن ثمَ فالمدى الزمنى من«سام» إلى مولد إبراهيم يقع فى فترة تنحصر فى ثلاثمائة

(١) فى متحف اللوفر.

(٢) «Background of Jslam» by «Philby».

وتسعين سنة.. إلا أننا إذ نتتابع «سِفْر التكوين» فليس إلا لنقرأ في الإصحاح الثاني عشر منه هذه العبارة:

«وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران».

وإذن..

نحن إذا أضفنا هذا الرقم الأخير إلى الرقم الأول من السنين من عهد«سام» إلى «مولد أبرام» لحصلنا على مجموعة من السنين تحمل نفس الرقم الذى يسجله التاريخ البابلى من قيام«سومو- ابوم» إلى انتهاء حكم «داميق- إيليشو»..!

وهنا نعود فنحاول التقاط خيط الأحداث مرة أخرى فنقول؛

إذا كان إبراهيم نفسه هو حقيقة، آخر ملك من ملوك أسرة«أرض البحر»فلن يكون إلا بسبب سقوط هذه الأسرة وقيام الأسرة الكاسية حوالى سنة ١٧٦٠ ق.م، وهذا يقابل مستهل حكم الأسرة الثالثة عشرة فى مصر أو بالأحرى بداية الحكم الهكسوسى، قد ارتحل «خليل الله» عن الفرات الأدنى إلى حاران فى«أرض كنعان» حيث ألقى جانبا فى هذه «الأرض» عصا الترحل بعد زيارة قصيرة الأمد لمصر التى كانت خاضعة، آنذاك، للحكم الهكوسسى وهذا يطابق الأحداث التى تتحدث عنها بعض نصوص«سفر التكوين».. فإن قيام الأسرة الثالثة فى بابل حوالى سنة ١٧٩٠ ق.م ويتفق وتاريخ إسرائيل وأبناء إسرائيل فى مصر حتى إننا لنستطيع أن نقول إن من هنا قد التقطنا عقدة الأحداث فى نسيج الزمن!.

وهكذا..

هكذا يتراجع جزراً مد الأساطير عن «خليل الله» إبراهيم بل ونشاهد مطلع إبراهيم على التاريخ فى أعقاب «الغزو الكاسى» للفرات الأدنى وانصبابه على السهل الفيضى لبلاد ما بين النهرين وضياع مملكة «أرض البحر». وهكذا تدلف إلينا الأدلة على وجوده كشخصية كان لها شأنها الخطير فى خلال تلك الفترة الحالكة من تاريخ الرافدين والنيل مما يجعل الحلم بامتلاك «أرض كنعان» والأراضى الواقعة من الفزات إلى النيل لايبدو غريباً إذا كان قد طوف على الجبين عوضاً عن«مملكة أرض البحر».

ولكن!.

نحن لانكاد نلقى على هذه الشخصية أضواء التاريخ السياسى لبلاد مابين النهرين إلاّ ويصطدم منا المسمع بما يجىء عنها من ذكر فى السفر الأول من أسفار «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى.. هذا«السفر» المنسوب افتراءً إلى موسى، عليه السلام، والذى تكتنفه السذاجة من كل جانب وتحف به روح البداوة من كل طرف حتى جانب مؤلفه التوفيق فى التأليف وحتى جافته الحقيقة فى سرد الوقائع مما يدل دلالة واضحة على أنه مكذوب على موسى وعلى الله!..

ولكن..

بالرغم من فطرية الأسلوب فى هذا «السفر» وبالرغم مما يكتنفه من غموض فى التفكير ومن سذاجة فى التأليف ومايشتمل عليه من غلوّ ومن تناقض تكسرت حجةُ مفسريه على صخور الاستحالة كيما يجدوا تبريراً لما يحيكه من قصص أو تأويل لما يرويه من روايات جاءتنا متأخرة جداً من العهود التى يرويها فإن علينا أن نخلد إلى الصبر ونتمسك بأهداب الأناة والروية ونحن نجبر المخيلة منا على أن تجارى النصوص وتشهد ماتصوره من مشاهد.. وليس إلا تحت هذا اللون من الاعتبار نستطيع أن نقول إننا سنصغى إلى رواية التوراة عن هذه الفترة وهى تصور أمامنا خطوات أبرام عبر سطور هذا «السفر» وهى تسير فى اتباع خطوات «تارح» صوب هدف مرماه ناحية من «أرض» كان لها مغزاها السياسى فى تاريخ ذلك العصر فلقد؛

«أخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران ابن أخيه وساراى كنته امرأة أبرام ابنه فخرجوا جميعاً من «أور» الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك.[1]

من«أور الكلدان» وأور الكلدان هو الموضع الذى يُسمى الآن«المقبر» والواقع على الفرات الأدنى عند ذلك السهل الفيضىّ الذى كان يسمى«أرض البحر» جاء«أبرام» إلى حاران.وفى حاران، وكسائر بقاع«أرض كنعان» كانت حاران عامرة بآباء القبائل الذين كان قد حف بهم الثراء المادى من كل جانب فرفع كل واحد فى قبيلته إلى مرتبة مَلِك استرسلت فى مسيرها الأيام بهذا البيت البابلى الذى لقّب بالعبرى، نسبة إلى «عابر» بينما

---

(١) الإصحاح ١١ «سفر التكوين».

راح مسيرها، على حد تصوير النصوص، يومض فى نفوس أهل هذا البيت وميض التنبّه إلى ماقد حف بهؤلاء الآباء القبليّين من ثراء مادّى هو، حتما، السبب الذى أسلس لكل أب قبلى زمام التملك والرخاء!..

وهنا..

هنا، تحدثنا النصوص التى أمامنا، وعليها نلقى مسؤلية هذا الحديث، أن الشرارة الأولى قد انطلقت فى مخيلة«أرومة إسرائيل» وقدحت شرر الحلم بإثراء مادّى تكون له به فى «أرض كنعان» أبوة قبلية على غرار ماالآباء القبائل فيها من حكم وملك وسلطان. وإنّ نحو بلوغ هذا الهدف، مالبثت أن سعت الخطى حثيثة بأبرام عبر سلسلة الأيام حتى اقتنت يده، خلالها، المقتنيات المادية وامتلكت من النفوس العدد الوفير من العبيد واستجلبت الجنود المرتزقة المتمرنين على حمل السلاح إعداداً لصيحة ارتفعت، بادىء ذى بدء همساً، وماسرى تجاوبها بين الأتباع إلاّ وسجل الزمن؛.

* * *
* *
*

انبثاق فكرة «الأرض الموعودة»

تحدثنا النصوص العبرية بأن من شفتي«أرومة إسرائيل» استهلت فكرة«الأرض الموعودة» تاريخ انبثاقها فى أرجاء «أرض كنعان» بَيْد أنه لابد لنا، ونحن إنما نستهل البحث فى تاريخ نشأة هذه «الفكرة» ومنشأها، أن نطوف، للحظة، بالتفكير الإلهى والمعتقد الدينى لذلك العصر لارتباط هذه«الفكرة» ارتباطاً كلياً بهذا المعتقد ولاتصالها اتصالاً مباشراً بهذا التفكير..

من سجلات التاريخ الدينى الكنعانى يأتينا البرهان على أن الإيمان بإله واحد مسكنه السماء كان الأساس الذى يقوم عليه صرح هذا الدين والفكرة الجوهرية التى تستدير من حولها العبادات ويقوم عليها نظام الكهنوت وتعلق بها من كل إنسان الأهداب!. وبينما تأتينا من السجلات الكنعانية هذه الأدلة فإنما مؤلف«سفر التكوين»يجعلها مُمثَّلة فى أحد ملوك كنعان وكنهتها، فهو يقول لنا بأن «ملكى صادق» قد أخرج خبزاً وخمراً وخرج إلى أبرام مرحباً به.. ولما كان ملكى صادق، ملك شاليم «كاهناً لله العلى»، كما تقول النصوص العبرية، فقد بارك أبرام قائلا:

«.. مُبارك أبرام من الله العلىّ مالك السموات والأرض(١)».

هذا الإقرار الذى تنفَّس عنه الصدُر من مصدر العقيدة للدين اليهودى الحالى هو الذى نضع فى حرص عليه سبابتنا لا لأننا نعتبره تأييداً فحسب لحقيقة تاريخية مقررة وهى أن مفهوم الإله كإله على مالك للسموات والأرض كان واضحاً فى العقل الكنعانى قبل هذا العهد الذى يتحدث عنه المؤلف اليهوذى بزمن غير قصير، وإنما لأن مؤلف «هذا السفر» قد جعل هذ المفهوم نفسه الذى تسامى إليه العقل الكنعانى هو، بعينه، المعتقد الذى كان قد أخذ به أبرام!. فالمؤلف اليهوذى يحدثنا بأن إثر هذه«البركة» مباشرة أقسم أبرام لملك سدوم بهذا الإله نفسه ومشيراً إليه بالكلمات نفسها التى استخدمها «ملك شاليم» قال:

«رفعت يدى إلى الإله مالك السموات والأرض».(٢)

(١) الإصحاح ١٤ «سفر التكوين».
(٢) الإصحاح ٢٢ «سفر التكوين».

نحن لانريد أن نقول بأن كنعان قد عرفت الوحدانية الخالصة . وأن إبراهيم ، عليه السلام، قد دان بنفيس هذا المعتقد الكنعاني.. كلا!. وإنما نريد أن نشير إلى ماتحمله نصوص هذا المؤلف اليهودى من معنى ينكر، بطريقة غير مباشرة، الدرجة الفكرية التى يذكرها لإبراهيم مصدر العقيدة لديننا الإسلامى بالإطراء.. فبينما يرفع الإسلام إبراهيمَ إلى التفكير فى وحدانية خالصة نرى مؤلف«سفر التكوين» قد تمادى فجعله يدين بنفس هذا المعتقد الكنعانى الذى وإن كان قد آمن باله واحد مسكنه السماء فإنما هو قد أحاطه بحاشية من الأرباب وأفرد لكل واحد منها بلدة خاصة وأناط بكل واحد منها رعاية فئة خاصة من الناس أو بعض أفراد.. وليس إلاّ من مادة هذه الفكرة راح هذا المؤلف اليهودى يختار لأبرام رباً ويجعله به خاصاً هو الذى سيطلع علينا باسمه بعد قليل وبعد أن جعله هذا المؤلف يصدر عنه«الوعد» إلى «أبرام» بمنحه ملكا «أرض كنعان» .. فلقد:

« .. قال الربُّ لأبرام..» : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك» .[1]

هذا أول نص يسجل مولد فكرة «الأرض الموعودة» !.

نعم.. هذا أول نص يسجل انبثاق فكرة«الأرض الموعودة» فى «السفر» الأول من« كتاب» نفث فيه يهود الأسر البابلى أنفاس القدسية وناولوه عبر الأجيال إلى هؤلاء الصهاينة الذين يحملونه اليوم بيدهم، وفى تجاهل تام لعلمهم أنفسهم بتاريخ كتابته وزور نصوصه على موسى، ويقدمونه للعالم شاهداً على أنه، نفسه، الحجة الشرعية التى تمنحهم الحق الروحانى فى امتلاك فلسطين!.

لاجدال فى أن الدعوة الصهيونية إنما هى من هذا «النص» نابعة، ومما سيأتى بعد هذا النص من نصوص هى مشتقة وعليها قائمة فلا مساند للصهاينة إلا «الأسفار الخمسة» الأول من هذا «الكتاب» الذى تواتينا الأدلة التاريخية الدامغة على أنه مكذوب على موسى ومكتوب بأقلام كثيرة وفق أهواء كاتبيه وتحقيقاً لأطماعهم وأهدافهم السياسية فى فلسطين.. ومن ثم حتما علينا أن نتناول هذا«الكتاب» وهو عماد الصهيونية وعمدتها فيما تدّعيه، وفى صبر سابر نتابع النصوص وهى تحدثنا عن هذا«الوعد» الذى تستهل الحديث عنه قائلة:

(١) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين».

«فذهب أبرام كما قال له الرب!.

وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران» .[1]

وإلى أين خرج أبرام من حاران؟

سؤال نلقيه إلى مؤلف«سفر التكوين» والجواب عنه يأتينا عبر هذا النص؟

«فأخذ أبرام ساراى امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان.

فأتوا إلى أرض كنعان!.»[2]

وهناك..

هناك، على حد قول المؤلف اليهودى؛

«اختار أبرام فى الأرض إلى مكان شكيم إلى بلّوطة مورة. وكان الكنعانيون فى الأرض.

وظهر الرب لأبرام وقال، لنسلك أعطى هذه الأرض!» .[3]

عبر هذه العبارة الخطيرة فى دائرة التفكير الإلهى لاشتمالها على إمكان«الرؤية» وإمكان«المكالمة» تطلع علينا فكرة«الأرض الموعودة» فى دور انبثاقها وقد انعطف بها المؤلف اليهودى ناحية العاطفة، نتيجة حتيمة لاصطباغها بالقداسة كوعد إلهى..

ومن هنا بدأت هذه«الفكرة» تتحسس طريقها إلى وجدان جماعةٍ لم تكن هذه العبارة على مسامعهم غريبة ولا كان المعنى منها يحمل اليهم أى مستحدث دينى جديد. فهذه العبارة التى دبجها يراع كاتب«سفر التكوين» كانت مقبولة ومتداولة بل متعارفاً عليها ومعترفاً بها فى جميع الدوائر الدينية لتلك العصور وليس هذا فحسب وإنما كان الاعتقاد بصحتها يمثّل ركناً من أركان الإيمان فى ديانات الشرق القديم فلقد كان

(١) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين».
(٢) الإصحاح ١٢«سفر التكوين».
(٣) الإصحاح ١٢«سفر التكوين».

ظهـــور أحد الأرباب لمن يختار من البشر ومكالمته إياه، بل وتناول الطعــام معـه، أمراً طبيعيا يُصادف بالتصـديـق مـن أتبا ع مـن يقول بـه ويقابل منهـم بالقبـول وبالإيمان.

لاغرو من ثمّ أن يراعى مؤلف«سفر التكوين» كل هذه الاعتبارات وهو يسطر هذه السطور مستهدفاً الوصول إلى غاية تتلخص فى عودة «بيت داود» إلى حكم صهيون وإعادة أبناء يهوذا إلى أورشليم.. ثم لما كان، نفسه، قد كتب هذا «السفر» فى غضون الأسر البابلى، فقد حمل فى ذاكرته ماكان يُروى على ضفاف الفرات مـن روايات مصدرها تلك الألواح البابلية وماقد سطرته عليها«الكتابةُ الأسفينية» مـن سطـور تحدثنا عن أكثر من ملك، وفى مقدمتهم«أور- نامو» مبتعث النهضة السوميرية فـى أور، لم يقـم له عرش إلا علـى أساس مـن الادّعاء بظهور الرب له وتكليفه إياه ببناء مذبـح له!.

فما كان ليقوم حكم إلاً وقوامه«التجلى» وإلاً ومقوماته«الرؤية» وإلاً ودعامته «مذبح للرب». وليس إلا على ضوء هذه المعتقدات البابلية الثابتة التاريخ كتب مؤلف «سفر التكوين» النصّ التالى:

«وظهر الرب لأبرام وقال:

لنسلك أعطى هذه الأرض.

فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له!.. »[١]

لاجدال فى أن المغزى البعيد من هذا النص الصريح ومايحمله فى ثناياه من خطورة بالغة لم يعد على الفهم خفيا، ولاسيما إذا كنا قد علمنا أن هذا المؤلف اليهوذى قد اختار«بيت إيل» مكاناً لهذا«المذبح»! وأما لماذا اختار هذا المؤلف اليهودى «بيت إيل» مكاناً لهذا«المذبح» فإن ذلك لم يكن لما كان لـ«بيت إيل» من سابق قدسية عند أولئك الأصلاء من أبناء الجزيرة العربية من الكنعانيين فحسب وإنما لأن هذا المكان نفسه كان قاعدة ملك«بيت داود» غداة استبدال سليمان اسم هذا المكان من «بيت إيل» إلى «بيت المقدس»!.

وهنا نعود إلى هذا المؤلف اليهوذى ونجارى، جدلاً، منطقه الذى جرى بهذه الرواية القائلة بأن «أبرام» قد اختار قطعة من أرض كنعان هى«من شكيم إلى بلوطة مورة»

(١) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين».

وذلك بينما كان الكنعانيون مازالوا بين جنبات من الأرض يعيشون لنرى كيف سيجد هذا المؤلف حلاً يتلخص في وجوب إجلاء الكنعانيين عن «شكيم» وعن «بلوطة مورة».

أطرق مؤلف«سِفْر التكوين» فرأي أن الوسيلة إلى الإجلاء تحتاج إلى المال فهو الكفيل وحده بشراء السواعد القوية واستجلاب العدد الأكبر من الجنود المرتزقة لزحزحة كنعان، فمن أى مصدر سيأتى إلى «أبرام» بهذا المال وخاصة أنه فى هذه الفترة التى يتحدث عنها قد شحّ فى يد أبرام نتيجة للقحط الذى كان قد أصاب الأردن عهد ذاك؟!.

وتلفتَ مؤلف«سِفْر التكوين» فلم ير حلا لهذا المأزق إلا الرحيل بأبرام فى طلب المال.. فسطَّر يقول،

«ارتحل أبرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب..»(١)

كلا.... ليس فى هذا النص أى مأخذ، فليس فى الترحال وراء الرزق غضاضة.. ولاغضاضة أن يكون هذا الارتحال نحو الجنوب.. ففى الجنوب مصر، وتراب مصر كان عهد ذاك تبراً وببريق السجد يتوسَّج من نيلها الضفاف. ولكن!.. الغضاضة تقع فيما اقترفه هذا المؤلف فى حق إبراهيم من فحش!.. فليس إلاَّ بإملاء من ميوله الذاتية راح مؤلف «سفر التكوين» يحدثنا عن «أبرام» قائلا أنه؛

«لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته، إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر.. قولى إنك أختى، ليكون لى خير بسببك..» .(٢)

خير، وبسبب ساراى!!.

أى خير هذا الذى سيكون لأبرام، كما يقول هذا المؤلف اليهوذى، بسبب«ساراى» ؟!

يالهول ماسيأتى به هذا المؤلف اليهوذى من جواب تتصدر نصوصه«الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى.! إذ يقول،

«فحدث لَمَّا دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدًا.

ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون.

---

(١) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين».

(٢) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين».

فأخذت المرأة إلى بيت فرعون.

فصنع إلى أبرام خيراً بسببها.

وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال». (١)

وهنا..

هنا نستطيع أن نقول إن هذه النصوص، المنسوبة إلى موسى إفتراء على موسى، تفصح عن نفسها وأنها إلى التعليق منّا فى غير حاجة إلا من القول بأن مؤلف «سفر التكوين» قد أراد أن يجىء إلى «أبرام» بالمال فلم يجد وسيلة إلا «ساراى» والتى لم يبلغ بها غايته إلا ورأى أنه لابد من العودة بأبرام إلى «أرض كنعان».. وأما كيف ستكون هذه العودة فليس هناك من حلّ إلاّ فى القول بأن الأمر قد عُرف وأن الحقيقة قد انكشفت!.. ومن ثمّ فلنصغ معاً إلى تلك النصوص العبرية أو بالأحرى إلى مؤلف هذه النصوص وهو يقول:

«فدعا فرعون أبرام وقال:ماهذا الذى صنعت بى؟! لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك؟

لماذا قلت هى أختى حتى أخذتها!؟» (٢)

وهنا يختم مؤلف «سِفْر التكوين» روايته هذه، التى يكاد القلم أن يتوقّف عن الاسترسال خجلا منها، فيقول بأن «الفرعون» قال عند ذاك لأبرام:

«والآن! هو ذا امرأتك خذها! واذهب!..» (٢)

أستغفر الله!..

لايسعنا هنا إلاّ أن نستغفر الله ونبرأ من هذه الرواية الفاحشة.. فحاشا للخليل إبراهيم أن يكون «أبرام» هذا.. وحاشا لسارة أن تكون «ساراى» هذه.. فلم يك «إبراهيم» سفيهاً ولم تكن «سارة» بغياً!.

ويقيناً.. يقيناً، أننا لو لم نجد أنفسنا مُجبرين على متابعة النصوص العبرية كيما نتبيّن ماهية الركائز التى عليها، وحدها، تركز الصهيونية العالمية فى دعوتها لطوينا صفحات هذا

(١) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين».

(٢) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين».

«الكتاب المقدس» ولكففنا عن الاسترسال فى ترديد نصوصه، بل ولأبينا الإصغاء إلى مؤلف هذا «السفر الأول» من هذا «الكتاب» وهو يواصل حديثه عن «أبرام» قائلا:

«.. فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ماكان له. وصار أبرام غنيًا جدًا فى المواشى والفضة والذهب!

وسار فى رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى مكان المذبح الذى عمله هناك!» .(1)

وهنا.. هنا يتغيّر الأسلوب وتتغيّر المعانى.. فقد كان مؤلف «سفر التكوين» قنوعا فى غير زهد عندما اكتفى من «أرض كنعان» بالرقعة الصغيرة المحصورة بين «شكيم» و«بلوطة مورة» وجعلها تأتى كمنحة قدسية «لنسل أبرام»..

وأما الآن؟..

الآن وقد واتت الدنيا وأتت بالفضة والذهب فلن يكتفى مؤلف «سفر التكوين» بتلك الرقعة.. ولعله قد رأى المال قد كثر فى يد أبرام الذى أصبح «غنيًا جدًا» مما تجب معه زيادة رقعة «الأرض الموعودة» لنسل أبرام من جهة ومن جهة أخرى لاداعى فى هذه الحالة من تأجيل «الوعد» بالملك للنسل.. فليكن من الآن لأبرام نفسه!.. ومن ثمّ شمّر المؤلف عن ساعديه وأجرى قلمه يسطر:

«قال الرب لأبرام..

ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأنّ، جميع الأرض التى أنت ترى **لك أعطيها** !..» (2)

ولكن !. أو يكفى هذا المؤلف اليهودى كل ماترى العين من شمال وجنوب وشرق وغرب؟!

كلا!. إن مؤلف «سفر التكوين» ليستدرك هو نفسه!. وكأنما قد عزّ عليه ألاّ ترى عين «أبرام» من الأرض الرقعة التى تشبع أطماع «بيت يهوذا» وترويها فأمسك بالقلم ليضيف

---

(1) الإصحاح ١٢ «سفر التكوين».

(2) الإصحاح ١٣ سفر التكوين.

نصًا جديداً سخيًا يزيد فى رقعة «الأرض الموعودة» فى صورة حديث جعل «الرب» يواصل فيه الكلام مع «أبرام» قائلا:

«قم امش فى الأرض طولها وعرضها.

لأنى لك أعطيها!..» (١)

وكما أراد هذا المؤلف اليهودى فى نصوصه أرضخ «أبرام» للأمر وسار به فى الطريق الذى رسمه له خطوة فخطوة كما عن ذلك يحدثنا قائلا:

«فنقلَ أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلُوطات مَمْرا التى فى حبرون وبنى هناك مذبحاً للرب». (٢)

وبهذا المذبح الجديد الذى بُنى «للرب» فى حبرون وعند بلوطات ممرا بالذات يجىء الدليل على أن رقعة «الأرض الموعودة» فى مخيلة المؤلف اليهودى لم تعد مقصورة على حيّز ينحصر بين «شكيم» و«بلوطة مورة» وإنما غدت كل «أرض كنعان» أرضاً موعودة لأبرام!

ولآن.. الآن آن لنا أن نطالب هذا المؤلف اليهودى بالبرهان على أن كل «أرض كنعان» قد أمست، كما يقول، «أرضاً موعودة» من الرب لأبرام.. فما هو البرهان؟!

إن مؤلف «سِفْر التكوين» لايشحّ علينا بالبرهان فهو يقدمه لنا عبر هذه النصوص قائلا بزهو عجيب:

«لقد صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا قائلا:

لاتخف أبرام: أنا ترس لك!..

فقال أبرام، أيها السيد الرب ماذا تعطينى؟

---

(١) الإصحاح ١٣ سفر التكوين.

(٢) الإصحاح ١٣ سفر التكوين.

وقال له الرب؛ الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها!..» [1].

هذا هو البرهان..

برهان، مصدره رحاب المنام!..

ولكن..

المؤلف اليهودى إذ يختار كل «أرض كنعان» ويجعلها «أرضاً موعودة» لأبرام، فإن ذلك لم يكن من لهو التفكير وعبث الأمور... فالتفكير فى ذلك لم يكن تفكيراً مرتجلا وحيه الظرف ومصدره البيئة، وإنما كان تفكيراً تفصح عن مراميه نفس هذه النصوص التى تجعل «أرض كنعان» تجيء عِوضاً عن أرضٍ فى «أور الكلدان».

ثم هذه المحاورة القصيرة التى صيغت من مادة الحلم لم تكن، بالتالى، من عبث الكلام وهزل الحديث، وإنما كان لها مغزاها البعيد الذى ندركه إذا تذكّرنا فى الأسر البابلى تعلّم اليهود بقايا الدين البابلى وما احتواه من المعتقدات عن ظهور الرب فى المنام واتصاله بمن يختار عن طريق الرؤيا ليعلن له عن نواياه وما يريد منه أن ينجزه من أعمال .. عرفنا ذلك فى تاريخ «أياناتوم» ملك «لاجاش» وفى تاريخ «جوديا»، أيضاً، من ملوك «لاجاش» [2].

ومن ثمّ فلا عجب بعد ذلك أن نرى فكرة «الأرض الموعودة» وقد بدأ خروجها من الطور السلبى إلى الطور الإيجابى بهذه «الرؤيا» التى أتمت مجراها عبر نصوص أخرى تحدثنا بأن «أبرام» قد سأل «ربه» قائلا؛

«أيها السيد الرب بماذا أعلم أنى أرثها؟

فقال له؛

خذ لى عجلة ثلثية وعنزة ثلثية وكبشاً ثلثياً.

ويمامة وحمامة! [3]

---

(١) الإصحاح ١٥ سفر التكوين.

(٢) بلاد مابين النهرين «محرم كمال».

(٣) الإصحاح ١٥ سفر التكوين.

لماذا

سؤال، نلقيه عبر الأجيال إلى هذا المؤلف اليهودى وعن الإجابة لايتوانى أبداً هذا المؤلف!. فإنما هو فى اعتداد بالقول عجيب يكمل روايته هذه قائلا إن إثر هذه «الرؤيا» هب أبرام؛

«فأخذ هذه كلها

وشقها من الوسط وجعل شقّ كل واحد مقابل صاحبه.

وأما الطير فلم يشقّه!.(1)

وهنا..

هنا، أمام هذه النصوص لابد لنا أن نتمهل للحظة ...لا.. بل للحظات!... فالفكر منا إذ يمر بما تتضمنه هذه النصوص من عبارات لايستطيع أن يمر بها مروراً عابراً وإنما هو يطرق مفكراً مستشفاً منها الغاية.ثمّ إلى مؤلف هذه النصوص يلقى بهذا السؤال؛

ماالمعنى من هذا كله؟ ماالمعنى من وراء هذه العجلة والعنزة والكبش واليمامة والحمامة!؟

سؤال آخر نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودى الذى يهبُّ من ثنايا نصوصه صارخاً يقول بأن العجلة والعنزة والكبش واليمامة والحمامة لم تكن إلا علامات؛

---

(1) الإصحاح ١٥ سفر التكوين.

«الميثاق»

فى «الرؤيا» ..وعلى بساط الحلم وفى أحضان المنام تعهّد «الرب» لأبرام بأن له«أرض كنعان».. ومالعجلة والعنزة والكبش واليمامة والحمامة إلا أدلة مادية على صدق هذا«التعهد الروحانى» بأن إلى «أبرام» ثم إلى «نسل أبرام» سيؤول «ملك كنعان» فإنما؛

«فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلا:

لنسلك أعطى هذه الأرض!

من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات!..»(١)

هذا هو النص الدينى الذى يعتبر الأساس لمطالبة اليهود بفلسطين. وهذا هو النص الذى يمثل السند الوحيد لأطماع صهاينة اليوم فى مد«دولتهم» التى افتعلوها من مادة نفس هذا النص كيما تشمل كل هذه الحدود!

وهنا..

هنا لنا كلمة لانلقيها إلى هذا المؤلف وإنما إلى من اتّخذوا من هذا المؤلف مرجعاً.. نلقيها إلى صهاينة اليوم ويهود اليوم ونسألهم قائلين؛

ألا ترون أن مؤلفكم قد أخطأ وأنه إلى ماقد ارتكب من خطأ لم يفطن إذ جعل مكان هذا«الوعد» رحاب المنام؟..

ألا ترون أن مؤلفكم قد كلّ منه التفكير وأن منه قد تبلبل البال وأن أمامه قد اختلطت الأحداث فخلط حتى أنه مـن حيث أراد لدعوته تدعيما انهـال عليها بمعـاول الهـدم؟..

كيف؟!..

كيف، وليس إلاّ فى المنام جاء«الوعد» بإعطاء «نسل أبرام» كل «أرض كنعان» ؟.. كيف وليس إلاّ فى المنام امتدت رقعة هذه«الأرض الموعودة» من نهر مصر إلى نهر الفرات؟!

يقيناً!. يقيناً، ليس إلاّ من نسج عالم الأحلام، فى خـلال غفوة أرخت من هذا

(١) الإصحاح ١٥ سفر التكوين.

المؤلف اليهوذى الجفنين، حيكت«الأرض الموعودة» على رقعة امتدت مـن الفـرات إلى النيل!..

والآن..

الآن وليس إلاّ فى عالم المنام اتّسعت رقعة«الأرض الموعودة» هذا الاتساع الذى نسجه الحلم بأوسع مداه نجد أنه حتما علينا، ونحن قد وضعنا يدنا على خيوط النسيج الذى حيكت منه هذه«العقيدة» وتبينا مدتها وأدركنا ماهيتها، أن نسلط أضواء«علم النفس» على من يتخذون من هذه النصوص حجّة يحاجون بها العالم على أن لهم قد منُحت كل الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل!..

ومن ثمّ..

ليس أمامنا إلاّ الاغتراف من ينبوع الصبر بينما الفكرُ منّا يتبع هذا المؤلف وهو يراه يسرع، بعد أن سطر سيرة هذا«الميثاق»، فينقل خيام أبرام إلى حيث«بلوطات ممرا» العمورى ليجعله بذلك يقطع مع العموريين عهد محالفة، كان نفس هذا المؤلف قد مهد له بما ضاعفه لأبرام فى هذه الفترة الزمنية من مكانة بين ملوك القبائل الكنعانية وبما ضاعفه من حوله من عدد الجنود المتمرنين على حمل السلاح بينما راحت صورة تلك«الرؤيا» تزداد وضوحاً فى جبهة هذا المؤلف اليهوذى وتصوّر «أبرام» وقد غدا له من الشأن مالهؤلاء الملوك الكنعانيين من عزّة ومن شأن وليس هذا فحسب وإنما تصوره وقد أفرغت فـى يـده قـوة ستطوى سلطان كل هـؤلاء الملوك بقبضة استمـدت قدرتها مـن ذلك«الميثاق» الذى كانت العجلة والعنزة والكبش والحمامة واليمامة علامـات علـى أن «أرض كنعـان» وكل الرقـاع مـن الفـرات إلـى النيل قد غدت ملكا «لنسل أبرام» !..

ولكن!.

أين«نسل أبرام» ؟!.

كبوة أخرى يقع فيها مؤلف«سفْر التكوين» إذ هو فى نفس الوقت الذى كتب فيه هذه النصوص، التى تقول بأن الوعد بامتلاك «أرض كنعان» وسائر الأراضى الممتدة من الفرات إلى النيل قد اختص «نسل أبرام»، راح يذكر بأن«أبرام» الذى شارف مشارف ست وثمانين سنة من العمر كان عند تلقّى هذا«الوعد» لانسل له!.

لاجدال فى أن مؤلف «سفْر التكوين» قد تسرع بمنح هذا«الوعد» للنسل قبل أن يكون هناك نسل.. بيد أنه سرعان مااستدرك موقفه فأسرع قلمه يسطر بأن عند ذاك قد تمخض الزمن عن؛

«مولد إسماعيل»

عبر الإصحاح السادس عشر من«سفره» يطلع علينا هذا المؤلف اليهوذى بتلك القصة التى تحدثنا عن هذا الميلاد حديثاً نلمح من ثناياه تمكّن جذور«فكرة الأرض الموعودة» فى تفكير هذا المؤلف واطراد نموها باطراد نمو إسماعيل على مدارج الأيام عبر الثلاث عشرة سنة التى جعل هذا المؤلف اليهوذى اسماعيل يعيشها فى بيت أبيه والتى نرى، من خلالها، تسلسل فكرة«الأرض الموعودة» فى نفس هذا المؤلف وانسلالها من حيز الأمل واقتحامها عالم الواقع.. فلقد أخذت تتسارع من مؤلف «سفر التكوين» الأنفاس وتتلاحق قائلة بأن «الرب» قد كفّ عن الظهور فى «الرؤيا» خلال المنام وعاد إلى الظهور فى «الرؤية» خلال النهار.. فلقد «تراءى الرب» وعلى«أبرام» أملى؛

"العهد"

لقد؛

«ظهر الرب» لأبرام وقال له..

أنا الله القدير سر أمامى وكن كاملا.(١)

فاجعل عهدى بينى وبينك..».

من «الميثاق» إلى «العهد» خرج «الوعد» دلالة على أن فكرة «الأرض الموعودة» قد بلغت فى مخيلة هذا المؤلف اليهوذى دورها العملى مما ندخل به إلى طور جديد فى تاريخ هذه«الفكرة».. فالمؤلف اليهوذى يحدثنا بأن «أبرام» قد أرهف السمع إلى هذا«الرب» الذى ظهر له ناسباً إلى نفسه الألوهية وكلمه قائلا؛

«أمّا أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يُدعى اسمك بعد أبرام بل يكون

(١) الإصحاح ١١٢ سفر التكوين.

إبراهيم!

لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً. وملوك منك يخرجون...

وأُقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك

عهداًأبدياً!..

وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك!..

كل أرض كنعان ملكاً أبدياً!..»[1]

والآن...

لقد علمنا أن «الميثاق» قد قطع بعجلة وعنزة وكبش ويمامة وحمامة واتخذ صورته الرسمية بإراقة دم بعض الحيوان وشق أجسامها من النصف شقاً. وأما الآن وهذه النصوص تذكر بأن «الرب» قد ظهر لمن بأبوته لإسماعيل تحوّل اسمه من أبرام إلى إبراهيم وأنه قد كلمه قائلا بأن له سيُعطى، ولنسله من بعده، كل «أرض كنعان» ملكا أبديًا إذا التزم بهذا «العهد» .. فما هو هذا«العهد» ؟..

صريحاً يأتى إلينا من هذا المؤلف اليهوذى الجواب يقول؛

إن «العهد» لم يتخذ ماقد اتخذه «الميثاق» من صورة.. كلا، لا حمامة ولايمامة ولاعجلة ولاعنزة ولاكبش وإنما .. إنما«العهد» قد اتخذ هذه الصورة؛

«.. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك؛

يختن منكم كل ذكر.

فتختتنون فى لحم غرلتكم.

فتكون علامة عهد بينى وبينكم فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبدياً!.[1]

ويُنفذ المؤلف اليهوذى«العهد» فوراً فيقول؛

(١) الإصحاح ١٧ سفر التكوين.

«فأخذ إبراهيم إسماعيلَ ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضّته كل ذَكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم. فى ذلك اليوم عينه. كما كلمه الله!..»[1]

و؛

«كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن فى لحم غرلته.[2]»

هذا هو«العهد» الذى كان القيام بأدائه هو العلامة التى وضعها مؤلف«سفْر التكوين» على منح إبراهيم، و«نسل إبراهيم» سائر أراضى «الأرض الموعودة» والرقاعَ الممتدة من الفرات إلى النيل!..

وفى الواقع أن «الختان» قد عرف كشعيرة ضرورية خلال العصور التاريخية للشرق القديم بل ومنذ عصور ماقبل التاريخ وخاصة فى مصر القديمة حتى أن الجندى المصرى القديم كان يقطع عضو التذكير عند أى أسير فى الحرب لم يختن لأنه كان يعد نجسا ولأن القيام به كان يعد علامة على النظافة والتطهير والطهارة.. وهذه الكلمة الأخيرة هى التى تطلق على هذ العملية، حتى الآن، فى مصر الحديثة.. ولكن الختان لم يعرف، قط، على هذا النحو الذى يصوّره مؤلف«سفر التكوين» الذى يقول بأن بهذه العلامة فى اللحم وفى هذا الموضع من الجسم قد أصبح «العهد القدسى» مبرماً على منح إبراهيم كل هذه الرقاع وعلى أن مآل هذا الملك الوشيك التحقيق، حتما، سيؤول إلى نسل إبراهيم..

ولكن!.

هنا يتلفّت مؤلف «سفر التكوين» فلا يرى أمامه،حتى هذه النصوص التى سطرها، غير إسماعيل. بينما هو يريد أن يُحوِّل هذا«الوعد» إلى إسحاق كيما يصل به إلى «بيت يهوذا» ويحصره فى اليهوذيين. فكيف يتخلص من إسماعيل ويخلص إلى إسحاق فيذكر مولده وانتقال «الوعد» إليه؟.

هنا تنتفس سطور«سفر التكوين» عن حدث جديد يُحوِّل مجرى التاريخ العبرى من ناحية إلى ناحية أخرى وإلى «ساراى» يجعل مؤلف«سفر التكوين» تعود منه الأسباب.. فإلى «اراى» التى كانت، تبعاً لتقليد بابلىٍّ، قد وهبت جاريتها المصرية«هاجر» لإبراهيم ،

(١) الإصحاح ١٧ سفر التكوين.
(٢) الإصحاح ١٧ سفر التكوين.

كيما يستولدها نسلا، فولدت له إسماعيل يلتفت مؤلف «سفر التكوين» فيتخذ منها مادة لقصة يُصور لنا بها «ساراى» ترى أن ماقد آل إلى إبراهيم بسببها مر. مال ماتكوّنت إلا به فكرة امتلاك «أرض كنعان» سيؤول إلى ولد أنسله إبراهيم من جارية لها في نفس الوقت الذى أبى فيه هذا المؤلف اليهودى الاعتراف بإمكان حدوث «معجزة» تجىء إلى «ساراى» بولد.. ومن ثمّ راح يمهّد لفرية على «ساراى» لم يجد مادة لها إلا «لوطا» و«ابنتيه»!.

وهنا شمّر مؤلف «سفر التكوين» عن ساعديه وتناول قلمه وراح يخوض في الحديث خوضاً غير رصين فقال بأن عندما فرّ لوط بابنتيه من ذاك الحمم السبركانى الذى أصاب «سدوم» و«عمورية» وأمات من كان فيهما عقابا على تفريطهم بالقيم الأخلاقية حدث أن:

«صعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه.. وقالت البكر للصغيرة:

أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا كعادة أهل الأرض. هلمّ نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا.

فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة.

ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة:

إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى، نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى فاضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا..

فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً.

وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها!.

فحبلت ابنتا لوط من أبيهما!

فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مُوآب..

والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمّى».[1]

أفّ!.

حقاً لقد تمادى هذا المؤلف اليهودى وبلغ فى تماديه غاية المدى..

(١) الإصحاح ١٦ سفر التكوين.

وكأنما لم يكن للوط أن يأتي بنسل لولا هذا «الاستبضاع» الذى اتخذ مكانه ليلا وفى مغارة وإليه كان قد مهّد الخمر الذى سقى وتساقى فجعل لوطاً يزنى.. وبِمَنْ؟!.

بابنتيه!!

أية فرية أشدّ فداحة من هذه الفرية التى جاء بها هذا المؤلف اليهوذى وهو يجعل «موآب» ، ومعناه من الأب، الثمرة الأولى لهذا الاستبضاع كما يجعل «بن عمّى» ، ومعناه من الأب، الثمرة الأخرى. .. فجعل بذلك «الموآبيين» و«العمونيين» ثماراً لهذا الاستبضاع الذى لايسجله«الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى إلا وبنفس الأنفاس تسترسل الأنفاس من هذا المؤلف تحدثنا بأن بعد هذا الحدث، مباشرة، يمّم إبراهيم وجهه شطر الجنوب مستصحباً «سارة» حيث بين «قادش» و«شور» فى «أرض جرار» أقاما.. وأما أى مرمى يستهدفه هذا المؤلف اليهوذى من وراء هذا القول فهو بالطبع ليس إلاّ غاية هى هذه التى تفصح عنها نصوصه التى يسترسل بها قائلا إن هناك.. فى أرض جرار؛

«قال إبراهيم عن سارة امرأته؛ هى أختى

فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة!.» (١)

لماذا؟!

لقد كان هدف هذا المؤلف اليهوذى، من قبل، استهداف المال يوم قال بأن إبراهيم قد استصحب «ساراى» إلى ملك مصر وأمّا اليوم فما هو الهدف الذى يستهدفه هذا المؤلف من وراء هذه الرحلة إلى مَلِك جرار والمال الوفير كان، كان كما يقول، لإبراهيم قد توفر؟..

غير صامتة، أمام هذا السؤال، النصوصُ التى دبجها يراع مؤلف هذا«السفْر» الأول من أسفار «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى.. وإنما هى، فى سخاء تسترسل لتحدثنا كيف جاء إلى ملك جرار من أعلمه، عن طريق المنام، بأن؛

«المرأة التى أخذتها.. متزوجة ببعل!» .(٢)

كرة أخرى تمادىً مؤلف «سفر التكوين» وبلغ من تماديه المدى وعند هذا القول لم يكف وكأنما هو لم يكتف بمَا قد بذله من ابتذال حتى يغمس قلمه بمداد سقيم

(١) الإصحاح ٢٠ سفر التكوين.

(٢)الإصحاح ٢٠«سفر التكوين».

التركيب فينهي روايته هذه المفتراة قائلا؛ إن عند ذاك دَعا ملك جرار إليه إبراهيم يستوضحه الحقيقة وأن إبراهيم قد أجاب ملك جرار قائلا؛

«بالحقيقة!. هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي».(١)

ولكن.. «حدث لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها، هذا معروفك الذى تصنيعه إلي؛ في كل مكان تأتي إليه قولي عني هو أخي!».(٢)

وفي الحقيقة أننا إذ أخذنا بأقوال هذا«الكتاب المقدس» للدين اليهوديّ الحالي لوجدنا أن سارة كانت أختاً لإبراهيم غير شقيقة. وأمّا أنه قد اتّخذها زوجاً فليس هذا إلا عملا بتقليد بابلي قديم كان عند بعض الطوائف من أهالي بلاد مابين النهرين متّبعاً. وأما إذا تساءلنا لماذا كانت الرحلة إلى ملك جرار؟.. فإن الجواب يأتي إلينا من هذا المؤلف يقول؛ إن هذه الرحلة قد :أتت بثمارها.. فلقد أبى ملك جرار إلا أن يكون صنعه كصنع ملك مصر في العطاء وكما، من قبل، شيّع ملك مصر سارةَ وإبراهيم بالفضة والذهب والغنم والبقر والإماء والعبيد، صنع ملك جرار نفس الصنع؛

«فأخذ أبيمالك غنما وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاها لإبراهيم وردّ إليه سارة!».(٣)

ثم؛

«قال لسارة؛ إني قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة هو لك عطاء!»(٤)

ثمّ.. ثمّ إن هذه الرحلة إلى ملك جرار قد أتت بما لم تأت به الرحلة إلى مصر.. فليس إلا بعد هذه الرحلة، مباشرة، حدث أن؛

«افتقد الربُ سارةَ..

فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً»(٥)

تحت هذا اللون من الميلاد تسجل سطور«الكتاب المقدس» للدين اليهودي الحالي؛

«مولد إسحاق»

---

(١) الإصحاح ٢٠ «سفر التكوين».
(٢) الإصحاح ٢٠ «سفر التكوين».
(٣) الإصحاح ٢٠ «سفر التكوين».
(٤) الإصحاح ٢٠ «سفر التكوين».
(٥) الإصحاح ٢٠ «سفر التكوين».

ولكن!.

هذا المؤلف اليهوذى الذى كان قد قصر «الوعد»، بادىء ذى بدء، على «نسل أبرام» قد عاد من غفوته وعاوده التنبه!. تنبه، لا إلى ماقد اقترف من فُحش فى القول وهو يقول بأن بعد هذه الرحلة إلى ملك جرار أتت سارة، مباشرة، بإسحاق وإنما إلى ماقد ارتكب من خطأ بهذا القول الذى يبطل حجة كل من ينتمى إلى إسحاق فى المطالبة بهذا «الوعد» الذى جعله مقصوراً على «نسل أبرام». ومن ثمّ راح، فى استدراك لموقفه، يسطر بأن سارة قد خرجت من عند«ملك جرار» ولم يكن« .. قد اقترب إليها».

والآن.. الآن يستطيع مؤلف«سفر التكوين» تحويل« الوعد» بهذه «الأرض الموعودة» من مجرى إلى مجرى آخر يطابق منه المأرب ويوافق من هواه السياسى الهوى.. وأسرع فشمّر عن ساعده ومن مداد الافتراءات غمس من جديد قلمه وأجراه قائلا؛ بأن «الربّ» قد كلّم مرة أخرى إبراهيم وقال، إن كل هذه «الأرض» الفياضة باللبن والعسل والدفاقة بالخير والفواحة بعبق الثراء ستكون وقفاً على «ابن سارة»؛

«إسحاق»

وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً ولنسله من بعده!.(١)

وإسماعيل ؟!.

« .. وأما إسماعيل فقد جعلت لك فيه. ها أنا اباركه وأثمره كثيراً جداً..

ولكن! عهدى أقيمه مع إسحاق!.»(٢)

وهنا. هنا يسترسل مؤلف «سفر التكوين» وراء شطحات خياله ويرتشف من ينبوع الروايات الرواية بعد الرواية ثم يعود إلينا ليحدثنا كيف بدأ الاحتكاك العائلى فى« بيت إبراهيم» بين سارة وبين هاجر بسبب إسماعيل وإسحاق.. هذا الاحتكاك الذى مااتّسع مداه إلا وأرغم إبراهيم، آخر الأمر، على إنجاز رغبة سارة فطرد هاجر من بيته وإسماعيل تحت جناحها إلى الصحراء العربية الواقعة وراء«أرض كنعان» والملأى بعدد هائل من القبائل من العرب المقيمة ومن الأعراب الرّحل والعائدة بأبوتها، إلى«يقطان»أو «قحطان» والمرتقية بنسبها، أيضاً، إلى«سام»..

---

(١) الإصحاح ١٧ «سفر التكوين».

(٢)) الإصحاح ١٧ «سفر التكوين».

وهناك.. هناك نُسدل الستار التاريخي على إسماعيل ولانقف في هذا الصدد إلاّ عند قول هذا المؤلف اليهوذى الذى يصر على أن إسماعيل قد«سكن برية فاران» .

«فاران؟..»

إن «فاران» جبل قائم على حدّ برية سيناء الشماليّ ويبعد عن «مكة» نحو خمسمائة ميل. فإنما فاران بقعة متاخمة للرامة حتى أننا لنستطيع أن نحدد هذه البقعة تحديداً واضحاً فنقول؛ إن سيناء وسعير وفاران ثلاثة جبال متجاورة وقائمة فى شبه جزيرة سيناء.. ومن هنا نستطيع أن نقول إن كثيراً من الأقلام قد خلطت بين فاران وبين مكة أو أرض الحجاز بينما أن الواقع الجغرافى غير ذلك لأن فاران غير الحجاز. وأما وهذا المؤلف اليهوذى يقف بإسماعيل عند سكناه «برية فاران» ولايحدثنا عن أنه بعد سكناه فاران قد غادرها إلى أعماق الصحارى حيث تناوله التاريخ العربى من التاريخ العبرى فليس هذا بموضوع بحثنا الآن طالما أن المحور من هذا البحث هو عقيدة«الأرض الموعودة» التى نراها قد بدأت تنتقل بيد هذا المؤلف اليهوذى من جبهة إبراهيم إلى جبهة إسحاق!..

وأمّا كيف سينتقل هذا المؤلف بهذه العقيدة من جبهة إلى جبهة وأمّا كيف سيبلورها فى هذه الجبهة الأخرى؟ فليس إلا عن طريق استمداده من خياله المدد وتمهيده لها برواية أخرى لا نرانا نبدأ فى الإصغاء إليها إلا ونراه قد عرج بنا ناحية إبراهيم ليحدثنا عنه قائلا بأن إبراهيم قد غدا مرير النفس بعد فراق إسماعيل.. فلقد فرت أوجاع الوحشة منه الفؤاد وأصابت مواجعها منه المهجة بطعنات ووخزات.. وأنه بقدر ماعمقت به الأحزان عمق به المضض من صحبة سارة وإسحاق .. ومن ثمّ ولىّ وجهه عن «أرض كنعان» ووحيداً واصل، وحده، الترحال إلى حيث؛

«تغرّب إبراهيم فى أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة!.»(١)

إننا إذا صدّقنا هذه النصوص لقلنا؛ يقيناً لقد كان حتما أن يعصف، لفراق إسماعيل، الأسى بقلب إبراهيم ويجعله يأفق فى الآفاق بعيداً عن أرضٍ كان يمرح عليها إسماعيل.. كما كان من الطبيعى أن تمرّ على إبراهيم الأيام حيث نأى وتغرب، لحوالى خمسة عشر عاماً، مريرة قاسية وأن تدفعه إلى استعراض ماقد مرّ من أحداث منذ فارق بلاد مابين النهرين حتى الرحلة إلى«أرض جرار» .. أحداث، ماكانت لتحدث لولا مولد

(١) الإصحاح ٢١ سفر التكوين».

إسحاق ولولا مولد اسحاق لما كان قد أصاب إسماعيل ماقد أصابه من هذا التشتت والتشتيت!..

وهنا.. هنا يحدثنا مؤلف «سِفْر التكوين» بأن إبراهيم قد هبّ عائداً إلى دياره قاصداً داره..

ولكن... هنا يطلع علينا هذا المؤلف اليهودى بحدَث جديد أهمل فيه التحدث عن حرارة اللقاء بين شيخ وبين صبى كان عند ذاك قد بلغ الخامسة عشرة من العمر بينما راح يحدثنا بأن إبراهيم أخذ إسحاق وبه،

«ذهب إلى أرض المُرْيا..»(١)

وفى «أرض المريْا» ؛

«بنى هناك إبراهيم مذبحاً وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب.

ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه!»(٢).

هذا مادبجه يراع هذا المؤلف اليهوذى من رواية نحن فى غنى عن مناقشتها من حيث الحقيقة أو سواها وإن كان لايسعنا إلا أن نطرق أمامها للحظات مفكرين فيها بينما يطوف بالخاطر منّا هذا السؤال؛

تحت ضغط أى العوامل النفسية ناول مؤلف «سِفر التكوين» إبراهيم السكين ليذبح إسحاق؟!..

كلاً، لاجواب يأتى من هذا المؤلف اليهوذى عن هذا السؤال إلا بأن الله، وهو العليم بما فى القلوب، أراد أن يمتحن إبراهيم ليعلم مافى قلبه..

بيْدَ أنّ هنا ينبثق سؤال آخر وهو، لماذا اختار هذا المؤلف اليهوذى «أرض المريا» بالذات بقعةً لرفع هذا القربان البشرى ومكاناً لحرق هذا القربان بعد أن يفصل رأسه عن جسده بالذبح؟!..

الجواب عن هذا السؤال ينحصر فى تاريخ «المريا».

أن «المُرْيا» جبل وفى جبل المُرْيا تقوم؛

«صخرة»

(١) الإصحاح ٢٢ «سفر التكوين».
(٢) الإصحاح ٢٢ «سفر التكوين».

منذ زمن بعيد فى مدى التاريخ حفّت بهذه «الصخرة» قدسية بسببها تقدّس هذا «الجبل» الذى يقول عنه هذا المؤلف اليهوذى بأن «الربّ» قد عيّنه لإبراهيم كيما يذبح عليه إسحاق. ونحن لن نفهم تماماً مصدر القدسية التى حفت بهذا الجبل وبهذه الصخرة مالم نعد إلى العصور التى سبقت مجىء «آباء التوراة» أرضَ كنعان.. ومن هناك، وبالإضافة إلى ماسطره هذا المؤلف اليهوذى من نصوص، يستبين لنا تماماً أن مفهوم الإله «كعليّ» مالك للسماوات والأرض، كان مفهوما واضحا فى العقل الكنعانى من القدم وإن كان قد حل بهذا الإله أرباب.. وإن كان هذا المفهوم كافيا لتكوين نظام كهنوتى متصل بهذا الإله العلى المالك للسموات والأرض وأما قاعدة هذا الكهنوت ومركزه فكانت «يبوس» الأمس و«القدس» اليوم وأمّا المعبد فكان نفس هذه «الصخرة».

وهنا، حتما، يطوف بالخاطر هذا السؤال؛ مالذى جعل لهذه «الصخرة» هذه القدسية دون سائر الصخور؟.

الجواب عن ذلك لاينطوى فى العصر الكنعانى وانما فى العصور السحيقة البعْد السبّاقة على عصر كنعان وفى نفس العقل البشرى نفسه وفى نفس هذه «الصخرة» نفسها. فإن العقل الإنسانى لمّا كان فى العصور البدائية طفلا يمر بمرحلة «الاستحياء الذاتى» وبالتالى لما كانت هذه «الصخرة» ذات سواد متلألئ وكأنّه المرآة مشحونة بقوة تبدو وكأنّما هى قد اختزنت الطاقة منذ أن وجُدت فقد توّهم العقلُ البشرى وهو فى مرحلة طفولته تلك يمرّ أنها حيّة بطريقة عجيبة بها خاصة هى هذه التى بعثت فى نفسه الحيرة أحياناً وأحياناً الجزع وهى هذه التى قذفت فى روعه، كلما حاول أن يضع عليها يده، الروعة إذ كان يتوهّم أنه يفاجأ بارتداد يده بعيداً عنها كلما همّت بأن تتحسّسها منه الراحة!

ثمّ، لمّا كانت الفكرة عن الإله قد مرّت بأطوار تطورية تبعاً لتطور العقل الإنسانى وكانت النتيجة الطبيعية أن عُبد الإله تحت الشتى من الصور كما اتخذت عدة أمكنة لعبادته فمن هنا نعلم أن مدينة «القدس» لم تشذ عن هذه القاعدة عندما كان لها هذا

المعبد فى هذه «الصخرة» .. ومن ثمّ فلا عجب أن تكون هذه«الصخرة» قد هزت العاطفة الدينية من العصر الكنعانى بأعنف الهزات وأن يكون لها فى العقل الكنعانى التأثير الذى كان لها فى العصور البدائية حتى اعتبرها شيئاً ذا قوة قدسية وأن صوته يُسمع فعلا فى بعض الأحايين وأن له إرادة تفهم إذا ماأرهف إليه المسمع.. ومن هنا نمت سلطتها إلى سيطرة امتدت من نسبية محلية متمركزة فى الصخرة نفسها إلى مجال أفسح ولّد المعتقد بأن إله السماء قد اختارها لنفسه سكناً على الأرض. وهذا قبل أن يتطور مفهوم هذه الصخرة، بارتقاء العقل البشرى، إلى مفهوم جديد بالكلية.

هذا هو الطابع القدسىّ الذى كان لهذه«الصخرة» فى العصر الكنعانى ولذلك كانت القرابين تقدم بجانبها كما كانت ترفع عليها المحرقات حتى إننا إذ نقف أمامها اليوم نتأملها وهى غارقة إلى نصفها فى الوسط الغربى من فناء هيكل القدس فى ظلال القبة الهائلة المسماة باسمها فليس إلا لتبدو لنا صحيفة خالدة امتصت مواكب الأحداث التى تتابع مسيرها على صفحة الزمان وكأنما هى بسوادها هذا المتلالىء مرآةٌ تعكس صور الماضى وطقوسه وعباداته بل وكأنما هى آلة سجلت تجاوب الأصوات ورنين الدعوات وأنين الابتهالات وانهمار العبرات وعبارات الطقوس التعبدية التى تتالت عبر العصور فتختلج بها بصمت وتكاد، إذا مامُسّت، أن تكون على أهبة الهمهمة بها حتى أن المخيلة لتتخيّل أن «الصخرة» تريد أن تتكلم وتتحدث بشىء تشعر بأن من واجبها الإفضاء به!.

هذه القدسية التى حفّت بهذه«الصخرة» هى التى راعاها مؤلف «سفر التكوين» حتى أنه لم ير مكاناً أصلح من «جبل المريا» يدفع إليه إبراهيم ليذبح إسحاق بيدٍ لايصورها هذا المؤلف، وهو يجرى قلمه بهذه الترهات، وقد اختلجت وهناً وانفعالا إلا ويكمل روايته قائلا بأن إبراهيم كاد أن يذبح إسحاق لو لم تحل بينه وبين إنفاذ هذا الأمر لمحة خاطفة من تابعين لسارة كانت قد أرسلتهما وراء إبراهيم وإسحاق فأتيا إلى إبراهيم بكبش كان «ممسكا فى الغابة بقرنيه» وعند ذاك اتّجه؛

«.. إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه.

فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع،

يهوه يرأة(١)

وهنا.. هنا، أمام هذا الهراء المبثوث على إبراهيم، عليه السلام، لنا كلمة وهى: أن التضحية بالقرابين البشرية وإحراقها كان، ولاجدال فى ذلك، طقساً دينياً جرت به منذ القدم العادة وخاصة فى بلاد ما بين النهرين فقد كان الأرباب القساة عند البابليين يُغالون فى مطالبهم فيطلبون أحيانا تقديم الضحايا البشرية من القرابين.. ولقد بزّ الرب«أدّاد» الأرباب طراً فى قسوته إذ كان التماس رضائه يستلزم التضحية بالابن البكر وحرق جثمانه وليس إلاّ من هذا المدد البابلى يقدم لنا مؤلف «سِفْر التكوين» هذه الصورة المشوهة عن قصة الذبح.. لا لأنه يجعل إسحاق محوراً لها فحسب وإنما لأنه فى روايته هذه وفى سرده هذا يساوى بها ويماثل قصص الأرباب القساة عند البابليين دون أدنى تفرقة إلى مايوجد من فوارق بين صورة وأخرى. فإن قصة الذبح الخاصة بإبراهيم، عليه السلام، تختلف كل الاختلاف عن قصص الذبح عند أهالى بلاد مابين النهرين كما تتباين تباينا تاماً وهذه الرواية التى يرويها هذا المؤلف اليهوذى من حول إبراهيم وإسحاق..

ثمّ.. ثم، ما هذا الاسم الذى أجراه مؤلف«سِفْر التكوين» على لسان إبراهيم عندما قال إن لحظة ارتداد يده بالسكين عن ذبح إسحاق قد قال؛ «يهوه يرأة» ؟!..

«يهوه؟» .

حقيقة أننا نعلم أن المعنى من هذه الكلمة، يهوه يرأة، هى أن «يهوه» هذا«يرَى» .. ولكن!.. من هو «يهوه» هذا الذى يرى؟.. ومن أين جاء بهذا الاسم مؤلف هذا الجزء من «التوراة» ؟!.

إن هذا الاسم الذى أجراه مؤلف «سفر التكوين» ، زوراً، على لسان إبراهيم ليس إلاّ رجع الصدى لاسم ربّ قديم كانت قد سجلته النصوصُ السامية حفراً على الألواح الصلصالية العائدة بتاريخها إلى ماحول سنة ٢١٠٠ ق.م.. ثمّ هو، بالتالى، لايقتصر على النصوص السامية لبلاد مابين النهرين فإنما هو اسم وجدناه فى مصر القديمة وبالتحديد فى لاهوت«عين شمس» فإن «هوه» ليس فى«تاسوع عين شمس» إلا اسم أحد أولئك الأرباب.. ومن هنا يأتينا الدليل كيف بدأ اسم«يهوه» يتجاوب همساً فى مسمع التاريخ

---

(١) الإصحاح ٢٢ سفر الخروج.

العبرى ولماذا أجرى مؤلف هذا الجزء من «التوراة» على لسان إبراهيم هذا الاسم الذى سيعود فيلفه عن مسمع نسل إسحاق لأجيال وأجيال!..

ولكن.. حتى يدوّى اسم «يهوه» فى مسمع التاريخ الدينى مرة أخرى وحتى يصبح، فيما بعد، عند «بنى إسرائيل» علماً على الربّ الذى وقع عليه اختيارهم ليختارهم لنفسه شعباً نرانا نتبع مؤلف «سفر التكوين» ونتابع الإصغاء إليه.. غير أننا نراه يهب فجأة ونسمعه يقول لقد:

«.. شاخ إبراهيم وتقدّم فى الأيام!».[1]

والآن.. الآن وقد شاخ إبراهيم وتقدّمت به الأيام وكان، حتماً، أن توافيه النهاية الطبيعية لكل كائن حىّ، فليس إلا ليشتد منا الانتباه إلى ما قد اشتمل عليه هذا «السّفْر الأول من أسفار الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى من ترهات مما يجعلنا نتساءل، أغفل مؤلف «سفر التكوين» أم تغافل عن أنه قد سطر نصوصاً فى الإصحاح الثالث عشر من «سفره» تقول بأن «الرب» قد كلم إبراهيم قائلا «جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها!.» أنسى مؤلف هذا «السفر» وهو يتحدث عن وفاة إبراهيم قد ثوى و«الوعد» بتملكيه «أرض كنعان» لم يُوفَّ!

لاجدال فى أن هذا المؤلف وهو يجرى قلمه بهذه الترهات قد نسى ذلك بينما علقت بذهنه تلك الجملة التى وضعها نفسه بين شفتى إبراهيم وادّعى أنها لإسحاق قال:

«الربُّ.. أقسم لى قائلا:
لنسلك أعطى هذه الأرض!.»[2]

بهذا النص الجديد تدخل فكرة «الأرض الموعودة» فى مخيلة هذا المؤلف اليهودى إلى مجال جديد وتتنفس فى هذه المخيلة عن دورها الفعّال إذ مالبث أن تحددت منها المعالم فى جبهة هذا المؤلف تحديداً رسمت خططه ذكرياتُه عن تلك المجاعة التى كانت قد رفت على «أرض كنعان» فى عهد إسحاق نتيجة لذلك القحط الذى أصاب البلاد ودفع بالفلول من الكنعانيين إلى الارتحال صوب الجنوب مستهدفين مصر فراراً من أرض رفّ

(١) الإصحاح ٢٤ «سفر التكوين».
(٢) الإصحاح ٢٤ «سفر التكوين».

عليها جوع مهين إلى واد خصيب رفرف عليه العيش الرهيف حتى بدت«أرض كنعان» ، في مخيلة هذا المؤلف، وكأنما هي من كنعان قد خلت.. وإذن، فَلِمَنْ يترك مؤلف «سفر التكوين» هذه«الأرض» إذا جعل إسحاق لها، الآن، يترك ؟!.. ومن ثَمَّ فليأت بنص جديد يقول بأن لإسحاق، أيضاً قد؛

«ظهر له الربُّ وقال؛ لاتنزل إلى مصر!

اسكن في الأرض التي أقول لك.. لأني لك ولنسلك أُعطي جميع هذه البلاد!

وأفي بالقَسم الذي أقسمت لإبراهيم!..»(١)

وإذن، فقد تذكَّر مؤلف هذا الجزء من «التوراة» أن القَسَم الذي جعله يَرد على لسان إبراهيم لإبراهيم لم يُوف لإبراهيم!. ولكن، ماذا يضير هذا المؤلف اليهودي من أن «يهوه» قد أهمل قسمه ونسي وعده لإبراهيم بينما هو لايُريد أن يصل بهذا«الوعد» إلاَّ إلى «بيت يهوذا» ؟!. من هنا نراه يتحوّل بنا في غير تروّ ناحية إسحاق وكأنما هذا «الوعـــد» لم يكن لإبراهيم وإنما كان لإسحاق!. بل وفي تغافل بلغ أقصى مداه يتمادى هذا المؤلف وإلى مناقضة نفسه بنفسه لايلتفت فيجعل هذا«الوعد» يَرد على لسان إبراهيم لإسحـاق!.

وهنا، لانقول إلاَّ مهلاً!.

لنتمهَّل للحظة ولنجاري، جدلاً، هذا المؤلف في قوله هذا بل ولنصدقه، افتراضاً، في نصوصه هذه حتى لايتبقَّى علينا إلاَّ انتظار اليوم الذي سيفي فيه«الربُّ» بهذا القسم الجديد وهو أنه سيعطي اسحاق«جميع هذه البلاد».

ولكن!.. عبثًا نقلِّب صفحات هذا«السِّفْر» بحثاً عن نصوص فيه تُعلن عن وفاء «الوعد» لإسحاق!..

كلاَّ. لاشيء هناك إلاَّ من نصوص تَتْرَى تكشف الحقيقة من أمر هذا«الوعد» الذي لم يكن في واقعه إلاَّ وعداً سياسياً تابعاً لمآرب السياسة وألعوبة سياسية في يد هذا المؤلف اليهودي تتوارى خلف ستار من قول «ظهر الرب..» و«قال الرب...» و«أقسم الرب..» فإن هذا المؤلف اليهودي منذ اللحظة التي شرع فيها قلمه وبدأ يكتب«سفر التكوين» لم يستهدف من وراء هذه«الوعود» إلاَّ التمهيد لعودة«مملكة داود» .. ومن ثَمَّ كان حتما لهذا

---

(١) الإصحاح ٢٦ «سفر التكوين».

«الوعد» أن يتحوّل في يده من شخص إلى آخر حتى يصل به إلى«ذرية داود».. وأما وأنه قد بدأ به بإبراهيم فلم يكن ذلك إلا حسبما أملته المصالح السياسية كيما يكسب قضيته صبغة شرعية. فهو لايجعل هذا«الوعد» يأتي لإبراهيم، بادىء ذي بدء، إلاّ ليحوله إلى إسحاق ليخرج منه إسماعيل وأبناء إسماعيل وإلاّ ليتخذ من إسحاق وسيلة إلى تحويل هذا«الوعد» إلى يعقوب ليحصره في سلالة إسرائيل حتى يمكنه بعد ذلك من تحويله إلى ذرية داود لينحصر في مملكة الجنوب دون الشمال وتعود«مملكة يهوذا» أو «المملكة اليهودية» إلى الوجود!..

هذا هو الهدف الأخير الذى استهدفه مؤلف «سفر التكوين» من وراء هذه المحاولات المتكررة في صورة انتقال هذا«الوعد» من شخص إلى آخر حتى أمسى اليقين بتحقيقه وقيام«المملكة اليهودية» المرتقبة يقيناً راسخاً في مخيلة هذا المؤلف الذى رأى أنه، وقد نقل هذا «الوعد» إلى إسحاق، قد آن الأوان يضع أسس هذه«المملكة» بأن يضفي على هذا«الوعد» صفة رسمية لن يخلعها على إسحاق وإنما سيجعل إسحاق يخلعها على يعقوب..

ولكن!.. هنا تعترض هذا المؤلف عقبات فكيف يمكن له أن يتخطاها؟!.. كيف سيمكن لهذا المؤلف اليهوذى أن ينحى«عيسو» وهو الابن الأكبر لإسحاق ويمنح«جميع هذه البلاد» إلى يعقوب ويعقوب هو الابن الأصغر والولاية لاتُعهد إلا للابن الأكبر؟!.. وأطرق هذا المؤلف ثم شمّر عن ساعديه وأجرى قلمه يحدثنا بهذه الرواية:

«حدث لما شاخ إسحاق وكلّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له:

يابنى.. إننى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى فالآن خذ عدتك، جعبتك وقوسك، واخرج إلى البرية وتصيّدلى صيداً. واصنع لى أطعمة كما أحب وائتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت.

وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه.

فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيداً ليأتى به. وأمّا رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة:

إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخـاك قائلاً: ائتنـي بصيـد واصنع لـي أطعمة لآكل وأُباركك أمـام الـرب قبـل وفاتي. فالآن يا بني اسمع لقولي في ماأنا آمرك به. اذهب إلـى الغنم وخُذ لـي مـن هنـاك جديين جيدين مـن المعـزى. فأصنعهما أطعمـة لأبيـك كمـا يحب. فتحضـرها إلى أبيـك ليـأكل حتـى يبـاركك قبـل وفـاته.

فقال يعقوب لرفقة أمه: هو ذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس. ربما يجسّني أبي فأكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة لابركة.

فقالت له أمه: لعنتك عليَّ يابني. اسمع لقولي فقط واذهب خُذ لي. فذهب وأخذ وأحضر لأمّه. فصنعت أمّه أطعمة كما كان أبوه يحب. وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التـي كانت عندها فـي البيت وألبست ابنها الأصغر. وألبست يديـه وملاسة عنقه جلود جَدْيي المعزى، وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقـوب ابنها.

فدخل إلى أبيه وقال: ياأبي!

فقال: ها أنذا، من أنت يابني؟

فقال لأبيه، أنا عيسو بكرك، قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكُل من صيدي لكي تباركني نفسك.

فقال إسحاق لابنه، ماهذا الذي أسرعت لتجد يا ابني!

فقال، إن الربَّ إلهك قد يسّر لي.

فقال إسحاق ليعقوب، تقدم لأُجسّك يابني أأنت هو ابني عيسو أم لا؟

فتقدّم يعقوب إلى إسحاق أبيه. فجسّه وقال، الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو!.

ولم يعرفه، لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه، فباركه.

وقال: هل أنت هو ابني عيسو؟

فقال: أنا هو!

فقال: قدّم لي لآكل من صيد ابني حتى تُباركك نفسي؛

فقدّم له فأكل وأحضر له خمراً فشرب.

فقال له إسحاق أبوه، تقدّم!... فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر. ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل.

«*وكن سيداً لإخوتك*»!(١).

لاجدال في أن هذه النصوص لاتحمل فى الظاهر ماتشتمل عليه في الواقع.. لاتحمل في الظاهر إلاّ الدليل على مخيلة سقيمة انحصرت قدرتها فى خلق روايات وهمية يستعصى على أى عقل تجاوز مرحلة الطفولة الباكرة تصديقها بأية حال!.. ولكن، الواقع يختلف عن هذا الظاهر اختلافاً كلياً!. فإن هذه«البركة»، التى أبت طبيعة هذا المؤلف عليه إلا أن يجعل يعقوب يختلسها اختلاساً، لاتُمثّل مباركة أب لابن وإنما هى شيء آخر طبع هذا«الوعد» بأخطر طابع. فإن هذه«البركة» لاتمثل فى مخيلة هذا المؤلف اليهودى إلا تحوُّل الفكرة عن«الأرض الموعودة» من المِلْك إلى المُلْك!

لاجدال فى أن مؤلف«سفر التكوين» إذ يختصُّ يعقوب بهذه «البركة» فإنما معنى ذلك أنه قد اختصه بأمر لن نتبيّنه تماماً إلا تحت ضوء التاريخ السياسى اليهودى المترع بالمعاني والرموز.. فإن هذه«البركة» ليست فى مضمونها إلاّ«البيعة» وإلاّ«العهد» الذى يمنح لِمنْ يختار ولياً للحكم!.

أوشَكٌّ؟!...

إذن فلنصغ إلى هذا المؤلف اليهودى وهو يُكمل روايته هذه قائلاً؛

وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن إسحاق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده. فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه، ليقم أبى ويأكل من صيد ابنه حتى تباركنى نفسك.

فقال له إسحاق أبوه، من أنت؟

فقال له؛ أنا ابنك بكرك عيسو!

فارتعد اسحاق ارتعاداً عظيما جداً وقال، فمن هو الذى... باركته؟

فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومُرّة جداً. وقال لأبيه؛ باركنى أنا أيضاًياأبى.

---

(١) الإصحاح ٢٧ سفر التكوين.

فقال؛ قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك!..

إنى قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً!.»(١)

ومن ثمَّ فيقيناً إن هذه«البركة» لم تكن إلا «البيعة» وإلاّ«العهد» وإلا الدليل على أن الفكرة عن «الأرض الموعودة» قد حولها هذا المؤلف اليهوذى فى جبين إسحاق، وهو وشيك الاحتضار، من امتلاك أرض يرثها الأبناء إلى مُلْك فى هذه الأرض وإلى توارث هذا المُلْك ببيعة وبعهد اتّخذتا اسم «البركة»! وإن كانَ هذا الملك يظل، فى بعض الأحايين، مستتراً ويعطى تحت ظل الخفاء ببيعة خفية ويُتوارث تحت اسم «البركة»..

من صدور التاريخ السياسى اليهوذى تتنفس هذه الحقيقة ومن صدر «مصدر العقيدة» نفسه للدين اليهودى الحالى تطلع علينا واضحة جلية ونحن نرقب يد هذا المؤلف اليهوذى وهى تسجِّل شطحات خياله وتصوِّر لنا تحركات يعقوب فى «أرض كنعان» لنزداد يقيناً بأن الفكرة عن «الأرض الموعودة» لم تعد فى ذهن هذا المؤلف إلاّ مادة توريث ومجال توارث وإنها قد اصطبغت بصبغة الملك الشرعى الذى يتحين الحين المناسب للظهور.. فنحن إذا نتبع النصوص وهى تصوِّر لنا تحركات يعقوب تاركا «بئر سبع» إلى «حاران» فليس إلا لنتبين الأثر الذى تركته هذه «البركة».. كما إلى ذلك يرشدنا نفس هذا المؤلف الذى يجعل يعقوب يطلع على من حوله قائلا بأنه قد؛

«رأى حلماً وإذا سلَّم منصوبة على الأرض ورأسها يمسّ السماء .. وهو ذا الربّ واقف عليها فقال؛

أنا الربّ إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق!

الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك!..

وتمتد غرباً وشرقاً وشمالا وجنوباً..

لاأتركك حتى أفعل ماكلمتك به!..»(٢)

والآن؟..

لاجدال فى أنه وفقاً لهـذ ه النصوص التى سجلها هـذا المؤلّف اليهـودى علـى نفسه

(١) الإصحاح ٢٧ سفر التكوين.

(٢) الإصحاح ٢٨ سفر التكوين.

يغدو«الوعد» بامتلاك «أرض كنعان» بمُلك يقوم فيها ليعقوب وعداً وشيك التحقيق بدليل المقطع الأخير وهو«لا أتركك حتى أفعل ماكلمتك به».

ولكن..!

هاهى فى مدار الزمن قد دارت الأيام وطوت هذا «الوعد» الذى اختص مؤلف «سفر التكوين» به يعقوب، فى طيات النسيان! فلقد ظلت كنعان فى«أرض كنعان» صاحبة السلطان وفى هذا كما يحمل الدليل القاطع على أن هذه النصوص لم تكن إلا محض هراء سطرها يراع كاتب هو وإن كان قد استغرقه استعراض مجريات الأحداث السياسية فى عهد يعقوب على «أرض كنعان» فإنما هو قد رآها معكوسة الأوضاع.. فنحن إذا استعرضنا التاريخ السياسى للشرق الأوسط القديم عامّة وسلّطنا أضواء البحث على «أرض كنعان» خاصّة خلال هذه الفترة الزمنية فيما بين مغرب القرن الثامن عشر ومشرق السابع عشر ق.م، وهى الفترة التى عاش فى خلالها يعقوب طاوياً منها مرحلة مشحونة بخطير الأحداث من حياة كنعان لارتباطها بحياة مصر القديمة فى تلك الفترة التى نعرفها فى التاريخ المصرى القديم تحت اسم «الوعد» ليعقوب من حيث حصر هذا «الوعد» فى «أرض كنعان» وإن كان للجملة المشار إليها معناها فى تقديرات مؤلف هذا «السفر» لأن حياة يعقوب، خلال العصر الهكسوسى، كانت بالفعل قد اتخذت الجديد من المعالم وغدت غيرها من ذى قبل لا لأنه قد أنسل من الأبناء اثنا عشر هم «الأسباط» وبذلك غدا شأنه شأن الآباء القبليين من كنعان فى كثرة الولد ولا لأنه قد أمسى طائل الثراء وإنما لأن التيار الزمنيّ كان يدفعه ناحية الجنوب حيث كان أحد أبنائه قد تقلد منصباً مرموقاً فى الدولة الهكسوسية ولأنه ليس إلا فى خضم هذه الفترة العارمة بالجديد من التغيرات كان يعقوب قد خلع عن نفسه اسمه القديم وخلع على نفسه اسماً جديداً هو هذا الذى كون:



المهد التاريخى لمولد إسرائيل

يقينا، ليس إلا عندما استبدل يعقوب اسمه هذا بإسرائيل طالع الزمن مطلع اسم إسرائيل على التاريخ. وإذا كان اسم «إسرائيل» ليس إلا كلمة عبرية تتكون من مقطعين الأول «إسر» بمعنى عبد والآخر «إيل» بمعنى الله فيكون معنى «إسرائيل» عبدالله إلاَّ أن المدلول من المعانى الذى يحمله هذا الاسم يهمنا فى هذا الصدد إلى جانب الشيء الاخر الذى يهمنا أيضاً وهو السبب الذى أدّى إلى هذا الاستبدال فى الاسم ثم الأثر الذى ترتب على هذا الاستبدال.

فأما عن السبب فإن مؤلف «سفر التكوين» يحدثنا برواية لايسعنا، بعد سماعها، إلا «الاستغفار».. وكيف يمكننا ألا نستغفر وهذا المؤلف اليهوذى يحدثنا قائلا؛ إن الله قد ظهر ليعقوب متجسداً فى صورة إنسان وصارعه حتى مطلع الفجر فلما غلبه يعقــوب خلع عليه الله هذا الاسم الجديد.. ولنصغ معاً إلى هذا المؤلف اليهوذى وهو يحدثنا قائلا؛

«فى تلك الليلة.. بقى يعقوب وحده. وصارعه إنسانٌ حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حُقّ فخذه فانخلع حقّ فخذ يعقوب فى مصارعته معه. وقال: أطلقنى لأنه قد طلع الفجر! فقال؛ لا أُطلقك إن لم تباركنى. فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب.

فقال: لايُدْعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل! لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت!.

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا: لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجّيت نفسى!.»(١)

أوَشكٌ؟.

لقد؛

«ظهر الله ليعقوب حين جاء من فدّان أرام وباركه وقال له الله: اسمك يعقوب لايُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون إسرائيل! فدعا اسمه، إسرائيل.

(١) الإصحاح ٣٣ سفر التكوين.

وقال له الله: أنا الله القدير أثمر وأكثر أمة وجماعة تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك. والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أُعطيها.

ولنسلك من بعدك أعطي الأرض

ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه!.»(١)

هذه هي رواية هذا المؤلف اليهودي عن السبب في استبدال اسم يعقوب باسم إسرائيل وهي رواية، وليس في ذلك ثمت شكٌ، من عمل مخيلة صريعة التخيلات أبت إلا أن تتمادى في شططها فراحت تتخيل صورة لما يمكن أن يحدث لبعض المصارعين بعد انتهاء شوط المصارعة في كل مباراة!.. فهاهو ذا مؤلف «سفر التكوين» يحدثنا بأن يعقوب، أو بالأحرى إسرائيل قد أصيب في فخذه، بعد هذه المصارعة التي استغرقت ليلة بطولها تمكن في نهايتها من الانتصار على ربه، حتى أنه قد؛

«عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه. ولذلك لايأكل بنو إسرائيل عرق النّسا الذي على حق الفخذ.. لأنه ضَربَ حُقّ فخذ يعقوب على عرق النّسا!.». (٢)

يقينا إنها لتراهات! ويقينا إنه لهراء! ويقينا إنها لفرية مبثوثة على موسى، عليه السلام، إنما هذا الجزء من هذه«التوراة»!

ولكن.. الآن، وقد علمنا من سطور«مصدر العقيدة» للدين اليهودي الحالي السبب في استبدال اسم يعقوب إلى إسرائيل، نتّجه إلى الأثر الذي تركه اسم «إسرائيل» في مجرى الزمن غداة غدا أبناء يعقوب، ويعقوب نفسه قد غدا يسمى إسرائيل، يُعرفون بأبناء إسرائيل وليغدو هذا الاسم، من بعد نعتا ألصق بسلالة هؤلاء الأبناء الاثنى عشر،وهذه السلالة هي التي تكونت بدورها إلى «بيوت» غدت تُعرف ببيوت إسرائيل.

هذا هو المهد التاريخي وهكذا بدأ مطلع«أبناء إسرائيل» و«جماعة إسرائيل» على التاريخ نسبة إلى إسرائيل هذا الذي إذا شققنا إليه غيوم الزمن وتتبعنا التاريخ السياسي

(١) الإصحاح ٣٥ سفر التكوين.

(٢) الإصحاح٣٢ سفر التكوين.

للعصر الذى عاش فيه وأحطنا بأطراف الأحداث التى تتابعت فى غضون تلك الفترة الزمنية المعروفة بالعصر الهكسوسىّ لأدركنا تمام الإدراك أى العوامل كانت تلك التى قذفت فى روعِ مؤلف هذا الجزء من «التوراة» إمكان تحقيق«الحلم» الذى كانت قد حاكته نصوصه على جبين يعقوب أو إسرائيل والذى لم تكن مادته إلاّ من تجمعات غيوم الهكسوس فى «أرض كنعان» واتجاهها عواصفَ ناحية مصر!.

لاجدال فى أن هبّات التزاحم على العرش فى مغرب الدولة الوُسْطى فى مصر القديمة كانت العوامل التى هيأت للعين المترقبّة فى الخارج أن ترى أن الفرصة قد واتت لغزو الوادى. . فالعهد الذى اتخَذ هذا الغزو القَبَلىّ مكانه فيه كان، نفسه، العهد الذى تهافتت فيه قوة الوادى مرة أخرى أشدّ مما كان عليه قد مرّ من ألوان التهافت السياسى. فالأيام كانت قد دارت دورتها فى مدار الزمن وانفلت من يدى الوادى زمام الحكم وبدأ النزاع السياسى يشتد بين حُكام الأقاليم وبين بعضهم بعضاً من جهة وبين حكام الأقاليم والقصر الملكى من جهة أخرى وبذلك حلّت الفوضى محل النظام ونزل الضعف منزل القوة وعاد الوادى إلى شبه ماكان عليه عند عصر الانحلال الأول أيام شيخوخة الدولة القديمة.. سقط العرش ومع سقوط العرش انحلّ نظام الملك إلاّ أن النزاع على العرش لم ينقطع فكل واحد من أصحاب النفوذ كان يرى أنه أجدر من صاحبه بحكم البلاد. ومن ثمّ ظل الوادى يعانى أمر هذه الفوضى ويصْلى بنار الخصومة الانتخابية نحو قرن وربع من الزمن تعاقب خلالها على الوادى ثمانية عشر حاكماً. هذه الفوضى العارمة وهذا الحكم المزعزع وهذه الحكومات المضطربة وهذا النظام المختل الذى ظل كل هذا المدى من السنين كان السبب المباشر لذلك الاتحاد القبَلى الذى اتخذ مكانه على «أرض كنعان»، بين القبائل الشتى من كنعان وغير كنعان، على غزو الوادى وليبدأ بالفعل زحفهم صوبه فى أثر قوة حربية آرية الأصل اكتسحت سوريا وراحت بعرباتها وخيلها تكتسح كل ماوجدت فى طريقها مخترقة أرض كنعان إلى مصر. فبالرغم من أن مصر كانت فى ذلك الوقت تَعتبر «أرض كنعان» جزءاً من ممتلكاتها إلاّ أنّ مساندة هذه القوة الآرية لجموع البدو الرُّحل والمقيمة هى التى أشعلت فيهم قوة فذة مكنتهم من تجاهل السلطان المصرى فاندفعوا نحو الجنوب اندفاعاً متواصلا ثم ضاربين فى أغواره بغاراتهم التى تتالت توالى

التدمير والتخريب حتى دان لهم حكم مصر السفلى من شرق الدلتا فراحوا يمدُّون عليها ظلالهم من عاصمتهم «أورايس»، صان الحجر اليوم، ويقبضون عليها بمخلب الإخضاع.

عن هذا الحدث الذى اتخَذ مكانه فى مغرب الدولة الوسطى بينما كان ملوك الأسرة الثالثة يحكمون طيبة وملوك الأسرة الرابعة عشرة يحكمون الشطر الآخر للوادى، تتحدث أكثرُ من مدونة تعود بتاريخها إلى عهد الدولة الحديثة فى إشارة إلى التلال من الأنقاض التى تركها هذا الزحف الصحراوى بينما يحدثنا عنه أكثر من مؤرخ من القدامى وفى مقدمتهم «مانتيو» الذى يشطر هذا الحكم إلى ثلاثة أقسام يبدأها بالأسرة الخامسة عشرة وينهيها بالأسرة السابعة عشرة. كما يحدثنا «يوسوفيوس» الحديث الفياض عن هذا الغزو ويسمى هؤلاء الغزاة «هكسوس» بمعنى «الملوك الرعاة» ويقول لنا إن المقطع الأول من الاسم هو «حج» بمعنى مَلِك وإن المقطع الآخر من الاسم هو «سوس» بمعنى رُعاة..

هؤلاء «الرعاة» هم الذين أصبحوا ملوكاً فى مصر السفلى غداة احتلوا شمال الوادى وتوغلوا فى أرجائه حتى وصلوا حدود الجنوب بينما بقيت منطقة الحرام ومثار النزاع منحصرة بين «أهناسيا»، عند مدخل الفيوم و«القوصية» من شمال أسيوط فى مصر الوسطى فى نفس الوقت الذى سيطر فيه «أمراءُ طيبة»، من وراء إقليم طيبة، على الأقاليم الجنوبية حتى مطلع مصر الوسطى.. وظل هذا الحال حتى مشرق الأسرة الثامنة عشرة عندما استعاد الوادى حريته ومجده وانفجر بركان الثورة فى وجه الدخيل واندلع لهيبها من مدائن الصعيد وقُراه مندفعاً نحو الشمال حتى بلغ حاضرة العدو فحاصره ومازال به يطارده، حتى أخرجه منها ورده إلى قلب فلسطين ثمّ كرَّ مُصعِّداً إلى الصعيد يطارد أفواج النوبة، الذين كانوا قد انتهزوا ضعف الوادى فزحفوا بدورهم عليه، ومازال بهم حتى كسر شوكتهم وأذلَّ عزتهم ثم عاد منتصراً وبيده لواء الحرية فركَّزه فى قلب طيبة، عاصمة الثورة، واتخذ منها، عام ١٥٨٠ ق.م حاضرة لمُلْك كان حجر الأساس فى بناء الإمبراطورية المصرية التى ضمّت إلى مصر أرضَ السودان وسوريا وبلاد مابين النهرين طاوية فلسطين لتمتد بذلك أملاك الوادى من وراء الشلال الرابع إلى منعرج الفرات!..

من خلال الآثار التى تركتها هذه الإمبراطورية نستطيع التغلغل إلى العصر

الهكسوسى وخاصة من خلال البرديات التى ادخرتها الأيامُ فى صدر الزمان إذ تطالعنا عليها للهكسوس أسماء نرى فيها الترابط الواضح بين «آباء التوراة» وبين مايقص مؤلفُ «سفر التكوين» عن مقدم يعقوب أو بالأحرى إسرائيل مصر وعن تولى يوسف منصباً فى مصر.. فإن ممّا يسترعى الانتباه هو أن نرى فى سجل من سجلات «تحوت موسى» الثالث ذكراً لبعض أسماء هؤلاء الرعاة الذين أصبحوا ملوكا وأن يشتد منا الانتباه عندما يطلع علينا من هذه الأسماء هذان الاسمان؛

«يعقوب- إيلو» و«يوسف- إيلو»

لاجدال فى أن أمام هذين الاسمين الواردين فى قائمة «تحوت- موسى» الثالث لايسع الفكر المتأمل إلاّ التغلغل فى أطواء الماضى البعيد لأنهما نفس أسماء«آباء التوارة» فحسب وإنما لأنهما يتّفقان، تاريخياً، مع الفترة التى عاش فى خلالها يوسفُ ويعقوب فى مصر!..

ثمّ.. ثم إلى جانب هذه البرديات المشار إليها تجىء الجعلانات.. فإنّ هؤلاء الملوك الرُّعاة، الذين، بعد أن استقروا فى مصر وهدأت ثائرتهم، بدأوا يقلدون المصريين فى إقامة المسلاّت وفى تسجيل أسمائهم على الجعلانات وخاصة الملوك الأوَل الذين ألّفوا الأسرة الخامسة عشرة، قد سجلوا على بعض الجعلانات لهم أسماء.. وهى أسماء نال الزمنُ من مقاطعها بالتحريف ومع ذلك فنحن نستطيع أن نتبين من بينها هذه الأسماء: «يونس» و«عنتر» و«عزيز» وأما أهمّ مايسترعينا من بين هذه الأسماء فهو اسم«بن يون» وهذا اسم فيه، ولاشك، رجع الصدى من اسم «بن يامين» بن يعقوب مما يجعلنا نتساءل؛ أكان بنيامين، أيضاً، من بين هؤلاء الهكسوس ولاسيّما أن هذا يتفق، تاريخياً، مع الفترة التى عاش فى خلالها بنيامين فى مصر مع سائر أبناء يعقوب أو إسرائيل والذين بدأ بهم، منذ العصر الهكسوسى تاريخ«بنى إسرائيل» غداة امتدت يد الزمن وسجلت انشقاق التربة الزمنية عن نبت هؤلاء «الأبناء الاثنى عشر» واستيطانهم وادى النيل خلال الاستعمار الهكسوسىّ للوادى حيث ترامت عليهم ألوان العزّة لأجيال!..

يحدثنا مؤلف «سفر التكوين» أن إسرائيل نفسه ومعه أبناؤه، ماخلا يوسف وبنيامين، قد ارتحلوا عن «أرض كنعان» إلى مصر بعدما؛

«خلع فرعون خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب فى عنقه.. وجعله على كل أرض مصر..»(١)

وأما هذا الارتحال عن «أرض كنعان» إلى مصر، على حد رواية المؤلف اليهودى، فما كان إلا كما؛

«قال فرعون ليوسف قل لإخوتك؛ انطلقوا اذهبوا إلى أرض كنعان وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إلىّ. فأعطيكم خيرات أرض مصر!..

افعلوا هذا. خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا. ولاتحزن عيونكم على أثاثكم. لأن خيرات جميع أرض مصر لكم!..»(٢)

وهكذا يسير مؤلف «سفْر التكوين» فى روايته قائلاً:

«ففعل بنو إسرائيل هكذا. وأعطاهم يوسف عجلات.. وجاءوا إلى أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم.. ثم كلموه بكلِّ كلام يوسف الذى كلمهم به. وأبصر العجلات التى أرسلها يوسف لتحمله فعاشت روح يعقوب!.»(٣)

ومن هنا يسترسل المؤلف اليهودى قائلا بأن عند ذاك؛

«كلم الله إسرائيلَ فى رؤى الليل وقال: يعقوب يعقوب!

فقال: هاأنذا!

فقال؛ أنا الله إله أبيك. لاتخف من النزول إلى مصر. لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر!.»(٤)

---

(١) الإصحاح ٤١ سفر التكوين.
(٢) الإصحاح ٤٥ سفر التكوين.
(٣) الإصحاح ٤٥ «سفر التكوين».
(٤) الإصحاح ٤٦ «سفر التكوين».

وحينذاك؛

«قام يعقوب.. وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لحمله. وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذى اقتنوا فى أرض كنعان وجاءوا إلى مصر. يعقوب وكل نسله معه. بنوه وبنو بنيه.. وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر... جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر سبعون». (١)

وعند ذاك؛

«كلم فرعون يوسف قائلا: أبوك وإخوتك جاءوا إليك. أرض مصر قُدّامك. فى أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك.

ليسكنوا فى أرض جاسان!..». (٢)

وهنا يستطرد المؤلف اليهودى فى روايته قائلا:

«وسكن إسرائيل فى أرض مصر فى أرض جاسان. وتملّكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً.». (٣)

هذه هى رواية المؤلف اليهودى عن مقدم إسرائيل مصر واستقراره ببنيه فى تلك الناحية المسماة«أرض جاسان»، أرض غوشن من شرقى الوادى، حيث بدأ هؤلاء«الأبناء» يتفرقون فى مساكنهم فيها ويتكوّن «نسل الأسباط الاثنى عشر» إلى «بيوت» وكل بيت منها يحمل اسم واحد من هؤلاء «الأبناء» فى نفس الوقت الذى عادت فيه هذه «البيوت» بلقبها العائلى إلى يعقوب أو إسرائيل حيث من هنا بدأت هذه البيوت تُعرف «ببيوت إسرائيل» ويعرف أبناؤها بأبناء إسرائيل..

وفى مصر الهكسوسية وفى «أرض غَوْشَن» كان حتما أن تترامى ألوانُ العزة على «بيوت إسرائيل» فى خلال ذلك العصر وأن تبدأ الغفوة عن «الأرض الموعودة» بالعزة فى مصر خلال مدى من الزمن غير قصير..

---

(١) الإصحاح ٤٦ «سفر التكوين».
(٢) الإصحاح ٤٧ «سفر التكوين».
(٣) الإصحاح ٤٧ «سفر التكوين».

ولكن!.. هنا يبرز مؤلف «سفر التكوين»، وهو سليل «بيت يهوذا» الابن الرابع ليعقوب أو إسرائيل، فلا يرتضى بأرض «جاسان» بديلا عن «أرض كنعان»!.. وكيف يرتضى ذلك وهو يعبِّد بقلمه الطريق الى عودة «بيت يهوذا» على عرش اليهودية من جديد؟.. ومن هنا نراه يعود فيتشبَّث بأهداب حلم كان قد حاكه قديماً على جبين الآباء وكادت تتلاشى تحت ألوان العزة فى مصر منه الأطياف حتى أننا لنراه وقد أحاله إلى عقيدة فى صدور الأبناء!. فهو يحدثنا بأن يعقوب أوإسرائيل لم ينس «الأرض الموعودة» خلال السبع عشرة سنة التى عاشها فى مصر حتى أنه وهو على فراش الاحتضار قد عهد بها إلى الأبناء فنحن نسمع:

«وعاش يعقوب فى مصر سبع عشرة سنة.. ولما قربت أيام إسرائيل أن يموت دعا ابنه يوسف وقال له.. لاتدفنى فى مصر. بل اضطجع مع آبائى. فتحملنى من مصر وتدفننى فى مقبرتهم..»[(١)]

وذلك لأنَّ،

«الله القادر على كل شيء ظَهَر لى فى لوز فى أرض كنعان وباركنى. وقال لى، ها أنا أجعلك مثمراً وأكثِّرك وأجعلك جمهوراً من الأمم وأُعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا أبدياً!.»[(٢)]

ولذلك؛

«قال إسرائيل ليوسف؛ ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم ويردُّكم إلى أرض آبائكم!.»[(٣)]

والآن؟!.

الآن وقد قطع مؤلف«سفر التكوين» شوطاً طويلا شاقا فى اتجاهه نحو ماقد استهدف من هدف ينحصر فى حصر عقيدة«الأرض الموعودة» فى سلالة يعقوب أو إسرائيل فلنتنبه إليه كيف يمهِّد إلى عودة «المملكة اليهودية» التى قوضها الغزو البابلى بأن يحصر

(١) الإصحاح ٤٧ سفر التكوين.
(٢) الإصحاح ٤٨ سفر التكوين.
(٣) الإصحاح ٤٨ سفر التكوين.

هذا«الوعد» فى أبناء يهوذا ليحصره فى «ذرية داود» حتى ينحصر فى مملكة الجنوب دون الشمال..

تطلع علينا صورة هذه المحاولة واضحة تمام الوضوح عبر مايجيء به هذا المؤلف اليهودى من نصوص جديدة تحدثنا بأن آخر كلمات يعقوب كانت عندما:

«دعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام. اجتمعوا واسمعوا.. واصغوا إلى إسرائيل أبيكم!

راؤبين.. فائراً كالماء لاتتفضّل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دلسته!..

شمعون ولآوى.. آلات ظُلم سيوفها. فى مجلسها لاتدخل نفسى! بمجمعهما لاتتحد كرامتى! لأنهما فى غضبهما قتلا إنساناً وفى رضاهما عرقبا ثوراً.

أقسّمهما فى يعقوب وأفرّقهما فى إسرائيل..»(١)

وهكذا أخرج المؤلف اليهودى الأبناءَ الثلاثة الأُوَل متذرعا بماذكره من أسباب هى فى مدلولها تحمل الدليل على أن هذا المؤلف اليهودى الذى لم يجعل نصب عينيه إلاّ كيْل الحامد للابن الرابع تمهيداً لقيام «بيت داود» قد غفل أو تغافل عن أن إلى«لآوى» إنما موسى، عليه السلام، بسلسلة نسبه يعود!.

والآن.. نجىء إلى الابن الرابع، «يهوذا» ، الجدّ الأعلى لداود وذرية داود.. فلنصغ إلى هذا المؤلف اليهودى وهو يحدثنا بأن إسرائيل قد استرسل فى حديثه إلى أبنائه متجهاً به إلى«يهوذا» قائلا:

«يهوذا!

إياك يحمد إخوتك ! يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك! يهوذا جرو أسد. من فريسة صعدت ياابنى!

جثا وربض كأسد وكلبوة. من ينهضه؟

---

(١) الإصحاح ٤٩ سفر التكوين.

لايزول قضيب من يهوذا.. وله يكون خضوع شعوب!..»[1]

على«يهوذا» جعل مؤلف «سفر التكوين» إسرائيل يصبُّ المحامد صبًا وعليه يغدقها إغداقاً فاجتاز بذلك شوطاً آخر فى اتجاهه نحو هدفه الأخير المنحصر فى حصر «الوعد» بامتلاك«الأرض الموعودة» فى «ذرية داود»ليكفل قيام «المملكة اليهودية» من جديد!.

والآن؟!..

الآن وقد استفرغ مُؤلف «سفر التكوين» جعبته من المحامد التى كالها كيلاً لمن إليه يعود مؤسس «المملكة اليهودية» فى أورشليم بسلسلة نسبه.. فلنصغ إليه وهو يسترسل فى حديثه قائلا بأن «إسرائيل» قد واصل حديثه إلى أبنائه يصفهم قائلا:

«زبولون	عند ساحل البحر يسكن!..
يساكر	حمار جسيم رابض بين الحظائر!..
دان	حيّة على الطريق.. أفعوان على السبيل يلسع!..
جاد	يزحمه جيش ولكنه يزحم مؤخرة.
أشير	خبزة سمين وهو يعطى لذات ملوك.
نفتالى	أيلة مسيبة!..
يوسف	غصن شجرة مثمرة على عين.
بنيامين	ذئب يفترس فى الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يقسّم نهباً!..» .[2]

وهكذا أخرج هذا المؤلف اليهوذى باقى«الأبناء» بينما سلط الأضواء على«يهوذا» وحصر «الوعد» فيه.. وإذا كان «لايزول قضيب من يهوذا» فإن معنى ذلك أن «بيت يهوذا» سيظلّ حاملاً قضيب المُلْك.. وإذا كان ليهوذا يسجد بنو أبيه فإنّما له أيضا يكون خضوع شعوب.. وبذلك مهّد هذا المؤلف اليهوذى ، وهو فى نطاق الأسر البابلى، الطريق إلى عودة«بيت يهوذا» إلى عرش اليهودية من جديد..

(١) الإصحاح ٤٩ سفر التكوين.
(٢) الإصحاح ٤٩ سفر التكوين.

وهنا تراخت قبضة هذا المؤلف عن الإمساك بالقلم.. فلقد استنفد جهده تحليقه بمخيلة جانحة راحت تسطّر السفاسف والترّهات وتتخذها وسائل إلى هذه الغاية التى اختتم بها هذا السفْر الأول من «الأسفار الخمسة» المنسوبة، افتراء، إلى موسى!.

ولكن!..

هنا يطلع علينا مُؤلف يهوذى آخر وعن عقيدة «الأرض الموعودة» يُواصل الحديث متخذاً من انتشار «بيوت إسرائيل» نقطةَ بداية حتى بزوغ شمس الإمبراطورية المصرية ورواح الغبار الهكسوسى عن انتشار هذه«البيوت» فى مصر القديمة فى خلال حكم الإمبراطورية المصرية.

والواقع، لقد كان من الطبيعى أن يتكاثر أبناء إسرائيل وأن تُثمر منهم الفروع عبر مجرى الزمن منذ فجر العصر الهكسوسى حتى أواسط حكم الإمبراطورية المصرية!.. ومن ثم فليس بالغريب أن يطلع علينا هذا المؤلف اليهوذى قائلاً: لقد؛

«مات يوسف وكل أخوته وجميع ذلك الجيل.وأمّا بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم.»(١)

لاجدال فى أن السبب الذى أدّى إلى وجود«بيوت إسرائيل» فى مصر القديمة يعود إلى مُستهلّ الدولة الحديثة..فإنّ «أحمس» الأول عندما طارد الهكسوس وطردهم كان غافلاً عن اقتلاع هذه الفروع التى كانت قد اكتنفت «أرض غوشن» وإن كانت القبضةُ المصرية التى راحت تدفع الهكسوس إلى ما وراء الحدود المصرية وتبسط من جديد سلطان مصر على «أرض كنعان» كانت فى الوقت نفسه قد قيّدت أفراد هذه البيوت بقيود الاستعباد لتنصرف بعد ذلك عنهم انصرافاً تجاهلتهم به بينما كان النسل منهم يتكاثر خلال سيْر التاريخ.. ولذلك فليس من الغريب أن يكون هذا الاستعباد الذى يصرِّح هذا المؤلف اليهوذى الجديد إذ يقول:

(١) الإصحاح الأول «سفر الخروج».

«فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف! ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللّبِن وفى كل عمل فى الحقل!.»[1]

إلى هذه المكانة من درجات الاجتماع التى يذكرها مؤلف«سفر الخروج» هوت «بيوت إسرائيل» فى مصر وبعد عزّة كانت فى العصر الهكسوسى قد رفرفت على السلف رفّت ذلّة على هذه «البيوت» وخيّمت على هذا الخلف. لاغداة بسطت الإمبراطورية المصرية سلطان مصرمن جديد على «أرض كنعان» فحسب وإنما حتى بعد فقدان السيطرة المصرية على هذا المفْرق الرئيسى لطرق عالم الشرق الأوسط القديم فى عهد «أخناتون» إثر قيامه بحركته الدينية التى انتهت فى تطورها إلى تغيّر النظرة فى دائرة التفكير الإلهى إلى الإله..

وهنا نرانا قد عرج بنا الحديث صوب ناحية هامة لايتسنّى للقلم إغفالها وهى أن «أخناتون» عندما أعلى شأن«آتن» كإله مجرّد لم يجىء بكفر التوحيد وإنما جاء بفكرة فى التوحيد جديدة. فإنما التوحيد كان طابع المعتقد الدينى منذ فجر تاريخ الوادى والإله،وإن حفت به حاشية من الأرباب فإنما هو، كواحد بل وكأحد وكفرد، كان معروفاً ولكن النظرة إلى هذا الإله الواحد هى التى تغيرت عند«أخناتون» فالإله لديه قد تفرد بالألوهية ولاتحفّ به حاشية من الأرباب بل ولم تعد تطبعه طبيعة الجسدية التى كان يخلعها عليه لهذا الدين الرسمى كهنوت ولاهوت.. أن الإله الحق ليس برجل ولايتمشّى على الهضاب كما يقول الكهنوت الآمنى. كلا، ولا كان الروح منه يرف على وجه المياه كما يدّعى كهنوت عين شمس.. فليس هو إلاّ شيئاً مجرّداً كالحب بل هو الحبُّ!.. ومن ثم فلتُنثر فى معابده الزهور بدل رش الدماء ولتُشعل فى محاربها الشموع بدل المحرقات ولتكن عبادته التعبُّد فى رحاب المحبة والسلام عن طريق نشر الإخاء العالمى بين الإنسان والإنسان!.

هذه هى الفكرة الجديدة التى جاء بها «أخناتون» عن الإله الواحد. ولكن لمّا كان فى ذلك حدٌّ من سلطان الكهنوت بل وإلغاء لسلطانه، وبالتالى، ضياعٌ لماتسوقه الجماعات إلى أبوابهم من أموال فقد أتّهم رجالُ الدين الرسمى «أخناتون» بالإلحاد وتبعتهم جموع الجماعات فى نفس الوقت الذى عجز الوعى الجماعى عن إدراك المعنى من وراء هذه

(١) الإصحاح الأول سفر الخروج.

الفكرة، ومن ثمّ اعتُبرت سياسة المحبة العالمية سياسة ضعف وكان لهذا أثره في الشعوب التي يترامى عليها السلطان المصرى وليكون لهذا الأثر نتيجته الحتمية في التاريخ السياسي للعصر إذ تفسّخت الإمبراطورية المصرية وتجزأت وإذا استطاعت هذه المستعمرات، في غمرة هذه الفوضى العارمة، أن تنتزع حريتها وفي مقدمة هذه المستعمرات «أرض كنعان» .. فلقد تهادن ملوك المدن الكنعانية وانطلقت من حناجرهم صرخة واحدة تعلن، ١٣٥٠ ق م، استقلال كنعان.. ولكن!. لمّا كان كل واحد من ملوك المدن الكنعانية من الكنعانيين أنفسهم أضعف من أن يحتفظ بحريته واستقلال مملكته فقد غدت«أرض كنعان» فريسة سهلة لغزو جديد اندفع إليها من الشمال الغربيّ في آسيا الصغرى حاملاً أحدث سلاح من أسلحة الحرب.. ذلك السلاح الفتاك ذو الكلمة الأخيرة والحاسمة والذى كان يمثّل آخر اكتشاف جديد بأن يفرض أثره على حقب التاريخ التالية كلها حتى عصر الفولاذ.. ومن هنا نعلم أى الشعوب كان هذا الشعب الذى احتل لردح من الزمن «أرض كنعان» .. ذاك الذى اكتشف ذلك العنصر في مناجمه الجبلية وطرَقه سْرياً على أساس من معادلات استطاعت أن تمنح قوة فذّة لكل من يملك سيفاً أو خنجراً من حديد.. وعلى هذا النحو من التسلح انطلق «الحيثيون» واستولوا على معظم الأراضى التي كانت تحتلها البلاد المجاورة لبلادهم أو بعبارة أوضح البلاد التي كانت تحتلها «ميتاني» .. ومنذ ذلك الحين الذى مُحيت فيه دولة«ميتاني» من صفحة الوجود وطواها جفنُ الزمن كذكرى التفت الحيثيون نحو الجنوب وواصلوا زحفهم يُؤازرهم النصر المستمد من هذا السلاح الجديد فاستولوا على سوريا استيلاء كاملا شاملا كان بمثابة التعبيد إلى «أرض كنعان» التي ما لبثوا أن استولوا عليها ذلك الاستيلاء الذى غدا به الحكم المسيطر على مفرق الطرق هذا لعالم الشرق الأوسط القديم«حيثيا» وليكون من أخطر العوامل التي أدّت إلى إرهاص«الوعي الإسرائيلي» في مصر إلى فكرة«الأرض الموعودة»خلال هذا الحكم الحيثيّ لأرض كنعان وخاصةً خلال حكم أشهر أباطرة مصر «رع موسى» الكبير.

وهنا ..

هنا عند ذكر «رع موسى» الثاني يجب علينا أن نتمهّل قليلا ونستعرض على صفحة الزمن مجريات الأحداث في ذلك العهد لارتباطها بأخطر الأحداث في

تـاريخ بنـى إسرائيل!.فلقد كان عهد«رع مـوسى» الثانى، علـى الرغم ممَّا أنجـز داخـل البـلاد من أعمال وماسار عليه من سياسة خارجية قوية استردَّ بها كثيراً من مجد الوادى وسلطانه السياسى، يحمل فى تضاعيفه عند نهايته بذور الضعف والوهن والركود. ولاغرابة فى ذلك فقد كان«رع موسى» الثانى فى أواخر حكمه الطويل قد أسرف في أموال الدولة ومواردها إلى حدّ بعيد بإفراطه فى إقامة العمائر الدينية ونحت التماثيل الضخمة لنفسه ولمن يعبد مما أفضى إلى نضوب أموال الدولة فى مغرب حكمه بصورة بارزة محسة يمكن أن يشاهدها المؤرخ ويلمسها إذا وازن بين ماتمّ فى باكورة حكمه وبين ماأنجزه فى أخريات أيامه من الأعمال التى تأتينا دليلا على التدهور الاقتصادى الذى حلّ بالوادى والذى كان له أثره فى التـاريخ السياسـى المصـرى غـداة شعرت به البلاد المجاورة وفطنت له الممتلكات المصـرية فى آسيا اندلا ع لهب الثورات فى أنحاء الإمبراطورية «المصرية الآسيوية» كما كان سببا فى وغيـر آسيا.. ومـن ثمّ كان نصيب الوادى فـى مغـرب حكم «رع موسى» الكبـرى تماماً كنصيب الفرد إذا مازال عنه مظهر الثـراء المـادّى مما كان سبباً فى طمع اللّوبيين فبـدأوا بغارتهم على الحدود المصرية الغربية يناصـرهـم أولئك الأقـوام الـذين تسميهم المتون المصـرية«أقـوام البحار» ..

ويقيناً إن التاريخ فى الفترة الأخيرة من عهد«رع موسى» الكبير كان قد استجمع قواه وقام بجهد جديد فإذا به يتنفّس عن الأحداث التى غيّرت تغييراً كليّاً وجه العالم القديم المحيط بالبحر الأبيض المتوسط فلقد ظهرت فى الفترة الأخيرة من حكم «رع موسى» حركة هجرة فى إقليم بلاد البلقان والبحر الأسـود قـام بهـا عـدة أقوام هـم هـؤلاء الـذين تسميهم المتون المصرية «أقوام البحار» وكان لهذه الهجرة التى انبعثت من الشمال الغـربـى أعمق الأثر فـى الشـرق الأدنـى.. فقد كان هجـوم «الإيليريين» الذين كانوا قـد استوطنوا هذا الشمال الغربى من شبه جزيرة البلقان سبباً فى هجرة «الدوريين» الذين راحـوا يؤلفون جـزءاً مـن سكان بلاد«البلوبونيز» ويستوطنون جـزر«سيكليد» ويغتمـرون جـزيرة كـريت حتـى طغت مدينتهـم علـى «المدنيـة المسينية» التـى كانت قد حلت محل الثقافة المنوانية أو ثقافة كريت. وفى نفس الوقت كانت قبائل «تراقيا» قد وصلت إلى آسيا الصغرى عن طريق البوسفور بينـما أخذت أقوام «ماسا»و«دردانيا» وغيـرها تنضم إلـى حركة هذه الهجرة التى لم تكن إلاّ كالسيل الجارف إذ انتشرت فى آسيا الصغرى وفى جزر البحر الإيجـى وفـى بـلاد الإغريق حتى

وصلت إلى لوبيا حيث تحالفت ولوبيا أو بالأصح حالفتهم لوبيا مستهدفة الهجوم على مصر!.

وهكذا نرى أن الوداى كان فى مغرب حياة«رع موسى» الكبير مهدداً بالخطر من كل جانب وخاصة من ناحيتين ؛

الأولى: مــن جهــة بــلاد لوبــيا

الآخرى: من جهة أقوام البحــار

لاجدال فى أن الخطر اللُوبى كان موجوداً على حدود الوادى منذزمن بعيد بيْد أن ماقد كان لـــ «رع موسى» من هيبة وسلطان قد عاق حملات اللُوبيين وأقوام البحار من حلفائهم عن الإغارة على التخوم المصرية إغارة إيجابية. غير أنه بمرور الأيام خلال السنين الأخيرة من حكم «رع موسى» الكبير بدأت فترة تدهور مستمر كانت حافزاً لهذه القبائل القاطنة على حدود مصر الشرقية على انتهاز هذه الفرصة فدعت بجنودها يزحفون على الأرض الــواقعة علــى حافة الصحــراء حتى وصلوا فــى زحفهم إلى جانب النيل حيث مكثوا هنــاك عدة أشهر واحتلوا الواحة البحرية وخربوا«واحة الفرافرة» .. فلقد ازداد الأمر شدّة بذلك الحلف الذى أقامه اللُوبيون مع أقوام البحر الأبيض المتوسط الذين أخذوا ينقضون على الدلتا مــن «ســردينيا» ومن الجهات الغربية مــن آسيا الصغرى علــى الشرق، وحالفهم، لفترة قصيرة، الحظ غداة طوت راحة الزمن«رع مــوسى» الكبير ونشرت «منفتاح» ثم «منفتاح الثانى» .. فليس إلاّ بعد فترة وجيزة مــن وفاة «رع موسى» نشــاهد العاصفة وقد هبّت على البلاد من الغرب ومن الشمال!.

وفى الواقع أنّ «رع موسى» الكبرى قد ترك لابنه «منفتاح» إرثًا مثقلاً بالأثقال أترعته المتاعب والمصاعب داخل البلاد وخارجها. ولذلك كان من نصيب «منفتاح» منازلة هؤلاء الأقوام. الأول؛ دفع الخطر اللُوبى الذى كان يتكاثف من جهة الغرب والآخر صدّ هؤلاء الأقوام الذين اجتاحوا الشرق من البر والبحر وتضخّم بهم نطاق مفرق الطرق الرئيسى لعالم الشرق الأوسط.. فأبعد إلى الغرب والشمال زحفت فلولُ البلقان والبحر الأسود إلى بلاد الإغريق حيث امتطى المُغامرون متن البحر وعبروا طريق البوسفور وهاجموا الفريقين فى «طروادة» .. ثم، من الجزر الواقعةفى المتوسط الشرقىّ انطلق

الملاحون ونشروا أشرعتهم وأعملوا مجاديفهم فاجتاحت زوارقهم البحرية جميع تلك السواحل حتى الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الأبيض المتوسط وتحالفوا ولوبيا أو بالأحرى حالفتهم لوبيا ابتغاء الهجوم على مصر. وقد ترك لنا «منفتاح» نقشاً على جدران «معبد الكرنك» صوّر لنا فيه هذا الخطر الذى كان يحوم حول البلاد كما مثّل أمامنا المعدات التى أعدها لصدّ هذا العدو الذى تحالف لغزو مصر مع هؤلاء الأقوام، «أقوام البحار» الذين يُعدّ ذكرهم فى الوثائق التى تركها لنا «منفتاح» أقدم ماعُرف عن ظهور الأوروبيين فى النقوش المصرية..

وهكذا بدأت مصر تواجه فى عهد الأسرة التاسعة عشرة خطراً يعد أخطر الصعاب فى صدّ الهجوم اللُوبى الذى كان يسير جنباً إلى جنب مع هجرة «أقوام البحر الأبيض المتوسط» وهجومهم على بلاد الشرق من كل حدب وصوب. غير أن «منفتاح» الذى كان قد أعدّ لهذا الخطر عدته تمكّن من وقف هؤلاء الُغزاة عند تخوم بلاده بعد أن صدّهم خارجها فى معركة فاصلة ليترنّم فى أعقابها بأنشودة مازالت سطورُها على جدران «معبد الكرنك» منقوشة يصف لنا فيها الهزيمة الساحقة التى أنزلها بهؤلاء اللُوبيين الذين بدأوا توثبهم على الحدود المصرية من ناحية «أرض غوشن» من الجهة الشرقية للوادى ومن حيث بثّوا عيونهم ودَسُّوا الجواسيس على الوادى فى أرجاء الوادى نفسه!..

هذه الفترة من عمر الزمن هى نفس الفترة التى يُحدثنا عنها مُؤلِّف «سفرْ التكوين» مسجّلاً:



طرد «بني إسرائيل» من مصر

فـي تلك الفترة التـي كانت اليـدُ المصـرية تصلح مـاقد تداعى وتُقوّم ماقد انهار وفي ذلك الـوقت بالـذات الـذى كانت تتهاوى فيه «طروادة» وهـذه مصادفة غـريبة قلما يلقـى إليها المؤرخون ببال، طُرد هؤلاء الذين كانوا يسكنون «أرض غوشن» مـن شـرقىّ الوادى، ومن حيث أقبل الغزو اللُّوبى طرداً راحوا على أثره يُولون وجـوههم شطـر سيناء. وعلـى هـذا الحَدَث تتلاقى الأضواءُ التاريخية تلاقياً يُرشدنا إلـى أن «بنـى إسـرائيل» قـد خرجوا من مـصـر طرداً، حـوالى سـنـة ١٢٢٤ق.م، وأنـهـم قـد يمّموا وجـوههم شطـر سيناء حيث تمّ لهـم، حـوالـى سنة ١١٨٤ق .م، غـزو بعض بقـاع مـن «أرض كنعـان».

وهنا.. هنا وعند هذا الحدّ من القول يجب علينا أن نتمهل قليلا لنقول؛ إننا فى معرض بحث يُحتم علينا المرور بسيرة موسى، عليه السلام، من الزاوية اليهودية البحتة.. وكيْما نستجلى تمام الاستجلاء النظرة اليهودية إلى هذا الرسول الكريم ينبغى بنا أن نترك لمؤلف «سِفْر الخروج» الحديث وأن نصغى إلى هذا المؤلف اليهودى الذى يستهل حديثه بعبارات هى ولئن جاءت مُشوّشة وفى خلط للأحداث إلاّ أن فيها ذكراً لتلك الأحداث التى جرت فى مغرب حكم «رع موسى» الكبير ومشرق عهد «منفتاح»، بـل وفيها الإلماح إلى ذلك الخطر الحربى الذى كان يتهدد البلاد. فالمؤلف اليهودى يستهل حـديثه قائلاً؛

«قام ملك جديد على مصر فقال لشعبه؛

هـو ذا بنـو إسرائيل.. فيكـون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويُحاربوننا!..

فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلُّوهم بأثقالهم. فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس!.»(١)

(١) الإصحاح الأول «سفر الخروج».

والآن..

والآن، إذا كنّا نعرف أن بانى الـ«بيتوم» ومُشيِّد المعبد الجنازى المسمى الـ«رعمسيوم» هو «رع موسى» الكبير فإنَّ الأضواء التاريخية تأبى إلاّ أن تجعل عهد «رع موسى» الكبير مهداً لمولد موسى، عليه السلام، والذى حمل اسماً مصرياً يشير مُؤلف«سفْر الخروج» إلى مصريته البحتة، فى إصحاحه الثانى، وهو فى هذا لايقول إلاّ الحقيقة لأنّه، فى الواقع، اسم مصرى صميم عرفناه لأباطرةعصر الإمبراطورية.. عرفناه فى «أحمس» أو «أح موسى» وفى «تحوتمس» أو «تحوت موسى» وفى «رعمسيس» أو «رع موسى»!.. وعرفنا فى بعض من تسمّى به من الأسمياء. فنحن نجد هذا الاسم فى «مقبرة موسى» كاتب الخزانة والمشرف على ضياع «تى».. ومن هنا نرى أن هذا الاسم كان اسماً شائعاً فى عصر الإمبراطورية المصرية وأن به قد عُرف أكثر من واحد من أبناء ذلك العصر الذى عاش فى غضونه موسى، عليه السلام،والذى نترك الحديث عنه فى معرض هذا البحث لمؤلف السفْر الثانى من «الأسفار الخمسة» المنسوبة،زوراً، إلى هذا الرسول الكريم..

يُصوِّر لنا مؤلف «سفْر الخروج» مُوسى، عليه السلام، بصورة غريبة كل الغرابة إلاّ عن المعتقد اليهودى!.. فهو يُصوِّر لنا هذه الشخصية الكريمة وكأنّما إليها تعود باستتبابها «عقيدة الأرض الموعودة» بل وكأنّما هذه الشخصية نفسها هى التى عقدت فى الطوية اليهودية هذه العقيدة وحوّلتها من أُمنية يتوالى عليها مدُّ الأمل وجزر اليأس إلى عقيدة دينية تأبى إلاّ الاستيفاء!. فالمؤلف اليهوذى يغمس بمداد الافتراء قلمه ويُصوِّر لنا هذه الشخصية باعثةً لهذه«العقيدة» التى كنا قد رأيناها بريشة مؤلف«سفر التكوين» قد هجعت بين جوانح «بيوت إسرائيل» كذكرى حُلم غامض بعيد كان قد طوف على جبين الآباء!.

ومن هنا نُكرِّر قولنا فنقول: إننا إذا أردنا استجلاء النظرة اليهودية إلى موسى تمام الاستجلاء فعلينا أن نلقى بسمعنا عبر الزمن إلى هذا المؤلف وهو بخياله يشطح هذه الشطحاتُ مُدعياً أنه إنما يسطِّر لموسى حياة ويُروى لهذه الحياة أحداثاً وماجاء به صاحبها من أعمال.. فليُرهف المسمع منّا إليه وهو يبدأ روايته عن موسى منذ اللحظة التى استهلّ خلالها موسى بروزه على صفحة التاريخ كفردٍ أحاطه المحيطُ المصرى وإلى«بيت

لآوى» بنسبه يعود بينما بين جوانبه تلتهب، فى تأجج، مشاعر المضض لرؤيته الدرجة الاجتماعية التى هوى إليها قومه وعيشهم عيشة العبودية فى الحقل وفى البناء.. فأكتافهم هى التى حملت الأحجار التى بنت معبد الـ«رعمسيوم» وسواعدهم هى التى أقامت أعمدة الـ«بيتوم».. فلشدّ ما:

«استعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف اومرّروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبِن وفى كل عمل فى الحقل!..».(١)

هذا نص من النصوص الدالة على المرتبة الاجتماعية التى هوت إليها هذه الجماعة من «بيوت إسرائيل» فى عصر الإمبراطورية المصرية. وفى هذا الصدد لم يُقرِّر مؤلف «سفر الخروج» إلاّ حقيقة. فإن بين أوراق البردى التى تزخر بها متاحف العصر الحاضر توجد برديتان تعودان بتاريخيهما إلى عهد «رع موسى» الكبير وتُلقيان الضوء على البيئة التى كان سلالة العبريين يعيشون فيها فى ذاك العهد فلقد ورد فى الواحدة منها رسالة من «كويسر» إلى «بكنفتاح» وفيها يقول:

«أعط الجنود قوتهم وأعط أيضاً العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رع موسى.. والذين وُكِّل أمرهم إلى رئيس الشرطة علنيمان فأنا أجريت عليهم رزقهم فى كل شهر بمقتضى الأوامر السامية».

وأمّا البردية الأخرى فهى رسالة من «كينا» إلى «كجاناهو» وفيها يقول:

«أطعت ما أمرنى به سيدى قائلاً: أعط الجنود أرزاقهم والعبريو أيضاً الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذى انصرفت إليه عناية رع موسى..»

لاجدال فى أن لهاتين الرسالتين أهمية بالغة. لا لأنه قد ورد فيهما اسم «عبريو» فحسب وإنما لأن ماجاء فيهما يتّفق مع ماذكره مؤلف «سفْر الخروج» فى الإصحاح الأول من «سفره» بأن هذه الجماعة من سلالة العبريين قد عملوا عمّالاً فى بناء الرعمسيوم والبيتوم وهذا بالإضافة إلى أن الرسالة الأخيرة تؤكد بأنهم قد عملوا فى عهد «رع موسى» الكبير فى أعالى النيل..

(١) الإصحاح الأول «سفر الخروج».

ومن هنا يستمد هذا المؤلف اليهوذى المدد ليحدثنا بأنهم قد عاشوا فى مصر عيشة العبودية تغلهم أغلال العمل فى الحقل وفى البناء. بينما بين ضلوع كل فرد منهم كان قد سكن ذلك الحلم الحالم بامتلاك «أرضٍ» هى له قد منحت منحة أبدية كما جاء بها «وعد قدسى» !. فهى «أرض» سيعيش فيها سيداً يطرح عنه للعبودية أثقالا كما أن له فيها، إذا ما وُفى الوعد، عيشة رغدة تنسيه ماقد مرَّ عليه عبر الأيام من مرارة الذلة ومرير الإذلال فى بلد يعلم أنه عنها غريب ولم تعد له فيها عزة كانت لآبائه فيها فى غابر الأيام. وهو بقدر ما تختلج بهذا الشعور منه المشاعر بقدر مايتوثب إلى حياة فيها من ألوان سيادة العصر بعض الألوان !.

بين جوانح كل فرد من «بيوت إسرائيل» كما يحدثنا هذا المؤلف اليهوذى، كان قد استقرَّ هذا الشعور - كعقيدة دينية متوارثة يبعثها التذاكر وتلهبها الذكرى وتُسعرها الذكريات.. ولاغرابة فى أن يحدثنا هذا المؤلف اليهوذى هذا الحديث فهو يراها فكرة أجيال قد أودعتها الأجيال وديعة غالية فى أعماق النفس الإسرائيلية. ومن ثمّ فلا غرو أن يرى أن إلى تحقيقها قد اشتد التلهف بهذا الجيل الذى أقام «الرعمسيوم» و«البيتوم» والذى يقول عنه إنه قد عاصر تلك الأعاصير السياسية التى حوَّمت من حول الوادى قبيل مغرب حكم «رع موسى» الكبير غداة أدكنت الآفاق من جهة لوبيا !.

ولكن !. مؤلف «سفْر الخروج» يأبى أن يتّخذ، لهذا التهلف الذى يرويه، إلاّ من موسى، عليه السلام، محوراً.. فهو يحدثنا بأنّ فى «تلك الأيام» برز موسى على التاريخ بهذا الحدث؛

«وحدث فى تلك الأيام لمّا كبر موسى أنه خرج إلى أخوته لينظر فى أثقالهم. فرأى رجلا مصرياً يضرب رجلا عبرانياً من أخوته. فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل» .(١)

ثمّ؟..

«ثمّ خرج فى اليوم الثانى وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان. فقال للمذنب؛ لماذا

---

(١) الإصحاح ٢ «سفر الخروج».

تضرب صاحبك؟ فقال؛ من جعلك رئيساً وقاضياً علينا؟ أمفْتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرىَّ؟!

فخاف موسى وقال؛ حقاً قد عُرف الأمر!

فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى. فهرب موسى من وجه فرعون». (١)

إلى أين «هرب موسى» ؟..

هذا سؤال يتولّى الإجابة عنه مؤلف«سفر الخروج» .. ولكن!.. هنا يجب أن نتنبه إلى هذا المؤلّف اليهودى وهو يُروى لنا روايته عن هذا «الهرب» .. فهو لايروى روايته هذه إلاّ من زاوية سياسية تتنافر كل التنافر وماتَرويه مصادر أخرى عن هذا الحدث، إذ يصوِّر موسى هارباً لايحمل معه شيئاً إلاّ هذه «العقيدة» ، عقيدة«الأرض الموعودة» ، وإلاّ عُقْدة الخوف من القتل!..

ويقيناً إنها لعُقْدة نفسية!. ولكنها عقدة نفسية فى نفس هذا المؤلّف اليهودى الذى راح تحت تأثيرها يروى كل ماتضمَّنه «سفره» من روايات نجحت فى تحويل فكرة«الأرض الموعودة» مــن عقيدة متوارثة إلــى عقيدة دينية بالمعنى الكامــل مــن المفهوم اللّغوى لــهذه الكلمة.. فلولا هذه العُقدة النفسية فــى نفس هذا المــؤلف الذى حفّ«سفره» بقدسية رأت فيها الجماعةُ اليهودية تدعيماً لوجودها فراحت بهذه«القــدسية الــوهمية» تثبت لما كان قد تعقّد فى جبهة الحاضر عــن هــذه المشكلة، «مشكلة فلسطين» ، التــى لم تستمدّ وجودها، حتى الآن، إلاّ من إلصاق عقيــدة«الأرض المــوعودة» بمــوسى إلصــاقاً بــرىء منه موســى براءته من هذا الدين الذى يدّعى «مؤلف سفر الخروج» انتماءه إليه!.. وليس ذلك إلاّ لكى يتخذ من موسى وسيلة لهدف تفصح عنه ماقد اختلقته مخيلةُ هذا المؤلف عن موسى من بدَع لاتمت، فى واقعها التاريخى، إلاّ إلى مؤلف«سفْر الخروج» الذى كيما يعطى أقواله صبغة قدسية، اتخذ من موسى مادةً لها وأبى أن يستهل حديثه عنه إلاّ منذ اللحظة التى دفعته فيها العصبية القومية إلى قتل مصرى.

من اليقين أن مقتل ذاك المصرى كان نقطة البداية فى مطلع موسى فى أُفُق التاريخ

---

(١) الإصحاح ٢ «سفر الخروج».

الدينى ولكن الصورة التى يُصوِّرها مؤلف «سفر الخروج» إنما هى صورة مشوّهة ملطخة رسمتها ريشةٌ ملطخة بالدماء!.. فإنَّ هذا المؤلف لايتحدث عن موسى كنبيٍ وكرسول وإنما يتحدث عنه كرجل قَتَل!.. ثمَّ استشعر النتائج من هذا الحدث فكاد القلب منه ينخلع هلعاً من قصاصٍ يراه وشيك الوقوع ففرَّ هارباً.. وأمَّا إلى أين ؟.. فهذا هو السؤال الذى تأتى الإجابة عنه من هذا المؤلف اليهوذى الذى يأبى إلاّ أن يجعله «الوطن الموعود» وحيث كان مازال هناك من سلالة العمومة أبناء، ليقول لنا إن فى حِمَى الحمى من أبناء العمومة يطيب الجوار ويمكن الاحتماء فلقد اختار موسى من «أرض كَنعان» تلك البقعة حيث؛

«سكن فى أرض مديان» (١)

وهنا..

هنا تبدأ النصوص فى التنفس عن نفسية مؤلفها فى نفس الوقت الذى تفْصح فيه عن الدرجة العقلية التى كان عليها هذا المؤلف وهو يُسطِّر هذه النصوص التى يبدأها منذ اللحظة التى هبط خلالها موسى تلك البقعة من أرض «كنعان» ويقول؛

«وصار إلى أرض مدين وقعد عند البئر.

وكان لكاهن مدين سبع بنات. فجئن واستقين وكلأن المساقى ليسقين غنم أبيهن. فجاء الرعاة وطردوهن فقام موسى ونجدهن وسقى غنمهن.

فلماجئن رعوئيل أباهن قال؛ ما بالكن أسرعتن فى المجىء اليوم؟

فقلن؛ إنَّ رجلاً مصرياً خلّصنا من أيدى الرُّعاة وأيضاً استقى لنا وسَقى الغنم.

فقال لبناته؛ وأين هو؟ لم تركتنَّ الرجل؟ أدعونه ليأ كل طعاماً.

فارتضى موسى أن يقيم عند الرجل فزوّجه صفُّورة ابنته، فولدت ابناً فسماه جرشوم لأنه قال؛ كنت نزيلا فى أرض غريبة!.

---

(١) الإصحاح ٢ «سفر الخروج».

ثم ولدت ابناً ثانياً فسماه اليعاذار وقال لأن إله أبى ناصرى وأنقذنى من يد فرعون!..» .(١)

نظرة عابرة نلقيها على هذه السطور نُدرك من ورائها أن هذا المؤلف اليهوذى لم يعن بهذه «الأرض الغريبة» إلاّ مصر. وأمّا من كان هذا «الفرعون» الذى لايذكر مؤلف«سفْر الخروج» اسمه فإنّ مجريات الأحداث التى سيذكرها ستزيدنا يقيناً بأنه كان «رع موسى» الكبير وخاصّة عندما ينهى نفس هذا المؤلف روايته هذه ويستجمع قواه لغيرها ويتخذ لذلك مدداً حياة موسى فى بيت«كاهن مدين» الذى كفل إيواءه مقابل تكلفته برعى أغنام له فى المراعى المحيطة بسفوح ذلك الجبل المسمى«جبل الله» والمعروف باسم «حوريب».

وهكذا.. عن هذا اللون الرتيب من الحياة، على حدّ تصوير مؤلف«سفر الخروج»، انصرفت الأيام بموسى وتجّمعت بانفراطها من حوله إلى شهور ثمّ دارت فى مدار الزمن إلى سنين حتى انحسرت عنه شيخاً وهو لم يزل مُحتجب الظل فى ظلال حوريب تُغيّبه عن أنظار عالمه لهذه السفوح معارج ومنحنيات لاعمل له إلاّ رعى أغنام«كاهن مدين» وإلاّ الهش عليها بعصاه وإلاّ توجيهها، بهذه العصى، أنّى وجهةً لها أراد.. وكأنّما هى شبيهة بالجماعات البشرية والمشبّهة فى مصر «قطيع القطعان»!. تسوقهم العصا وتوجّههم أنّى وجهة إليها الرّاعى بها يشيرا.

هذه هى الصورة التخطيطية التى يُقدّمها لنا مؤلف «سفْر الخروج» وهو من شريط الماضى يحسب أنه يسحبها سحباً وكيْما يضع عليها ألوانه الصارخة راح بطرف خفى يشير إلى الأعوام المضنية المميضة التى مرت بموسى وبها مرّ موسى عبر عمر مديد الأيام والعين منه عالقة بهذا الجبل الذى يصُابحه ويماسيه والذى تشمخ قمته المحتجبة بالغمام تجتذب من ثنايا البروق النظر وتطلق من خلال قصف الرعود للخيال العنان بينما تتراجع عن الارتقاء عليه الأقدام من كل إنسان لأنه جبل ليس ككلّ الجبال. كما بذلك يحدثنا مؤلف «سفْر الخروج» فى الإصحاح الثالث من «سفره» قائلا بأن الجبل، وهو جبل حوريب، إنمّا هو «جبل الله».

(١) الإصحاح ٢ «سفر الخروج».

وفى الواقع إن مُؤلِّف «سفر الخروج» لم يقرّر بهذا القول إلاّ حقيقة وهى أن هذا الجبل كان عند «مدين» مقدساً، وكان لديها يعرف تحت اسم «جبل الله» وذلك لمعتقدها القائل بأن «إيل - شدّاى» ، ومن معناه الإله ذو الشدة، قد اختاره مكاناً للهبوط عليه من السماء. ونحن إذا تتبعنا تاريخ التفكير الإلهى عند كل شعوب العالم القديم على حدة لوجدنا أن هذه المنطقة الجبلية لم تشذ عن هذه القاعدة عندما عبدت معبودها على هذا النحو كإله يهبط على هذا الجبل بين وميض البروق وقصف الرعود. كلا، لم تشذ «مدين» عن سائر شعوب العالم القديم عندما جعلت إلهها إلها جبلياً ووصفته بنفس مااتصفت به هى من صفات. فوصفته بالشدة وطبعته بنفس طبيعة أهل الجبال بل وتصوّرته رجلا كرجالها حتى جرى فيما بينها عنه التعريف بأنه؛ «رجل حرب»!.

ولكن!.

هنا يبدأ مؤلف«سفر الخروج» فى إطلاق العنان لخيال اعتاد التحليق فى مواطن الشطحات!.. فهو، وهو الذى قد أبى إلاّ أن يتّخذ من موسى وسيلة إلى غاية رمى إليها من وراء كتابته هذا «السفر» ، يُصوِّر موسى، وهو الذى انحسرت عنه الأعوام راعياً يعيش فى تلك المنطقة الجبلية من الأرض، وقد خضبّه هذا اللون من ألوان التفكير الإلهى المتخذ محوراً «إيل - شدّاى» أو هذا الرّب الذى أسكنته مدين قمم حوريب..

ولكن!

هنا يتنبّه هذا المؤلف اليهوذى إلى نفسه فيرى أن «إيل - شدّاى» لم يكن إلا ربّاً خاصاً لمدين وأن «مدين» قد ماثلت بذلك سائر الشعوب وأمّا هذه الجماعة من «بيوت إسرائيل» فلم يكن لها فى ذاك العهد الذى يتحدّث عنه هذا المؤلف ربّاً بها خاصاً يمكن لها أن ترتفع، باسمه، إلى مصاف الشعوب!.

هنا يطرق مؤلف«سفر الخروج» مفكراً فيتذكّر ماقد سطره، من قبل، مؤلف «سفر التكوين» وماقد ذكره من اسمٍ هو ذاك الذى كان قد وضعه، افتراءً، بين شفتى إبراهيم

لحظة جعل يده تتراجع عن ذبح اسحاق.. ومن ثمّ فليس هناك أنسب من اسم «يهوه» رباً خاصاً لبنى إسرائيل!.

وهنا يُشمّر مؤلف«سفر الخروج» عن ساعديه ليجرى قلمه بالجديد من الافتراءات.. فلقدرأى هذا المؤلف فى هذا الاسم، الذى رواه زميله، مدداً يستطيع أن يحيك به رواية جديدة فجعله اسماً يأتى إلى موسى من قمم حوريب وليجعله يعلن له عن نفسه بأنه؛ هو «يهوه» ، قد اختار«بنى إسرائيل» ليكون لهم إلها وليكونوا له شعباً..، وإذا كان لم يكن لموسى معرفة به من قبل قط، فإنما هو الذى كان إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب أو إسرائيل من قبل!..

كلا!.. لن نتساءل ماالذى جعل مؤلف «سفْر الخروج» يصبُّ هذا الإسم فى مسمع الزمن صباً بينما كان يطوى بخياله ذرعاً فسحات هذه السفوح من حوريب التى جعل موسى يقضى عليها أربعين عاماً منذ ترك مصر؟.. كلاً، لن نتساءل فحسبنا أن نصغى إلى هذا المؤلف اليهوذى وهويصوّر لنا موسى رائحاً وغادياً بين أرجاء هذه المنطقة الجبلية راعياً الغنم نهاراً ومساهراً النجم ليلاً يستعرض الأحداث الجارية من حوله ومن بعيد ويتنسّم الأخبار الدالفة من بلدٍ هوإلى العودة إليها يتوق ولايحول بينه وبين هذه الأمنية إلاّغروب حكم ومشرق حكم آخر ودون تحقيقه قد امتدت الآمادحتى ليبدو وكأنمّا ليس له شروق فالجالس على عرش النيل قد امتد به الأجل إلى حكم طويل طوى هذه الأربعين سنة التى قضاها موسى فى ظلال حوريب حتى ليبدو وكأنمّا العمر لحكم هذا «الفرعون» الكبير ليس له غروب!.

ولكن..

فجأة تغيّرت فى مصر مجريات الأحداث وعن الدنيا طوت راحةُ الزمن هذا «الفرعون» الذى تتضافر الأدلة على أنه كان «رع موسى» الكبير فليس هناك بين ملوك مصر من امتد به الأجل كل هذا القدر من السنين وتناهى حكمه إلى أكثر من ستين سنة سوى هذا الفرعون الذى لم تطوه راحة الزمن إلاّ ونشرت «منفتاح» فى نفس الوقت الذى تأهبت فيه لنشر «منفتاح» آخر جديد.. ومن ثمّ فقد زال حكم قديم وجاء حكم جديد

مرت بعد زوال«حكم رع موسى» الكبير حتى استقام الحكم لـ«منفتاح» قد شُحنت بالخطير من الأحداث التى غيّرت وبدلت الأوضاع فى داخل البلاد وخارجها ولـم يعدما يحول بين موسـى وبين العودة إلـى مـصر.

ولكـن!. هنـا يتّخذ مـؤلف«سفْر الخروج» مـن هـذه الأحداث لخياله مـدداً ومـن ثمَّ تبدأ النصوص فى الانحسار عن مايكنُّه من هذا الموقف اليهوذى الضمير.. فهـو يحدثنا:

«وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن ملِك مصر مات وتنّهد بنو إسرائيل وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله..

فتذكّر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب!..» .(١)

لاجدال فى أن مايقصده هذا المؤلف بكلمة «الله» ليس إلا «يهوه» ولكننا لايسعنا، وقد ذكر اسم«الله» إلا أن نقول استغفر الله!.

أينسى الله حتى يتذكّر؟!

يقيناً أنها لنصوص تفصح بنفسها عن نفسها والى المزيد من التعليق بأكثر من الاستغفار هى فى غير حاجة!.

والآن؟. الآن علينا أن يرهف المسمع منا إلى هذا المؤلف الذى لايربط بين موت ملك مصر واستصراخ بنى اسرائيل و«تذكر الله ميثاقه مع إبراهيم واسحاق ويعقوب» أو «إسرائيل» نفسه، إلاّ ليحدثنا قائلاً:

«وكان موسى يرعى غنم يثرو حميه كاهن مدين، فساق الغنم إلى ماوراء البرية حتى أفضى إلى جبل الله» .(٢)

وهناك..

هناك فى «جبل الله» وبينما كان موسى يرعى الغنم،

(١) الإصحاح ٢ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».

«تجَلى له ملاك الرب فى لهيب نار من وسط العليقة فنظر فاذا العليقة تتوقَّد بالنار وهى لاتحترق.

فقال موسى؛ أميل وأنظر هذا المنظر العظيم مابال العليقة لا تحترق؟

ورأى الربُّ أنه قد مال لينظر فناداه الله من وسط العليقة وقال؛

موسى. موسى!.». (١)

نظرة عابرة، ولا أقول سابرة نلقيها على هذه النصوص ترينا أن مؤلف «سفر الخروج» قد جاء برواية مشوهة عن حدث قدسى، إذ قد خلط خلطاً بيِّنا هو، حتماً، له لم يفقه وإلا لكان له قد صحَّح!.فهو يجعل المتجلى من وسط العليقة، بادى ذى بدىء، «ملاك الرب» ثمّ يجعله «الرب» نفسه حتى ليختلط علينا أيُّهما قد قصد هذا المؤلف بهذا التجلى!.. بينما فى انصراف عن خطئه هذا يسير شوطاً آخر فى نفس الوقت الذى لايسعنا فيه إلاَّ الاستمرار فى الإصغاء إليه وهو يواصل حديثه قائلا بأن عند ذاك أجاب موسى و؛

«قال ها أنذا!.» (٢)

وحينذاك، كما يقول هذا المؤلف اليهوذى، تكلّم الرب و؛

«قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب!..» (٣)

نعم أنا «يهوه»!..

وانى أنا؛

«إله العبرانيين!.» (٤)

أمام هذه الفقرات، حتما، للفكر منا أن يتمهّل للحظة. كلاَّ ! بل للحظات يستعين خلالها بأضواء «علم النفس» على التغلغل إلى نفسية هذا المؤلف اليهوذى الذى جعل

(١) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».
(٤) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».

للعبريين إلهاً بهم خاصاً ونهج منهج زميله مؤلف «سفر التكوين» فأطلق عليه اسم «يهوه» وذلك لينتهى به إلى «بنى إسرائيل» بينما تستعيد الذاكرة منّا تاريخ هذا الإسم فى سجلّ التفكير الإلهى والدينىّ لتلك العصور.. لحظات، تفرغ نفسها فى لحظات أخرى من التأمل فقرات أخرى من هذه النصوص التى تسترسل قائلة بأن «المتكلم» قد واصل الكلام يزيد مُكلِّمه بنفسه تعريفاً إذ؛

«قال له؛ أنا الربّ! وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب.. وأمااسمى يهوه فلم أُعرف عندهم!..».

لاجدال فى أن المعنى من وراء هذه النصوص لواضح كل الوضوح فإنّ هذا المؤلف اليهوذى يريد أن يقول إن «يهوه» كان إله العبريين وأنه قد تفرّد من بين الأرباب الأخرى بأنه إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، وذلك ليجعله ربّاً خاصاً لبنى إسرائيل فإنما«يهوه» إذا كان إله يعقوب أو إسرائيل فهو قطعاً إله«بنى إسرائيل».. وأمّا وإن إسحاق ويعقوب لم يعرفا اسمه فهذا قول لم يتنبّه هذا المؤلف اليهوذى إلى مجافاته لأبسط قواعد المنطق فى نفس الوقت الذى فيه أن زميله مؤلف«سفر التكوين» كان قد نسبه إلى إبراهيم!. ولكنه يوالى الحديث مؤكّداً بأن «يهوه» هو هذا الربّ الذى قد ظهر لموسى وقال؛

«أنا الربّ وأنا ظهرت لإبراهيم واسحاق ويعقوب.. وأيضاً أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها!.»(١)

يقيناً لقد شذّ المؤلف اليهوذى عن كل قاعدة من قواعد المنطق بهذه النصوص التى تجعل هذا الرب قد قطع على نفسه عهداً وبه لم يف!. أىّ! ربّ كان هذا«الربّ» ؟.. وأى ربّ هو«يهوه» ؟!

عن هذه الأسئلة ستفصح من بعد النصوصُ التى سيوافينا بها هذا المؤلف الذى نهج منهج زميله مؤلف «سفر التكوين» وابتعث من سجلّ أرباب ليل الإنسانية وطفولة العقل البشرى هذا الرب المسمّى «يهوه».

وليجعله«إله بنى إسرائيل» جعله «إله العبرانيين» وكأنّما اللاّوعى من هذا المؤلف قد احتفظ بما كانت عليه مرتبة«يهوه» بين الأرباب فلم يضرْه أن يصفه بالنسيان بل ولم

---

(١) الإصحاح ٦ سفر«الخروج».

يجد غضاضة فى أن يقول إنه قد نسى عهداً كان قد قطعه للأباء وعفى عليه كرّ الدهور ومرور الأزمان ولكنه عندما سمع أنين الأبناء تذكَّر هذا «العهد» وابتعثته منه الذاكرة من لجة النسيان ومن ثمّ فهو يقول؛

«قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدى!..»(١)

أوَ غرابة فى ذلك؟

كلاّ، لاغرابة فى ذلك على «يهوه» وإنمّا الغرابة ألاّ يتذكّر «يهوه» عهده هذا إلاّ عندما ترامت من مصر الأنباء بأن حكم الوادى قد انتقل من حاكم إلى حاكم آخر وأن كل من كان يطلب الثأر قد مات.. فنحن نسمع هذا المؤلف يقول بإنه ليس إلاّ وقتذاك؛

«قال الرب لموسى؛.. امض فارجع إلى مصر فإنّه قد مات جميع القوم الذين يطلبون نفسك!» (٢)

من ثمّ فاذهب إلى هناك.. وهناك؛

«قل لبنى إسرآئيل..

اتّخذكم لى شعباً وأكون لكم إلهاً.. وادخلكم إلى الأرض التى رفعت يدى أن أُعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب.

واعطيكم إيّاها ميراثاً!.» (٣)

وهكذا..

هكذا يبدأ القلم فى يد هذا المؤلف اليهوذى يعقد عقدة «الأرض الموعودة» كما تطلع علينا هذه الحقيقة هادرة من نصوص هذا السّفْر الثانى من «الأسفار الخمسة» المنسوبة باطلاً إلى موسى.. فنحن إذ نمرّ على السطور من هذا«السفر» لايسعنا إلاّ أن نتمهل عند الفقرات التى تمثّل الخيوط فى عقدة «الأرض الموعودة» وذلك لأن هذا المؤلف اليهوذى قد تجنّى على موسى، عليه السلام، فجعله نفسه يعقد عقدة هذه«العقيدة» فى نفس

---

(١) الإصحاح ٦ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٤ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٦ «سفر الخروج».

الوقت الذى راح فيه يصبغ قصة موسى بصباغ الأساطير ويحسب أنه بذلك قد أزاح عن «الأرض الموعودة» ركام السنين!.. وأمّا كيف تجدّد «العهد» بإعطائها لبنى إسرائيل ميراثاً؟.. وأمّا كيف تحولت من عقيدة مستقرة فى طيات الطوية الإسرائيلية يتناوبها مدّ الذكرى وجذر النسيان إلى عقدة مستعرة تستذلّ الصعاب فأمر يمكننا أن نستجليه تمام الاستجلاء إذا استعنّا بأضواء «علم النفس» على التغلغل إلى نفسية هذا المؤلف اليهوذى الذى يأتينا بنصوص لانضعها فى موازين الفكر ونزنها بمعايير المنطق إلاّ ونقف حيارى أمام هذه الجماعة التى مازالت، حتى اليوم، لها تُردِّدُ وبالقدسية لها تحفّ فى غير تنبّه إلى ماتحتويه هذه النصوص من خلْط وماعليه تشتمل من أغلاط تسجّلها بنفسها على نفسها، لا لقولها بألوهية «يهوه» فحسب وأنّما لأنها تجعل هذا «الوعد» يأتى من هذا الرب الذى وقع عليه، من قبل، هوى مؤلف «سفر التكوين» ثمّ وافق الهوى من مؤلف «سفر الخروج» فاختاره للعبرانيين إلهاً كيما يكون «لبنى إسرائيل» إلهاً ويكونون له شعباً يصارعون باسمه الشعوب وأما جزاؤه منهم مقابل انتصارهم على شعوب الكون فتنصيبه إلهاً للكون!.

لاجدال فى أن لهذه الفكرة نظيراً بل ونظائر فى تاريخ التفكير الإلهى عند سائر الشعوب ولكنها هنا هى التى تسجّل تاريخ تسييج فكرة «الأرض الموعودة» بسياج القدسية، هذه القدسية المستمدة من الإيمان بصحة هذه النصوص التى لاتقف عند هذا الحدّ من الشطط وانّما هى تسترسل قائلة بأن موسى قد أجاب مُكلِّمه قائلا:

«.. ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم فإذا قالوا لى ماإسمه؟

فماذا أقول لهم؟!.» (١)

ومن قمم حوريب جاء، كما يدعى هذا المؤلف اليهوذى،

الجواب:

---

(١) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».

«.. هكذا تقول لبنى إسرائيل؛

يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم.

هذا اسمي إلى الأبد!..»(١)

ومن ثمّ..

«فالآن هلمّ فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر!.» .(٢)

من ثمّ فاذهب..

«اذهب واجمع شيوخ بنى إسرائيل وقل لهم؛ الربّ إله آبائكم، إله ابراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب، ظهر لى قائلا؛

إنى قد افتقدتكم!. فقلتُ أُصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين!.. إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً.

فإذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بنى إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له؛ الرب إله العبرانيين التقانا.

فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا!.» .(٣)

ولكن!.

«يكون حينما تمضون أنكم لاتمضون فارغين!

بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضّة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين!» .(٤)

ماهذا الهراء؟! وماهذه الترهات؟!.

يقيناً لقد تمادى مؤلف«سفر الخروج» وعن الصواب حاد بل وخرج عليه خروجاً

---

(١) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».
(٤) الإصحاح ٣ «سفر الخروج».

بيّناً بإمعانه فى افترائه على موسى!. فمن اليقين أنّه لهراء وأنها لترهات إنما هى هذه النصوص التى تجعل «يهوه» إله موسى!.

غُفرانك ياالله!.

بَيدَ أنّ هذا المؤلف اليهوذى يأبى إلاّ إن يعود إلى ترهاته من جديد كما يستهلها بهذه الصيغة من النصوص التى تحدثنا بأن عند ذاك؛

«قال موسى للربّ؛

استمع أيها السيد. لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك. بل أنا ثقيل الفم واللسان.

استمع أيها السيد . أرسل بيد من ترسل!.

فحمى غضب الربّ على موسى وقال؛ أليس هرون اللاّوى أخاك؟ فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه.. واعلمكما ماذا تصنعان.

هو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً!.»(١)

وهكذا يمضى هذا المؤلف اليهوذى فى افتراءاته على موسى، عليه السلام، قائلا بأنه خرج مستصحباً ابنه وصفورة امرأته، بنت كاهن مدين، راجعاً إلى مصر ائتماراً بأمر «يهوه».. بل ويسير هذا المؤلف شوطاً آخر فى شطحاته فيقول، ولكن؛

«لماكان فى الطريق فى المبيت التقاه الربُّ فطلب قتله! فأخذت صفورة صوّانة فقطعت قلفه ابنها ومست رجليه وقالت؛ إنك لى عروس دم! فكفّ عنه، عندما قالت عروس دم، من أجل الختان!..»(٢)

ماهذا المنطق الشاذ بل والشاذ كل الشذوذ؟! وإلاّ فلماذا كان الأمر بالعودة إلى مصر إذا كان القتل مطلباً فى الطريق؟!..

ثمّ .. ثمّ ماهذا الوصف الذى وصمَه السُفه والذى يجعل «الربّ» قد كفّ عن قتل موسى عندما رأى دم الختان؟!.

---

(١) الإصحاح ٤ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٤ «سفر الخروج».

أفّ!.

يقيناً أن الاعتقاد بقدسية هذه النصوص ونسبتها إلى موسى يصم صاحبه بوصمة الكفر!.. بل ويصمه بنفس لون هذا الكفر الذى وصم به مؤلف«سفْر الخروج» نفسه ويده تتمادى فى عبثها وتمتد لتحدثنا عن تلك الفترة التى سجلّ الزمنُ خلالها انحسار سجف التاريخ الدينى عن موسى فى مصر..

يُحدثنا مؤلف «سفْر الخروج» بأن موسى قد عاد إلى مصر شيخاً تدفعه للعودة إلى أهل له فيها صُوَر على الجبين منه تطوف وأمانى بين الضلوع به تعصف وأنه لم يستقر به وهرون المقام إلا ؛

«... وجمعا جميع شيوخ بنى إسرائيل. فتكلم هرون بجميع الكلام الذى كلم الربُّ موسى به».(1)

وهنا، كان حتما أن يسير هذا المؤلف اليهوذى فى روايته هذه فيكملها ويحيك منها هذا المشهد الذى صور به الرؤوس من شيوخ«بنى إسرائيل» مطرقة والمسامع منهم مرهفة تنصت فى شوق لهيف، كما يدّعى، إلى صوت هرون مُردِّداً ماقد سرى به اليه الصوت من موسى يقول إنه قد نودى من وسط العليقة من إله الأباء الثلاثة، إبراهيم وإسحاق وإسرائيل، مما جعل الرؤوس من شيوخ «بنى إسرائيل»، على حد تصوير هذا المؤلف، تتدانى وفى صوت خفيض تسأل؛

و«مااسمه؟..»

ومن نفس المصدر، كما يدّعى هذا المؤلف، جاءهم الجواب يقول إن اسمه؛

«يهوه!».

«يهوه» ؟

«يهوه» ؟!.

(1) الإصحاح4 «سفر الخروج».

اسم، تجاوب فى ترديد بين شفاه شيوخ إسرائيل لحظة إليهم أتى، كما يدعى مؤلف«سفر الخروج»، بمن عليه افترى نفس هذا المؤلف كل هذه الافتراءات!.. وأما لماذا جاء«يهوه» فليس إلاّ ليعدهم إيفاء «العهد» ويُذكرهم بأن إله الآباء قد تذكر عهده للآباء فلقد انطلق الصوت منه يقول؛

أنا الربُّ!.. قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكّرت عهدى!

لذلك قل لبنى إسرائيل! أنا الربّ وأنا أُخرجكم من تحت أثقال المصريين وأُنقذكم من عبوديتهم.. واتخذكم لى شعباً وأكون لكم إلهاً!

فتعلمون أنى أنا الربُّ إلهكم الذى يخركم من تحت أثقال المصـريين وأدخلكم إلـى الأرض التـى رفعت يدى أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأُعطيكم إياها ميراثاً»(١).

كيف؟..

عن هذا السؤال يأتينا من مؤلف«سفر الخروج» الجواب قائلاً لقد؛

«قال الرب لموسى؛ الآن تنظر ماأنا فاعل بفرعون!

فإنه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية يطردهم من أرضه!.»(٢)

ماهذا؟.. ماهذا الخلط فى القول وفى المعنى وماهذا الإسفاف الواضح فى التفكير؟!..

لاجدال فى أن هذه النصوص تنفى بنفسها عن نفسها، القدسية التى ألحقتها بنفسها لا لأن هذا المؤلف اليهوذى باعترافه بأن خروج«بنى إسرائيل» من مصر كان عن طريق الطرد وبذلك ينقض كل قصة أخرى من قصصه التى تتعلق بهذا الخروج فحسب وإنّما لأنه بهذه النصوص قد اعترف بأن الدين اليهودى الحالى قد اتخذ مبدأ وجوده من تأليه رب محلى!.

(١) الإصحاح ٦ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٦ «سفر الخروج».

أوشَكَ؟!.

أن الدين اليهودى الحالى لايعترف إلا بألوهة«يهوه» كرب أعلنه مؤلف «سفر الخروج» خاصٌ بالعبريين ثمَّ جعله من دون سائر آلهة ذلك العصر إلهاً خاصاً لبنى إسرآئيل وكأنما هذا المؤلف يريد أن يقول أنه إذا كان «آمن» لمصر إلهاً وإذا كان «مردوق» لبابل إلهاً وإذا كان «أشور» لأشور إلهاً فإنما لإسرائيل قد غدا أيضاً إلهاً!... بل وإذا كان المصريون هم من «آمن» «الشعب المختار» فإنمَّا بنو إسرائيل، أيضاً هم من «يهوه» «الشعب المختار»!..

يقيناً لقد خاض مؤلف«سفر الخروج» فى خضم الترهات خوضاً عجيبا لا لأنه قد انتزع من وهاد الربوبة القبلية هذا الرب انتزاعاً وجعله لإسرائيل إلهاً فحسب وإنما لأنه قد افترى على موسى، عليه السلام، إذ نسب إليه هذه الافتراءات وقال عنه إنه بهذا الرب أتى وجعله لإسرائيل إلهاً غداة إلى مصر عاد يعدهم بإسمه امتلاك«أرض كنعان» ميراثاً!.. فنحن نسمع من نصوص هذا«السفر» مايؤكد محلية «يهوه» عبر هذا القول المزور الذى وضعه هذا المؤلف اليهوذى بين شفتى موسى لحظة ازداد تجنياً عليه وتطاولاً وقال بأنه، كيما يخوض غمار القتال، راح يترنم بصفة «يهوه» رباً كالأرباب قائلا؛

«الرب رجل الحرب!

من مثلك بين الآلهة يارب؟!..»(١)

بهذا الاعتراف الرسمى الذى يجىء الينا من هذا المؤلف اليهوذى صريحاً يقول بأن «يهوه» بالألوهية لم يتفرّد وأنه لم يكن إلاّ بين أرباب العصر رباً وأنه لم يكن إلاّ لإسرائيل إلهاً جاء يعدهم «أرض كنعان» ملكاً وميراثاً، نضع يدنا على موطن الضعف فى تاريخ «عقيدة الأرض الموعودة» عند اليهود أنفسهم وإلى مدى هذا الضعف حرىٌ بنا أن نلفت الأنظار منهم فنقول؛

(١) الإصحاح ١٥«سفر الخروج».

إن «الوعد» بمنح «أرض كنعان» إلى «بنى إسرائيل» لم يجيء إلاّ على لسان «يهوه» وإذا كان «يهوه» هو المانح وليس بالألوهية هو المتفرِّد فما نصيب هذا «الوعد» فى معايير الحقيقة والتفكير السليم؟!.

والآن..

الآن لنواصل الإصغاء إلى مؤلف «سفر الخروج»، وهو يواصل حديثه وفى افتراءاته على موسى يتمادى فيصوره لنا وقد امتدت منه اليد تجمع جماعة إسرائيل فى مصر وتُخضع، باسم «يهوه»، إلى كلمته منهم الرقاب وتحولها ناحية حوريب وذلك ليقول لنا بأن هذه اللحظة كانت نفسها تلك اللحظة التى سجلت تحول فكرة «الأرض الموعودة» من عقيدة متوارثة إلى عقيدة دينية!.

ويقيناً إنها للحظةٍ من عمر الزمن كانت تلك اللحظة التى قنّن فيها مؤلف «سفر الخروج» حلم مؤلف «سفر التكوين» وحوّل فى خلالها فكرة «الأرض الموعودة» من حلم باهت وأمنية هاجعة بين الضلوع إلى عقيدة دينية بدأ بها تشبث هذه الجماعة بهذه البقعة من مفْرق طرق عالم الشرق الأوسط القديم هذا التشبُّث الذى مالبث أن تحوّل إلى المطالبة بهذه «البقعة» كحق شرعّى استمد شرعيته من الإيمان بأن «يهوه» قد منحها لهم ملكاً أبدياً!.

ويقيناً... يقيناً، ليس إلاّ تحت هذا اللون من التقنين كان أن تحوّلت فكرة «الأرض الموعودة» إلى عقيدة دينية انعقد على الإيمان بها الصدْر من كل فرد من أبناء هذه الطائفة الدينية غداة سطّر هذا المؤلف اليهوذى افتراءاته على موسى، عليه السلام، قائلاً إن «يهوه» هو الذى قد أعاد موسى إلى «بنى إسرائيل» فى مصر كيما يُكوّن منهم جيشاً يزحف به صوب «الأرض الموعودة» حتى أننا لنجد هذه الفكرة وقد استحوذت على تفكير هذا المؤلف اليهوذى استحواذاً هى التى جعلته يطلع علينا بنصوص جديدة تتحدث عن تمرد العمّال العبريين على من كانوا يعملون تحت امرتهم، يومذاك، من المصريين..

فنحن نسمع هذا المؤلف اليهوذى يحدثنا عن تكاسل هؤلاء العمّال عـن القيام بما كان قد ألقى على عاتقهم من أعمال وصراخهم قائلين؛ نريد أن نذهب «فنمضـى ثلاثة أيام فـى البرية ونذبـح للـربِّ إلهنا» كما نسمع الصـوت المصـرى ينبعث مـن نفس هـذه النصوص اليهوذية، وعلى حدّ تصوير هذا المؤلف اليهوذى، يسأل باعثىّ هذا التمرّد؛

«لماذا ياموسى وهرون تُبطلان الشعب عن أعماله؟..»(١)

وفى الواقع أن التاريخ السياسىّ المصرى القديم يهدينا إلى أن هناك تمرداً قد حدث فى عهد«منفتاح» ممّا أدّى إلى تنكيل «منفتاح» بالإسرائيليين فى جملة من نكّل بهم ممن شقوا عصا الطاعة على السلطان المصرى. وهذا يتّسق مع سير أحداث«بنى إسرائيل» وسير مجريات الأحداث أيضاً فى مصر القديمة فى ذلك العهد، ودليل على ذلك تلك النقوش التى ستصادفنا بعد قليل.. ولكن.. حتى يحين الحين لاستعراض هذه النقوش نقول بأن هذا المؤلف اليهوذى إذ يجعل هذا السؤال ينطلق من الجانب المصرى فليس إلاّ ليسترسل فى روايته هذه ويقول بأن الأمر قد صدر من الجانب المصرى أيضاً بتشديد العمل على هؤلاء العمال من «بنى إسرائيل»؛

«ليُثْقل العمـل علـى القـوم حتـى يشتغـلوا بـه ولايلتفتوا إلـى كلام الكذب!..»(٢)

«كلام الكذب»؟!.

من الواضح أن «كلام الكذب» هذا لايعنى إلا ذلك الكلام الذى افتراه مُؤلّف «سفر الخروج» على موسى وقال عنه إنه كلام «إله العبرانيين» إليه والذى، كما يدعى هذا المؤلف، قد واصل الكلام و؛

«قال الربُّ لموسى؛

(١) الإصحاح ٥ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٥«سفر الخروج».

قد بقيت ضربة واحدة أُنزلها علــى فرعــون والمصريين وبعــد ذلك يُطلقكم مــن ههنا.

وعند إطلاقه لكم جملة يطردكم من ههنا طرداً.»[1]

هذه نصوص أخرى صريحة تدلُّ على أن «الخروج» من مصر كان طرداً وليس هذا فحسب وإنما هي تؤكد أن هذا الطرد قد حدث في فترة قلقة غير مستقرة في داخل البلاد تتفق وسير الأحداث التي كان الوادي يعانيها خلال الفترة الأولى من حكم«منفتاح» بل إن الأدلة لتتالى على أن هذا الطرد قد حدث في فترة صاخبة من تاريخ الوادي وإن كان مؤلف «سفْر الخروج» يصف هذا الحدث وصفاً غير تاريخي إذ يقول؛

«وقال موسى كذا قال الرب؛

إنّي نحو نصف الليل أجتاز في وسط مصر. فيموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون..إلى.. جميع أبكار البهائم.

ويكــون صــراخ عظيم فــي جـميع أرض مـصــر لـم يكن مثله ولن يكون مثله!.» .[2]

وهنا، نتمهّل للحظة متأملين..

كلا، لن نتساءل في خلال ذلك قائلين؛

ماهي البواعث التي حتّمت هذا الطرد الذي يذكره مؤلف «سفر الخروج» بل وحدّدت له موعداً كان في تلك«الليلة» التــي يتحدّث عنها هــذا المــؤلف اليهــودي قائلاً؛

«وكلّم الربُّ موسى وهرون في أرض مصر قائلا؛

---

(١) الإصحاح ١١«سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١١«سفر الخروج».

هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم أو شهور السنة.

كلّما جماعة إسرائيل وقولا لهم؛

ليتخذوا لهم فى العاشر من هذا الشهر كل واحد حَمَلا بحسب بيوت الآباء لكل بيت حَمَلاً.

حَمَل صحيح ذَكَر حولىٌّ يكون لكم من الضأن، أوْ المعز، تأخذونه. ويكون عندكم محفوظاً إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر. فيذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل بين الغُروبين. ويأخذون من دّمه ويجعلون على قائمتى الباب وعتبته العُليا على البيوت التى يأكلونه فيها.

ويأكلون لحمه فى تلك الليلة شواء نار بفطير!.. مع رأسه وأكارعه وجوفه.. *وهكذا تأكلونه؛*

تكون أحقاؤكم مشدودة ونعالكم فى أرجلكم وعصيكم فى أيديكم وكلوه بعجلة!..

وأنا أجتاز فى أرض مصر فى تلك الليلة وأقتل كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم..

فيكون الدم لكم علامة على البيوت التى أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم ولاتحل بكم ضربة هلاك إذا ضربت أرض مصر!.

ويكون هذا اليوم لكم ذكراً فتعيّدونه..

سبعة أيام تأكلون فطيراً. فى اليوم الأول تخلون منازلكم من الخمير. فإنّ كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تنقرض تلك النفس من إسرائيل!...» .(١)

وهنا يكمل هذا المؤلف اليهودى روايته هذه قائلاً؛

---

(١) الإصحاح ١٢ «سفر الخروج».

«فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم؛

انهضوا!.. وخذوا طاقة زوفى واغمسوها فى الدّم الذى فى الطست. ولايخرج أحد منكم من باب منزله إلى الغداة.

فيجوز الربُّ ليضرب المصريين فإذا رأى الدمَّ على العتبة العليا وقائمتيّ الباب عَبَر الربّ عن الباب ولم يدع المهلك يدخل بيوتكم ضاربا!.»(١).

ومن ثمّ؛

«مضى بنو إسرائيل فصنعوا كما أمر الربُّ موسى وهرون بحسب ذلك عملوا. فلمّا كان نصف الليل ضرب الربُّ كلَّ بكر فى جميع أرض مصر. فقام فرعون ليلاً هو وجميع عبيده وسائر المصريين وكان صراخ عظيم فى مصر حيث لم يكن بيت إلاّ وفيه ميت.

فدعا موسى وهرون ليلاً وقال؛ قُوما واخرجا من بين شعبى أنتما وبنو إسرائيل!.. غنمكم وبقركم خذوها.. وامضوا»(٢).

بهذه الصورة التى يصوّرها هذا المؤلف اليهوذى جاء طرد «بنى إسرائيل» من مصر ليلاً. وأمّا ما الذى قد حدث حقيقة فى تلك «الليلة» فهذا أمر ينطوى فى غضون السنة الخامسة من حكم «منفتاح» وينتشر غداة أُخمدت العاصفة التى كانت قد هبّت من لوبيا وحاولت اقتحام الوادى من ناحية «أرض غوشن» حيث كان يسكن بنو إسرائيل...

وإذن!.

فليطرد «بنو إسرائيل» من مصر!.

ليطردون!.. ليطردون فوراً وفى هذه الليلة بالذات حتى قبل أن يُسفر الصباح!..

فلقد؛

---

(١) الإصحاح ١٢ «سفر الخروج».
(٢) الاصحاح ١٢ «سفر الخروج».

«ألحّ المصريون على الشعب ليُعجّلوا اطلاقهم!.»[(1)].

وأسرع «بنو إسرائيل» يجمعون حاجياتهم ولما كان الأمر قد صَدَر بطردهم فوراً فقد؛

«حمل الشعبُ عجينهم قبل أن يختمر! فكانت معاجنهم مشدودة فى ثيابهم على مناكبهم..»[(2)].

هذه هى الصورة التى يقدمها لنا مُؤلِّف «سفْر الخروج» عن خروج «بنى إسرائيل» من مصر.. حملوا عجينهم قبل أن يختمر وشدوا معاجنهم فى ثيابهم على مناكبهم وما حلّوا فى أول مرحلة من مراحل الطريق إلاَّ؛

«وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر خبز ملّة فطيراً إذ كان لم يختمر.

لأنهم **طُردوا من مصر**، ولم يقدروا أن يتأخروا!.»[(3)].

وهنا..

هنا «أمام هذا اللون من ألوان الارتحال، حتماً، تتغيَّر معايير التاريخ العبرى طالما أن هذا «الخروج» لم يكن إلاَّ طرداً وطرداً بعد إقامة فى مصر يُحددها مؤلف «سفر الخروج»، قائلا بأن؛

«إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة.»[(4)].

ومن ثَمّ..

إذا كانت إقامة «بنى إسرائيل» فى مصر قد حُددت هذا التحديد بيد مؤلف يهوذى نفسه من بنى إسرائيل وعالم بتاريخ ترحالات أباء له وأجداد فنستطيع أن نقول إن هذا التحديد نفسه يهدينا إلى أن هذا «الطرد» قد حدث فى عهد «منفتاح». فنحن نعلم أن العصر الهكسوسىّ قد بدأ حوالى سنة ١٧٩٠ ق.م. وبالتالى، نعلم أن «منفتاح» قد حكم مصر عشر سنوات انتهت بوفاته سنة ١٢٢٥ ق.م. ومن هنا نضع يدنا على فترة زمنية تبدأ منذ بداية العصر الهكسوسى حتى نهاية عهد «منفتاح» وهذه تربو على الخمسمائة سنة

(١) الاصحاح ١٢ «سفر الخروج».
(٢) الاصحاح ١٢ «سفر الخروج».
(٣) الاصحاح ١٢ «سفر الخروج».
(٤) الاصحاح ١٢ «سفر الخروج».

بأكثر من نصف قرن من الزمن على حكم الهكسوس مصر، فيجب علينا أن نطرح ذلك القدر من السنين الذى يذكره المؤلف اليهوذى من تلك المجموعة وبذلك نحصل على نفس الفترة الزمنية التى حددها مؤلف «سفر الخروج» على إقامة «بنى إسرائيل» فى مصر.. ثم بالإضافة إلى ما لدينا من الوثائق المصرية القديمة التى تدلنا على أن الإسرائيليين قد طردوا من مصر فى عهد «منفتاح» فإننا نستطيع أن نضع يدنا على الخيوط التاريخية الصحيحة لهذا الحدث الذى لايمكن بحال إلاّ أن يكون قد حدث فى السنة الخامسة من حكم «منفتاح» وعلى ذلك يأتى البرهان فى «قصيدة النصر»[1] التى اُلفت بمناسبة انتصار «منفتاح» على لوبيا.

إن هذه القصيدة، «قصيدة النصر»، التى أرِّخت بتاريخ يوم الانتصار على اللوبيين، وهو اليوم الثالث من الشهر الحادى عشر من السنة الخامسة لحكم «منفتاح»، ١٢٣٠ ق. م، والتى تتألف من ثمانية وعشرين سطراً سجلت نقشاً على لوحة من الجرانيت الأسود مازالت تقوم فى المعبد الجنازى لمنفتاح والمسماة «لوحة إسرائيل»، لأن فى نهاية السطرين الأخيرين جاء ذكر استئصال شأفة بنى إسرائيل، إنما هى سجل قائم على أن طرد «بنى إسرائيل» من مصر إنّما حدث مقروناً بالانتصار على اللّوبيين..

لاجدال فى أن هذه القصيدة كانت ذات أهمية كبيرة لدى «منفتاح» فهى فى مجموعها فخار بالنصر العظيم الذى أحرزه الملك على اللّوبيين فى تلك السنة الخامسة من حكمه والتى نجت مصر فى خلالها من الأخطار التى أحدقت بها. والقصيدة تزخر بالاستعارات والتشبيهات مما أسبغ عليها صورة شعرية لأنّ كاتبها قد وصف فيها هزيمة الاعداء بأسلوب أخّاذ.. وفى ختام هذه القصيدة التى صاغت المحامد لمنفتاح، بصفته الحاكم الذى ذاد عن حياض بلاده وخلصها من غارات اللّوبيين وكسر شوكتهم، يصف لنا الكاتب حالة السلام والطمأنينة التى سادت الوادى بعد هذا الانتصار ويعدد لنا أسماء القبائل والبلاد والأقاليم التى أخضعها «منفتاح»، ويستهلها بلوبيا وينهيها بجماعة «بنى إسرائيل» مما يدل دلالة تامة على أن خروجهم من مصر كان فى عهد هذا «الفرعون»...

---

(١) سجلت هذه القصيدة نقشاً على لوحتين تذكاريتين، قامت الواحدة فى معبد الكرنك كما يستدل على ذلك بقطعة وجدت هناك ومازالت اللوحة الأخرى قائمة فى المعبد الجنازى لهذا الملك.

والآن...

الآن نقف أمام «مدونة منفتاح» ونقرأ:

«إن تحنو»(١) قد خُربت.

«فاتى» أمست مسالمة.

«عسقلان» أُزيلت.

«جيزر» قُبض عليها.

«ينوم» أصبحت لاشيء.

وإسرائيل قد أقفرت وبذرتها قد انقطعت!.»

أمام هذه المتون التى وُجدت بين أنقاض «معبد منفتاح» فى طيبة(٢) نقف للحظة يعود بنا خلالها الفكرُ إلى الوراء يستعرض تلك اللحظة الزمنية من اليوم الثالث للشهر الحادى عشر من السنة الخامسة لحكم «منفتاح» وليستعرض من خلالها تلك الأحداث التى سبقتها حينما تألف بقيادة العاهل اللّوبى «مريى بن دد» حلف معاد لمصر. ثم أقبل يزحف من جهة «أرض غوشن» على الوادى ليعود إلى بلاده مدحوراً يسعى فى ركابه الفشل.. لنرى أن هذا الفشل اللّوبى يتسق وتاريخ خروج «بنى إسرائيل» لما جاء من ترابط فى الذكر عند ذكر هذين الحدثين...

وفى الواقع أن أهمّ ما يلفت النظر فى أفق التاريخ من هذه القصيدة التى نقشت تخليداً لذكرى انتصار منفتاح على بلاد لوبيا وأقوام البحار ووصف فيها حالة الأمن الشامل الذى ساد الوادى بعد أن أُبعد خطر الغزو عنه وأخطار العيون والأعوان هو ذكر جماعة «بنى إسرائيل» وبخاصة هذه العبارة التى قد مررنا بها من قبل وهى القائلة بأن «إسرائيل قد أقفرت وبذرتها قد انقطعت». فإنّه على الرغم من وجود هذه العبارة فى اللغة المصرية القديمة فى غير هذا المكان فإن استعمالها بالذات هنا، بالنسبة لبنى إسرائيل، يشتمل على أهمية عظيمة فى بحث موضوع خروجهم من مصر والأسباب التى أدت إليه والذى كان، بالتالى، كما يتضح، يهمُّ الحكومة المصرية وقتذاك.. فإنّ الإسرائيليين

---

(١) «لوبيا».

(٢) كشفت عنها «فلندرز بترى» سنة ١٨٩٦م.

أنفسهم كانوا يسكنون «أرض غوشن»، وهى التى يسميها مؤلف «سفر الخروج» أرض «جاسان» والتى نسميها اليوم «وادى طميلات»... ولم يكن لهم فى عهد الامبراطورية المصرية مكانة اجتماعية ولامرتبة سياسية حتى تُذكر ومن ذلك نفهم أنهم وإن كانوا محل انتباه فإنهم لم يكونوا بأية حال من هؤلاء الناس الذين كانت الحكومة المصرية تهتم بذكرهم أو بتدوين أعمالهم فى السجلاتّ الرسمية غير أنّ القلم المصرى وجد حادثة واحدة تتصل بإقامتهم فى مصر كان لها من الوجهة المصرية أهمية سياسية وذلك أن خروجهم جملة من الديار المصرية كان يهمُّ الحكومة وقتئذ وعلى ذلك جاءت الإشارة إليه فى السجلات الحكومية الخاصة بهذا العصر..

ومن ثمّ..

لاجدال فى أن هذه الحادثة التى جاء ذكر «بنى إسرائيل» فيها فى المتون المصرية كانت من الأهمية بحيث استرعت اهتمام المؤرخ المصرى القديم وفضلا عن ذلك فانها لما كانت آخر ما ذُكر عنهم فى ذلك العهد مما يسجل لنا انقطاع علاقة هذه الجماعة بمصر فإننا نستطيع أن نستبطن من ذلك كله أنه إذا كان هناك ذكر للإسرائيليين فى تلك النقوش المعاصرة لإقامتهم فى مصر فانّ ذلك لابدّ يشير إلى خروجهم وعلى صحة هذا الاستنباط يمكن الوصول بسبر أمرين هامين؛

الأول ـ العلاقة بين تاريخ الخروج وتاريخ نقوش اللّوحة.

الآخر ـ معنى الجملة التى جاءت فى النقوش خاصّة إسرائيل.

أمّا تاريخ النقوش فليس لدينا فيه أدنى شك إذ قد وُجد فى متن اللوحة ذكرى السنة الخامسة من حكم «منفتاح».

وأما تاريخ خروج بنى إسرائيل فانه وإن كان لايمكن تحديد اليوم بصفة قاطعة إلاّ أن الآثار المصرية تحصر هذه الحادثة فى السنة الخامسة من حكم «منفتاح»... وأما أنها كانت عهد هذا الملك فالدليل على ذلك يأتينا مما لدينا، بين الأوراق البردية، من وثيقة تُعرف بـ«ورقة أنسطاسى السادسة» (١) وتشمل خطابًا من كاتب الملك منفتاح جاء فيه ما يأتى؛

---

(١) المتحف «البريطانى».

«إن بعض بدو «شاسو» و«أيتام»[1] قد سُمح لهم، على حسب التعليمات، أن يجتازوا حصن إقليم «سكوت»[2] ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من بلدة «بتوم» فى ضياع الفرعون العظيم..

وهذا الخطاب كُتب فى السنة الثامنة من حكم «منفتاح» ويتضح منه أن هؤلاء الـ«شاسو» قد سمح لهم بالمرور ببعض أرض التاج فى «غوشن»، وادى الطميلات.. ومن البديهى أن هذه الحالة لايمكن أن تحدث إذا كان الإسرائيليون لايزالون يقيمون فى «أرض غوشن» فى السنة الثامنة من حكم «منفتاح»!. ومن ثمّ فلابدّ أن تكون حادثة الخروج وقعت فى وقت ما قبل هذا التاريخ وهذا البرهان كاف بتحديد الفترة الزمنية التى كان فيها هذا الخروج ليحصره فى نفس تاريخ نقش اللّوحة..

والواقع أن ما جاء فى متن اللوحة المشار إليها آنفًا يُعدّ سجلا معاصراً لخروج «بنى إسرائيل» كما يدل دلالةً واضحة على أنه قد وقع فى السنة الخامسة من حكم «منفتاح» لأن الغزو اللّوبى لمصر فى تلك السنة كان، حتماً، أن يُحدث أموراً فى شرق الوادى حيث توجد «أرض غوشن» وحيث كان الإسرائيليون يقيمون. وبالإضافة إلى ذلك كانت الأحوال وقتئذ تتطلب أن تُسحب الحاميات التى على الحدود الشرقية لتقوية الجيش الذى كان يقوم بصدّ المغيرين من جهة غربى الدلتا وشمالها وبذلك لا تترك إلاّ قوة قليلة لحماية الحدود. وهذا برهان آخر يعضد البرهان الأول على أن الحادثين، قهر لوبيا وطرد إسرائيل، قد وقعا فى زمن واحد!.

ثمّ أن هناك برهانًا آخر يأتى إلينا من متون هذه اللوحة نفسها وهو ما نلاحظه من تفصيل فى كتابة كلمة «إسرائيل» فى الأصل المصرى..

يُلاحظ أن فى الأصل المصرى تفصيلا فى كتابة كلمة «إسرائيل له أهميته. فنحن حينما نجد فى كتابة اسم قوم من الأقوام الذين ذكروا مع «إسرائيل» مُخصصاً فى نهاية الاسم دل ذلك على البلاد الأجنبية وهذا الُخصّص فى كلمة «إسرائيل» غير موجود، بل كُتب بدلا منه مُخصّص آخر يدل على أنهم قوم أجانب لاوطن لهم وأنهم ليسوا من

(١) «أدوم».
(٢) «تل المسخوطة» فى وادى طميلات.

أصحاب هذه البلاد أو تلك. ومن هنا نعلم أن عناصر النقش نفسه تُؤيِّد وقت الخروج. وإذا علمنا ذلك، بالإضافة إلى علمنا بأهمية الرموز المختلفة المخصصة التى استعملت فى الأقوام المختلفين الذين ذكروا فى النقوش، فانه من المحتم علينا أن نقول إن النقش يشير هنا إلى خروج «بنى إسرائيل» وأمّاما يعنيه فهو أنه قد طُرد من مصر عنصرٌ أجنبى يُدعى «إسرائيل» ومعهم أولادهم وكل ما يتبعهم ومن ثمّ أصبح لاوجود لهم بالنسبة لمصر..

وهنا نستطيع أن نقول إن النقوش التى على اللّوحة إذ قصدت ذكر «بنى إسرائيل» بمناسبة تسجيل الانتصار على اللّوبيين فليس إلاّ لأن حادث طردهم من مصر كان من الأهمّية بمكان حتى أصبح من الطبيعى أن يحتلّ مكانًا فى سجلّ هذه اللّوحة. ولكن.. نحن إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من حيث الأسلوب المصرى القديم نجد أن خروجهم من مصر يتمثل فى صورة طرد جماعة بإرادة «الفرعون» لاهربًا منه. والواقع أن المؤلف المصرى لهذه الأنشودة قد كتبها بوجهة نظر غير وجهة نظر المؤلف اليهوذى لهذه الرواية التى جاءت فى «سفْر الخروج»... وعلى الرغم من ذلك فاننا إذا سلمنا بصحة النتائج التى استنبطناها ممّا سبق فإن الأجزاء المختلفة من تاريخ «إسرائيل» فى مصر تتآلف بعضها مع البعض الآخر ظاهراً وتصبح متحدة تماماً مع ما جاء فى «سفر الخروج» ومع ما جاء على الآثار المصرية القديمة.

وفى الواقع ليس هناك مجال لشك أى مؤرخ غاص إلى أعماق الحقيقة فى أن الإسرائيليين كانوا فى مصر فى وقت ما وإنهم قد خرجوا منها جملة وذلك لسببين.. أولاً، مصادر التاريخ المصرى القديم. والآخر، لأنّ هناك قصة قوية تمثّل لنا الأحوال الأولى لقوم فى أوائل الأسرة التاسعة عشرة فى صورة إليها تشير نصوصهم إشارة كافية ولا يمكن إلا أن تكون انعكاسًا لضوء حوادث حقيقية قد وقعت بالفعل مهما كانت الصورة التى وصلت إلينا عنها مشوهة!. ولذلك فنحن نستبعد القول بأن كل قصة الخروج خرافية كما رمتها بذلك بعضُ أقلام وإنّما نقول بأن القول بكذب القصة شىء وكون تفاصيلها شىء آخر..

لاجدال، أن الصورة التى يُصوِّرها مؤلف «سفر الخروج» عن هذا الخروج ويذكرها بأساليب متنوعة مؤلفو «الأسفار» التالية من بعد إنّما هى صورة مهزوزة كل الاهتزاز، اختلط فيها الغلو بالكثير من الخيال ممّا يدلنا على أنها صورة حديثة صُوِّرت بيد مؤلف

«سفْر الخروج» فى غضون الأسر البابلى ثم ألقيت عليها الألوان فى الأسفار التالية ولكن. هذا لايمنع من أن يكون فيها حقائق تاريخية ممّا كان من خروجهم فى النهاية من مصر وهذا شيء كما تؤكده المتون المصرية قد وقع بالفعل. ولكن لمّا كان هذا الحدث، وإن كان لم يكن إلاّ طرداً، لم ينسه بنو إسرائيل لأنهم قد وجدوا فيه تحريراً من نير التسخير وأملاً فى احتلال «أرض كنعان» فقد راحوا يُرصّعون هذه الحقيقة التاريخية ببريق الأساطير الذى جعلها تبدو نفسها أسطورة من وحى الخيال..!

ومن ثمّ فاذا كانت تفاصيل القصة أسطورية فإنما القصة نفسها ليست فى جوهرها بأسطورة كما يصرّ على ذلك أكثر من قلم فى يد أكثر من مؤرخ.. لا لأنها قصة تعكس لنا فى مجموعها صورة حادثة تاريخية معينة فحسب وإنما لأن معلوماتنا «الطبوغرافية» عن شرق الدلتا تؤكد صحة هذه الرواية التى جاء ذكرها فى بداية «سفر الخروج» وهى التى تحدثنا بأن بنى إسرائيل قد أجبروا على السخرة فى إقامة مبانى «بيتوم» و«رعمسيس».. وعن وجود هاتين قد دلت الحفائر.. فليست «تل رطابة» اليوم إلاّ «بيتوم» الأمس التى أعيد بناؤها فى عهد «رع موسى الكبير» وليست «قنتير» الحالية إلاّ «بر رع موسى»، كما كان يسميها المصريون والتى أقيمت فى عهد «رع موسى» الكبير، أو «رعمسيس» كما سماها الإسرائيليون وهى التى منها، كما يحدثنا مؤلف «سفر الخروج»، كانت بداية الطريق لخروجهم من مصر ولذلك يجب أن نتبع، خطوة فخطوة، الأماكن المصرية التى سلكها «بنو إسرائيل» عند طردهم من مصر.

لزاماً علينا ونحن فى صدد استعراض الطريق التى سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر أن نقول إن الآراء العلمية قد تضاربت من حول هذا الموضوع الذى ظهر أنّه أكثر تعقيداً من تحديد تاريخ الخروج!. ومن أجل ذلك أصبح هذا الموضوع الشائك هدفاً لبحوث طويلة ونظريات عديدة طرحها الباحثون على مختلف أنواعها وأسهم فيها الكثيرون من رجال الدين وعلماء طبقات الأرض. بيْدَ أن أحدث من تناول هذا الموضوع بالبحث الدقيق كان العلامة «على شافعى» وخرج منه بنتيجة تُعدّ، حتى اليوم، أعمق ماوصل إليه البحث فى هذه المسألة المعقدة وقد وضع لذلك خريطة تهدينا إلى خطط هذا المسير والطرق التى سلكوها عند مغادرتهم الوادى حتى مشارف «أرض كنعان» راعى فيها أن تكون «طوبوغرافية» البلاد متمشية مع قصة الخروج لأن هذه القصة قد قُصت

في وقت لم تكن الأحوال الجغرافية قد تغيّرت في مصرَ فيه.. فأسماء البلاد المصرية كانت عند خروج «بني إسرائيل» كما هي حتى أننا لنجد التفاصيل الصغيرة، التي جاء ذكرها في سياق الكلام، مثل الطوار الذي كان بجانب حصن «دفنة»، أدفينا اليوم، وهو الذي جاء ذكره على لسان المؤلف اليهودي، هو نفسه الذي كشفت عنه أعمال الحَفر..(١) وهذه هي أسماء المدن والأماكن كما ذُكرت في «سفر الخروج»:

رعمسيس ـ سكوت ـ ايثام ـ فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون عند بحر سوف ـ برية شور ـ مارة ـ ايليم ـ برية سين التي بين إيليم وسيناء ـ رفيديم في مدين عند جبل الله حوريب ـ سيناء.

كل هذه الأماكن قد حُقِّقت ووُضع مُصوّرها الجغرافيّ الذي يتّفق مع الأحوال التي كانت سائدة زمن «الخروج» بقدر المستطاع.

ولكن.. لايهمنا من كل هذه الأماكن إلاّ ما كان داخل الحدود المصرية وذلك من «رعمسيس» حتى «بحر سوف».

أولا ـ «رعمسيس».

برهنت البحوثُ الحديثة على أن هذه البلدة هي «بر رع موسى» التي وجدت بقاياها في «قنتير» الحالية وأن «رع موسى الكبير» قد أنشأها واتخذها مقرًا لحكمه في شمال الدلتا وقد كانت المقرّ الصيفي لملوك الأسرة التاسعة عشرة ومن بعد للأسرة العشرين. ومن ثمَّ فهي ليست «تانيس» كما كان قد أخطأ أكثرُ من قلم في يد أكثر من مؤرخ..(٢)

ثانيا ـ «سكّوت».

برهنت «ورقةُ أنسطاسي»، هذه البردية العائدة بتاريخها إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة، على أن عند «الصالحية» وبين الأطلال المجاورة لها يجب أن نبحث عن موقع بلدة «سكّوت». فإن البردية المشار اليها تصف لنا «سكّوت» بأنها أرض متاخمة لبلدة «بر رع موسى» وأنها لاتبعد عنها إلاّ مسيرة يوم واحد وأنها في اتّجاه الصحراء وأن فيها قلعة

(١) «فلندرز بيترى».

(٢) منهم «أولبرايت».

تُدعى «ختم سكّوت» ومستنقعات تعرف باسم بحيرات «بتوم منفتاح». ومن ثمَّ، لَمّا كُنا نعلم أن هذه الجهة كانت مُخصصة لفراعنة الرعامسة الذين كانوا مغرمين بالصيد والقنص فى أعشاب هذه المستنقعات والذين كانوا يسكنون قنتير على مسافة يمكن تحديدها بخمسة عشر كيلو متراً من الشمال الغربىّ لهذه الجهة علمنا أن هذه البحيرات لاتخرج عن كونها بحيرة «مهيشر» ومستنقعات «سعدة» و«أكياد».. وأمّا إنّها كانت عهد ذاك تحمل اسم «منفتاح» فهذا دليل آخر يشير إلى أن «الخروج» كان فى «عهد منفتاح».

ثالثاً ـ «إيثام».

إن ايثام هى «أدوم» وهذه ليست بلدة بل بيداء كان يسكنها العرب البدو الذين كان المصريون يسمونهم «شاسو» لأن هؤلاء كانوا ينزحون وراء الكلأ عندما تشحّ بالغيث السماء. وأمّا مسير «بنى إسرائيل» فى هذه البيداء فهذا وحده برهان على أنهم لم يسلكوا المنطقة الرملية ذات العيون المائية المتعدِّدة المتكونة من مياه المطر الساقط على الساحل وعلى أنهم قد ساروا جنوباً مُولين وجوههم شطر «مَدْين».

رابعاً ـ «فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون عند بحر سوف».

فأما «فم الحيروث» فهو مصبّ فرع من النيل بين بحيرات البلح فى الجزء الجنوبىّ الشرقىّ لبحيرة المنزلة وكان هذا الفرع من النيل يُصبّ فيها وهذه تقع غربىّ «تارو» الأمس وبلدة «تل أبوصيفة» اليوم.. ولما كان «حور» الربّ المحلىّ لهذه البلدة وكان هذا الفرع من النيل ينتهى اليها فقد دُعى باسم «يمّ حور» بمعنى «ماء حور» أو «بحيرة حور». ثمّ تُرجمت هذه الكلمة عن اليونانية بعبارة «فم حور» وهذه التسمية لاتختلف كثيراً عن تسمية «فم الحيروث» التى جاء بها الذين قاموا بترجمة «الأسفار العبرية» فى القرن العاشر الميلادى عن الترجمة اليونانية العائدة بتاريخها إلى القرن الثالث ق.م. وإلى العهد الأول للبطالة.

وأمّا «مَجْدل».

مجدل بلدة تقع فى شرق «تارو» كما يشير اليها المُصوِّر الذى وضعه لنا «سيتى الأول» وقد جعل مكانها على مجرى أحاطت به التماسيح إشارة لنا على أنها عند نهاية الملاحة النيلية. وأما فى عهد الرعامسة فقد كانت معروفة بأنها أول بلدة مصرية على

الطريق المؤدى إلى فلسطين أى أنها على حافة الدلتا. ومن ثمّ فان «مجدل» الأمس ليست، اليوم، إلا «تل الهرّ».

وأمّا «بعل صفون».

لردح من الزمن غير قصير بقى هذا الاسم سراً غامضاً على أولئك الكُتاب الذين تناولوا بالبحث الدقيق قصة هذا «الخروج» إلى أن كُشف فى سقّارة عن ورقة فينيقية(١) فى إحدى الآبار الأثرية ومعها أوراق ديموطيقية. ولما كانت إحدى هذه الأوراق الديموطيقية تدل على أنها خطاب شخصىّ يتضرّع فيه كاتبه إلى «بعل صفون» باعتباره الإلـــه الرئيسىّ لبلدة «دافنى» نعلم أن المقصود فى هذا الصدد بـ«بعل صفون» هو بلدة دافنى نفسها، أدفينا اليوم.

والآن؟ الآن وأخيراً نجىء إلى «بحر سوف».

اعتقد الكثيرون ومازال الكثيرون يعتقدون أن «بحر سوف» هذا الذى ورد ذكره فى النسخة البروتستانتية من «العهد القديم» هو البحر الأحمر اعتماداً على تسميته ببحر القلزم فى النسخة الكاثوليكية من «العهد العتيق».. بَيدَ أنّ الحقائق التاريخية والبحوث الحديثة قد تكشفت عن غير ذلك إذ دلّت على أن المقصود بالبحر هنا ليس البحر الأحمر وليس ببحر على الإطلاق وإنما هو جزء من بحيرة وأن هذه البحيرة هى بالتحديد «بحيرة المنزلة»... وأمّا الخطأ فقد جاء من الذين قاموا بترجمة هذا «السفْر» عن اللّغة اليونانية إلى اللّغات الشرقية والغربية ووضعوا بدلا من كلمة «يمّ» التى كانت فيه، فى أصله العبرى، كلمة «بحر»... ثمّ بينما راعى الفريقُ البروتستانتى كلمة «سوف» فى الأصل العبرى القديم فألحقها بكلمة بحر أبى الفريقُ الكاثوليكىّ إلاّ أن يتصرّف فى ترجمته فألحق بكلمة «بحر» كلمة «القلزم» عبارة عن البحر الأحمر ومن هنا كان التخبُّط!.. فقد حاول المؤرخون، ارتكازاً على هذه الترجمة، إيجاد حلّ مرض فساروا زمناً طويلا فى هذا السبيل قبل أن يأتيهم حل هذه المشكلة بطريقة علمية ومنطقية مقنعة وهو أن هذا «السفْر» لما كان قد كُتب فى الأصل باللّغة العبرية ثم، بالتالى، لما كان قد تُرجم خلال القرن الثالث ق.م. إلى اللغة اليونانية وتُعرف هذه الترجمة بالترجمة السبعينية(٢) فإن بالموازنة بين

(١) عام ١٩٤٠ «جيرون».

(٢) نسبة إلى الكهنة السبعين الذين قاموا بهذه الترجمة بأمر بطليموس الثالث.

النسخة اليونانية والنسخة العبرية يمكن استجلاء الحقيقة.. حقيقةً أن أقدم نسخة لدينا بالعبرية لا يرجع عهدها إلا إلى القرن العاشر الميلادى إلاّ أنه بالموازنة الدقيقة بين النسختين، اليونانية والعبرية،وُجد أنّه لم تحدث اختلافات. فليس هناك أى اختلاف بين نسخة القرن الثالث ق. م. المترجمة إلى اليونانية عن الأصل العبرى القديم وبين نسخة القرن العاشر هذه غير المترجمة، ففى كلتيهما لاتوجد كلمة «بحر سوف» ولا كلمة «بحر القلزم» وإنما «يمّ سوف» !. ومن هنا اتضحت الحقيقة وهى أن الخطأ جاء عن طريق المترجمين الذين لم يتّبعوا الترجمة الصحيحة وأهملوا المعنى من كلمة «يمّ» والمقصود به من كلمة «سوف»...

فأما كلمة «يمّ».. فهى كلمة مازالت حتى اليوم تعيش فى لغتنا العربية ونفهم أن من معناها «الماء» وأمّا قديماً فكانت تُطلق على فروع النيل.

وأمّا كلمة «سوف».. فهذه كلمة دخلت اللغة العبرية من اللُّغة المصرية القديمة وتعنى «البوص».. وهذا نبات يكثر وجوده فى المياه الضحضاحة عند مصبّات الترع والمصارف عامة وفى بحيرة المنزلة، قبالة قنتير، بصفة خاصة. ولمّا كان هذا النبات الذى تمتد فروعه كالسيوف ينمو بكثرة فى هذه الجهة وبارتفاع عظيم وكانت بلاد مصر ولاسيمّا بلدة «بر رع موسى» تأخذ منه حاجتها وكانت كلمة «البردى» التى أطلقت عليه من بعد لم تعرف بعد، لأنها لم تظهر فى اللُّغة المصرية القديمة إلا فى عهد متأخر من عصر الرعامسة، فقد عرفت مصر القديمة هذه البحيرة باسم «يم سوف».

وهكذا يتضح لنا المعنى من كلمة «يمّ سوف» التى جاءت فى الأصل العبرى وتُرجمت فى «العهد القديم» إلى «بحر سوف» فإنّ معناها العبرى هو «بحيرة البوص» وهذه تشغل منخفضاً قد بقى حتى الآن تحت مستوى البحر ولما كان منسوب الماء لايزال حتى الآن، كما كان، يتأثر بدرجة عظيمة بالريح فى بحيرتى المنزلة والبرّلس فإننا نلاحظ أن الطريق من بلطيم حتى برج البرلس يُغطّي بالماء عندما يهب الهواء غربًا ثم يصبح جافًا عندما يهب الريح من الشرق حتى ليجعل هذا «البحر» جافًا يابساً ممّا يمكّن للإنسان أن يسير عليه فإذا ما عاد الهواء يهبُ غربًا عاد الأرض بحراً وإن كان هذا «البحر» ليس إلاّ ماء ضحضاحًا لايزيد عمقه على قدمين ولا يتجاوز بأى حال ثلاثة أقدام.

ومن ثم فاذا كانت كل النظريات المتضاربة قد تلاشت أمام الكشف الحديث الذى أثبت أن «بر رع موسى» أو «رعمسيس» هى قنتير الحالية وليست «تانيس» فليس إلاّ لنعلم أن «بحر سوف» هذا ليس إلاّ «بحيرة المنزلة» إن لم يكن جزءاً من بحيرة المنزلة..

هذه هى الأماكن المصرية التى اجتازها «بنو إسرائيل» فى طريقهم إلى «حوريب» ثمّ من حوريب إلى «سيناء» وهذا يدفع بنا إلى استعراض المدة الزمنية التى اقتطعوها من مصر حتى سيناء.

يحدثنا مُؤلفُ «سفْر الخروج» الحديث الفيّاض عن المدة الزمنية التى اقتطعها أبناء إسرائيل فى ترحالهم مِن مصر إلى سيناء ويستهله قائلا:

«وصنع بنو إسرائيل كما أمرَ موسى فطلبوا من المصريين أمتعة فضّة وأمتعة ذهب وثيابًا.

وأتى الربُّ الشعبَ حظوة فى عيون المصريين فأعاروها لهم وسلبوا المصريين!

ثم ارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكّوت بنحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال خلا الأطفال...

طُردوا من مصر!.»(١)

للمرة تلو المرةُ يؤكّد لنا مؤلفُ «سفْر الخروج» بأن «بنى إسرائيل» قد طُردوا من مصر طردًا!.. ولكن هذا المُؤلِّف الذى غمَس بمداد البهتان قلمه وأجراه ينسب إلى موسى، عليه السلام، ما اقترفه بنو إسرائيل فى حق المصريين من سلب حلىٍّ وثياب، ماذا يستهدف من وراء ذلك؟.

يقينى أنه لا يستهدف إلا تمجيد عملٍ هو فى طبيعة بنى إسرائيل غريزة فطرية ثمّ، كيْما يصبغه بالصبغة الشرعية عاد به إلى من هو منه براء.. فأستغفر الله!..

ثمّ.. ثم هذه الجملة الخاصة بهذا التعداد والمترجمة هنا بلفظة «ست مئة» و«ألف» قد استبهم معناها على الكثيرين فأخذوها على علاّتها وحسبوها ستمائة الف رجل خلا الأطفال والنساء، غير ملتفتين إلى أن هذا العَدد قد تجاوز حدود المعقول لأننا إذا أضفنا إلى

(١) الإصحاح ١٢ «سفر الخروج».

هذا الرقم امرأة واحدة وطفلين لحصلنا على مجموع يتجاوز تعداد المصريين أنفسهم فى ذلك الحين!، وهذا، حتماً، خطأ آخر يعود بأسبابه إلى المترجمين الذين وضعوا كلمة «ألف» بعد «ست مئة» وقد كان الأصحُ أن تُوضع «ألف وست مئة ماش من الرجال...» وهذا رقم لايمكن رفضه، منطقيا، لأنه يضع نفسه فى إطار المعقول.

ولكن.. المسمع منّا يأبى إلاّ مواصلة لإصغاء إلى هذا المؤلف وهو يحدثنا عن هذا الترحال الذى اتخذ مجراه فى ليلة سحب فيها رجالُ بنى إسرائيل معهم نساءَهم وأطفالهم وغنمهم وبقرهم ومواشيهم إلى حيث بدأ تفسُّحهم فى الأرض.. فلقد أبى هذا المؤلّف اليهوذى إلاّ أن يجعل من ذكرى ليلة الارتحال هذه عيداً أسماه «عيد الفصح».. ثمّ راح يحدثنا عنها قائلا:

«هى ليلة تُحفظ للربّ لإخراجهم من أرض مصر!

هذه الليلة تحفظ للرب من جميع بنى إسرائيل مدى أجيالهم!»[1]

وأمّا إذا سألنا هذا المؤلف اليهوذى قائلين: كيف تحفظ هذه الليلة وأى لون من ألوان التعبد فيها يقام؟.. فالجواب سيكون، إنّها ليلة تحفظ للرب بأكل اللحم!. فلقد:

«قال الرب لموسى وهرون:

هذا رسم الفصح:

كل أجنبى لا يأكل منه! وكل عبد مشترى بفضةٍ فأختنه ثم يأكل منه. والضيف والأجير لايأكلان منه!

فى بيت واحد يؤكل لاتخرج من البيت من اللحم شيئاً!.

وإذا نزل بكم غريب وأراد أن يصنع فصحاً للرب فليختتن كل ذكر له ثمّ يتقدم.. وكل أقلف لا يأكل منه!.»

وأما ما هو نوع هذا اللحم الذى يُؤكل أو بالأحرى ما هو هذا الذى يأكله بنو إسرائيل وحدهم ولا يأكل منه الضيف والأجير خلا الغريب الذى لا يأكل منه أيضاً إلاّ إذا اختتن؟..

---

(١) الإصحاح ١٢ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٢ «سفر الخروج».

فإن المؤلف اليهودى يتولى الشرح ويحاول إتقاءَ المآخذ فيجعل هذا اللون من المأكل فريضة بل وعبادة ويحدثنا قائلا :

«وكلّم الربُّ موسى قائلا : قدّس لى كل بكر كل فاتح رحم من إسرائيل من الناس والبهائم أنّه لى!

فقال موسى للشعب : اذكروا هذا اليوم الذى خرجتم فيه من مصر..

لا يُؤكل خميرا!

اليوم أنتم خارجون فى شهر الأسبال. فاذا أدخلك الربُّ أرض الكنعانيين والحيثيين والأموريين والحويين واليبوسيين التى أقسم عليها الربُّ لآبائك أن يعطيك أرضًا تدر لبنًا وعسلاً **فاصنع هذه العبادة** فى هذا الشهر :

سبعة أيام تأكل فطيرا. وفى اليوم السابع عيد للربّ.

فطير يؤكل فى السبعة الأيام فلا يُرى لك خمير ولاشىء مختمر فى جميع تخمك!...

واحفظ هذه **الفريضة** فى وقتها سنة فسنة.!»(١)

نظرة عابرة نلقيها على هذه النصوص التى تطلع علينا بأول لون من ألوان التعبد فى الدين اليهودى الحالى تُولِّد فينا اليقين بأنه دين هو إلى الروحيات يشتد به الافتقار! فهو يجافىَ تمام المجافاة أبسط لون من ألوان الروحيات!. فلا ثمة تسبيحة هناك أو صلاة شكر أو دعاء إلاّ فطير يؤكل خلال سبعة أيام كذكرى ليوم خرجوا فيه من مصر مرتحلين من رعمسيس إلى سكوت.

ثم :

«*ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا بأيثام فى طرف البرية*»(٢)

وأما إذا سألنا هذا المؤلف اليهودى قائلين : من كان دليلهم فى هذا الطريق؟.. فالجواب يأتينا من شفتيه سخيًا يقول :

(١) الإصحاح ١٣ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٣ «سفر الخروج».

«وكان الربُّ يسير أمامهم نهاراً فى عمودٍ من غَمام ليهديهم الطريق وليلاً فى عمود من نار ليضىء لهم ليسيروا نهاراً وليلاً.

ولم يبرح عمود الغمام نهاراً وعمود النار ليلا من أمام الشعب!»[1].

غفرانك يا الله!..

لايسعنا أمام هذه النصوص الجديدة التى تجعل الربَّ يسير على هذه الصورة أمام بنى إسرائيل، يستبدل نفسه من عامود غمام بعامود نار مرة ومن عامود نار بعامود غمام مرة أخرى، إلاَّ الاستغفار!.. بل ونرانا نواصل الاستغفار طالما أن المسمع منا يواصل الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهودى الذى يسترسل يحدثنا عن هذا الترحال ويقول بأنَّ فجأة تغير اتجاه المسير فلقد:

«كلم الربّ موسى قائلا: مُر بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون تنزلون تجاهه على البحر»[2].

لماذا؟!..

«لأن الله قال: لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر! فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف»[3].

ولكن!.

هذا التحول عن الطريق المستقيم الذى كان مُقدَّراً للمسير حتى «مَدْين» والذى اتخذ للتمويه والتضليل وإن كان لم يزل فى دلتا النيل قد جعل المصريين، كما نفهم من تعبير مُؤلف «سفْر الخروج»، يتوجسون من الإسرائيليين إلا أننا لا نفهم أبداً المنطق اليهودى فى هذا النص القائل:

«وشدَّد الربُّ قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بنى إسرائيل. فسعى المصريون وراءهم وأدركوهم، جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه، وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام بعل صفون!.»[4].

(١) الإصحاح ١٣ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٤ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ١٣ «سفر الخروج».
(٤) الإصحاح ١٤ «سفر الخروج».

ألم يفطن هذا المؤلف اليهوذى وهو يسطر هذه النصوص إلى مايحمله قوله من التناقض فى المنطق والغرابة؟. ولكننا لن نناقشه، كلاً، فحسبنا الالتفات إلى هذه النصوص فى قولها هذا بأن المصريين قد أدركوا الإسرائيليين عند «فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون». ونحن إذا كنا قد علمنا أن «مَجْدل» إنما هى بلدة تقع على حافة الدلتا وأنها ليست إلاّ «تل الهر» اليوم، وبالتالى، نحن إذا كنا قد علمنا أن «بعل صفون» هى «أدفينا» اليوم وأن «فم الحيروث» هو مصبٌّ فرع من النيل بين بحيرات البلح فى الجزء الجنوبى الشرقى لبحيرة المنزلة وأن هذا الفرع من النيل كان يَصب فيها وأن «بحر سوف» هذا هو بحيرة المنزلة أو جزء منها، لعلمنا أى «بحر» هذا الذى يعنيه مؤلف «سفْر الخروج» بينما المسمع منا يواصل إليه الإصغاء وهو يسترسل قائلاً:

«فأدركهم وهم نازلون عند البحر، جميع خيل مراكب فرعون وفرسانه وجنوده، عند فم الحيروث أمام بعل صفون!

فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الربِّ وقالوا لموسى:

هل لأنه ليست قبورنا فى مصر أخذتنا لنموت فى البريّة؟ ماذا صنعت بناحتى أخرجتنا من مصر؟!..»(١)

وفى الواقع أن الإسرائيليين قد أصبحوا بهذا الموقف فى مأزق حرج فقد كانت «بحيرة البوص» على يمينهم وحصن مجدل بمن فيه يحجز أمامهم الطريق من جهة الشمال وعلى يسارهم مستنقعات فرع النيل البلوزى بينما كان خلفهم، كما يقول المؤلف اليهوذى، الفرعون وجنوده فلم يكن لديهم وسيلة إلاّ الاستسلام وإلاّ أن تحدث معجزة فتهب، كعادتها، الريح الشرقية وتجفف الأرض وتمكنهم من السير عليها وعبور هذا الماء قبل أن يعود الهواء ويهب غرباً وتعود المياه إلى ما كانت عليه بحراً..

وهنا نعود إلى المؤلف اليهوذى ونصغى إليه وهو يواصل حديثه قائلاً بأن عند ذاك:

«قال موسى للشعب: لاتخافوا!

---

(١) الإصحاح ١٤ «سفر الخروج».

قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم فانكم كما رأيتم المصريين اليوم لاتعودون ترونهم أيا إلى الأبد.»[(١)]

وأمّا كيف؟..

فلقد؛

«انتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل. وسار وراءهم. وانتقل عمود الغمام من أمامهم ووقف وراءهم. فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل... فكان من هنا غماماً مظلمًا وكان من هناك ينير الليل فلم يقترب أحد الفريقين من الآخر طول الليل!.»[(٢)].

عبثًا نبحث فى البرديات عن هذه القصة، قصة هذا «العامود» الذى وقف حائلاً بين المصريين والإسرائيليين طوال ليلة كاملة، فلا نجد لها فى الوثائق المصرية أثرًا فلا يأتينا عنها الذكر إلاّ من هذا المؤلف اليهودى الذى نراه قد نسى أنه قبل هنيهة قال إن فى «العامود» كان «ربّ إسرائيل» فعاد يقول بأنه «ملاك الله» بينما راح مسترسلا يواصل حديثه قائلا؛

«ومدّ موسى يده على البحر.

فأجرى الربُّ البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة!... فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة!...

وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر!...

فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر ولم يبق منهم ولا واحد!...»[(٣)].

من ثمّ فحقًا أنّ؛

«الربّ رجل الحرب!..

---

(١) الإصحاح ١٤ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٤ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ١٤ «سفر الخروج».

مركبات فرعون وجيشه ألقاهما فى البحر فغرق أفضل جنوده المركبية فى بحر سوف!.»[1].

حقا! حقا يا «يهود» ...

«من مثلك بين الآلهة؟..»[2].

وهنا.. هنا لنا كلمة هى بالطبع من حول هذه الريح الشرقية التى ظلت تهب عاتية طوال الليل فى الاتجاه الصحيح وفى الوقت المناسب حتى جعلت «بحر سوف» جفافا ومكنت «بنى إسرائيل» من العبور إلى الطرف الآخر.. فنحن إذا تذكرنا أن منسوب الماء لايزال حتى الآن متأثراً بدرجة عظيمة بالريح فى بحيرتى المنزلة والبرلس ولاحظنا أن الطريق من بلطيم حتى برج البرلس يُغطى بالماء عندما يهب الهواء غرباً ثم يصبح جافا عندما يهب الهواء من الشرق مما يمكن للانسان أن يسير عليها، نفهم كيف كان عبور البحر هذا، بحر سوف الأمس وبحيرة المنزلة اليوم، الذى يتحدث عنه مؤلف «سفر الخروج»..

كلاَّ!.

نحن لاننكر أن ذلك كان معجزة وهو أن تجىء هذه الريح فى الوقت المناسب وأن تهب فى الاتجاه المطلوب وإنما نستنكر الصيغة التى يتحدث بها مؤلف «سفر الخروج» عن هذا الحدث الذى كان لابدَّ له أن يتسق وقوانين الطبيعة ولايحيد عن الأحكام الكونية التى وضعها سيدُ الكون!.

وأمّا موضوع غرق «الفرعون» الذى يتحدث عنه هذا المؤلف اليهوذى بهذه الصيغة فهو أمر إن لم يكن قد فهم خطأ فقد مازجه ولاشك عنصر التهويل لأن الواقع أنه لايمكن لإنسان أن يتصوَّر غرق إنسان وعربته ومن معه فى ماء ضحضاح لايزيد عمقه على قدمين أو ثلاثة. وليس هذا فحسب وإنما غرق فرعون وجنده معه كان لابدّ أن يُحدث هزّة فى أرجاء البلاد وأن تسجله البرديات وليس فى الوثائق المصرية مايشير إلى ذلك

---

(١) الإصحاح ١٥ «سفر الخروج».

(٢) الإصحاح ١٥ «سفر الخروج».

ويُدعِّم هذا وجود موميات فراعنة هذا العهد ولادليل هناك على الموت باسفكسيا الغرق.. ولعل هذا التهويل قد جاء من جرّة قلم دفعتها شطحاتُ خيال هذا المؤلف الذى استغرقه وصف عبور أسلافه هذه البحيرة بالكيفية التى رواه بينما يروح منعطفاً من عندها مواصلا الحديث فيقول بأنهم بعد ذلك ارتحلوا؛

«من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور. فساروا ثلاثة أيام فى البرية ولم يجدوا ماء! فجاءوا إلى مارّة.

ولم يقدروا أن يشربوا ماء لأنه مُرّا.»(١)

هذه رواية لم يتدخّل فيها خيالُ هذا المؤلف اليهوذى تدخلا كبيراً لأن البيداء التى تقع شرقى «يم يوسف» كانت تُسمى بالمصرية القديمة «شيحور» أى بحيرة حور.. ولمّا كنا نعلم أن مياه حور هذه التى ذُكرت فى خطاب «بيبس» هى التى كان يُستخرج منها الملح ولا تصلح مياهها للشرب نعلم لماذا لم تجد جماعة إسرائيل خلال اقتطاعها هذه البيداء ماء صالحًا للإرواء..

ومن ثمّ؛

«جاءوا إلى إِبليم وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة. فنزلوا هناك عند الماء.»(٢).

ثمّ؟..

«ثم ارتحلوا من إبليم وأتى كل جماعة بنى إسرائيل إلى برية سين التى بين إبليم وسيناء فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثانى بعد خروجهم من أرض مصر»(٣).

ثمّ؟!.

«وارتحل كل جماعة بنى إسرائيل من برية سين.. ونزلوا فى رفيديم..

فى حوريب!.»(٤)

---

(١) الإصحاح ١٥ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٥ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ١٦ «سفر الخروج».
(٤) الإصحاح ١٧ «سفر الخروج».

ثم!.

«ارتحلوا من رفيديم وجاءوا إلى برية سيناء..

هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل!»(١).

وأخيراً!.

وأخيراً بلغت جماعة إسرائيل سفوح سيناء.. وأمّاكم كانت المدة الزمنية التى استغرقها هذا الترحال من مصر إلى سيناء! فسؤال، تتولى الإجابة عنه نفس هذه النصوص التى تصرّح قائلة:

«فى الشهر الثالث لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء!..(٢)

هذه هى المدة الزمنية التى اقتطعها بنو إسرائيل من مصر حتى سفوح سيناء.. مدة لم تتجاوز الشهر الثالث لطردهم من مصر. وهى فترة مرّت بهم وهم يمرّون على جهات، كلها، معمورة وآهلة بالناس.. وهذه هى قصة طرد بنى إسرائيل كما حدّثنا به مؤلّف هذا «السفْر» وكما تتبعناها على الآثار الباقية بقدر المستطاع ونريد هنا أن نؤكد أن حادث هذا «الخروج» كان ثانوياً بالنسبة للمصريين حيوياً عند الإسرائيليين ولذلك لم نجده فى النقوش المصرية إلا عرضاً على حين دُونت أحداثه فى النصوص اليهودية تدويناً سخياً، وهو وإن كانت الأحوال كلها تدلّ على أنه حادث قد وقع فعلا غير أن كل الدلائل أيضاً تشير إلى أن تفاصيله قد دونت على حسب الدرجة العقلية التى كان عليها هذا المؤلف اليهودى مما يمكننا من القول بأن القفار التى يذكرها لم تكن، قطّ، بمتاهات لأنها جهات ليست بعيدة عن جنوبىّ فلسطين، وليس جبل سيناء إلاّ بجوار هذا الجنوب. فإننا نعلم أن القوافل منذ سَحَر التاريخ كانت تخترق الطريق الجارى بالقرب من شواطيء فلسطين فى ارتحالها عن مصر وفى الترحال إليها وهذا مما يجعلنا نطرق أمام هذه النصوص ونُفكر. وأمّا عدد السنين الأربعين التى راحت ترويها الشفاه اليهودية فأمر يحتاج إلى تحقيق لأننا إذا نظرنا إلى ذلك من الوجهة التاريخية واقتربنا إليه من الطريقة العلمية لتحتم علينا أن نقول إن ذلك كان من مؤلف «سِفْر الخروج» جهلا ذريعاً بالتاريخ!..

---

(١) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».

(٢) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».

والآن!..

الان يطيب للمسمع منا الاسترسال في إصغائه إلى هذا المؤلف اليهوذى الذى راح يشحذ قلمه من جديد ويطلق على جناح الهوى للخيال منه العنان ليعود إلينا محدثًا عن تاريخ «بنى إسرائيل» فى سيناء غير أنه يأبى إلاّ أن يبدأ هذا التاريخ من «حوريب». ومن ثمّ فهو يستهل حديثه قائلا بأن جماعة إسرائيل لم تحلّ فى حوريب إلاّ؛

«وأتى يثرون حمو موسى وابناه وامرأته إلى موسى إلى البرية حيث كان نازلاً عند جبل الله.

فقال لموسى؛ أنا حموك يثرون آت إليك وامرأتك وابناها معها.

فخرج موسى لاستقبال حميه وسَجَد وقبّله. وسأل كل واحدٍ صاحبه عن سلامته. ثمّ دخلا إلى الخيمة»(١).

وهنا يكمل مؤلف «سفر الخروج» روايته المفتراة هذه فيقول بأن إلى كاهن مَدْين، داخل الخيمة، خلا موسى؛

فقصّ موسى على حميه كل ماصنع الربّ بفرعون والمصريين من أجل إسرائيل...

وقال يثرون؛ مبارك الربّ الذى أنقذكم من أيدى المصريين ومن يد فرعون!... الآن علمت أن الربّ أعظم من جميع الآلهة!..»(٢)

لاجدال، أن المؤلف اليهوذى يريد أن يقول إن كاهن «إيل شدّاى» قد تحقّ الآن بأن «يهوه» فوق جميع الآلهة وأنّه بذلك قد أقرّ فى تلك الليلة التى مرّت على تلك «الخيمة» من عمر الزمن وكان صبحها ذلك الغد الذى يتحدث عنه هذا المؤلف قائلاً؛

«لما كان الغد جلس موسى ليقضى للشعب فوقف الشعب أمامه من الغداة إلى العشىّ.

فلما رأى حمو موسى جميع ما يصنع للشعب قال؛ ما هذا الذى أنت تصنعه للشعب؟ وما بالك جالسًا وحدك وجميع الشعب واقفون أمامك من الغداة إلى العشىّ؟

---

(١) الإصحاح ١٨ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٨ «سفر الخروج».

فقال موسى لحميه: إن الشعب يأتوننى فيتلمّسوا أمر الله، إذا كانت لهم دعوى يأتوننى فأقضى بين الرجل وصاحبه وأُعرفهم فرائض الله وشرائعه.

فقال لموسى حموه: ليس ما تصنعه بحسن!.» (١)

وفى الواقع أن التاريخ الدينىّ لهذه الجماعة الفطرية ليدلُّنا على أنها لم تكن فى مُستهلّ حياتها تدرى أى عمل لغضب الرب جلاّب وأىّ الأعمال لمرضاته جاذب.. فلم تكن لها شريعة تعرف فى لائحة أحكامها وقوانينها الفرائض والعبادات.. لهذا السبب كما يقول هذا المؤلف اليهوذى:

«قال حمو موسى له: ليس جيداً الأمر الذى أنت صانع. إنّك تكلّ!...

الآن اسمع لصوتى فأنصحك..

كُنْ أنت للشعب أمام الله وقدّم أنت الدعاوى إلى الله. وعلّمهم الفرائض والشرائع وعرّفهم الطريق الذى يسلكونه والعمل الذى يعملونه وأنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة.. وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء عشرات. فيقضون للشعب كل حين. ويكون أنّ كل الدعاوى الكبيرة يجيئون بها إليك..

إن فعلت هذا الأمر.. تستطيع القيام!.

فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال» (٢).

وهنا..

هنا يجب علينا أن نتمهّل قليلا أمام هذه النصوص التى مرّت الأجيالُ بها مروراً عابراً غافلة عما تحمل فى ثناياها من جرثومةِ خطرة هى بهذا التنظيم الجديد، تُكوّن نواة «دولة» رَمَي إليها هذا المؤلف بنظره بينما كان على شاطىء الفرات يرسف فى قيود الأسر البابلى ويمهّد لها بهذه السطور التى مَنَح بها نفسه مُطلق الحرية فى أن يتحدث عن موسى، عليه السلام، وفْق هواه ويسترسل فى حديثه من حيث حلّت جماعة إسرائيل فى «حوريب» ليقول إنّها لم تحلّ هناك إلاّ لرَدَح من الزمن قصير ثمّ غادرته إلى سفوح سيناء.

(١) الإصحاح ١٨ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٨ «سفر الخروج».

والآن.. الآن وقد وصل مؤلف «سفْر الخروج» إلى سيناء نراه يُشمّر عن ساعديه ويبدأ في صياغة رواية جديدة يستهلّها من حيث قال:

«في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر... جاءوا إلى برّية سيناء.. وهناك نزل إسرائيل مُقابل الجبل وأمّا موسى فصعد إلى الله!(١)

وهنا، يجب أن نتنبّه إلى أن هذا المؤلف اليهودي إذ يستعمل في نصوصه كلمة «الله» فليس المقصود بهذه الألوهية إلاّ «يهوه».. وليس إلاّ عن «يهوه» هذا يتحدّث هذا المؤلف اليهودي ويُكمل روايته هذه قائلا و:

«صعد موسى إلى الله فناداه الربُّ من الجبل قائلاً:

كذا تقول لآل يعقوب وتُخبر بني إسرائيل: أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين!.. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصةً من بين جميع الشعوب!!.. وأنتم **تكونون لي مملكة كهنة وأُمةً مقدسةً!.»(٢)**

مملكة؟.. وأُمةً؟!.

لاجدال في أن الأسس التي ألقاها هذا المؤلف اليهودي في حوريب بتنصيبه على الجماعات رؤساءَ ينقسمون إلى عدة مراتب هي التي قد بدأ يشيّد عليها البناء في سيناء حيث راحَ يسطّر بأن هناك قد سجّل الزمنُ تكوّن «الكهنوت الإسرائيلي» وقيام «مملكة كهنة» ونشأة «أمة مقدسة» و«شعب مختار»..

يُحدثنا مؤلف «سفْر الخروج» بأن الكهانة قد بدأت لدى هذه الجماعة قبل أن يبدأ عندها الدين وأنّها إلى «أمة» قد تحوّلت في ذلك اليوم الذي كان عهدها فيه بالخروج من مصر غير بعيد يوم شاهدت فيه، لأول مرة، جبل سيناء فوقفت أمامه مبهورة بينما راح يهز الأعطاف منها شوقٌ إلى «يهوه» مُلِحٌ يأبى إلاّ الرؤية!.

إن هذه الجماعة تريد أن ترى ربّها!.

وهنا نصغـي إلى رواية المؤلف اليهودي وهو يحدثنا عن هذا الحدَث قائلا بأن عند ذاك:

---

(١) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».

«ردّ موسى كلام الشعب إلى الربّ. فقال الربُّ لموسى:

ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلّم معك فيؤمنوا بك..

اذهب إلى العشب وقدّسهم اليوم وغداً. وليغسلوا ثيابهم. ويكونوا مستعدين لليوم الثالث لأنه في اليوم الثالث **ينزل الربّ أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء!.»**(١)

غفرانك يا الله!.

مرة أخرى لايسعنا إلاّ الاستغفار أمام هذه النصوص التى وإن كانت لاتعنى بالربّ هذا إلاّ «يهوه» إلا أنها قد راحت تتجاوز المدَي فى افترائها على موسى، عليه السلام، بقولها هذا عنه وهو أنه قال إن الربَّ سينزل أمام عيون بنى إسرائيل وذلك ليؤمنوا بصدقه فيما قال وإن ذلك سيكون بعد ثلاثة أيام وإن عليهم الاستعداد، خلال هذه الأيام المحددة، لملاقاة الربّ نازلاً فى ظلام السحاب إلى قمة سيناء. عليهم أن يغسلوا ثيابهم ويتهيأوا.

ولكن.. حذارا..

«احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسّوا طرفه! كل من يمسّ الجبل يُقتل قتلاً!.. يُرجم رجماً! أوْ يُرمى رمياً! بهيمة كان أم إنساناً لايعيش!.»(٢)

ولكن:

«عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل!.»(٣)

واستعدّ بنو إسرائيل، على حدّ رواية هذا المؤلف اليهوذى، وغسلوا ثيابهم وارتدوها نظيفة وبدأوا يزحفون نحو سفوح الجبل بينما أرهفت منهم المسامع تنتظر سماع دويه البوق من أعْلى يُعلن نزول الرب على الجبل:

«حدَث في اليوم الثالث لمّا كان الصباح أنّه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة!.»(٤)

---

(١) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».
(٤) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».

ارتعد كل فردٍ كان فى هذه المحلّة ثمّ مذعوراً، على حدّ قول هذا المؤلف، تراجع عن مطلبه الأفرادُ من هذه الجماعات ولكن؛

«أخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله!.» (١)

«الله» ؟!.

كلا؟. إننا لم ننس أنّ هذا المؤلف اليهوذى إذ يتكلّم عن «يهوه» بصيغة الألوهية فانه لايعنى فى واقع القول إلاّ إلـــه إسرائيل هذا الذى يحدثنا عنه قائلاً بأنّ «شعبه» قد خرج بجموعه لملاقاته وأنهم فى انتظار نزوله على الجبل تراصّوا؛

«ووقفوا فى أسفل الجبل..» (٢)

ثمّ!

ثم ماذا حَدَث!.

سؤالٌ نلقيه إلى مؤلف هذا «السفْر» بينما نلقى إليه المسمع منّا ونحن نسمعه يحدثنا قائلا بأن سرعان ما جاءت اللحظة المرتقبة!. فلقد تلبّدت سماء سيناء بالغيوم وجلجلت جوانبها بالرعود.. وما برقت فى الأُفق البروق إلاّ وانطلق بوق من مُحتجب مصدر يُعلن أنه قد؛

«نزل الربّ على جبل سيناء!» (٣)

و؛

«كان جبلُ سيناء كلّه يُدَخّنُ من أجل أن الرب نزل عليه بالنار (٤) *.*

بالنار؟!.

سؤالٌ نلقيه عَبْر الأجيال إلى هذا المؤلف اليهوذى وبالشرح لايضن علينا هذا المؤلف الذى يكمل روايته هذه قائلاً بأن إلـــه إسرائيل قد نزل، **للإلتقاء بأبناء إسرائيل، بالنار** وأن لهذا قد دخّن جبل سيناء كله؛

---

(١) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».

(٢) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».

(٣) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».

(٤) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».

«وصعد دخانه كدخان الأتون!(١)».

وهكذا يروح مُؤلف «سفر الخروج» يُصوِّر لنا على شريط الماضى هذا المشهد الذى استوحاه من وحى خياله العجيب بينما يستطرد فى حديثه مسترسلاً يقول بأن أمام دخان متكاثف أخذ يزداد تكاثفًا وأمام بوق منطلق أخذ يتزايد دويه على دوىٍّ دويًا اشتد الفزع بهذه الجماعة، فلقد:

«كان صوتُ البوقِ يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلّم واللهُ يجيبه بصوت!..»(٢)

صورةٌ صارخةُ الألوان من صُوَرِ الأساطير إنما هى هذه الصورة التى يُصوِّرها هذا المؤلف اليهودى للسفر الثانى من «الأسفار الخمسة» المنسوبة افتراءً إلى موسى!.. بل وإنها لصورة استنفدت من هذا المؤلف جهداً فى تصويرها حتى أنه غفل عن اختلاق صيغة يحدثنا بها عن لون ذلك الحديث الذى دار بين المُتكلِّم، كما يدعى، والمجيب بينما كان بنو إسرائيل فى سفح الجبل يسمعون.. وكأنّما قد شحّت قريحته فاكتفى بأن يقول بأن عند ذاك:

«دعا اللهُ موسى إلى رأس الجبل. فصعد موسى..»(٣)

ولكن، هذا المؤلف قد نسى ما قد سطّر قبل قليل حينما قال بأن على هذه الجماعة عند سماعها البوق أن تصعد الجبل، كما بذلك جاءت التعليمات من قبل، فراح يُسطِّر بأن عند ذاك:

«قال الربُّ لموسى: انحدر حذِّر الشعب لئلا يقتحموا إلى الربِّ لينظروا فيسقط منهم كثيرون! وليتقدَّس أيضًا الكهنة الذين يقتربون إلى الربِّ لئلا يبطش بهم الربّ!..

اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهرون معك»(٤).

وهنا.. يُشمِّر هذا المؤلف اليهودى عن ساعديه مُستجمعًا قواه من جديد ويسترسل محدثًا بأن موسى قد انحدر من حيث كان الدخان يتصاعد حاملاً إليهم هذه الشريعة وكلمهم قائلاً:

(١) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».
(٤) الإصحاح ١٩ «سفر الخروج».

لقد:

«وتكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً:

أنا الربّ إلهـك!..

لايكن لك آلهة أخرى أمامي.

لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ممّا في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض.

لا تسجد لهنّ ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور افتقد ذنوب الاباء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي. واصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي.

لاتنطق باسم الربّ إلهـك باطلا. لأنّ الربّ لايبرىء من نطق باسمه باطلاً.

اذكر يوم السبت لتقدّسه!

ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبّت للرب إلهك. لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك. لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الربُّ يوم السبت وقدسه.

أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يُعطيك الرب إلهك.

لاتقتل. لاتزن. لا تسرق. لاتشهد على قريبك شهادة زور. لاتشته بيت قريبك. لاتشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولاحماره ولا شيئاً مما لقريبك»[(١)].

لا جدال في أن في بعض ما تتضمنه هذه النصوص نواحي أخلاقية رفيعة إلا أننا لن نتبّين أبداً ما هية هذه القيم الأخلاقية ومرتبتها بين القوانين الوضعية لعالم الشرق القديم إلاّ تحت أضواء العصور السباقة على وجود «بنى إسرائيل»، وذلك مكانه بعد صفحات.. وأمّا الآن فحسبنا أن نتابع مؤلف «سفْر الخروج» وهو يخرج بنا من هذا المشهد محاولا اقناعنا بأن «الصوت» عن أعالي سيناء جاء رهيباً أترع الجوانب عن هذه الجماعة بالفزع حتى أنهم قد:

(١) الإصحاح ٢٠ «سفر الخروج».

«ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى: تكلّم أنت معنا فنسمع ولايتكلم الله معنا لئلا نموت!

فقال موسى للشعب: لاتخافوا»[1].

لاتخافوا!.

«لاتخافوا لأنّ الله إنما جاء لكيّ يمتحنكم ولكيّ تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تُخطئوا».

فوقف الشعب من بعيد.

وأما موسى فاقترب من الضباب **حيث كان الله!..»**[2]

وفي الضباب حدث أنْ:

«قال الربّ لموسى، هكذا تقول لبني إسرائيل:

أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم.

لاتصنعوا معي آلهة فضة ولاتصنعوا لكم آلهة ذهب.

مذبحاً من تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك غنمك وبقرك. في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكراً آتي إليك وأباركك.

وإن صنعت لي مذبحاً من حجارة فلا تبنه منها منحوتة. إذا رفعت عليها إزميلك تُدنّسها. ولقد تصعد بدرج إلى مذبحي كيّلا تنكشف عورتك عليه!»[3].

وهنا.. هنا يريد هذا المؤلف اليهودي أن يقول بأنّ في ذلك «اليوم» قد سُجل في سجلّ الأديان قيام الدين اليهودي..

إن الدين اليهودي، هذا الدين الذي يدين به يهود العالم اليوم والذي يعود بوجوده المباشر إلى خادم موسى، يشوع بن نون، كما سيتجلى ذلك بعد قليل، ليس هو، كما يدّعي مؤلف «سفر الخروج»، بدين إلى موسى يعود.. ثمّ إنه دين لن نستطيع أن نستجليه

(١) الإصحاح ٢٠ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٢٠ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٢٠ «سفر الخروج».

تمام الاستجلاء ما لم نستعرض الأحكام التى كونته وهذه تضم السُّنن التى أستنها والتكاليف التى فرضها على أتباعه من تلك المجموعة من الناس التى كانت لا تؤلفها الاَّ وحدة الأرومة وإلاَّ مجموعة تقاليد وبعض قيَم ورثتها عن أصول مختلفة من أمم الشرق القديم فلا دين هناك بين أفراد هذه الجماعة كان يوجَد ولاشريعة هناك كانت على قوانينها هذه الجماعة تسير حتى، كما يحدثنا المؤلف اليهوذى، كان ذلك «اليوم» الذى كلمهم فيه إلههم من أعلى الجبل وجاءهم بتلك الشريعة التى كونتها القيَمُ الأخلاقية التى بسردها قد مررنا والتى على أثرها جاءت «الأحكام». وهنا نستطيع أن نقول إنه لما كان الحكم على أية شريعة يأتى من نفس الأحكام التى تأتى بها وبالتالى لما كان الحكم على أية جماعة دينية يأتى من نفس ما تقبّله هذه الجماعة من أحكام فلابدّ لنا من مواصلة الإصغاء إلى هذا المؤلف وهو يواصل الحديث مُسجلاً تلك الأحكام التى يقول عنها بأنها جاءت فى سيناء، مقتطفين منها مافيه الكفاية للدلالة على مكانة هذه الجماعة البدائية فى درجات الاجتماع.. فالمؤلِّف اليهوذى يحدثنا بأن فى ضباب سيناء، أيضًا، حدث أن «قال الربّ لموسى»:

«وهذه هى الأحكام التى تضع أمامهم؛

اذا اشتريت عبدًا عبرانيًا فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حُرًا...

من ضرب إنسانًا فمات يُقتل قتلاً ولكن! الذى لم يتعمّد بل أوقع الله فى يده فأنا أجعل مكانًا يهرب إليه...

إذا نطح ثورٌ رجلا أو امرأة فمات يُرجم الثور!. وأمّا صاحب الثور فيكون بريئًا!..

إن نطح الثور عبدًا أوْ أمةً يُعطى سيده ثلاثين شاقل فضة والثور يُرجم!..

وإذا نطح ثورُ إنسانٍ ثورَ صاحبه فمات يبيعان الثور الحى ويقتسمان ثمنه والميت أيضًا يقتسمانه لكن! إذا علم أنه ثور نطّاح من قبل ولم يظبطه صاحبه يعوّض عن الثور بثور والميت يكون له»[1].

ثمّ؟.. ثم؛

«كل من اضطجَع مع بهيمة يُقتل قتلاً!

---

(١) الإصحاح ٢١ «سفر الخروج».

من ذبح لآلهة غير الربّ يهلك...

لاتسبّ الله. لا تلعن رئيساً فى شعبك!..

وأبكار بنيك تُعطينى! كذلك تفعل ببقرك وغنمك وسبعة أيام مع أمه وفى اليوم الثامن تعطينى إياه![1].

ثم؟. ثم:

«ثلاث مرات تُعَيِّد لى فى السنة.

تحفظ عيد الفطر تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك فى وقت شهر أبيب لأنه فيه خرجت من مصر. ولا يظهروا أمامى فارغين!

وعيد الحصاد أكبار غلاتك التى تزرع فى الحقل.

وعيد الجمع فى نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل.

ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الربّ. لاتذبح على خمير دم ذبيحتى. ولايبت شحم عيدى إلى الغد!

أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الربّ إلـهك.

لاتطبخ جدياً بلبن أمه!..»[2].

هذا هو اللّون الجوهرى من هذه «الأحكام» التى يرويها هذا المؤلف اليهودى ويقول إنها جاءت إلى جماعةٍ ما حلت فى سفح سيناء إلا واستعر بين ضلوعها اللهيب المتأجج شوقاً إلى بلوغ «الأرض الموعودة»!.. ثمّ ليتخذ هذا المؤلف من هذه الرغبة مادة يستهل بها مرحلة جديدة خطرة فى تاريخ عقيدة «الأرض الموعودة» إذ يجعل الصفحات منها تبدأ على سفوح سيناء فى الانتشار..

ويقيناً.. إن مؤلف «سفر الخروج» ليتّخذ من سفوح سيناء صفحةً يُسطِّر عليها تاريخ «بيوت إسرائيل» أو هذه الجماعة التى يُحدثنا عنها قائلاً بأنها ماحلّت سفوح سيناء إلا وألهبت فكرةُ «الأرض الموعودة» منها المخيلة حتى المَدَى الذى بدأت به هذه «البيوت» تطالب بامتلاك «الأرض الموعودة»...

---

(١) الإصحاح ٢٢ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٢٣ «سفر الخروج».

ولكن!.. ها هى ذى الأيام من حولها تنصرف رتيبة والأمل بامتلاك «الأرض الموعودة» يتباعد حتى ليبدو فى مدى التفكير سرابًا يدفع بها إلى التململ فالملل!.

أين «الوعد» ؟..

هَمهمةٌ أطلقها مؤلف «سفْر الخروج» على سفوح سيناء وجعل رياح الشك تدفعها من كل جانب بينما سكن إلى نفسه يتساءل؛ علامَ اللَّجج؟!. صبرًا، فماذا لو أنَّ «يهوه» لإسرائيل يقول؛

«ها أنا مُرسل ملاكًا أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجيء بك إلى المكان الذى أعددته.. فانَّ ملاكى يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحيثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين **فأبيدهم**!..

أرسل هيبتى أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم وأُعطيك جميع أعدائك مدبرين. وأرسل أمامك الزنابير، فتطرد الحويين والكنعانيين والحيثيين من أمامك!»[1].

ولكن!..

«لا أطردهم من أمامك فى سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية! قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تُثمر **وتملك الأرض**. واجعل تخومك **من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر!**

فإنى أدفع إلى أيديكم سُكان الأرض فتطردهم من أمامك!

لاتقطع معهم ولامع آلهتهم عهدًا!

لايسكنوا فى أرضك لئلا يجعلوك تخطىء إلىَّ!»[2].

ومن هنا ينعطف مؤلف «سفر الخروج» ناحية العاطفة ويقول.. وهكذا؛

«جاء موسى وحدّث الشعب بجميع أقوال الربّ، وجميع الأحكام. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا؛ كل الأقوال التى تكلّم بها الربُّ نفعل.

---

(١) الإصحاح ٢٣ «سفر الخروج».

(٢) الإصحاح ٢٤ «سفر الخروج».

فكتب موسى جميع أقوال الربّ.

وبكّر فى الصباح وبنى مذبحًا فى أسفل الجبل واثنى عشر عمودًا لأسباط إسرائيل الاثنى عشر. وأرسل فتيات بنى إسرائيل فأصعدوا مُحرقات وذبحوا ذبائح سلامة للربّ من الثيران.

فأخذ موسى نصف الدم ووضعه فى الطسوس. ونصف الدم رشّه على المذبح..

وأخذ موسى الدم ورشّ على الشعب وقال:

هو ذا دم العهد الذى قطعه الربُّ معكم على جميع هذه الأقوال!»(١).

ثمّ إنّ الربّ:

«قال لموسى: اصعد إلى الربّ أنت وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد.

ويقتربَ موسى وحده إلى الربّ وهم لايقتربون. وأمّا الشعب فلا يصعد معه»(٢).

ثمّ؟!..

«ثمّ صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إلـه إسرائيل!»(٣).

« رأوا إله إسرائيل» ؟!...

سؤال، نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودى، وهو علينا لايضنّ بالجواب.. بل يجيبنا بالإيجاب قائلا:

«رأوا إلــه إسرائيل! وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفّاف وكذات السماء فى النقاوة.

ولكنه لم يمديده إلى أشراف بنى إسرائيل»(٤).

---

(١) الإصحاح ٢٤ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٢٤ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٢٤ «سفر الخروج».
(٤) الإصحاح ٢٤ «سفر الخروج».

أمام هذه الرواية التى تسجلها نصوص من هذا «السفر» تُصرِّح كل الصراحة فى قولها بأن أشراف إسرائيل رأوا «إلـــه إسرائيل» رأى العين ورأوا رجليه ورأوا يده لايسع الفكرُ منّا إلا أن يطرق للحظة! لاسيّما والنصوص فى هذه الرواية قد تجاوزت المدى إذ استرسلت تقول بأن أشراف إسرائيل قد عادوا يقولون للجماعة المنتظرة فى أسفل الجبل بأنهم قد رأوا إلـــه إسرائيل وأنّه وإن كان لم يمد لهم يده فانما هم معه قد؛

«.. أكلوا وشربوا!..»(١)

والآن؟.

الآن يحق لنا أن نتساءل؛ أية الصلات كانت الصلة التى يجعلها هذا المؤلِّف اليهوذى قائمة بين «يهوه» وبين «جماعة يهوه» ؟!

لاجدال فى أن «مشكلة الصلة» تُعتبر فى الدوائر الفكرية أهمّ ناحية فى مشكلة التفكير الإلهي وأعمق مشكلات الألوهية إطلاقًا ولكننا إذ نلقى فى هذا الصدد هذا السؤال فليس إلاّ لنترك الإجابة عنه لهذه النصوص التى تأتينا بصورة عن هذه «الصلة» ساذجة كل السذاجة، نابعة من نفس تفكيرها عن «يهوه» نفسه وآتية من خلال تصويرها لألوهية «يهوه» ولماهية هذه الألوهية!.. ولما كان العقل فى هذه الجماعة لم يتعرّض لمشكلة ما من مشكلات التفكير الإلهى فقد أخذت هذه الجماعة هذه العقيدة عن هذه النصوص وكما صوّرها لها هذا المؤلف اليهوذى الذى يأبى إلا أن يكمل تصويره لهذه الصورة فيسترسل محدثًا بأنه بينما كان أشراف إسرائيل يحدثون الجماعة عن رؤيتهم فى أعلى لإله إسرائيل وكيف رأوا رجليه وكيف أكلوا معه وشربوا إلاّ وأعقب ذلك أن؛

«قال الربُّ لموسى؛ اصعد إلىّ إلى الجبل وكُنْ هناك. فأعطيك لوْحىّ الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم.

فقام موسى ويشوع خادمه. وأما الشيوخ فقال لهم؛ اجلسوا ههنا حتى نرجع اليكم وهو ذا هرون وحور معكم.. فغطّى السحابُ الجبل.. ودخل موسى فى وسط السحاب وصعد إلى الجبل.

---

(١) الإصحاح ٢٤ «سفر الخروج».

وكان موسى فى الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة»[1].

وهناك.. هناك «فى وسط السحاب»؛

«كلم الربُّ موسى قائلا؛

كلِّم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تقدمة! من كلّ من يحثّه قلبه تأخذون تقدمتى. وهذه هى التقدمة التى تأخذونها منهم؛

ذهب وفضّة ونحاس!

واسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص وجلود كباش محمرّة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة. فيصنعون لى مقدساً **لأسكن فى وسطهم»**[2]..

كيف؟...

لاحاجة بنا إلى القاء هذا السؤال فإنّما بالتفصيل يجىء من هذا المؤلف اليهوذى الإيضاح بأن «إلـــه إسرائيل» قد واصل الكلام واضعًا شروط المسكن وفى سط بنى إسرائيل فلقد؛

«كلّم الربُّ موسى قائلا..؛ بحسب جميع ما أنا أُريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون؛

فيصنعون تابوتًا من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وارتفاعه ذراع ونصف. وتُغشيه **بذهب نقى**. من داخل وخارج تغشيه! وتصنع **عليه أكليلا من ذهب** حواليه وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربع. على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثانى حلقتان..

وتضع فى التابوت الشهادةَ التى أعطيك.

وتصنع **غطاء من ذهب نقىّ** طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وتصنع كروبين **من ذهب**. صنعة خراطة تصنعهما على طرفىِ الغطاء.

---

(١) الإصحاح ٢٤ «سفر الخروج».

(٢) الإصحاح ٢٥ «سفر الخروج».

فاصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك!. ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر. نحو الغطاء يكون وجها الكروبين وتجعل الغطاء على التابوت من فوق...

وأنا أجتمع بك هناك!

وأتكلم معك من على الغطاء، من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل!»[1].

ثم؟!. ثم؛

«تصنع مائدة من خشب السنط طولها ذراعان وارتفاعها ذراع ونصف. وتُغشّيها **بذهب نقي**. وتصنع لها إكليلا من ذهب حواليها. وتصنع لها حاجباً على شبر حواليها. وتصنع لحاجبها **إكليلا من ذهب** حواليها..

وتصنع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها التى يسكب بها **من ذهب نقي!**..

وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامى دائماً!...»[2].

ثمّ؟. ثم؛

«تصنع منارة **من ذهب نقي!**

تكون كاساتها وعجرها وأزهارها منها. وست الشعب خارجة من جانبيها...

فى الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية بعجره وزهر. وفى الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزية بعجره وزهر. وهكذا إلى الست الشعب الخارجة من المنارة..

*جميعها خراطة واحدة **من ذهب نقي!***

وتصنع سرجها سبعة. فتصعد سرجها لتضىء إلى مقابلها.

وملاقطها ومنافضها **من ذهب نقي**. من وزنه ذهب نقيٍ تصنع مع جميع هذه الأوانى!»[3].

---

(١) الإصحاح ٢٥ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٢٥ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٢٥ «سفر الخروج».

إن هذه لإنارة «المسكن». وأما «المسكن»؟...

«وأما **المسكن** فتصنعه من عشر شقق بوص مبروم وأسما نجونى وأرجوان وقرمز.

بكروبيم صنعة حائك حاذق تصنعها!

طول الشقة الواحدة ثمان وعشرون ذراعًا وعرض الشقّة الواحدة أربع أذرع.

قياسًا واحدًا لجميع الشقق!

تكون خَمس من الشقق بعضها موصول ببعض وَخمس شقق بعضها موصول ببعض. وتصنع عُرى من أسمانجونى على حاشية الشقّة الواحدة فى الطرف من الموصّل الواحد. وكذلك تصنع فى حاشية الشقة الطرفية من الموصُّل الثانى.

خمسين عروة تصنع فى الشقّة الواحدة وخمسين عروة تصنع فى طرف الشقة الذى فى الموصّل الثانى. تكون العرى بعضها مُقابل لبعض.

وتصنع خمسين شظاظًا من ذهب. وتصل الشقتان بعضها ببعض بالأشظة فيصير المسكن واحدًا.

وتصنع شققًا من شعر معزى خيمة على المسكن. احدى عشرة شقة تصنعها، طول الشقة الواحدة ثلاثون ذراعًا وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع.

قياسًا واحدًا للإحدى عشرة شقة!

وتصل خمسًا من الشقق وحدها وستًا من الشقق وحدها وتثنى الشقة السادسة فى وجه الخيمة...

وتصنع غطاء للخيمة من جلود كباش محمرّة. وغطاء من جلود تخس من فوق.!»(١)

ثم، ماذا بعد ذلك!.. بعد ذلك؛

«تصنع الألواح للمسكن من خشب السنط..

طول اللوح عشر أذرع وعرض اللّوح الواحد ذراع ونصف...

---

(١) الإصحاح ٢٦ «سفر الخروج».

وتصنع الألواح للمسكن عشرين لوحًا إلى جهة الجنوب نحو التيمّن...

ولجانب المسكن الثانى إلى جهة الشمال عشرين لوحًا.. ولمؤخر المسكن نحو الغرب تصنع ستة ألواح...

وتصنع عوارض من خشب السنط. خمسًا لألواح جانب المسكن الواحد. وخمس عوارض لألواح جانب المسكن الثانى. وخمس عوارض لألواح جانب المسكن فى المؤخر نحو الغرب. والعارضة الوسطى فى وسط الألواح تنفذ من الطرف إلى الطرف. وتغشى الألواح بذهب. وتصنع حلقاتها من ذهب.. وتغشى العوارض بذهب.

وتقيم المسكن كرسمه الذى أظهر لك فى الجبل!»[1]

ثمّ، ماذا بعد ذلك!.. بعد ذلك؛

«تصنع حجابًا من أسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم. صنعة حائك حاذق يصنعه بكروبيم!

وتجعله على أربعة أعمدة من سنط مغشاة بذهب. رززها من ذهب!..

وتجعل الحجاب تحت الأشظة. وتدخل إلى هناك داخل الحجاب تابوت الشهادة فيفصل لكم الحجاب بين القدس وقدس الأقداس.

وتجعل الغطاء على تابوت الشهادة فى قدس الأقداس. وتضع المائدة خارج الحجاب والمنارة مقابل المائدة على جانب المسكن نحو التيمن. وتجعل المائدة على جانب الشمال.

وتصنع سُجُفًا لمدخل الخيمة من أسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة الطراز!

وتصنع للسّجف خمسة أعمدة من سنط وتغشيها بذهب، رززها من ذهب!..»[2]

ثمّ، ماذا بعد ذلك!. بعد ذلك؛

«تصنع المذبح من خشب السنط! طوله خمس أذرع وعرضه خمس أذرع مُربّعًا يكون المذبح. وارتفاعه ثلاث أذرع..

---

(١) الإصحاح ٢٦ «سفر الخروج».

(١) الإصحاح ٢٦ «سفر الخروج».

وتصنع قدوره لرفع رماده ورفوشه ومراكنه ومناشله ومجامره جميع آنيته تصنعها من نحاس..

كما أظهر لك في الجبل هكذا يصنعونه!.»[1]

ثمّ!. ثم؛

«تصنع دار المسكن!..

طول الدار مئة ذراع وعرضها خمسون فخمسون وارتفاعها خمس أذرع من بوص مبروم وقواعدها من نحاس.

جميع أواني المسكن في كل خدمته وجميع أوتاده وجميع أوتاد الدار من نحاس!

وأنت تأمر بني إسرائيل أن يُقدّموا إليك زيت زيتون مرضوض نقيّا للضوء لإصعاد السرج دائماً!.»[2].

ثمّ!.. ثم بعد ذلك؛

«قرّب إليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهن لي!

هرون ناداب وأبيهو اليعاذار وإيثامار بني هرون.

واصنع ثياباً مقدّسة لهرون أخيك للمجد والبهاء!

وتُكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا ثيابَ هرون لتقديسه ليكهن لي.

وهذه هي الثياب التي يصنعونها؛

صدرة ورداء وجبّة وقميص مخرّم، وعمامة ومنطقة..

فيصنعون الرداء من ذهب واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة حائك حاذق!..

وتصنع **طوقين من ذهب**. وسلسلتين **من ذهب نقيٍّ**. مجدولتين تصنعهما صنعة الضفر وتجعل سلسلتي الضفائر في الطوقين.

---

(١) الإصحاح ٢٧ «سفر الخروج».

(١) الإصحاح ٢٧ «سفر الخروج».

وتصنع **صدرة قضاء**... تكون مربّعة مَثنيّة طولها شبر وعرضها شبر. وتُرصّع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة. صفّ عقيق أحمر وياقوت أصفر، وزمرّد الصفّ الأول. والصف الثانى بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض. والصفّ الثالث عين الهرّ وبشم وجمشت. والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب.

تكونُ مطوّقة بذهب فى ترصيعها!..

وتصنع على الصدرة سلاسل مجدولة صنعة الضفر **من ذهب** نقيّ...

وتصنع جبّة الرداء كلها من أسمانجونى وتكون فتحة رأسها فى وسطها... وتصنع على أذيالها رُمّانات من أسمانجونى وأرجوان وقرمز على أذيالها حواليها. **وجلاجل ذهب** بينها حواليها.

جلجل ذهب ورمانة جلجل ذهب ورمانة على أذيال الجبّة حواليها. فتكون على هرون للخدمة ليُسمع صوتها عند دخوله إلى القدس أمام الرب وعند خروجه لئلا يموت!...

ولبنى هرون تصنع أقمصة وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء.

وتُلبس هرون أخاك إيّاها وبنيه معه وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لى.

وتصنع لهم سراويل من كتان لستر العورة»[1].

وأما ماذا «تصنعه لهم لتقديسهم ليكهنوا لى» فانّما؛ «هذا ما تصنعه لهم لتقديسهم ليكهنوا لى؛

خذ ثوراً واحداً ابن بقر وكبشين صحيحين. وخبز فطير وأقراص فطير ملتوتة بزيت. من دقيق حنطة تصنعها. وتجعلها فى سلة واحدة وتقدمّها فى السلة مع الثور والكبشين.

وتُقدّم هرون وبنيه إلى باب خيمة الاجتما ع وتغسلهم بماء.

وتأخذ الثياب وتُلبس هرون القميص وجبّة الرداء والرداء والصدرة وتشدّه بزنار الرداء. وتضع العمامة على رأسه وتجعل الإكليل المقدّس على العمامة. وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه.

---

(١) الإصحاح ٢٧ «سفر الخروج».

وتُقدِّم الثور إلى قدّام خيمة الاجتماع. فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الثور.

فتذبح الثور أمام الربّ عند باب خيمة الاجتماع. وتأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح بأصبعك وسائر الدم تصبّه إلى أسفل المذبح.

وتأخذ كل الشحم الذى يُغشّي الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشّحم الذى عليهما وتُوقدها على المذبح.

وأما لحم الثور وجلده وفرثه فتحرقها بنار خارج المَحَلة.

هو ذبيحة خطيّة.

وتأخذ الكبش الواحد فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش.

فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترّشه على المذبح من كل ناحية. وتقطع الكبش إلى قطعه. وتغسل جوفه وأكارعه وتجعلها على قطعه وعلى رأسه. وتُوقد كل الكبش على المذبح.

هو محرقة للربّ. رائحة سرور! وقود هو للربّ!

وتأخذ الكبش الثانى فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش.

فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أذن هرون وعلى شحم آذان بنيه اليمنى. وعلى أباهم أيديهم اليمنى. وعلى أباهم أرجلهم اليمنى.
وترشّ الدم على المذبح من كل ناحية!

وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هرون وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه.

ثمّ تأخذ من الكبش الشحمَ والأليّة والشحم الذى يُغشّي الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما والساق اليمنى. فإنه كبش ملىء. ورغيفًا واحدًا من الخبز وقرصًا واحداً من الخبز بزيت ورقاقة واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب. وتضع الجميع فى يدى هرون وبنيه تُردّدها ترديداً أمام الربّ. ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على المذبح فوق المحرقة.

رائحة سرور أمام الربّ. وقود هو الربّ!

ثمَّ

تأخذ الفصَّ من كبش الملىء الذى لهرون وتُردده ترديداً أمام الرب **فيكون لك نصيبًا!** وتُقدِّس فص الترديد وساق الرفيعة الذى ردد، والذى رفع من كبش الملىء ممَّا لهرون وبنيه. **فيكونان لهرون وبنيه**...

وأما كبش الملىء فتأخذه وتطبخ لحمه فى مكان مقدس. **فيأكل هرون وبنوه لحم الكبش والخبز الذى فى السلة** عند باب خيمة الاجتماع.

وإن بقى شىء من لحم الملىء أو من الخبز إلى الصباح تحرق الباقى بالنار. لا يؤكل لأنه مقدَّس!

وتصنع لهرون وبنيه هكذا بحسب كل ما أمرتك. **سبعة أيام تملأ أيديهم**.

وتُقدِّم ثور خطية **كل يوم** لأجل الكفَّارة.

وتطهِّر المذبح بتكفيرك عليه وتمسحه لتقديسه. سبعة أيام تكفر على المذبح وتقدسه فيكون المذبح قدس الأقداس!..»(1)

وأمَّا ماذا سيقدَّم على المذبح؟.. فسؤال نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودى وليأتينا منه هذا الجواب:

«هذا ما تُقدِّمه على المذبح:

خروفان حوليان كل يوم دائمًا!

الخروف الواحد تُقدمه صباحًا

والخروف الثانى تقدمه فى العشيَّة.

وعُشْر من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرضّ.

وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد.

والخروف الثانى تقدمه فى العشية مثل تقدمة الصباح وسكيبة تصنع له.

رائحة سرور وقود للربِّ!

---

(1) الإصحاح ٢٩ «سفر الخروج».

مُحرقة دائمة فى أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع... حيثُ اجتمع بكم لأكلمك هناك!»[1].

ثمَّ؟!. ثم؛

كلَّم الربُّ موسى قائلاً؛

وأنت تأخذ لك أفخر الأطياب!

مُرًا قاطرًا خمس مئة شاقل

وقرفة عطرة نصف ذلك مئتين وخمسين

وقصب الذريرة مئتين وخمسين

وسليخة خمس مئة، بشاقل القدس. ومِن زيت الزيتون هينًا، وتصنعه دهنًا مقدسًا للمسحة!..»[2].

لايسعنا أمام هذه النصوص إلاّ أن نتوقف قليلاً لأنَّ هذا المؤلف اليهوذى يحمل إلينا بها نغمة هى على بنى إسرائيل جديدة كل الجدَّة لالأنه لا عهد لإسرائيل بها فى تلك الفترة الزمنية التى يتحدث عنها هذا المؤلف فحسب، وإنَّما لأن هذه العناصر التى تجمع هذا الجمع و«بالزيت المقدس» تمزج وتعد «للمسحة» لم نعرفها إلاَّ لمصر القديمة وكانت مقصورة على الملوك يوم كانت قبضتهم تمتلك السُّلطة الدينية إلى جانب المدنية فأى هدف، من ثمَّ، يستهدفه مؤلف «سفر الخروج» من وراء هذه النصوص؟!.

أيريد هذا المؤلف اليهوذى أن يُشير لنا بهذا القول إشارة لانكون مخطئين إذا قلنا إنها إشارة مباشرة بأن موسى كان يريد أن يصبح، بهـذه «المسحة»، فـى بنـى إسـرائيل مَلِكا؟

لاشك فى أن هذا ما يدَّعيه هذا المؤلِّف وأنه بهذا القول لم يغبن لموسى، عليه السلام، رسالة هو عنها لاهٍ بهذا الحديث الذى يجعله صادرًا عن «إلـه إسرائيل» إلى موسى والذى يختتمه بهذا النص؛

(١) الإصحاح ٢٩ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٣٠ «سفر الخروج».

«ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحَىِ الشهادة لوحى حجر مكتوبين **بأصبع الله**»(١).

ولكن!..

هنا يطلع علينا مُؤلف «سفْر الخروج» برواية جديدة عن حدَثٍ آخر جديد.. فهو يُحدثنا عن لوافح ذلك الشك العَاصف الذى عصف بالقلب من إسرائيل وأحاط بموسى فى خلال تلك الليالى التى غلبها فى معارج سيناء.. وليقول لنا بأن هذا الشك قد اتّخذ مظهر الحنين اللاعّج إلى ما قد ترك «بيوت إسرائيل» فى مصرَ من ألوان عبادة شعبية رمزت إلى معبودها بتمثال عجل..

ومن ثم فليوالى إلى المسمع منا إلى هذا المؤلف الإصغاء وهو يواصل الحديث قائلا:

«ولما رأى الشعبُ أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأنّ هذا موسى، الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه!

فقال لهم هرون: انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها.

فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هرون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالأزميل **وصنعه عجلاً مسبوكا!**...

فلما نظر هرون بَنَى مذبحاً أمامه ونادى هرون وقال: غداً عيد للربّ!

فبكّروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدّموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للّعب»(٢).

كيف؟!..

نحن لانستطيع أن نمر بهذه النصوص مروراً عابراً، ولايسعنا إلا أن نقف أمامها متسائلين:

---

(١) الإصحاح ٣١ «سفر الخروج».

(٢) الإصحاح ٣٢ «سفر الخروج».

كيف يُمكن أن يحدث هذا وهذا المؤلف نفسه كان قد ذكر، من قبل، بأن شيوخ إسرائيل وعلى رأسم هرون قد رأوا رأى العين «إلـــه إسرائيل»، وأنهم قد عادوا من أعلى الجبل مقتنعين بما رأوا وبه مؤمنين؟!. ثمّ فى غضون غيبة لموسى فى طوايا سيناء يصنع هرون عجلا مسبوكًا من ذهب ويبنى له مذبحًا ثم يسعى إليه «بنو إسرائيل» بالذبائح للأكل والشرب! وما فرغوا من ذلك إلاّ وقاموا يلعبون ناسين «يهوه» إلـــه إسرائيل!.

سؤال يقذف بنفسه إلى الخاطر بينما المسمع يواصل الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهودى وهو يواصل الحديث قائلا بأنّه ماطلب لبنى إسرائيل اللهو وما استطابوه وما راحوا يلعبون ويقدمون الذبائح، لا إلى «يهوه»، وإنّما إلى الرب الذى صوره هرون على شبه عجل، إلاّ وفجأة، بصحبة يشوع بن نون، هبط؛

«موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده! لوحان مكتوبان على جانبيهما. من هنا ومن هنا كانا مكتوبين.

واللوحان هما صنعة الله! والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين!»(١).

وحدث أن؛

«سمع يشوع صوت الشعب فى هتافه فقال لموسى؛ صوت قتال فى المحلّة؟ فقال؛ ليس صوت صياح النصرة، ولا صوت صياح الكسرة. بل صوت غناء أنا سامع!

وكان عندما اقترب من المحلة أنه أبصر العجل والرقص!»(٢).

أبصر موسى عجلا مسبوكًا من ذهب حوله تمرح جماعةُ إسرائيل راقصة ويذهب بها المرح من حوله كل مذهب كما أبصر هرون واقفًا أمام هذا العجل وله يكهن؛

«فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يده وكسرهما!»(٣).

حتما كان أن ترتج لمرأى موسى جماعةُ إسرائيل، وعلى رأسها هرون وأن ترتسم على الوجوه علامة استفهام غريبة كما كان حتما أن يرتد الواحد تلو الآخر جفلا أمام قطع متناثرة من «لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله ونفسها صنعة الله».

---

(١) الإصحاح ٣٢ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٣٢ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٣٢ «سفر الخروج».

لاجدال فى أن الألواح لم تكن بالشىء الجديد فالزمن إنما زمن سجلاَّته ألواح وقوانينه وأحكامه وعقائده كانت على الألواح تُحفر وتُسطر ومتاحف عصرنا الحاضر مترعة بهذه الألواح.. وإنما الجديد فى هذين اللوحين هو أنهما «صنعة الله» والكتابة عليهما «كتابة الله» وبنفس «أصبع الله» ومن ثم فهما لوحان لا كالألواح!..

وأمَّا كيف كسر موسى هذين «اللَّوحين» فلم يكن ذلك إلاَّ أثر انتفاضة غضب من هذه الجماعة المرتدة وأمَّا كيف عادت هذه الجماعة إلى حظيرة «الرب» فسؤال جوابه عند هذا المؤلف الذى تابع روايته، وفى غير تورّع راحَ يصوِّر موسى مقبلاً على هذه الجماعة يحدثها قائلاً بأنه وهو فى أعلى الجبل حدث أن:

«قال الرب لموسى:

اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعًا عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكًا وسجدوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل!

فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم!..

فتضرّع موسى أمام الرب إلهـــه وقال:

لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر؟!.

لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟!

ارجع عن حموّ غضبك واندم على الشرّ بشعبك! اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل! عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم: أعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها **فيملكونها إلى الأبد!**

فندم الرب على الشرّ الذى قال: إنه يفعله بشعبه!»(1).

لو استطعنا **تصوُّر هذه اللحظة** من التاريخ اليهوذى لانحسرت أمامنا جلية فى ضوء التحليل النفسى. الشخصية التى كتبت هذه السطور ولتحلَّلت فى يدنا العناصر التى

(1) الإصحاح ٣٢ «سفر الخروج».

كوّنت الدين اليهودى الحالى.. وهذا يُحتم علينا أن نزداد اقترابًا من هذا المؤلف اليهوذى لارتباط هذا الدين به أتمّ ارتباط وأن نصغى إليه وهو يُكمل روايته هذه قائلا بأن موسى كسر اللّوحين:

«ثمّ أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعمًا وذراه على وجه الماء وسقى بنى إسرائيل!»[1].

ثمّ؟.. ثم إلى هرون، كما يحدثنا هذا المؤلف اليهوذى، خلا موسى:

«وقال موسى لهرون: ماذا صنع بك هذا الشعب؟!..

فقال هرون: لايحم غضب سيدى! **أنت تعرف الشعب أنه فى شرّ!** فقالوا لى اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأنّ هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه؟ فقلت لهم: مَن له ذهب فلينزعه ويعطى! فطرحته فى النار فخرج هذا العجل!..»[2]

وهنا.. هنا يأبى مؤلف «سِفْر الخروج» إلاّ أن يسير بروايته هذه حتى النهاية فيقول بأن عند ذاك:

«وقف موسى فى باب المحلة وقال: مَن للرب فإلىّ!

فاجتمع إليه جميع بنى لآوى فقال لهم: هكذا قال الربُّ إلــه إسرائيل:

ضعـوا كل واحـد سيفـه علـى فخذه، ومُرّوا وارجعـوا مـن باب إلـى بـاب فـى المحلـة **واقتلـوا كل واحـد أخـاه وكل واحـد صاحبـه وكل واحـد قريبـه.**

ففعل بنو لآوى بحسب قول موسى. ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل!

وقال موسى: املأوا أيديكم اليوم للربّ حتى كل واحد بابنه وبأخيه! فيعطيكم اليوم بركة!»[3].

---

(١) الإصحاح ٣٢ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٣٢ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٣٢ «سفر الخروج».

والآن.. الآن وقد أنهى هذا المؤلف هذه المجزرة البشرية، ولطّخ كل واحد بدم أخيه وابنه وصاحبه وقريبه، فليس إلاّ ليتحول بخياله طاويًا به ليلة من عمر التاريخ الإسرائيلي مرت على هذا الحدث ليسرع بعد ذلكُ يشمّر عن ساعده ويسطر:

«وكان في الغد أن موسى قال للشعب! أنتم قد أخطأتم خطيّة عظيمة. فأصعد الآن إلى الربّ لعلى أُكفّر خطيتكم.

فرجع موسى إلى الربّ وقال: آه. قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة، وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب، والآن. إن غفرت خطيتهم وإلاّ فامحني من كتابك الذي كتبت:

فقال الربُّ لموسى: من أخطأ إليّ أمحوه من كتابي. والآن اذهب أهد الشعب إلى حيث كلمتك...»[1].

اذهب..:

«اذهب إصعد من هنا أنت والشعب!.. إلى **الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب** قائلاً فلنسلك أعطيها!.. **أرض تفيض** لبنًا وعسلا!.»[2]

وهكذا.. هكذا يعود بنا هذا المؤلف اليهودي وينعطف ناحية «الأرض الموعودة»... هذه «الأرض» التي لذكرها، كما تحمل إلينا منه النصوص، اهتزت الأعطاف من بني إسرائيل طربًا انعطفت به نفوسهم ناحية «يهوه» من جديد...

ولكن.. هنا يطلع علينا هذا المؤلف اليهودي برواية أخرى جديدة محورها «إلـــه إسرائيل» هذا الذي هبط به بعد هذا الحدث مباشرة من قمم الجبل إلى وسط بني إسرائيل حتى لاتغيب العين منه لحظة عن هذه الجماعة التي اختارها لنفسه «شعبا» ويستهل هذه الرواية قائلا إن:

«الرب قد قال لموسى: قل لبني إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة. إن صعدت لحظة في وسطكم أفنيتكم»(٣).

ولذلك:

---

(١) الإصحاح ٣٢ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٣٣ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٣٣ «سفر الخروج».

«لا أصعد فى وسطك!»[1] .

رأى مؤلف «سفر الخروج» أن إسكان «إلـــه إسرائيل» فى وسط إسرائيل أفضل من سكناه الجبل.. ففى سكناه فى وسط «شعبه» خير ضمان كى لاتعود هذه الجماعة إلى ما صنعت يوم طلب من هرون أن يصنع لها عجلا مسبوكا وراحت أمامه ترقص!.. فلو لم يكن «يهوه» فى الجبل وقتذاك لما استطاعت إسرائيل أن تصنع ما صنعت!.. ومن ثمّ فلتُنْصب له بين خيام جماعة إسرائيل خيمة!.. أبى هذا المؤلف إلاّ أن يتمادى فى بهتانه فينسب ذلك إلى موسى قائلا بأن عند ذاك.

«أخذ موسى الخيمة ونصبها له.. ودعاها خيمة الاجتماع..

وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة.. فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته..»[2]

فإنما فى هذه «الخيمة»؛

«يتكلم الـــربّ مـــــع مـــوســـى.. وجهًا لـــوجـــه كمـــا يُكلم الـــرجـــل صـــاحبـــه!.»[3]

ولكــن!.. هذه «الخيمة» لم تكن لتترك وحدها قط فانّما إذا تركها موسى لأمر؛

«كان خادمه يشوع بن نون.. لا يبرح من داخل الخيمة»[4] .

وهنا.. هنا نرانا نتمهل، لحظة، لنقول؛

ما هذا الخلط الذى يأتيه مؤلف «سفْر الخروج» وهو عن تلك «المكالمة القدسية» يتحدث هذا الحديث قائلا بأن إلى هذه «الخيمة إذا ما أراد الربُّ موسى أو أراد موسى الربّ «ينزل الرب» وفى «عامود سحاب» يقف بالباب؟!.

ترهات!..

(١) الإصحاح ٣٣ «سفر الخروج».
(٢) الإصحاح ٣٣ «سفر الخروج».
(٣) الإصحاح ٣٣ «سفر الخروج».
(٤) الإصحاح ٣٣ «سفر الخروج».

لاجدال أنها لترهات يضيف بها هذا المؤلف إلى أضاليله أضلولة جديدة لاسيّما، وأنه بعد أن نصب لإلــه إسرائيل خيمة وأسكنه فى وسط إسرائيل وجعل العين من «يشوع بن نون» عليها أبدًا ساهرة تلفّت فرأى أنه لم يضف على مسكن إلــه إسرائيل مهابة تليق بمرتبة ألوهيته.. ومن ثمّ شمّر عن ساعده من جديد ليطلع علينا يحدثنا قائلا بأن بعد أيام من نصب «الخيمة».

«كلّم موسى كل جماعة بنى إسرائيل قائلاً؛ هذا هو الشىء الذى أمر به الربُّ قائلا؛ خذوا من عندكم تقدمة للرب.. ذهبًا وفضة ونحــاسًا وأسمانجونيا وأرجــونا وقرمزًا وبوصًا وشعر معــزى وجلــود كباش محمّرة وجلود تخس وخشب سنط وزيتًا للضــوء وأطيابًا لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جــزع وحجــارة ترصيــع للرداء والصــدرة.

وكل حكيم القلب بينكم فليأت ويصنع كل ما أمر به الربُّ! المسكن، وخيمته وغطاؤه وأشظته وألواحه وعوارضه وأعمدته وقواعده.

والتابوت، وعصويه والغطاء وحجاب السجف.

والمائدة، وعصويها وكل آنيتها وخبز الوجوه.

ومنارة الضوء، وآنيتها وسرجها وزيت الضوء.

ومذبح البخور، وعصويه ودهن المسحة والبخور العطر

وسجف الباب لمدخل المسكن.

ومذبح المحرقة، وشباكة النحاس التى له وعصويه وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها.

وأستار الدار، وأعمدتها وقواعدها وسجف باب الدار.

وأوتاد المسكن وأوتاد الدار، وأطنابها.

والثياب المنسوجة، للخدمة فى المقدس.

والثياب المقدسة لهرون الكاهن وثياب بنيه للكهانة!..»[(١)]

ومن ثمّ؛

(١) الإصحاح ٣٥ «سفر الخروج».

«خرج كل جماعة بنى إسرائيل من بين يدى موسى، وأتى كل من حرّكه قلبه وكل من سخت نفسه فجاءوا بتقدمه للرب.. أتى الرجال والنساء. فجاءوا بأسورة وشنوف وخواتم وقلائد كل متاع من الذهب!...

وكل من وجد عنده أسمنجوني وأرجوان وصبغ قرمز وبزّ وشعر معزي وجلود كباش مصبوغة بالحمرة وجلود سمنجونية أتى بها. وكل من كان عنده تقدمة من فضة ونحاس أتى بتقدمة للرب.

وكل من وجد عنده خشب سنط لصنعة ما من العمل أتى به. وكل امرأة حازقة غزلت بيدها، وأتت بغزل من السمنجوني والأرجوان وصبع القرمز والبز.. والأشراف أتوا بحجارة الجزع وحجارة الترصيع وبالطيب والزيت..كل رجل أوْ امرأة من بنى إسرائيل سخت نفسه أن يأتى بشيء لجميع العمل الى أمر الرب بأن يعمل على يد موسى، أتى به تطوعاً للرب!..»(١)

وهنا؛

«قال موسى لبنى إسرائيل؛ انظروا إن الرب قد دعا بصلائيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا... لإختراع أمثلة تصنع من الذهب والفضة والنحاس ولنحت الجواهر للترصيع ولنجارة الخشب... وألقى فى قلبه أن يعلم هو وأهلياّب بن أحيساماك من سبط دان.. وملأ قلوبهما حكمة ليصنعا كل صنعة نجار ونسّاج حاذق ومطرز فى السمنجونى والأرجوان وصبغ القرمز والبز وكل صنعة حائك من صانعى كل صنعة...»(٢).

ومن ثمّ؛

«نادى موسى بصلائيل وأهلياّب وكل ذى حكمة.. فتسلّموا من بين يدي موسى جميع التقدمة التى جاء بها بنو إسرائيل لأعمال خدمة القدس ليصنعوها. فأقبل جميع الحكماء الذين يصنعون كل أعمال القدس كل امرىء منهم من عمله الذى يصنعه...

فَصنعَ المسكن كل ذى حكمة من صانعى العمل..»(٣).

وأمّا ماذا صنعوا؟.. فقد؛

---

(١) الاصحاح ٣٥ «سفر الخروج»
(٢) الاصحاح ٣٥ «سفر الخروج»
(٣) الاصحاح ٣٦ «سفر الخروج»

«صنعوا عشر شقق من بزّ مشرور وسمنجونى وأرجوان وصبع قرمز. طول كل شقة ثمان وعشرون ذراعًا في عرض أربع أذرع.. ولفقوا خمسًا من الشقق الواحدة إلى الأخرى. وعملوا عرى.. صنعوا خمسين عروة.. وعملوا خمسين شظاظًا من الذهب.. وصنعوا خمسين شظاظًا من نحاس.. وعملوا غطاء للخباء من جلود كباش مصبوغة بالحمرة.. وصنعوا ألواحًا للمسكن من خشب السنط.[1]»

هذا بعض ماعملوا...

وهنا؛

«صنع بصلئيل التابوت.. وغشّاه بذهب نقيٍّ من داخل ومن خارج!..

وصنع المائدة .. وغشّاها بذهب نقيٍ.. وصنع الأوانى التى على المائدة صحافها وصحونها وجاماتها وكأساتها التى يسكب بها من ذهب نقيٌ. وصنع المنارة من ذهب نقيٍ..

وصنع دهن المسبحة مقدساً. والبخور العطر نقياً صنعة العطّار»[2].

ثمَ؛

«صنع مذبح المُحرقة من خشب السنط... وصنع المرحضة من نحاس، وقاعدتها من نحاس... وصنع الدار.. أستار الدار من بوص مبروم!.. صنع كل ما أمر به الرب موسى. ومعه أهولياب.. نقّاش ومُوّش وطرّاز»[3].

ولذلك؛

«من الأسمانجونى والأرجوان والقرمز، صنعوا ثياباً منسوجة للخدمة فى المقدس وصنعوا الثياب المقدسة التى لهرون... الرداء من ذهب وأسمانجونى وأرجو ان وقرمز وبوص مبروم.

مدُّوا الذهبَ صفائح وقدُّوها خيوطًا ليصنعوها.. كما أمر الربُّ موسى...

---

(1) الاصحاح ٣٦ «سفر الخروج»
(2) الاصحاح ٣٧ «سفر الخروج»
(3) الاصحاح ٣٨ «سفر الخروج»

وصنعوا حجري الجزع محاطين بطوقين من ذهب.. وصنعوا الصدرة.. رصّعوا أربعة صفوف حجارة. صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرّد.. والصف الثانى بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض. والصف الثالث عين الهر ويشم وجمست. والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب..

وصنع جبّة الرداء صنعة النسّاج كلها من أسمانجونى.. وصنعوا جَلاجِل من ذهب نقى. وجعلوا الجلاجل فى وسط الرمّانات على أذيال الجبّة...

وصنعوا الأقمصة من بوص صنعة النسّاج، لهرون وبنيه. والعمامة من بوص!..»(١)

وهكذا؛

«فعل موسى بحسب كل ما أمره الربّ. هكذا فعل! وكان فى الشهر الأول من السنة الثانية فى أول الشهر أن المسكن أقيم.»(٢)

وعند ذاك؛

«غطت السحابةُ خيمة الاجتماع وملأ بهاءُ الربِّ المسكن!..

سحابة الربّ كانت على المسكن نهاراً وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل!»(٣)

والآن؟... الآن وقد أقيم «المسكن» على الصورة التى ارتضاها «إله إسرائيل» وسط إسرائيل وعن قمة سيناء اتّخذ خيمة الاجتماع» بدلا، وذلك لترقب عينه عن قرب تحركات إسرائيل، فليس إلا نتساءل؛ أى لون من ألوان العبادات والتعبد ستؤديه إسرائيل إلي «إله إسرائيل؟!»

سؤال، نلقيه إلى مؤلف «سفْر الخروج»..ولكن؟.. كفت يد المؤلف «سفر الخروج» عن التسطير وتراخت وهنا من شطحات خيالٍ تمادى وفى مدى الترهات قطع شوطًا بعيدًا، غير أنهَ للاجابة عن هذا السؤال يهبُّ مؤلف يهوذى آخر يتناول قلمه ويجريه لتؤلف منه سطور السفْر الثالث من «الأسفار الخمسة» وذلك ليحدثنا قائلا؛ بأنه ما أقيم «المسكن».

---

(١) الإصحاح ٣٩ «سفر الخروج»
(٢) الإصحاح ٤٠ «سفر الخروج»
(٣) الإصحاح ٤٠ «سفر الخروج»

وما أقيمت «خيمة الاجتماع» المسمّاة «خباء المحضر» إلاّ لتقوم عبادة مُنظّمة!.. فلقد قامت نظم طقسية تُنظّم هذه العبادة كما جاءت بذلك، فى سفوح سيناء؛.

«الشريعة» و«الوصايا»

إن الشريعة كلمة، كما يحمل مدلولها، تعنى الأحكام الدينية والأحوال الشخصية والمدنية والجنائية. فالشريعة هي التي تُنظّم شعائر العبادة وطقوسها وهى التى تعيّن احتفالات العبادة وتعين الأعياد. ومن ثمّ ففى الشريعة تأتى المشكلات الدينية قاطبة ومن أهمها نظرية الخير والشر ومشكلة الجريمة والعقاب وهذه تقود إلى مشكلة النفس وتنتهى بدورها إلى استعراض القانون الأخلاقى والقيم الأخلاقية.

ومن ثمّ حتما علينا الإصغاء إلى هذا المؤلف للسفر الثالث المسمى فى النسخة الكاثوليكية «سفر الأحبار» وفى النسخة البروتستانتية «سفر اللاّويين» وهو يحدثنا عما تحمله هذه الشريعة عند بنى اسرائيل من وصايا وما تنص عليه من أحكام وما تسنه من قوانين..

يستهل مؤلّف «سفر اللاّويين» حديثه قائلا،

«ودعا الربُّ موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلاً؛ كلّم بنى إسرائيل وقل لهم؛ إذا قرّب إنسان منكم قربانًا للربّ من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم!

إن كان قربانه محرقة من البقر فذَكَرًا صحيحاً يُقربه..»(١)

إلي أين يُقربه؟

«إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه!

للرضا عنه أمام الرب!..»(٢)

وأمّا كيف يرفع ابن إسرائيل قُربانه؟ «للرضا عنه أمام الربّ»

فهكذا؛

«يضع يده على رأس المحرقة... ويذبح العجل أمام الربّ؟، ويُقرّب بنو هرون، الكهنة،

---

(١) الإصحاح الأول «سفر اللاويين»

(٢) الإصحاح الأول «سفر اللاويين»

الدّم. ويرشُّون الدمّ مستديراً على المذابح الذى لدى باب خيمة الاجتماع! ويسلخ المحرقة ويقطّعها إلى قطعها. ويجعل بنوهرون الكاهن ناراً على المذبح، ويُرتِّبون حطباً على النار

ويُرتّب بنو هرون، الكهنة، القطَع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح..»(١)

وأحشاء القربان وأكارعه..

«وأمّا أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويُوقد الكاهن الجميع على المذبح.. رائحة سرور للربّ.»(٢).

وإذا كان ابن إسرائيل قد قدّم قربانه من الغنم؟

«إن كان قربانه من الغنم الضأن أو المعز.. فَذَكَراً صحيحاً يُقرّبه. ويذبحه على جانب المذبح إلى الشمال أمام الربّ.

ويرشّ بنو هرون، الكهنة ، دمه على المذبح مستديراً!..

ويقطّعه إلى قطعة مع رأسه وشحمه ويُرتّبهن الكاهن فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح.

وأما الأحشاء والأكارع فيغسلها بماء ويُقرّب الكاهنُ الجميعَ ويُوقد على المذبح. إنّه محرقة وقود رائحة سرور للرب »(٣)

ولكن! إذا كان لا قِبَل لفردٍ ما من أبناء إسرائيل بتقديم الغنم فقدّم الطير؟..

إن مُؤلّف «سِفر اللاّويين» لا يضنّ علينا بالإرشاد فيقول،

«يقرّب قربانه من اليمام أو أفراخ الحمام.

يقدمه الكاهن إلى المذبح ويحزّ رأسه ويوقد على المذبح ويعصر دمه على حائط المذبح..»(٤)

---

(١) الإصحاح الأول «سفر اللاويين»
(٢) الإصحاح الأول «سفر اللاويين»
(٣) الإصحاح الأول «سفر اللاويين»
(٤) الإصحاح الأول «سفر اللاويين»

ثمّ:

«ينزع حوصلته بفرثها ويطرحها إلى جانب المذبح شرقاً إلى مكان الرماد. ويشقّه بين جناحيه لا يفصله! ويُوقده الكاهن على المذبح فوق الحطب الذى على النار.

إنّه محرقة وقود رائحة سرور للرب!» (١).

بهذه التقدمات يشرح هذا المؤلف اليهوذى الجديد صُوَر العبادة التى فرضت من «إله إسرائيل» على بنى إسرائيل وينهج منهج زميليه فى الادّعاء والافتراء على موسى، عليه السلام، ولا يتورّع من القول بأن هذا ما أملاه «إله إسرائيل» على موسى للرضا عن إسرائيل وللتكفير!. بل ولا يقف مؤلف «سفر اللاّويين» عند هذا المدى وإنما هو يتمادى فى شططه ويزيد فى افتراءاته على موسى فيقول بأن «الـــه إسرائيل» قد كلّم موسى فى «خيمة الاجتماع» قائلا:

«إذا قرّب أحدٌ قرباناَ تقدمة للربّ يكون قربانه من دقيق..» (٢)

بيد أنّ حَذارِ!.. لا يُقربنَ أحد هذه التقدمة إلا بعد أن:

«يسكب عليها زيتا ويجعل عليها لباناً. ويأتي بها إلى بنى هرون، الكهنة، ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح...

والباقى من التقدمة هو لهرون وبنيه.» (٣)

وهنا.. هنا نسأل هذا المؤلف اليهوذى الذى سجّل، عبرَنصوصه، على نفسه هذه الشراهة التى أملت عليه، نفسها، هذه النصوص المفتراة قائلين: وإذا جاء أحد من أبناء إسرائيل بتقدمة من الدقيق المخبوز؟.. وباجابة اتّسمت بأفقع لون من ألوان العبادات البدائية يجىء إلينا الصوت من هذا المؤلف يقول:

«إذا قرّبت قربانا تقدمة مخبوزة في تنّور تكون أقراصا من دقيق فطيراً ملتوتة بزيت ورقاقاً فطيراً مدهونة بزيت!..(٤)

---

(١) الإصحاح الأول «سفر اللاويين»
(٢) الإصحاح ٢ «سفر اللاويين»
(٣) الإصحاح ٢ «سفر اللاويين»
(٤)الإصحاح ٢ «سفر اللاويين»

ثم في استرسال بالغ بلغ من السذاجة أقصى مداه يُحدثنا هذا المؤلف اليهوذى عن مايمكن تقدمته من الطواجن فيقول؛

«إن كان قربانك تقدمة من طاجن، فمن دقيق بزيت تعمله! فتأتى بالتقدمة التى تصطنع من هذه إلى الربِّ وتُقدمها الى الكاهن فيدنو بها إلى المذبح، ويأخذ الكاهن من التقدمة تذكارها.. والباقي من التقدمة هو لهرون وبنيه!..»(١)

وأمّا..أمّا؛

«إن كان قربانه ذبيحة سلامة فإن قرّب من البقر ذَكَرًا أَوْ أنثي **فصحيحاً** يقرّبه أمام الربّ.

يضع يده على رأس قربانه ويذبحه لدى باب خيمة الاجتماع. ويرشّ بنو هرون، الكهنة، الدم على المذبح مستديراً.

ويقرب من ذبيحة السلامة وقوداً للرب؛ الشحم الذى يُغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرتين، وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعهما ويوقدها بنو إسرائيل على المذبح.. رائحة سرور للرب!..»(٢).

وأيضاً؛

«إن كان قربانه من **الغنم** ذبيحة سلامة للربّ ذكراً أَوْ أنثى فصحيحاً يُقربه.

«إن قرّب قربانه من **الضأن** يقدّمه أمام الربّ يضع يده على رأس قربانه ويذبحه قدام خيمة الاجتماع

ويرشّ بنو هرون دمه على المذبح مستديراً!

ويُقرِّب من ذبيحة السلامة شحمها وقوداً للربّ؛ الألْية صحيحة **من عند العصعص** ينزعها، والشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها ويوقدها الكاهن على المذبح طعام وقود للربّ..»(٣)

(١) الإصحاح ٢ «سفر اللاويين»
(٢) الإصحاح ٣ «سفر اللاويين
(٣)الإصحاح ٣ «سفر اللاويين»

وأيضاً:

«إن كان قربانه من المعزَ يقدّمه أمام الرب. يضع يده على رأسه، ويذبحه قدام خيمة الاجتماع، ويرشُ بنو هرون دمه على المذبح مستديراً ويقرب منه قربانه وقوداً للرب الشحم الذى يغشى الأحشاء.. كل الشحم للربّ»[1].

كل الشحم للرّب؟.. واللحم؟! اللحم إلى من يذهب؟!

سؤال نلقيه إلى هذا المؤلف الذى وإن كان لم يبذ رفيقيه فى الأضاليل فإنّما هو قد بذّهما فى الشراهة تطفح بها هذه النصوص وكأنما هو الذى لم يستدر إلا من حول الطعام له تفكير! ولكنه عند هذا السؤال لن يجيبنا إلا بعد قليل وبعد أن يسرد ألواناً أخرى من القرابين هى بمثابة تكاليف دينية وهذه لاتشمل أفراد المجتمع الإسرائيلى فحسب وإنّما أعضاء هيئة الكهنوت أنفسهم فلقد:

«كلم الربُّ موسي قائلا: إن كان الكاهن الممسوح يُخطىء لأثم الشعب يقرّب عن خطيته التى أخطأ ثوراً ابن بقر!.. يُقدّم الثور إلى باب خيمة الاجتماع أمام الرب ويضع يده على رأس الثور ويذبح الثور أمام الربّ! **ويأخذ الكاهن الممسوح من دم الثور** ويدخل به إلى خيمة الاجتماع ويغمس الكاهن إصبعه فى الدم وينضح من الدم. سبع مرات أمام الربّ لدى حجاب القدس! ويجعل الكاهن من الدم على قرون مذبح البخور العطر الذى فى خيمة الاجتماع أمام الرب. **وسائر دم الثور يصبّه إلى أسفل مذبح المحرقة..**»[2]

وأيضاً، إذا أخطأت:

«كل جماعة إسرائيل.. ثم عرفت الخطيّة التى أخطأوا بها يقرب المجمع ثوراً ابن بقر ذبيحة خطية. يأتون به إلى قُدّام خيمة الاجتماع ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس الثور أمام الرب ويذبح الثور أمام الرب.

ويدخل الكاهن الممسوح من دم الثور الى خيمة الاجتماع. ويغمس الكاهن أصبعه فى الدم وينضح سبع مرات أمام الربّ لدى الحجاب. ويجعل من الدم

(١) الإصحاح ٣ «سفر اللاويين»
(٢) الإصحاح ٤ «سفر اللاويين»

علـــى قـــرون المـــذبـــح.. وســـائـــر الـــدم يصبّه إلـــى أسفـــل مـــذبـــح المحـــرقـــة.

يفعل الثور كما فعل بثور الخطيّة. ويحرقه كما أحرق الثور الأول!

إنه ذبيحة خطية المجمع»(1)

وأيضاً؛

«إذا أخطأ رئيس.. يأتي بقربانه تيساً من المعز ذَكَراً صحيحاً. ويضع يده على رأس التيس ويذبحه.. ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطية بأصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ثم يصب دمه إلى أسفل مذبح المحرقة.. **فيصفح عنه..**»(2)

وأيضاً؛

«وإن أخطأ أحد من عامّة الأرض.. يأتي بقربانه عنزاً من المعز أنثى صحيحة!.. ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبح ذبيحة الخطية في موضع المحرقة. ويأخذ الكاهن من دمه بأصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ويصب سائر الدم إلى أسفل المذبح... فيصفح عنه..»(3)

ولكن؛

«وإن أتى بقربانه من الضأن.. يأتي بها أنثى صحيحة ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبحها... ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطية بأصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ويصب سائر الدم إلى أسفل المذبح.. **فيصفَح عنه.**»(4).

ثمّ؛

«إذا أخطأ أحد.. يأتي إلى الرب بذبيحة لإثمه عن خطيته التي أخطأ بها أنثى من الأغنام، نعجة أو عنزاً من المعز..

وإن لم تنل يده كفاية لشاة فيأتي بذبيحة لإثمه الذي أخطأ به يمامتين أو فرخي حمام.. يأتي بهما إلى الكاهن فيقرِّب الذي للخطية أولاً ىحز رأسه من قفاه ولا يفصله!

(1) الإصحاح ٤ «سفر اللاويين»
(2) الإصحاح ٤ «سفر اللاويين»
(3) الإصحاح ٤ «سفر اللاويين»
(4) الإصحاح ٤ «سفر اللاويين»

وينضح من دم ذبيحة الخطية على حائط المذبح والباقى من الدم يعصر إلى أسفل المذبح!..

وأما الثانى فيعمله محرقة كالعادة.. فيصفح عنه!» (١)

وهكذا تسير النصوص من هذا السفر الثالث من «الأسفار الخمسة» المنسوبة، افتراءً، إلى موسى وتسترسل بيد مؤلفها تفرض الفرائض..

وأما إذا أعدنا السؤال السابق وقلنا إلى من تذهب لحوم هذه التقدمات وهذه القرابين؟.. فالجواب يأتينا هنا من هذا المؤلف صريحاً يقول:

«يأكله هرون وبنوه!.. كل ذَكر من بنى إسرائيل يأكل منها!.. كل ذكر من الكهنة يأكل منها!..» (٢)

أجل:

«كل ذكر من الكهنة يأكل منها!.. شريعة واحدة! الكاهن الذى يكفِّر بها تكون له! والكاهن الذى يقرِّب محرقة إنسان فجلد المحرقة التى يُقرِّبها يكون له. وكل تقدمة خُبزت فى التنُّور وكل ما عُمل فى طاجن أو على صاج يكون للكاهن الذى يقربه! وكل تقدمة ملتوتة بزيت أو ناشفة تكون لجميع بنى هرون!...

أمَر الربُّ أن تُعطى لهم، يوم مسحه إياهم من بنى إسرائيل... ... أمر الربُّ بها موسى فى جبل سيناء!.» (٣)

يقيناً...

لقد بلغ مؤلف «سفر اللاَّويين» أقصى المدى فى الجشع...! وفى غير تفريط هو فيه قد أفرط، وهذا مما يجعل الفكر، أمام هذه الصورة التى صورها، يتمهل بنا قليلا سابحاً فى لجج التأمل بينما تنطلق المخيلة منا تتصور، إذا أخذنا افتراضاً بقول هذا المؤلف، يوماً من أيام بنى إسرائيل فى سفح سيناء.. يوماً لا ينقضى إلاَّ بين أنعام تُساق وتذبح ودم يُرشّ وشحم يُوقد وكهنوت يقف بباب «خيمة الاجتماع» يستقبل الوفود الوافدة بخيراتها بكل ما طاب

---

(١) الإصحاح ٥ «سفر اللاويين»
(٢) الإصحاح ٦ «سفر اللاويين»
(٣) الإصحاح ٧ «سفر اللاويين»

ولذّ «لإله إسرائيل» نظرياً ولكهنوته عملياً بينما عبثا ترهف الأذن منا كيما تلتقط ورداً من الأوراد الدينية أو من الأناشيد نشيداً أو تسبيحة من صلاة! كلاًّ!.. فليس هناك إلا نعير بقر وثيران ومأمأة ضأن وماعز وصفق أجنحة يمام وأفراخ حمام! ليس هناك إلا كهنوت استغرقته عملية الذبح ورش الدم وفصل الشحم عن اللحم! فانما مؤلف «سفر اللاّويين» قد جعل عمل الكهنوت الرسمى ينحصر فى الاهتمام بأمر القرابين وما قد وضع لهذه القرابين من شرائع يقومون على رعايتها فى صورة هذه الطقوس، وكأنّما هذا المؤلف اليهوذى الآخر قد راعى تلك الطقوس التى كانت مرعية فى بلاد مابين النهرين، المهد التاريخى لإسرائيل.. فنحن نعلم أن القربان فى بلاد مابين النهرين كان يتكوّن من طعام للمعبود يصحبه إراقة الدماء ونتبين ذلك من النقوش التى تركها الزمنُ على بعض اللوحات والاسطوانات.. على لوح من الألواح البابلية نري «لوجال زاجيس»، ملك أوروك، يقدّم خبز التقدمة وماءً نقياً لرب «نيبور».. ثم على إحدى الاسطوانات نرى قائمة لأنواع التضحيات التى تختلف تبعاً للغرض المراد ومن أبرز صور هذه القرابين؛ الثور والبقر والجدى والشاة والطير. تُذبح ويتقبل الرّب نصيبه الرمزى منها وأما الباقى فكان هذا الذى يأكله أهل الكهنوت.

أجل!..

منذ الألف الثالث ق. م. كانت الذبائح المضحاة فى بلاد مابين النهرين تُنظّم فى عناية بالغة حتى أن «جوديا» ملك لآجاش، قد حدد عدد الثيران والنعاج والحملان التى كانت تعد للتضحية بها فى معابد «لآجاش» باسم المدينة لأعياد السنة. بل وقد بلغت عناية «دونجى»، ملك أور، بهذه الفرائض غايتها حتى أنه فرض رواتب مادية لمحافظى المدن لهذا الغرض كيما يكفل تنظيم الذبائح الشهرية التى كانت تختلف فى كل مدينة عن الأخرى تبعاً للموارد المادية التى كانت توضع تحت تصرّف كل معبد ومن أهمّ هذه المعابد ومن أشهرها كان «معبد أنو» فى «أوروك».

حيث كانت هناك وجبتان للربّ تتكوّنان من الشراب والخبز والفاكهة واللحوم التى تقدّم كل صباح وكل مساء وذلك طبقاً لوثيقة أعيدت كتابتها فى عهد «السلوكيين» ومنها نفهم أن الصحاف الرئيسية كانت تقتضي وجود واحد وعشرين خروفاً عمر الواحد منها سنتان علفت بالشعير، وأربع نعاج أطعمت باللبن وخمساً وعشرين نعجة

من المرتبة الثانية. وثورين. وعجل رضيع. وثمانية حملان وستين طيراً من نوعين مختلفتين، وثلاث دجاجات. وسبع بطّات، وبيضاً. والخبز المعجون بالزيت.. وتُقدِّم كتب الطقوس الخاصة تفاصيل العمليات المتداولة التى تباشر خلال تقدمه هذه القرابين التى كان يمسح بدمائها حوائط المعبد وعلى المتعبدين، بيد الكاهن، تُرشُّ.

من هذه اللمحة يعرج بنا الخيال عائداً إلى مؤلف «سفْر اللاويين» وإليه نعود فنصغى وهو يحدثنا عبر نصوصه هذه المفتراة على موسى قائلاً:

«وكلم الرب موسى قائلاً: خذ هرون وبنيه معه والثياب ودهن المسحة وثور الخطية والكبشين وسل الفطير واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع.

ففعل موسى كما أمره الرب...

ثم قال موسى للجماعة: هذا ما أمر الرب أن يفعل!.» (١)

وأما ماهذا الذى يريد الرب أن يفعل؟ فسؤال لا نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودى إلا ونسمع منه الجواب الذ ى يُصور، بهتاناً، هذا المشهد:

«قدَّم موسى هرونَ وبنيه وغسلهم بماء.

وجعل عليه القميص ونطّقه بالمنطقة، وألبسه الجبّة وجعل عليه الرداء... ووضع العمامة على رأسه ووضع على العمامة إلى جهة وجهه صفيحة الذهب الإكليل المقدس!..

ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل مافيه وقدسه ونضح منه على المذبح سبع مرات... وصبَّ من دهن المسحة على رأس هرون ومسحه لتقديسه!

ثمَّ قدَّم موسى بنَى هرون وألبسهم أقمصة ونطّقهم بمناطق وشدَّ لم قلانس» ...(٢)

أمام هذه الصورة التى يُصوّرها قلم مؤلف «سفْر اللاويين» حتما للفكر منَّا أن يتمهل قليلاً وتطويه لجج التفكير فى أمر هذه «المسحة» التى جعل هذا المؤلف موسى يتناولها ويمسح بها هارون ليتناولها من بعد الإسرائيليون عبر عهودهم التاريخية مزيجًا لمسح

---

(١) الإصحاح ٨ «سفر اللاويين».

(٢) الإصحاح ٨ «سفر اللاويين»

الملوك، بينما نتابع هذا المؤلف من حيث انفضّت يده من تغسيل هرون وبنيه وتعميم هرون بنفس العمامة التى ظهرت فى عصر «جوديا» فى بلاد مابين النهرين ثم أصبحت لباس الرأس عند حمورابى، فى نفس الوقت الذى يسترسل فيه هذا المؤلف ويقول بأنه ما «قدّم موسى بنى هرون وألبسهم أقمصة» إلا و؛

«قدّم ثور الخطيّة، ووضع هرونُ وبنوه أيديهم على رأس ثور الخطية.

فذبحه، وأخذ موسى الدمَ وجعله على قرون المذبح مستديراً باصبعه!... ثم صبّ الدم إلى أسفل المذبح!.. وأخذ كل الشحم الذى على الأحشاء وزيادة الكبد والكليتين وشحمهما وأوقده موسى على المذبح...

كما أمر الربّ موسى!»(١)

ثمّ؟ ماذا هناك، بعد، من افتراءات يفتريها مؤلف «سفْر اللاّويين» على موسى وهو الذى قال عنه زوراً وبهتاناً أنه ذبح «ثور الخطية ومسح بالدم قرون المذبح ثم إلى أسفل المذبح صبه صباً؟! إن مؤلف «سفْر اللاويين» لايرعوى!. فإنّما هذا المؤلف الثالث لثالث «الأسفار» يسترسل قائلاً؛

«ثم قدّم كبشَ المُحرقة فوضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش. فذبحه ورشّ موسى الدم على المذبح مستديراً. وقطع الكبش إلى قطعه، وأوقد موسى الرأس والقطع والشحم. وأما الأحشاء والأكارع فغسلها بماء وأوقد موسى كل الكبش على المذبح! أنه محرقة لرائحة سرور. وقود هو للرب. كما أمر الربّ موسى!..»(٢)

ثمّ؟! ثمّ ماذا هناك بعد من افتراءات على موسى؟!

إن هناك هذا الافتراء الجديد الذى يجيء به مؤلف «سِفْر اللاّويين» قائلاً بأنّ موسى بعد أن «قدّم كبش المحرقة»؛

قدّم الكبش الثانى.. فذبحه. وأخذ موسى من دمّه، وجعل على شحمه أذن هرون اليمنى وعلى ابهام يده اليمنى وعلى ابهام رجله اليمنى!

ثم قدم موسى بنى هرون وجعل من الدم على شحم آذانهم اليمنى، وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى.

---

(١) الاصحاح ٨ «سفر اللاويين»

(٢) الاصحاح ٨ «اللاويين»

ثم رشّ الدَم على المذبح مستديراً .

ثمّ أخذ الشحم، الألْية وكل الشحم الذى على الأحشاء وزيادة الكبد والكليتين وشحمهما والساق اليمنى. ومن سلّ الفطير الذى أمام الربّ أخذ قرصاً واحداً فطيراً وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة واحدة ووضعها على الشحم وعلى الساق اليمنى. وجعل الجميع على كفّى هرون وكفوف بنيه وردّدها ترديداً أمام الرب وأوقدها على المذبح!...

ثم أخذ موسى الصدْر... لموسى كان نصيباً، كما أمر الربُ..» (١)

ثمّ؟..

«ثمّ قال موسى لهرون وبنيه؛ اطبخوا اللحم لدى باب خيمة الاجتماع وهناك تأكلونه والخبز الذى فى سلّ قربان الملء!.» (٢)

والآن.. الآن وقد أتانا الجواب عن سؤال كنّا قد تساءلناه من قبل وهو إلى من يذهب اللحم، فقد آن لنا أن نسأل عمّا حدث فى «اليوم الثامن». وعن هذا السؤال يأتينا هذا الجواب؛

«وفى اليوم الثامن دعا موسى هرون وبنيه وشيوخ إسرائيل، وقال لهرون؛ خذ لك عجلاً ابن بقر للذبيحة خطية وكبشاً لمحرقة صحيحين! وقدّمهما أمام الرب. وكلّم بنى إسرائيل قائلا؛ خذوا تيساً من المعز للذبيحة خطية وعجلاً وخوفاً حوليين صحيحين لمحرقة وثوراً وكبشًا لذبيحة سلامة للذبح أمام الرب. وتقدمه ملتوية بزيت!..» (٣)

لماذا؟!. لقد استعنّا على مؤلف «سفْر اللاّويين» بمادة الصبر ونحن نوالى الى تراهاته الإصغاء وإنّنا لنستعين بنفس هذه المادّة ونحن نسأله هذا السؤال إذ يأتينا فى كفر بيّن، منه هذا الجواب؛

«لأن الرّب يتراءى لكم!..» (٤)

---

(١) الاصحاح ٨ «سفر اللاويين»
(٢) الاصحاح ٨ «سفر اللاويين»
(٣) الاصحاح ٩ «سفر اللاويين»
(٤) الاصحاح ٩ «سفر اللاويين»

ماذا؟!.. أيسير مؤلف «سفْر اللاّويين» على منوال مؤلف «سفْر الخروج» فيقول بترائي الرب ليقف بجماعة إسرائيل كما وقف بها زميله في أسفل جبل كان البرق من حناياه يدوى ومن فجوات فيه يدخن؟!..

كلاً.. سرعان ما يستدرك هذا المؤلف اليهودى نفسه فتصرخ المعانى من سطوره تنادى بألاّ فزع هناك ولا خوف فانما «مجد الربّ» فقط، هو الذى سيتراءي! ومن ثمّ راح يكمل روايته هذه قائلا بأن بني إسرائيل قد هرعوا،

«فأخذوا ما أمر به موسى إلى قُدّام خيمة الاجتماع. وتقدّم كل الجماعة ووقفوا أمام الرب. فقال موسى؛ هذا ما أمر به الرب تعملونه فيتراءي لكم مجد الرب.

ثم قال موسى لهرون؛ تقدّم الى المذبح واعمل ذبيحة خطيّتك ومُحرقتك وكفّر عن نفسك وعن الشعب..

فتقدّم هرون إلى المذبح وذبح عجل الخطيئة الذى له. وقدم بنو هرون إليه الدّم فغمس أصبعه فى الدم، وجعل على قرون المذبح ثم صبّ الدم إلى أسفل المذبح..»(١)

يقيناً، لقد بزّ مؤلف «سفْر اللاّويين» زميليه فى مضمار السفه! واذا كان مؤلف «سفر التكوين» قد وصمه بالانحلال الخلقى، وإذا كان مؤلف «سفر الخروج» قد وصمه بجنوح الخيال وشططه فانّما مؤلف «سفر اللاّويين» قد فاق الاثنين فى ميدان العته.. فلا شيء يشتمل «سفره» عليه إلا الذبح ورشّ الدم على حائط المعبد وصبّه إلى أسفل المذبح وإلا غمس الأصابع به ونضحه على الثياب وعلى شحمة الأذن اليمنى وأباهم اليد اليمنى وأباهم الرجل اليمنى .. وليخرج من هذا كله بانتقاء ما لذّ له من لحوم هذه الضحايا مُلقياً بمهام طهيها على هرون نفسه وبنيه ومن معه من طائفة الكهنوت المقصورة على «بيت لآوى» ... وأمّا الشحم والكليتين وزيادة الكبد من هذه الذبائح فيناولها هذا المؤلف إلى هرون ويقول إنه قد؛

«أوقدها على المذبح كما أمر الربُّ موسي!» (٢)

ثمّ؟! ثم ماذا سيجعل مؤلّف «سفر اللاويين»، بعد ذلك، هرون يفعل؟! لا جدال فى أن هذا المؤلف اليهودى مازال فى ضلاله يسير إذ يسترسل فى افترائه على هرون قائلاً؛

---

(١) الاصحاح ٩ «سفر اللاويين»

(٢) الاصحاح ٩ «سفر اللاويين»

«ثم ذبح المحرقة! فناوله بنو هرون الدّم فرشّه على المذبح مستديراً. ثم ناولوه المحرقة بقطعها والرأس. فأوقدها على المذبح. ثمّ غسل الأحشاء والأكارع وأوقدها فوق المحرقة على المذبح.

ثمّ.. أخذ تيس الخطية الذى للشعب وذبحه وعمله للخطيّة كالأول...

ثمّ ذبح الثور والكبش ذبيحة السلامة التى للشعب وناوله بنو هرون الدم فرشّه على المذبح مستديراً. والشحم من الثور ومن الكبش الألية وما يغشى. والكليتين وزيادة الكبد. ووضعوا الشحم على الصدرين فأوقد الشحم على المذبح. وأما الصدران والساق اليمنى فردّدها هرون ترديداً أمام الرب.

كما أمرَ موسى!..» (١)

وهنا.. هنا يرسم مؤلف «سفْر اللاّويين» بنصوصه صورة تحمل الدليل الوافى على فطريته ومدى السذاجة التى كان عليها فى مضمار التفكير المنطقى إذ يُحدثنا عن كيف تراءى مجد الرب لهذه الجماعة التى جمعها حلقات من حول «خيمة الاجتماع» وجعلها تجتمع مطأطئة الرأس تنتظر فى شوق لهيف ترائى مجد الرب الذى تراءى بالفعل، على حدّ ادّعاء هذا المؤلف، عندما :

«أخذ ابنا هرون، ناداب وأبيهو، كل منهما مجمرته وجعل فيها ناراً ووضعا عليها بخوراً وقرّبا أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها.

فخرجت نارٌ من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب!..» (٢)

هذا هو، كما يُصوّر مؤلف «سفْر اللاّويين»، مجد الرب!..

وأمّا كيف اندلعت هذه «النار» ومن أىّ مصدر خرجت؟ ولماذا كانت! فهذه أسئلة لا يتركنا هذا المؤلف إزاءها حيارى وهو فى افتراءاته على موسى قد تمادى. ومن ثمّ فلا عجب أن يقطع شوطاً آخر فى تماديه وتُصوّر لنا نصوصُه هذه الصورة التى يريد أن يقول لنا بها: إن هرون قد أقبل على موسى مستفسراً عن السبب الذى أدّى إلى مصرع ابنيه على هذا النحو؟.. غير أنه عند ذاك ؛

(١) الاصحاح ٩ «سفر اللاويين»
(٢) الاصحاح ١٠ «سفر اللاويين»

«قال موسى لهرون، هذا ما تكلّم به الربّ قائلاً؛ في القريبين منّي أتقدّس وأمام جميع الشعب أتمجّد.

فصمت هرون...»[1]

وهنا.. هنا حتماً يسبح بنا الفكرُ أمام هذا الحديث الذي يحدثنا به مؤلف «سفْر اللاّويين» عن تفجر هذه «النار» داخل الخيمة تفجّراً لم يجيء عرضاً وإنما كان مدبّرا من الرب كيما يتمجد بمصرع هذين الكاهنين... بل وعلى لوالبه الفكرية يدور الفكرُ منّا أمام هذا الاستفسار الذي يشير إليه مؤلف «سفْر اللاويين» ويجعله قد أتى من جانب هرون ليليه هذا الأمر من جانب موسى وليتلوه هذا الصمت من جانب هرون مرة أخرى حتى ليبدو لنا هذا الحديث، وكأنّما هو معاول تلج بنا إلى الأغوار من النفسية التي كتبت هذا «السفْر» !.. هذه النفسية التي تتكشّف عن جبروت عجيب هو موضع الذهول والتعجب نلمسه عبر افتراء جديد على موسى يقول بأنه عند ذاك؛

«دعا موسى ميتشائيل والصافان، ابني عزيئيل عم هرون، وقال لهما؛ تقدما ارفعا أخويكما من قدام القدس إلى خارج المحلّة!

فتقدّما ورفعاهما في قميصيهما إلى خارج المحلّة، كما قال موسى.»[2].

كلا!.. لاحاجة بنا إلى التعليق على هذه النصوص فهي تفصح بنفسها عن نفسها، لا عن مدى الافتراء على موسى، عليه السلام، فحسب وإنما عن مدى القسوة التي بها قد اصطبغت، وخاصة عندما يتمادى هذا المؤلف اليهودي في شططه ويسترسل في حديثه قائلا بأن بعد ذلك اتجه موسى إلى هرون وإلى بني هرون الباقين،

«وقال موسى لهرون واليعاز وإيثمارا ابنيه؛ لاتكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم لئلا تموتوا!.. ومن باب خيمة الاجتماع لاتخرجوا لئلا تموتوا...»[3].

لماذا؟!

هذا سؤال آخر والجواب عنه عسير إذا أحطنا بالمعنى الذي رمى إليه مؤلف «سفْر

---

(1) الاصحاح ١٠ «سفر اللاويين»
(2) الاصحاح ١٠ «سفر اللاويين»
(3) الإصحاح ١٠ «سفر اللاويين»

اللاويين» من وراء إبقاء هرون وابنيه الباقيين داخل «الخيمة» فهو قد قدّر أن «الخيمة» ستحول بين هرون وابنيه من جهة وبين الجماعة من جهة أخرى لفترة يهدأ في خلالها الخاطر من هرون ومن ابنيه الآخرين معًا وتنسى الجماعة هذا الحدث أو تتناساه في نفس الوقت الذى لم ينس هذا المؤلف شرحه الذى تسجله هذه النصوص القائلة:

«وقال موسى لهرون والعاذار وإيثامار ابنيه الباقيين: خذوا التقدمة الباقية من وقائد الرب وكلوها!.. كلوها فى مكان مقدس لأنها فريضتك وفريضة بنيك من وقائد الربّ. فإننى هكذا أمرت!

وأمّا صَدر الترديد وساق الرفيعة فتأكلونها فى مكان طاهر أنت وبنوك وبناتك معًا...»(1)

لم ينس هذا المؤلف اليهودى الاحتياج إلى المآكل فى خلال تلك الفترة التى جعل هرون وابنيه يقضونها داخل «الخيمة». بيد أنه عاد فقدّر بأن موقفاً كهذا لابدّ وأن تعاف النفسُ فيه المآكل!.. ومن ثمّ راح يسطر بأن ابنى هرون قد تركا «تيس الخطية» يحترق.

«وأما تيس الخطية فإن موسى طلبه فاذا هو قد احترق فسخط على العازار وإيثامار ابنى هرون الباقيين وقال: مالكما لم تأكلا ذبيحة الخطية؟!.. أكلاً تأكلانها فى القدس كما أمرت!...»(2)

ولكن!... فجأة ومرة واحدة يتجاهل مؤلف «سفر اللاّويين» هذا الحدث وينصرف فى حديثه إلى مايحاول أن يصرف بنا عنه التفكير، فيأتى بالجديد من النصوص التى تجرى بسيل من التشاريع الجديدة وكأنّما هو يريد أن يقول: إنها قد استغرقت، لا محالة، التفكير من هذه الجماعة خلال هذه الفترة الزمنية وما بعدها، وأما هذه التشاريع فيستهلها هذا المالف اليهوذى قائلا:

«وكلمّ الربّ موسى وهرون قائلا، كلّما بنى إسرائيل قائلين: هذه هى الحيوانات التى

---

(1) الاصحاح ١٠ «سفر اللاويين»
(2) الإصحاح ١٠ «سفر اللاويين»

تأكلونها من جميع البهائم التى على الأرض؛ كلّ ماشاقّ ظلفاً وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فايّاه تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف؛ الجمل.. والوبر.. والأرنب.. والخنزير (٣)

بهذه الصيغة تبدأ تشاريع الطعام وهى تشاريع استمدت أكثر موادها من التشاريع المصرية القديمة وخاصة فيما يختص بـأكل الخنزير فقـد كان أكله فـى مصـر القديمـة محرمًا.. ولكن، ليس هـذا كل ماورد فـى شـريعة الطعـام فإنما هنـاك مواد أخـرى وعليها يشتمل الإصحـاح الحادى عشر مـن هـذا «السْفر» الذى يسترسل مـؤلفه قائـلا؛

«وكلّم الربُ موسى قائلا؛ كلّم بنى إسرائيل قائلا؛ إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام.. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين.. ومتى كلمت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بخروف حولى محرقة وفرخ حمامة أوْ يمامة ذبيحة خطيّة إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن...

وإن لـم تـنل يـدهـا كفايـة لشـاة تـأخـذ يمـامتين أوْ فـرخى حمـام الواحد محـرقة والآخـر ذبيحـة خطية فيكفـر عنها الكاهـن فتطهرا..» (١)

وعلى هذا النمط تتوالى النصوص وبعد«شريعة التى تلد ذكراً أو أنثى» تجيء«شريعة ضربة البرص» وعليها يشتمل الإصحاح الثالث عشر والرابع عشر من هذا «السْفر» ولتتلوها «شريعة ذى السيل والذى... يضطجع مع نجسة» وعليها يشتمل الإصحاح الخامس عشر وكلها شرائع أترعتها ألوان الدماء لأكثر مـن نـوع واحد من الحيـوان.. فنحن نرى فيمـا شرعه هـذا المؤلف اليهـوذى مثلا واضحاً على ذلك عبر هذه النصـوص؛

«كلّم الربّ موسى قائلا؛ هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره. يُؤتى به إلى الكاهن.. يأمر الكاهنُ أن يؤخذ للمتطهّر عصفوران حيّان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا.

---

(١) الإصحاح ١١ «سفر اللاويين

(٢) الإصحاح ١١«سفر اللاويين».

ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد فى إناء خزف على ماءٍ حيّ. أمّا العصفور الحيّ فيأخذه مع خشب الأرز والقرمز والزوفا، ويغمسها مع العصفور الحيّ فى دم العصفور المذبوح على الماء الحى وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات.. فيطهر.!» (١)

بهذه الخرافات يجرى قلم مؤلف «سفْر اللاويين» وعند هذا المدى من التمادى لايقف بل مستطيباً لنفسه التحليق فى هذا الجو الخرافى يزداد جنوحاً وإلى ترّهاته يضيف ترّهة جديدة تسجلها هذه النصوص التى لانكون مبالغين إذا قلنا: إن الإيمان بقدسيتها هو، بعينه، الكفر الصريح!.. فنحن لايسعنا إلاَّ الاستغفار بينما المسمع منا يصغى إلى هذا المؤلف وهو يحدثنا هذا الحديث القائل؛

«وكلّم الربُّ بعد موت ابنى هرون عندما اقتربا أمام الربِّ وماتا وقال الربُّ لموسى؛ كلّم هرون أخاك أن لايدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت! لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء!.» (٢)

ولكن!.. «بهذا يدخل هرون إلى القدس؛ بثور ابن بقر لذبيحة خطيّة وكبش لمحرقة..»

ومن جماعة بنى إسرائيل يأخذ تيسين من المعز لذبيحة خطية وكبشاً واحداً لمحرقة.

ويُقرّب هرون ثور الخطية الذى له ويُكفّر عن نفسه وعن بيته. ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع. ويلقى هرون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل..

التيس الذى خرجت عليه القرعة للرب يعمله ذبيحة خطيّة، وأما التيس الذى خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حياً أمام الرب ليكفّر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية.

---

(١) الإصحاح ١٤ «سفر اللاويين».
(٢) الإصحاح ١٦ «سفر اللاويين».

ويقدّم هرون ثور الخطيّة الذى له.. ويذبح.. ثم يأخذ من دم الثور وينضح بأصبعه على وجة الغطاء إلى الشرق.. وقدام الغطاء ينضح سبع مرات من الدم بأصبعه!

ثمّ يذبح تيس الخطيّة الذى للشعب ويدخل بدمه إلى داخل الحجاب ويفعل بدمه كما فعل بدم الثور وينضحه على الغطاء وقدام الغطاء فيكّفر عن القدس من نجاسات بنى إسرائيل ومن سيئاتهم مع كل خطاياهم .

وهكذا يفعل لخيمة الاجتماع القائمة بينهم فى وسط نجاساتهم!.»(١)

ثمّ؟!

«ثمّ يخرج إلى المذبح الذى أمام الرّب ويكفّر عنه.. يأخذ من دم الثور ومن دم التيس ويجعل على قرون المذبح مستديراً. وينضح عليه من الدم بأصبعه سبع مرات ويطهّره ويقدّسه من نجاسات بنى إسرائيل ففعل كما أمر الربُّ موسى» .(٢)

أوشك؟!. كلا!.. يقيناً إن بدم الثور وبدم التيس يتطهّر بنو إسرائيل!.. من نجاساتهم فلقد؛

«كلمّ الرب موسى قائلا؛ كلم هرون وبنيه وجميع بنى إسرائيل وقل لهم؛ هذا هو الأمر الذى يوصى به الرب قائلا؛ كل إنسان من بيت إسرائيل يذبح بقراً أو غنماً أو معزى.. وإلى باب خيمة الاجتماع لايأتى به ليقرب قرباناً للرب أمام مسكن الرب.. يُقطع ذلك الإنسان من شعبه!..»(٣)

وهنا.. هنا ينتهى مؤلف«سفر اللاّويين» من تشاريع هذه الشرائع ليبدأ فى فرض الضرائب والأحكام، عليها يشتمل الإصحاح الثامن عشر والتاسع عشر والعشرون والحادى والعشرون والثانى والعشرون من نفس«سفره» هذا، وكلها أو بالأحرى جلها ليست فى موادها ومادتها إلا رجع الصدى لفرائض وأحكام عرفناها فى مصر القديمة، وفى بلاد ما بين النهرين لاوجه اختلاف إلا فى أن الفرائض والأحكام كانت فى

(١) الإصحاح ١٦ «سفر اللاويين» .
(٢) الإصحاح ١٦ «سفر اللاويين» .
(٣) الإصحاح ١٨ «سفر اللاويين» .

هاتين الحضارتين القديمتين وضعية، وأمّا فى هذا «السْفر» فيأبى مؤلفه إلاّ أن يجعلها منزّلة وهو يسترسل فى حديثه ليحدثنا عما فرضه«إله إسرائيل» على بنى إسرائيل من «مواسم» و«محافل» حتى ينتهى بنا الإصحاح السابع والعشرون إلى القول بأن «هذه هى الوصايا التى أوصى الربُّ بها موسى إلى بنى إسرائيل فى جبل سيناء!».

والآن ؟.. الآن وقد استنفد مؤلف «سفر اللاّويين» جهده فى سرد مواد يقول عنها بأنها«الفرائض والأحكام والشرائع التى وضعها الرب بينه وبين بنى إسرائيل فى جبل سيناء بيد موسى» ، تتراخى يده عن الامساك بالقلم بينما يبرز مؤلف آخر جديد تناول بدوره قلمه ليسطر السفر الرابع من «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى لنصوصه محوراً«الأرض الموعودة» وليتخذ لحديثه نقطة بداية من حيث قال مؤلف«سفر اللاّويين» بأن بناء«مسكن الرب قد تمّ فى الشهر الأول من السنة الثانية للخروج من مصر» ومن ثم فإن الفترة الضرورية للتهيؤ للحرب قد اكتملت ومن هنا استهل نصوصه بهذا الافتراء؛

«وكلّم الربُّ موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى أول الشهر الثانى، فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر، قائلا؛ احصوا كل جماعة بنى إسرائيل!.. من ابن عشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب!...»(١)

كل «بيوت إسرائيل» خارجة للحرب إلاّ بيت«لآوى » .. فإنما الرب قد أعفى«بيت لآوى» من خوض غمار المقاتلة والقتال فلقد؛

«كلم الرب موسى قائلا؛ أما سبط لآوى فلاتحسبه ولا تعده بين بنى إسرائيل. بل وكلّ اللاّويين على مسكن الشهادة، وعلى جميع امتعته وعلى كل ماله . هم يحملون المسكن وكل أمتعته. وهم يخدمونه. وحول المسكن ينزلون. فعند ارتحال المسكن يُنزله اللاّويون وعند نزول المسكن يقيمه اللاّويون والأجنبى الذى يقترب يقتل!..»

أوشك؟!.كلا!. فلقد؛

---

(١) الإصحاح الأول «سفر العدد».

«كلّم الرب موسى قائلا؛ وها إنى قد أخذت اللاّويين من بين بنى إسرائيل!.. فيكون اللاّويون لى!..»(١)

وهنا لم يجد مؤلف «سفر العدد» إلا أن ينهج منهج المؤلفين الثلاثة الذين سبقوه فيسبغ القدسية على مايفتريه من كلام، فراح يخوض فى أودية الترهات وينسب إلى موسى ماهو، عليه السلام، منه برىء فازداد كفراً بازدياده عليه افتراء إذ راح يسطر بأن عند ذاك وقف موسى ينادى؛

«إننا راحلون إلى المكان الذى قال الربّ أعطيكم إياه!..»(٢)

ولما كان حتما أن ترتفع الأبواق عند إعلان حرب فقد أسرع هذا المؤلف اليهوذى الرابع يقول؛ ورفع ابنا هرون«البوقين الفضيين» بالدوى المعلن؛

❄ ❄ ❄
❄ ❄
❄

---

(١) الإصحاح ٣«سفر العدد».
(٢) الإصحاح ١٠ «سفر العدد».

الزحف الإسرائيلى صوب «الأرض الموعودة»

يصور لنا مؤلف «سفر العدد» هذا الزحف من وحى خيال تصوَّر فلـول إسرائيل تسير فى اتباع لسبابة موسى وهى تشير إلى الأرض الدفاقة باللبن والعسـل ثم ليضـع هذه الصورة فى إطار فرية على موســى، عليه السلام، جديدة راح يحـدثنا بأن القـوم قد؛

«ارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الربُ راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلاً..

وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول؛ قُم يارب!.. وعند حلوله كان يقول؛ ارجع يارب!.»(1)

هذا نص ينطوى على أصرخ ألوان التفكير الخرافى بكل ماتشتمل عليه هذه الكلمة من المفهوم العلمى. فهو من الخرافات التى تنشأ عن الترابط غير المنطقى، ونجد له نظائر بالرجوع إلى تاريخ العقل الإنسانى منذ عصور ماقبل التاريخ وبدراسة المجتمعات البشرية التى مازالت تعيش عيشة بدائية ولذلك كان من وجهة نظر هذا المؤلف منطقياً طالما أن الرب قد نقل سكناه من الجبل إلى الخيمة، وأصبحت غرفته الخاصة هى هذا«التـابوت» الذى ألقاه هذا المؤلف على أكتاف «بنى إسرائيل» وبدأ به زحفهم صوب«الأرض الموعودة»!..

ولكن!..

يأبى مؤلف «سفْر العدد» إلا أن يجىء برواية من حول هذا الزحف الذى جعله يتّجه صوب «الأرض الموعودة» فهو يحدثنا بأن هذا الزحف، وإن كان قد استهلّ مجراه بالتضام بين سائر أفراد هذا«الجيش» الذى تكون من أبناء إسرائيل بغية الأستيلاء على «أرض» عقد فى نفوسهم عنها اليقين بأنها قد منحت لهم منحة أبدية فإنما سرعان ماتوقف

---

(1) الإصحاح 10 «سفر العدد».

هذا«الجيش» وأحجم، في تمرّد، عن مواصلة المسير!.. فقد حدث أن انتشرت روح التذمر هذا بالشيء الغريب. فلقد ارتحلت فلول إسرائيل وسارت وتابوت«عهد الرب»، الحامل«إله إسرائيل»، نفسه بينها ومعها راحل ولكنها في اتجاهها صوب«الأرض الدفاقة باللبن والفياضة بالعسل» لم تستقبل إلا جرداء بعد جرداء ولم تُسلمها أرض جرداء إلاّ إلى أخرى جرداء حتى ولكأنّما «الأرض الموعودة» ليست في مدى الواقع إلا مجرد سراب!.

إن جماعة إسرائيل، كما يحدثنا مؤلف هذا«السفْر»، لم تقاس قط الوحشة التى قاستها في خلال هذه الفترة الزمنية التى يتحدث عنها وهى تسير فى إثر هذا«الجيش» الذى مابدأ زحفه صوب«الأرض الموعودة».

إلاّ وتهافتت فيه الصبوة وإلا وتراجع فيه الجنوح وإلا وتثاقلت منه الخطى تثاقلا مصدره هذه الفيافى التى توحى بالفزع من الآتى فزعاً يدفع بالنفس إلى الماضى والعودة إلى ماقد خلت به الخوالى من الأيام..

كلا!. لا إلى سيناء فقد كان العيش فى سيناء غير رغيد، وإنما إلى مصر فقد كان العيش فى مصر، وإن لم يكن رهيفاً، غير عسيرا.

إن إسرائيل لم تقاس فى أيام عبدويتها فى مصر هذا الشظف الذى تقاسيه الآن«كجماعة مقدسة» و«كشعب مختار»!.. فلقد تفشت المجاعةُ وعضت بأنيابها هذه الجموع حتى المدى الذى دفعهم إلى أن يقفوا أمام أبواب خيامهم يستصرخون ويصرخون وحتى؛

«بكوا وقالوا؛ من يطعمنا لحماً؟

قد تذكرّنا السمك الذى كنّا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرّاث والبصل والثوم.

والآن فقد يبست أنفسنا!..» (١)

وهكذا..

هكذا يسير هذا المؤلف اليهودى بروايته ولايرتضى لها إكمالا إلاّ بصوت له ينساب بين النصوص يصيح؛

---

(١) الإصحاح ١١«سفر العدد».

ياموسى!

ياموسى

أين «اللحم» ؟ أين «السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً» ؟

أين القثاء ؟ والبطيخ ؟ والكراث ؟ وأين البصل ؟..

ياموسى

ولقد يبست أنفسنا» !...

وفى الواقع أن هذه الصرخات التى يطلقها مؤلف «سفر العدد» قد تعالت من جماعة إسرائيل فى خلال هذه الفترة الزمنية التى يتحدث عنها، ولكنّ هذا المؤلف إذ يحدثنا عنها فلا يحدثنا إلاّ من خلال وحى خيال تمادى فى الجنوح وعلى ذلك يأتينا الدليل من نفس استرساله هذا بهذه النصوص التى تريد أن تكتمل بها روايته بهذا القول؛

«فلّما سمع موسى الشعب يبكون بعشائرهم، كل واحد فى باب خيمته وحمى غضب الرب جداً ساء ذلك فى عينى موسى».[(١)]

وهنا.. هنا تتغير فى يد هذا الموقف اليهوذى الألوان ويبدأ فى رسم صورة جديدة لموسى، هى فى الواقع صورة ترسمها أضواء التحليل النفسى لهذا المؤلف الذى أراد أن يصور لموسى قدرة خارقة على الإحاطة بنفسية الجماعات وعلى تحويل دفة الأمور من المجرى الصعب إلى المجرى السهل فهو لايجعله يرد بكلمة واحدة على هذه الصرخات، وإنما يجعله يتجه بخطوات وئيدة التحرك ثابتة الحركات ناحية «خيمة الاجتماع» حيث يسكن «يهوه» لتسمعه جماعة إسرائيل شاكياً إياها إلى هذا الرب فلقد؛

«قال موسى للرب؛

لماذا أسأت إلى عبدك ؟.. حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علىّ!

---

(١) الإصحاح ١١ «سفر العدد».

أو لعلي ولدته حتى تقول لي أحمله في حضنك كما يحمل المربي الرضيعَ إلى الأرض التي حلفت لآبائه ؟!.

من أين لي لحم حتى أعطي جميع هذا الشعب ؟!..

لاأقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل عليّ!..» .(١)

يقيناً لقد التوى المقصد على مؤلف «سفر العدد» فهو من حيث أراد لموسى تبجيلاً أمعن عليه في الافتراءات.. لا لأنه قد جعله يتحامل على نفسه بينما كانت مراجل الثورة تغلي في صدور الجماعات ولا لأنه قد اتجه به إلى «مسكن الرّب» وجعله يتّجه بصوته إلى الرّب كيما يخفّف من حدّة اللهب المتقد في الصدر من هذه الجماعات فحسب، وانما لأنه قال: إن موسى قد اتّجه بعد ذلك إلى شيوخ هذه الجماعة وعرفائها محاولا تذويب عناصر الحقد التي دفعت بهم إلى محاولة زحزحة موسى نفسه عن منصب القيادة. فنحن نسمع هذا المؤلف اليهودي يحدثنا قائلا بأن عند ذلك؛

«قال الربُ لموسى، اجمع لي سبعون رجلا من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيبقوا هناك معك. **فأنزل أنا** وأتكلم معك هناك.

وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلاتحمل أنت وحدك!..»(١)

ثم؛

«للشعب تقول؛ تقدّسوا للغد **فتأكلوا** لحماً!..

تأكلون لايوماً واحداً ولايومين ولاخمسة أيام ولاعشرة أيام ولاعشرين يوماً!. بل شهر من الزمان حتى يخرج من مناخركم! ويصير لكم كراهة لأنكم رفضتم الرّب الذي في وسطكم، وبكيتم أمامه قائلين لماذا خرجنا من مصر؟..» .(٣)

(١) الإصحاح ١١ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ١١ «سفر العدد».
(٣) الإصحاح ١١ «سفر العدد».

من أين ستأكل هذه الجماعة، وعلى رأسها شيوخها ومن فى أيديهم أعنتها، هذا اللحم ومن أى مصدر سيأتى كل مايكفى هذه الجموع من اللحم؟.. سؤال، يأتى عنه الجواب من هذا المؤلف اليهوذى الذى قد راعى أن تكون الفترة الزمنية التى يتحدث عنها هى وقت هجرة طيور السلوى من كل عام كما قدّر أن موسى، وهو الذى كان قد عاش فى هذه البرية سنين طويلة، له معرفة بموعد هذه الهجرة فى هذا الوقت من كل عام.. فجرى قلمه بالتسطير يقول بأن عند ذاك تساءل موسى، وللرب؛

«قال موسى؛ ست مائة ألف ماش هو الشعب الذى أنا فى وسطه وأنت قد قلت أعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان أيذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم؟ أم يجمع لهم سمك البحر ليكفيهم؟!..

فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه..

فخرجت ريح من قبل الرب وساقت سلوى من البحر..

فقام الشعب كل ذلك النهار وكل ذلك الليل وكل يوم الغد وجمع السلوى..»(١)

ولكن!..

«إذ كان اللحم بعد بين أسنانهم، قبل أن يُقطع، حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً»(٢)

وهكذا.. مات مشتهو اللحم واللحم بعد بين أسنانهم لم يقطع.. وذلك ولاشك، كان عقابا لهؤلاء المتمردين وأما للآخرين فكان ردعاً وإرهاباً.. ولكن!. كيف مات هؤلاء؟.. هذا سؤال آخر الجواب عنه مطوى فى صدر هذا المؤلف الذى لم يكفه افتراء على موسى إلا وقال بأن الموتى لم يواروا التراب إلاَّ وقام موسى؛

---

(١) الإصحاح ١١ «سفر العدد».

(٢) الإصحاح ١١ «سفر العدد».

«فدعا اسم ذلك الموضع «قبروت هتأوة» لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا!.» .(١)

ثم؟.. ثم عن «قبروت هتأوه»، أو قبور الشهوة، كان لابدّ من الارتحال السريع فالى أين سيزحف مؤلف هذا «السفر» بهذه الجموع وهو الذى قد أزمع أن يزحف بها صوب «الأرض الموعودة» ؟..

وإذن، فلابد من أن يسطر قائلا إن؛

«من قبروت هتأوة ارتحل الشعب إلى حضيروت» .(٢)

ولكن!. حدث فى حضيروت أن؛

«تكلمت مريم وهرون على موسى.

فقالا؛ هل كلم الرب موسى وحده؟!.

ألم يكلمنا نحن أيضا؟..» (٣)

ماذا يريد مؤلف «سفر العدد» أن يقول؟!.. أيريد هذا المؤلف اليهودى أن يقول: إن هناك سُحباً كانت قد بدأت تتجمع بين موسى وبين هرون منذ وقف هرون يكهن للعجل المسبوك، ومنذ طلعت تلك «النار الغريبة» وأحرقت ابنى هرون وإن هذه السحب قد تكاثفت الآن إلى غيوم فى «حضيروت» ؟

أم يريد هذا المؤلف اليهودى أن تقول: إن هناك مؤامرة كهنوتية يقف على رأسها رأس الكهنوت نفسه، هرون؟!..

ولكن...

هنا هز هذا المؤلف رأسه.. ورنت منه العين متأملة هذا الأخ والشريك الذى تجنّى عليه فجعله يتكاتف ومريم على إدارة الكتف لأخيه.. بيد أن سرعان ماأسعفت هذا

(١) الإصحاح ١١ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ١١ «سفر العدد».
(٣) الإصحاح ١٢ «سفر العدد».

المـؤلف قريحته فـرأى أن مـن الأوفق أن تصمت مـن موسـى، إزاء ذلك، الشفـاه فـراح يسطر:

«فسمع *الرب!*

وأما الرجل موسى فكان حليما جداً.»[1]

لاجدال فى أن مؤلف«سفر العدد» قد أراد أن يتجلّى الحلم الموسوى تجلياً يرتسم لنا مداه حينما جعل الشفاه منه تصمت إزاء هذا الحديث.. ولكن، هذا المؤلف لم يرعوا فقد راح مسترسلا وراء شطحات خياله فتصور موسى يتناول بيد مريمَ وبالأخرى هرونَ ويقودهما إلى «خيمة الاجتماع» ويسدل من ورائه على نفسه وعليهما لهذه «الخيمة» أستارا.. ومن هناراح يسطر.

«قال الرب حالاً لموسى وهرون ومريم. اخرجوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع. فخرجوا هم الثلاثة.

فنزل الرب فى عمود سحاب ووقف فى باب الخيمة ودعا هرون ومريم فخرجا كلاهما.

فقال: اسمعا كلامى! إن كان منكـم نبـى للـرب فبـالرؤية استعلـن لـه! فى الحلـم أكلمه! أما عبـدى مـوسى فليس هكـذا!.. فما إلـى فم وعياناً أتكلم معـه لا بالألغاز!.»[2]

هفوة كبرى يقع فيها هذا المؤلف تنتفى بها عنه المعرفة بأبسط قواعد المنطقَ!. لم يتنبّه هذا المؤلف وهو يسطر قائلا بأن هرون ومريم عندما تكلما على موسى وقالا«هل كلم الرب موسى وحده؟ ألم يكلمنا نحن أيضاً» إلا أنه من حيث أراد دحض قوليهما قد أيدهما فيما قالا!.. إذ قال إن الـرب قـد اضطر إلـى الظهور فى عمود سحاب ووقف فـى باب«خيمته» حيث دعاهما وتحـدث إليهما زاجراً، وكلمهما قائلاً«اسمعا كلامى» ؟!.

ولكن!.. مؤلف«سفر العدد» قد حرّر نفسه من كل قيد من قيود المنطق ولم يرتض

(١) الإصحاح ١٢ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ١٢ «سفرالعدد».

لفكره إلا على جناح الهوى انطلاقاً يشطح به حسبما شاء وإلى حيثما شاء وكيفما شاء!.. ومن ثم فهو لم يفرغ من صياغة ماتقدم من نصوص إلا لينهي روايته هذه قائلا بأن بعد ذلك قد؛

«حمي غضب الرب عليهما ومضى!..[1]

كلاً، لن نتساءل إلى أين مضى «رب إسرائيل» ؟.. كلا. فإن الذى يجيء فى عمود سحاب لابد له أن يمضى فى عمود سحاب.. وإنما نقول: إن هذه رواية بلغت من السخف المدى الذى لايسع الإنسان عند سماعها إلا أن يطلق ضحكة مجلجلة فهى قصة لاتصلح حتى أن تكون من قصص الأطفال، ولوكانت لكان مؤلفها موضع سخرية فكيف بها قصة من قصص «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى وتعتبر، فى نطاق التفكير الدينى اليهودى الحالى «مقدسة» ؟.. يقيناً إنه عند سماعها لعبث بالعقول وأى عبث أفدح من أن تعتبر هذه النصوص ذات مصدر قدسى!!..

ولكن.. حتماً علينا أن نوالى الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهودى، وأن نتنبه إليه وهو يزيح الأستار عن «الخيمة» ويخرج بمريم وبهرون .. فلقد جابهت هذا المؤلف مشكلة وهى أنه ولابدّ أن يأتى بصورة جديدة يصوِّر فيها «غضب الرب» .. ومن ثم راح من جديد يسطر؛

«فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذامريم برصاء كالثلج!» .[2]

كلا! لاخوف على مريم فليس هذا بمرض قد أصابها،

كما يبدو لأول نظرة فالبرص إنما هو مرض لايمكن قط أن يظهر فجأةومن ثم فإن هذا اللون الذى كساها بخضابه لم يدم طويلا كما بذلك يحدثنا هذا المؤلف اليهوذى قائلا بأن عند ذاك؛

«التفت هرون إلى مريم وإذا هى برصاء فقال هرون لموسى؛

---

(١) الإصحاح ١٢ «سفر العدد» .

(٢) الإصحاح ١٢ «سفر العدد» .

ياسيدى! لاتجعل علينا الخطية التى حمقنا وأخطأنا بها!.» (١)

ماهى هذه«الخطيّة» التى يدّعيها ولايريد أن يفصح عنها حتى الآن مؤلف«سفر العدد» ؟..

هذا سؤال إلى الرب قائلا؛ اللهم اشفها!

فقال الرب لموسى؛ لو بصق أبوها بصقاً فى وجهها أماكانت تخجل سبعة أيام؟! تُحجز سبعة أيام!..» (٢)

وبعد ذلك ماذا هناك فى جعبة هذا المؤلف؟.. ماذا هناك بعد أن أوقع الحكم الموسوى على مريم بالحبس سبعة أيام؟..

«بعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزولا فى برية فاران». (٣)

لماذا؟!. لأن الزحف صوب«الأرض الموعودة»سيبدأ من «فاران».. فإن من هناك؛

«كلّم الربّ موسى قائلا؛ أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى إسرائيل. رجلا واحداً لكل سبط من ابائه.. كل واحد رئيس فيهم.

فإرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب. كلهم رجال هم رؤساء بنى إسرائيل.. ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم؛ اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل وانظروا الأرض ماهى؟ والشعب الساكن فيها أقوى أم ضعيف؟ قليل أكثير؟.. وما هى المدن التى هو ساكن فيها؟ أمخيمات أم حصون؟.» (٤)

بمدد الصبر نتذرع ونحن نوالى الإصغاء إلى فحش افتراءات هذا المؤلف الذى تمادى فى تصويره لموسى بصورة هو برىء منها هذا الرسول الكريم إذ جعله يرسل جواسيس يتجسسون «أرض كنعان» ويجوبون تلك الأنحاء القريبة من منابع الأردن عند مدخل حماه حتى صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون وليحدثنا بعد ذلك بأنهم قد؛

«رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوما فساروا حتى أتوا إلى موسى وهرون وكل

---

(١) الإصحاح ١٢ «سفر العدد».

(٢) الإصحاح ١٢ «سفر العدد».

(٣) الإصحاح ١٢ «سفر العدد».

(٤) الإصحاح ١٣ «سفر العدد».

جماعة بنى إسرائيل إلى برية فران إلى قادش وردوا إليهم خبراً.. وقالوا؛ قد ذهبنا إلى الأرض التى أرسلتنا إليها وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً!... غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً.. العمالقة ساكنون فى أراضى الجنوب، والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون فى الجبل، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن.»[(١)]

من اليقين أن هذه العبارة تدلنا دلالة كافية على كثافة السكان فى «أرض كنعان» وقوتهم وضخامة عمرانهم غرب الأردن عهد ذاك إزاء هذه الحفنة من بنى إسرائيل وهذا، ولاشك، هو الذى دفع مؤلف «سفر العدد» إلى أن يقول بأن هؤلاء الجواسيس قد أبوا إلا أن يسدوا النصح قائلين؛

«لانقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشدُّ منا..».[(٢)]

ولكن!.. هنا حتمت سياسة هذا المؤلف اليهوذى أن يضيف إلى أكاذيبه! أكذوبة جديدة فهو لايصور لنا موسى وقد أشاح بوجهه عن هذا النصح، وأنه قد اتّجه إلى صوت له إليه يقول؛ «بل نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها» إلا ليقول بأن عند ذاك كان أن هبّت العاصفة!:

وهنا..

هنا يبدأ مؤلف«سفر العدد» برواية جديدة يحدثنا بها عن تمرد كهنوتى على موسى وعن ثورة جماعية عليه مستهلا روايته هذه بقوله بأن العاصفة قد هبت إثر تأليب هؤلاء الجواسيس جماعة إسرائيل على موسى فقد اتّجه هؤلاء الجواسيس إلى جماعة إسرائيل قائلين؛

«الأرض التى مررنا بها لنتجسسها هى أرض تأكل سكانها!..

جميع الشعب الذى رأيناه فيها أناس طوال القامة!.. فكنا فى أعيننا كالجراد وهكذا كنا فى أعينهم!..»[(٣)]

---

(١) الإصحاح ١٣ «سفر العدد».
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الإصحاح ١٣ «سفر العدد».

وسريان النار فى الهشيم سرى قول هؤلاء الجواسيس فى جماعة إسرائيل..؛

«فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت! وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى إسرائيل وقال لهما كل الجماعة؛ ليتنا متنا فى أرض مصر!.. لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض؟ لنسقط بالسيف؟. تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟!.. أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر؟!.

فقال بعضهم لبعض، نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر!..»(١)

رئيس جديد؟. لا جدال فى أنه لتمرد جديد على موسى!..

ولكن!..

هذا التمرد على موسى عليه السلام، من بنى إسرائيل ليس بغريب وأن كانت هذه النصوص تجيء به تحت لون جديد فهو تمرد لايحمل فى ثناياه أشد التحامل على موسى فحسب وإنما هو يحمل فى نفس الوقت نواياخلعه كرئيس والمناداة برئيس جديد!

بهذه النصوص يطلع علينا مؤلف «سفرالعدد» مجاهراً بهذا التمرد الذى سجّل انشقاق جماعة اسرائيل على موسى وإلاّ لماكانت هذه العاصفة قد تركت ذكرها فى تاريخ بنى إسرائيل حتى جاءت تُصوّرها هذه النصوص قائلة بأن فى محلّة إسرائيل دوّى هدير هذا التآمر وأنه ماانطلق وفى محلة إسرائيل تجاوب إلا و،

«سقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بنى إسرائيل!.»(١).

للخيال أن يتصّور هذه الصورة التى صوّرها مؤلف «سفر العدد» لموسى ولهارون معاً بينما تصمت منا الشفاه ويسبح منا التفكير فى هذه الترّهات التى جافت وتجافى الصورة الموضوعة فى الإطار الدينى لهاتين الشخصيتين الكريمتين.. ومن ثمّ فلا حاجة بنا إلى التعليق بأكثر من ذلك على هذه النصوص التى لم تقف فى تماديها عند هذا المدى وإنما استرسلت جانحة لتحدثنا عن موقف جماعة إسرائيل من هذا المشهد الذى لم يتورع هذا المؤلف عن أن يصورها على هذا النحو؛

(١) الإصحاح ١٤ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ١٤ «سفر العدد».

«فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة إسرائيل..
ولكن!
قال كل الجماعة: أن يُرجما بالحجارة!..» (١)

وهنا.. هنا يقف مؤلف«سفر العدد» للحظة يحاول خلالها جاهداً أن يأتى ببدعة أخرى يعيد بها بنى إسرائيل إلى الصواب فلا يسعفه الخيال إلا بدعة تبتعث فى الذاكرة منّا ذكرى ذلك المشهد الذى مر به علينا من قبل.. ذلك المشهد الذى ابتدعه خيال هذا المؤلف نفسه حينما صوَّر موسى يهب فيجمع سبعين من عرفاء بنى إسرائيل وشيوخها ويشد إليه داخل «الخيمة» منهم الوثاق. فهؤلاء كان حتما أن يأتى بهم هذا المؤلف الآن لنجدته ويجعل من سواعدهم سياجاً يدفع من خلاله موسى، آمناً، إلى باب«الخيمة» حيث:

«ظهر مجدُ الرب فى خيمة الاجتماع لكل بنى إسرائيل!» .(٢)

وأمّا كيف«ظهر مجد الرب» فى هذه المرة؟!.. فهذا سؤال الجواب عنه مطوى فى صدر يشوع بن نون حيث كان لايترك «الخيمة»، إذا خلت، خالية منه أبداً.. هذه«الخيمة» التى اتجهت إليها سطور هذا المؤلف قائلة بأن «مجد الربّ» قد«ظهر» فيها عندما من داخلها إلى الجماعة فى الخارج تكلَّم الصوت:

«وقال الرب لموسى: حتى متى يهيننى هذا الشعب؟.. وحتى متى لايصدقوننى؟!..»
ترانى ماذا أفعل بهم؟..(٣)

هكذا يسير منطق«إله إسرائيل» عبر نصوص مؤلف«سفر العدد» التى تسير قائلة بأن الرب قد استطرد قائلا لموسى: «إنى أضربهم بالوباء وأبيدهم! وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم!..»(١)

كلا.. لاتعليق لدينا على هذه النصوص التى تحمل بين ثناياها البرهان القاطع

---
(١) الإصحاح ١٤«سفر العدد».
(٢) الإصحاح ١٤«سفر العدد».
(٣) الإصحاح ١٤«سفر العدد».

على انتـفاء القـدسية عنها، فحسبنا منها التأمل فيما عليه تشتمل من أباطيل تؤكدها ماسيتلوها من نصوص لاسيّما ونحن نوالى إلى هذا المؤلف الإصغاء ونسمعه يأتينا برواية أخـرى يأتـى بها كنهاية لهذه الرواية.. ومـن ثم شمّر عـن ساعـده وراح يسطـر قائـلا بأن هذه الجماعة التى كانت تحف بأطراف «الخيمة» تتسمّع إلـى صـوت الربّ الآتى من داخلها يقول بأنه سيكيل لهم الصاع بالصاع وأنهم لو تجاسروا واستبدلوا بمـوسى رئيساً آخر فسيضربهم بالوباء وسيبيدهم ويستبدلهم بشعب آخر يختاره لنفسه ولـن يسلم إلا إلى مـوسـى منه القياد، هـذه الجمـاعة قـد انتفضت فـزعاً ولم تهـدأ منهـا النفس إلا عـندما سمعت صـوت موسـى يرتفع مجيباً «الرب» يناشده بأن يحدّ من حـدته ويعـود بـذاكـرتـه إلـى مـاقـد قطـع علـى نفسه مـن عهـود ووعـود فـلقد.

«قال موسى للرب: فيسمع المصريون!... يقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا إنك يارب فى وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمـود سـحاب نـهاراً وبعمـود نـار ليلا فـإن قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين: لأن الرب لـم يقـدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التى حلف لهم قتلهم فـى القفـر! فالآن لتعظـم قـدرة سـيدى!.. الـرب طويـل الروح.. اصفـح عـن ذنب هـذا الشعب!..»(١)

لاجدال فى أن هذا المؤلف قد بلغ بهذه النصوص أقصى مداه فى العبث بالعقول!.. ومن هنا نرانا، مرة أخرى، نقترب من هذا المؤلف كيما نسلط عليه عن قرب أضواء«علم النفس» وهو يصور لنا هذه الصورة المفتراة عن موسى التى لايجعله يتجه فيها إلى الجماعة بحرف واحد من عتاب وإنما يجعله يتجه إلى «الخيمة» ويجيب الصوت المنطلق من داخلها بهذا الكلام المستدر من الجوانب عاطفة الحنان. فهو يجعله يخاطب «يهوه» مستعطفاً وله يصف بطول الأناة طالباً منه الصفح عن هذا«الشعب» الذى إذا صبَّ عليه نقمته وأفناه، فماذا ستقول الشعوب الأخرى عن هذا «الرب» وفى مقدمة هذه الشعوب ستكون مصر؟!..

وكاللهب اللافح، كما يحدثنا هذا المؤلف، راح هذا القول يلفح النفوس من هذه

(١) الإصحاح ١٤ «سفر العدد».

الجماعة بلفحات الندم فكان أن انقلب العصيان إلى خنوع وكان أن عاد التيار من جذر التمرد إلى مد الاستسلام حتى عادت كل الجماعة، كما تدعى النصوص، تستعطف موسى..

لاريب فى أن هذه النصوص تحمل لوناً من التفكير عجيباً!.. فهو لون لايتنافى وأبسط قواعد المنطق فحسب، وإنما هو ينقضه نقضاً من الأساس!. فأى ربّ هذا الرب الذى يمكن أن يحاجه إنسان، ولاسيما بهذه الصيغة من المحاجة!؟. نعم؛ أى إنسان كان هذا الإنسان الذى يستطيع أن يعزى هذا الحوار إلى مصدر قدسي ماخلا مؤلف«سفْر العدد» هذا الذى لم ينته من سرد ماقد ابتدع من حوار إلاّ ووجد نفسه قد استشاط نقمة وغضباً حتى أبى إلا أن ينزل الانتقام بأولئك الذين أثاروا ثائرة الجماعة بينما رأى أن الصفح عن الجماعة هو الأنسب فى هذا المجال.. وإذن فليشمّر هذا المؤلف مرة أخرى عن ساعديه ويسطر قائلا بأن الجواب إلى موسى قد دلف يصفح عن الجماعة ويأمر بإعدام الثائرين.. فلقد؛

«قال الرب؛ قد صفحت حسب قولك!.

ولكن! حيّ أنا!..

إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى.. وجربونى إلى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض التى حلفت لآبائهم! وجميع الذين أهانونى لايرونها!.»(١)

ويقيناً! «حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علىّ؟!..

قل لهم.. لأفعلنّ بكم كما تكلمتم فى أذنى! فى هذا القفر تسقط جثتكم!... لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكنكم فيها!..لأفعلنّ هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علىّ! فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون!» .(٢)

وهكذا أصدر مؤلف«سفر العدد» الحكم بالإعدام على الثائرين حكماً مشمولا بالنفاذ إذ أسرع يقول و؛

(١) الإصحاح ١٤«سفر العدد» .

(٢) الاصحاح١٤«سفر العدد»

«مات الرجال الذين أشاعوا المذمة!..» (١)

والآن .. الآن لنا أن نسأل هذا المؤلف قائلين من كان أولئكم الرجال «الذين أشاعوا المذمة.» ومن مؤلف هذا «السفر» يأتينا الجواب صريحاً يقول بأنهم أولئك الجواسيس العشرة!.. هؤلاء الجواسيس العشرة هم الذين أثاروا التذمر وأشعلوا نار التمرد وأوغروا الصدر الجماعى على موسى ماخلا اثنين، أحدهما «كالب بن يفنة» وأما الآخر فكان: «يشوع بن نون..» (٢)

والآن ؟ الآن، ليوالى المسمع الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهوذى الذى لم يجىء بقصته هذه ويكملها بمصرع الثائرين إلا ليصور لنا مدى ماأتى به من أكاذيب بهذا المشهد الجديد الذى يرسله نصوصاً تقول بأن:

«لما تكلم موسى بهذا الكلام إلى جمع بنى إسرائيل بكى الشعب جداً. ثم بكروا صباحاً، وصعدوا إلى الجبل قائلين: هوذا نحن نصعد إلى الموضع الذى قال الرب عنه فإننا قد أخطأنا» .(٣)

وهنا .. هنا ترانا نتساءل: تُرى؟ ..

تُرى ماذا سيفعل مؤلف«سفر العدد» بهذه الجماعة التى صورها باكية نادمة، وبخطئها قد اعترفت حتى أنها أرادت أن تتقدم فى السير صعوداً نحو«الأرض الموعودة»، وهو فى نفس الوقت لم يزل يرى أن الفرصة بعد لم تسنح للاقدام على غزو«أرض كنعان» ؟!

إذن، فليخرج من هذه المشكلة التى تعترضه بأن يقول: إن موسى قد وقف فى هذه الجماعة ينهاها عن التقدم نحو تلك الأرض الفياضة باللبن والعسل قائلاً:

«لاتصعدوا .. لأن العمالقة والكنعانيين هناك قدامكم!..» (٤)

---

(١) الإصحاح ٢٤ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ١٣ «سفر العدد».
(٣) الإصحاح ١٤ «سفر العدد».
(٤) الإصحاح ١٤ «سفر العدد».

ماهذا الخلط ؟!.. ماهذا الخلط فى التفكير الذى يأتى به مؤلف هذا «السفر» حتى المدى الذى تتناقض به نصوصه بعضها مع بعض؟. أليس هذا القول هو نفسه ماجاء به أولئك الجواسيس العشرة من قبل، وكان القتل عليه لهم عقاباً!.

ولكنَ.. إلى هذا الخلط لم يتنبه مؤلف«سفر العدد» ! فحسبه أنه قد راح بهذه النصوص يمهد لما سيتلوها من نصوص أخرى سيحدثنا بها عن تلك الهزيمة التى حلّت بهذه الجماعة فى استهلالها تاريخ الاعتداء. فإنما هذا المؤلف اليهوذى لم يرم من وراء ماتقدم من نصوص إلا إلقاء تبعة الهزيمة على هذه الجماعة التى دفعها السغب إلى «أرض تفيض لبناً وعسلا» فراحت تتدافع نحو الجبل تدافعاً سِمَته الفوضى وعدم التنظيم ومن ثم كان حتما الارتداد.

ومن هنا راح يسطر قائلاً؛

«تجبروا وصعدوا إلى رأس الجبل.. فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون فى ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم!.»(١)

ولكن!.. هنا يأبى هذا المؤلف اليهوذى إلا أن يجعل لروايته هذه خاتمة مثيرة فأطرق وفكّر.. ثمّ خرج من تفكيره هذا بأن رأى أن هذه الهزيمة لابد وأن تكون باعثاً لقلق الرؤوس من هذه الجماعة.. ولما كان هؤلاء الرؤساء أعضاء الهيئة الكهنوتية، فقد شحذ قلمه وأجراه قائلا؛ بأن عند ذاك هبت فى داخل الصرح الكهنوتى عاصفة قوية أشد من الأولى، وأعنف أرسلت رياح التذمر ضد موسى ومن ثم راح يسطر قلمه؛

التمرد الكهنوتى على موسى

يستهل مؤلف«سفر العدد» حديثه عن هذا التمرد الكهنوتى ضد موسى قائلا؛

«وأخذ قورح بن يصهار بن قهات بن لآوى وداثان وابيرام ابنا البياب وأبون بن فالت بنو رأوبين يقاومون موسى مع أناس من بنى إسرائيل مئتين وخمسين رؤساء الجماعة.. فاجتمعوا على موسى وهرون وقالوا لهما؛

---

(١) الإصحاح ١٤ «سفرالعدد».

كفاكما!..»(1)

أجل.. كل

«رؤساء الجماعة... اجتمعوا على موسى وهرون وقالوا؛ وقالوا؛ كفاكما! إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب. فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب؟!..» .(2)

وهنا.. هنا رأى مؤلف«سفر العدد» ، وهو الذى جعل هذا التمرد على موسى يأتى من «بيت لآوى» وهو بيت موسى نفسه، أن يجعل هذا لدى موسى موضع حسبان. فهذا بيت لئن رفعه موسى، على حد قول هذا المؤلف اليهوذى، إلى الصدارة بأن أسلم ليده زمام الكهانة فليس ذلك إلا ليستمد منه قوة وليس إلا ليتخذ لنفسه منه سياجاً وأما تمرده هذا فإنما يحمل أخطر النتائج!.

حقيقة أن هذا المؤلف كان، من قبل، قد أوغر الصدر من الجماعة على موسى ودفعهم إلى التفكير فى إقامة رئيس جديد من بيت لآوى غير موسى بيد أنه الآن وهو قد جعل بيت لآوى نفسه يتآمر ضد موسى وجعل الجانب الكهنوتى يطلق صرخته مدوية فليس إلاّ ليسير بنصوصه المفتراة هذه إلى أقصى المدى حتى أنه لم يعد من العجيب، بعد، أن نسمعه يحدثنا قائلا؛

«فلما سمع موسى سقط على وجهه!..»(2)

غفرانك يالله!.

يقيناً لقد بلغ هذا المؤلف اليهوذى أقصى أبعاد السفه بهذا القول غير أنه سرعان ماعاد يتماسك، ويتحامل على نفسه فاستقام يسطر قائلا بأن سرعان ماقام موسى بعد ذلك متجهاً إلى هذه الجموع من«بيت لآوى» صارخاً فيهم؛

« كفاكم يابنى لآوى!.. اسمعوا يابنى لآوى..

---

(1) الإصحاح ١٦ «سفر العدد» .

(2) الإصحاح ١٦ «سفر العدد» .

(3) المصدر نفسه.

أقليل عليكم أن إله إسرائيل أفرزكم من جماعة بنى إسرائيل ليقربكم إليه؟!.»[1]

وأنت!. أنت يا«قورح» أصغ.. إن موسى لك يقول؛

«أنت وكل جماعتك متفقون على الربّ.

وأمّا هرون فماهو؟حتّى تتذمّروا عليه؟.»[2]

هذه نصوص لها مغزاها ولايسع الفكر إلا أن يعمل فيها تفكيره لاسيما وهى تسترسل فى كفر بيّن تقول بأنه بعد ذلك قد اتجه موسى يستدعى الزعيمين الآخرين، داثان وأبيرام.. وهنا لنترك المسمع منا يصغى إلى هذا المؤلف وهو يسترسل يحدثنا قائلا؛

«فأرسل موسى ليدعو داثان وأبيرام...

فقالا..؛ أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلا لتميتنا فى البرية حتى تترأس علينا؟.. كذلك لم تأت بنا إلى أرض تفيض لبنا وعسلا.»[3]

وعند ذاك؛

«اغتاظ موسى جداً! وقال للربّ؛ لاتلتفت إلى تقدمتهما..»[4]

ولكن.. حدث عند ذاك أن؛

«كلّم الربُّ موسى قائلا؛ كلم الجماعة قائلا؛ اطلعوا من حوالى مسكن قورح وداثان وأبيرام.. اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة!.»[5]

لماذا؟!..

«لئلا تهلكوا! إن ابتدع الربّ بدعة.»[6]

يقينا: إنها لبدعة إنما هى هذه البدعة التى تجعل الرب يبتدع «بدعة»

---

(١) الإصحاح ١٦ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ١٦ «سفرالعدد».
(٣) الإصحاح ١٦ «سفرالعدد».
(٤) الإصحاح ١٦ «سفر العدد».
(٥) الإصحاح ١٦ «سفر العدد».
(٦) الإصحاح ١٦ «سفر العدد».

ولكن!.. ماهى هذه البدعة؟!..

سؤال نلقيه إلى هذا المؤلف وبالإجابة هو غير ضنين إذ يحدثنا قائلا بأن؛

«لما فرغ موسى من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التى تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم!.. فنزلوا وكل ماكان لهم أحياء إلى الهاوية!.. فبادوا!..»(١)

وأيضاً، كتلك «النار الغريبة» التى خرجت من عند الرب وأكلت ابنى هرون.

«خرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلا!...»(٢)

لاجدال فى أنه لمشهد أخرجه مؤلف«سفرالعدد» على مسرح التاريخ العبرى عجيب!.. ولكن لاتعليق يأتى منا على هذه المسرحية التى أخرجها هذا المؤلف اليهوذى بعد أن ألف فصولها من جنحات الخيال وشطحات الهوى، وإن كان التفكير منا يأبى ألاَّ أن يتخذ فى رحاب المنطق مداه فى هذه الفصول التى ماانتهى من تمثيلها وعليها أسدل الستار إلا وجعل سائر جماعة بنى إسرائيل يهبُّون هبة واحدة سجلتها هذه النصوص تسجيلا يمكننا من أن نطلق عليه اسم؛

الثورة الجماعية على موسى

يوالى مؤلف«سفر العدد» حديثه قائلا بأنه لم تمر من عمر الزمن على مصرع زعماء الثورة الكهنوتية على موسى وعلى احتراق من تضامنوا معهم ليلة من عمر الزمن إلاَّ وهبت فى صبحها جماعة بنى إسرائيل ترسل شرر الغضب.. فلقد؛

«تذمر كل جماعة بنى إسرائيل فى الغد على موسى وهرون قائلين؛

إنكما قد قتلتما شعب الرب!..» (٣)

ومن هنا ينثنى هذا المؤلف فيصور لنا كيف اندلع اللظى الكامن فى الصدر الجماعى لهيباً دفع بالجماعة على موسى وهرون حتى هموا بالهجوم عليهما هجوماً ألجأهما إلى«خيمة الاجتماع» حيث أسرع «مجد الرب» فى التراثى كيما يرد عن موسى وهرون معاً غضبة الجماهير فالمؤلف يحدثنا قائلا بأنه؛

(١) الإصحاح ١٦«سفرالعدد».
(٢) الإصحاح ١٦«سفرالعدد».
(٣) الإصحاح ١٦«سفر العدد».

«لما اجتمعت الجماعة على موسى وهرون انصرفا إلى خيمة الاجتماع وإذاهى قد غطتها السحابةُ وتراءى مجد الرب!...»[1]

ويقيناً.. لطالما أنقذت هذه«السحابة» التى حاكها مؤلف «سفر العدد» مواقف عديدة شبيهة بهذا الموقف الذى سحب به بهذه«السحابة» سحب التذمر والتمرد والعصيان بعيداً عن موسى وجعله من خلالها يشقّ طريقه إلى قلوب هذه الجماهير الهائجة التى ماتراءت هذه«السحابة» لها إلاّ، وعدلت عن عدوانهاوعادت إلى الحظيرة منها الخطوات..

بيد أنّ عند الحد لايقف مؤلف«سفر العدد» وإنما هو قد ارتأى أن اختتام القصة بكارثة يكون أوقع فى النفوس فشمّر عن ساعده، وقال إنه بينما كان«مجد الرب» يتراءى كانت الجماهير فى غفلة عمّا كان قد أصاب المحلة من وباء.. ومابدأ هذا الوباءُ يجتاح بعض أفراد فيها إلا وكان ذلك بمثابة التيار الذى حوّل منها الأعناق مستنجدة بموسى حتى المدى الذى اخفض منها لامرته الرؤوس وذلك بينما كان هرون، على حد تصوير المؤلف، يدور بمجمرته بينها مطلقاً البخور..

والآن؟.. الآن ومؤلف«سفرالعدد» قد صوّر لنا جماهير قد ثارت ولم تهدأ الا باجتياح الوباء«المحلة» وعن الانصراف إلى الاسترسال فى ثورتها قد صرفها الانشغال بموتاها نرانا نتساءل؛

تُرى؟.. كيف سيُنهى هذا المؤلف روايته هذه عن هذا التمرد وعن هذه الثورة؟!..

يقيناً ليس أمام هذا المؤلف إلا أن يرى أنه لو كان أمر الكهانة منحصراً فى هرون لما كان قد استطاع هذا الكهنوت من بيت لآوى أن يتمرد هذا التمرد!..وإذن.. فلينهى هذا المؤلف روايته بهذه النصوص قائلا؛

«وكلم الربُّ موسى قائلا؛ كلم بنى إسرائيل وخذ منهم عصا. عصا لكل بيت أب من جميع رؤسائهم اثنتى عشرة عصا.

واسم كل واحد تكتبه على عصاه، واسم هرون تكتبه على عصا لاوى.. ليرأس

(١) الإصحاح ١٦«سفر العدد».

بيت آبائهم عصا واحدة! وضعها فى خيمة الاجتماع أمام الشهادة حيث اجتمع بك.»[١]

لماذا؟. هذا سؤال لايتولى الإجابة عنه إلا هذا المؤلف نفسه الذى استرسل فى شططه ليحدثنا قائلا إن «إله إسرائيل» قد واصل الكلام قائلا؛

«فالرجل الذى اختاره تفرخ عصاه!

فأسكن عنى تذمرات بنى إسرائيل التى يتذمرونها عليكما!..»[٢]

حسب هذا المؤلف اليهودى أنه بهذا القول قد وجد لنفسه مخرجاً بل ووسيلة لإفراغ أمر الكهنوت فى يد هرون وبذلك أضاف إلى افتراءاته على موسى، عليه السلام، افتراء جديداً إذ ادَّعى أنه خرج من «خيمة الاجتماع» يقول ذلك لبنى إسرائيل.. وأنه بذلك قد؛

«كلّم موسى بنى إسرائيل فأعطاه جميع رؤسائهم عصا عصا. لكل رئيس حسب بيوت آبائهم اثنى عشرة عصا. وعصا هرون بين عصيهم. فوضع موسى العصىّ أمام الربّ فى خيمة الشهادة!».[٣]

تُرى ؟!. تُرى أىّ واحدة من هذه العصىّ هى التى سيجعلها هذا المؤلف تفرخ؟.. كلا!. لن نسأل هذا المؤلف كيف يمكن لعصا أن تفرخ فحسبنا معرفتنا بما عليه تشتمل نصوصه من جنوحٍ إذ أبى إلا أن يضرب موعداً لهذا التفريخ غد اليوم التالى.. ذاك «الغد» الذى جعله هذا المؤلف يوماً تمّ فيه، على حد روايته؛

حصر الكهانة فى هارون ونسل هرون

يحدثنا مؤلف «سفر العدد» قائلا؛ لقد جمع موسى العصى الاثنتى عشرة ومن بينها عصا هرون ووضعها فى «الخيمة» أمام «الرب» وتركها لليلة.. وفى الغد؛

«وفى الغد دخل موسى إلى خيمة الشهادة وإذاعصا هرون.. قد أفرخت!.»[٤]

---

(١) الإصحاح ١٧ سسفر العدد».

(٢) الإصحاح ١٧ «سفر العدد».

(٣) الإصحاح ١٧ «سفر العدد».

(٤) الإفصاح ١٧ «سفر العدد».

«عصا هرون.. أفرخت» ؟!.

سؤال، نلقيه عبر الأجيال إلى هذا المؤلف اليهوذى ليرسل إلينا عبر نصوصه الجواب مؤكداً بأن عصا هرون لم تفرخ دون سائر العصى لبيوت إسرائيل فحسب وإنما؛

«أخرجت فروخا! وأزهرت زهرا! وأنضجت لوزا!» .

ماهذا الهراء ؟. فى ليلة واحدة تفرخ عصا وتخرج فروخاً وتزهر زهراً وتنضج لوزاً؟!.(١)

ولكن!. ماهو الهدف من وراء هذه الأكذوبة التى اختلقها هذا المؤلف ونسبها، بهتاناً، إلى موسى؟!.. يقيناً إن ذلك لم يكن إلالغاية يفصح عنها هذا المؤلف من خلال نصوصه القائلة بأن بعد ذلك خرج موسى من «الخيمة» ؛

«فأخرج.. جميع العصى من أمام الرب إلى جميع بنى إسرائيل فنظروا وأخذ كل واحد عصاه..»(٢)

غير خفى أن مؤلف«سفرالعدد» يريد أن يقول لنا بأن أصحاب العصى قد نظروا إلى عصيهم فى صمت ثم تناول كل واحد منهم عصاه وراح فى أرجاء المحلة يضرب بها بلا عصيان وبدون أن تتحسس الأيدى منهم ماعلى عصا هرون من فروخ ومن زهر ومن لوز لأن هرون، نفسه، لم يتناول عصاه، فقد؛

«قال الرب لموسى؛ رد عصا هرون إلى أمام الشهادة لأجل الحفظ علامة لبنى التمرد، فتكف تذمراتهم عنى لكى لايموتوا!.»(٣)

وهنا لايتنبه هذا المؤلف اليهوذى إلى مايقول وهو يسترسل يحدثنا بأن عند ذلك هب سائر بنى إسرائيل يخاطبون؛

«موسى قائلين؛ إننا فنينا وهلكنا!.. كل من اقترب إلى مسكن الرب يموت؟!.»(٤)

---

(١) الإصحاح ١٧ «سفرالعدد» .
(٣) الإصحاح ١٧ «سفر العدد» .
(٣) الإصحاح ١٧ «سفر العدد» .
(٤) الإصحاح ١٨ «سفرالعدد» .

كلا!. لم يتنبه هذا المؤلف إلى ماقد أتى به من بهتان بهـذا الحدث الذى اختلقه، حدث تفريخ عصا هرون، فلقد استغرقته هذه الرواية التى رمى من ورائها إلـى حصـر الكهانة فـى هرون ونسل هرون وحدهـم فنحن نسمعه يوالـى بهتانه قائلا بأن عنـد ذاك؛

«قال الربُّ لهرون؛ أنت وبنوك وبيت أبيك معك تحملون ذنب المقدس. وأنت وبنوك معك تحملون ذنب كهنوتكم. وأيضاً إخوتك سبط لآوى سبط أبيك قرّبهم معك فيقترنوا بك ويؤازرونك. وأنت وبنوك قدام خيمة الشهادة فيحفظون حراستك وحراسة الخيمة كلها ولكن!..»(1)

«ولكن» ماذا؟!.

«ولكن إلى أمتعة القدس وإلى المذبح لا يقتربون!..»(2)

لماذ؟..

«لئلا يموتوا!..»(3)

وأما أنت.. أنت ياهرون؛

«أنت وبنوك معك فتحفظون كهنوتكم مع ماللمذبح وما هو داخل الحجاب.. عطية أعطيت كهنوتهم.»(4)

فلقد؛

«قال الرب لهرون؛ وهأنذا قد أعطيتك حراسة وقائعى مع جميع أقداس بنـى اسـرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك!.. كل قرابينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهـم وكل ذبائح آثامهم التى يردونها لى.. هى لك ولبنيك فـى قدس الأقداس تأكلها!.

(1) الإصحاح ١٨ «سفر العدد».
(2) الإصحاح ١٨ «سفر العدد».
(3) الإصحاح ١٨ «سفرالعدد».
(4) الإصحاح ١٨ «سفر العدد».

الرفيعة من عطاياهم من كل ترديدات بنى اسرائيل لك أعطيتها ولبنيك وبناتك معك!.. كل دسم الزيت ولك دسم المسطار والحنطة، أبكارهن التى يعطونها للرب، لك أعطيتها! أبكار كل مافى أرضهم التى يقدمونها للرب لك تكون!.. كل محرم فى اسرائيل يكون لك! كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك!..»(١)

نغمة جديدة ولاثمت شك إنما هى هذه النغمة التى يجتنى بها مؤلف «سفر العدد» وبها يحصر أمر الكهانة فى هرون ونسل هرون.. لا لأن الرب قد بدأ يكلم هرون مباشرة وإنما لأن هذا المؤلف اليهوذى يجعل لهذه النصوص رنةً خاصةً يرهف إليها المسمع من سائر اللاَّويين فهى تقصيهم عن مناصبهم الكهنوتية وتعلن حرمانهم من مخصصاتهم السابقة فى نفس الوقت الذى تحمل إلى هرون عطية سخية تتلخّص فى تنازل الربّ عن كل ماتقدّمه اسرائيل له من ضحايا لهرون!.. وحقاً إنها لعطية بالغة السخاء حتى لتبدو كأنما هى قد منحت فى لحظة رضا أو استرضاء وإن كانت فى واقعها ليست إلاَّ وسيلة ابتدعها هذا المؤلف كيما يقيد هرون إلى «يهوه» فيكفل بذلك انحرافه عن رب إسرائيل إلى رب سواه.. ولكن، ثمة سؤال يرتسم هنا فى أفق التفكير وهو: ألم يفطن هذا المؤلف إلى ماذا سيفعل هرون وبيت هرون بهذه المآكل التى ولابدّ أنها قد توافرت توافراً يزيد على ماهم إليه فى حاجة؟..

يبدو أن هذا المؤلف قد تنبه! فلقد أعقبت هذه العطية السخية لحظة استدراكية فراح مؤلف «سفر العدد» يستبدل بعض هذه اللحوم بالفضة ومثاقيل الفضة.. فنحن نسمع النصوص تسترسل ولهرون بلسان إله إسرائيل تقول:

«كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك، غير أنك تقبل فداء بكر الإنسان وبكر البهيمة.

وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك فضة ! خمسة شواقل من شاقل القدس!..» .(٢)

(١) الإصحاح ١٨ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ١٨ «سفر العدد».

حقاً!

حقاً إن مؤلف«سفر العدد» قد بزّ رفاقه في الشراهة بل وإنه لشره في غير هوادة! ولاتفرق شراهته إلا افتراءاته على هرون إذ صوّره تساق إليه التقدمات فينتقى منها كل مايشتهى ويطيب للمذاق بينما يقوّم ماسوى ذلك بمثاقيل الفضة من مثاقيل القدس وإليه تحمل هذه الفضة، طيعة صاغرة، جماعة إسرائيل.. بيد أن وراء هذه الصورة تقف الغاية التى رمى إليها هذا المؤلف وهى من خلال سطوره تنطق وكأنما هى تقول.. مالهرون، وله قد تنازل الرب له عن مخصصاته، يمد ببصره إلى الرياسة فى إسرائيل ؟!..

ولكن!.. يأبى مؤلف «سفْر العدد» الاّ أن يجعل هرون يمد ببصره إلى مرتبة الرياسة.. ومن ثم فليأت بنصوص أخرى يُنحّى بها هرون عن منصبه ويدفع إلى المقدمة بابنه«اليعاذر» الذى لذكره لانشم رائحة دخان يبعثها مؤلف هذا «السفر» من داخل«خيمة الاجتماع» وإنما نحن نرى بالفعل هذا الدخان الذى يطلقه هذا المؤلف ويرسم به حاجزاً بين الأخوين مما يجعلنا نتبين أن هذا المؤلف لايستهدف بذلك إلا دفع هرون إلى المؤخرة ودفع«اليعاذر» إلى المقدمة. فالنصوص تنطلق معبرة عن هذه الصرخة المكبوتة بصيحة شنعاء تعلن؛

«الرب يأمر بموت هرون»

من صدر مؤلف «سفرالعدد» تنطلق هذه الصيحة فى أعقاب ارتحال«بنى إسرائيل من «برية صين» فى الشهر الأول ومن «قادش» إلى «جبل هور» .. فهناك؛

«كلّم الربّ موسى.. قائلا؛ يُضمّ هرون إلى قومه لأنه لايدخل الأرض التى أعطيت لبنى إسرائيل!..

خذ هرون واليعاذار ابنه واصعد بهما إلى جبل هور واخلع عن هرون ثيابه وألبس اليعاذار ابنه إياها.

فيضم هرون ويموت هناك!..»(١)

---

(١) الإصحاح ٢٠ «سفرالعدد».

بعيداً عن ضجة القوم وضجيج الجماعة رأى مؤلف«سفر العدد» أن يصعد بموسى إلى قمة«جبل هور»فراح يصوره مصطحباً اليعاذار وصاعداً بهرون إلى قمة هذا الجبل ثم راح يضع اللمسات الأخيرة لهذه الصورة الشنعاء فشمّر عن ساعده وأطلق خياله على جناح الجنوح يتخيّل ثلاثتهم وقد غيبتهم عن عين الجماعة«قمة هور» ثم انحنى على القرطاس وأجرى قلمه يسطر؛

«صعدوا إلى جبل هور أمام أعين كل الجماعة». (١)

ولكن!.. سرعان ماعادت هذه الأعين تحملق مرتاعة وهى، كما يدّعى هذا المؤلف زوراً وبهتاناً، ترى موسى واليعاذار يهبطان السفح بدون هرون بينما قد ألقيت على اليعاذار ثياب هرون!..

أين هرون؟!

كلا لايسألن، بعد، سائل هذا السؤال فلقد؛

«مات هرون!

هناك، على رأس الجبل!.» (٢)

إذن.. هرون قد مات!..

بالإيجاب يأتى من هذا المؤلف اليهودى الجواب، وفى غير ماخشية من ضمير يصيح علاّم الحيرة وعلاّم العجب فلقد؛

«فعل موسى كما أمر الرب!.» (٣)

حتى المدى امتدت، فى تطاول، افتراءات هذا المؤلف اليهودى على هذا الرسول الكريم!.. فأى عبث هذا الذى تعبثه بالعقول هذه المسرحية المشوشة الوضع والإخراج والتى لايستعرضها الخيال منا إلا ويعوذ بالله منها طالباً لنفسه الرحمة من عناء اللحوق بشطحات هذا المؤلف الذى افترى على موسى، عليه السلام، كل هذا

(١) الإصحاح ٢٠ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ٢٠ «سفر العدد».
(٣) الإصحاح ٢٠ «سفر العدد».

الافتراء بهذه النصوص التى صوره بها تحت هذه الصورة الشنعاء وأشرك فيها معه ابن هرون، نفسه، «اليعاذار»!..

ولكن..

هنا تزداد سجف التاريخ انحساراً عن مؤلف «سفر العدد» الذى ماانتهى من روايته هذه المفتراة إلاّ ليسدل عليها الستار قائلاً بأن صرخات العويل قد تعالت من أرجاء هذه «المحلة» مصدرها هذه المجموعة من «بنى إسرائيل» التى راحت تذرف الدمع سخيناً؛

«على هرون ثلاثين يوماً!.»(١)

إذن لابد لهذا المؤلف من الارتحال سريعاً ببنى إسرائيل بعيداً عن «جبل هور».. وسرعان ماقد فعل!. فقد شمّر مرة أخرى عن ساعديه وتناول فى عصبية قلمه وراح يضيف إلى أكاذيبه أكذوبة جديدة بأن صوّر موسى واليعاذار يتعدان ببنى إسرائيل عن «جبل هور» وليدورا بهم من حول «أرض أدوم».. ثم التفت هذا المؤلف إلى هذه الجماعة فوجد أن الضيق الذى أصابها فى «هور» لم يبارحها وليس هذا فحسب وإنما ازدادت النفس منهم ضيقاً فى هذا الطريق الوعر الذى أترعته الحيات السامة فمن كل فجوة ومن كل أخدود استقبلتهم حتى لدغت، وحتى أماتت منهم الكثيرين بينما كان الهمس، كما يقول هذا المؤلف، يسري من «خيمة الاجتماع» بأن ذلك لم يكن إلا العقاب الذى حل بهم نتيجة على إطلاق ألسنتهم فى حق موسى إثر موت هرون.. فكان أن سطر؛

«فأتى الشعبُ إلى موسى وقالوا؛ قد أخطأنا إذ تكلمنا على الربّ وعليك!..»(٢)

وهنا .. هنا لم يجد مؤلف «سفر العدد» مخرجاً إلاّ أن يأتى بنصوص جديدة يضاعف بها إساءته إلى هذا الرسول الكريم.. فهو يصوّر موسى يقوم فيصنع حية نحاسية ويرفعها على سارية كيما ينظر إليها كل لديغ بغية الإبراء.. ونحن إذا علمنا أن هذا لم يكن إلا تعويذة فى مصر القديمة مرعية لعلمنا تحت أى تأثير كتب

(١) الإصحاح ٢٠ «سفر العدد».

(٢) الإصحاح ٢١ «سفر العدد».

هــذا المؤلف اليهــوذى هذه النصوص التى لم يفــرغ مــن تسطيــرها إلا ورأى أن عليه بعد ذلك أن يجعل مــوسـى يـرتحل ببنـى إسـرائيل عـن هـذا المكان مـن مكامـن الحيّات فـراح يصوره مرتحلا حتى جعله يأتى بهم إلى «الجواء التـى فـى صحراء موآب»..

ومن الجواء رأى هذا المؤلف أن طريق هذه الجماعة إلى «الأرض الموعودة» تعترضه تخوم ممالك أخرى.. وإذن ماذا عليه لو جعل موسى يرسل رسلا يستأذنون له بالمرور بهذا الطريق!.. وإذن فليسطر بأن موسى قد أرسل؛

«رسلا إلى سيحون ملك الأموريين قائـلا؛ دعنـى أمر فـى أرضك لانميـل إلـى حقـل ولا إلى كرم ولا نشرب ماء بئر. فى طريق الملك نمشى حتـى نتجاوز تخومك!».[1]

ولكن!. كان الرفض..؛

«فلم يسمح سيحون لإسرائيل بالمرور فى تخومه بل جمع سيحون جميع قومه وخرج للقاء إسرائيل إلى البرية فأتى إلى ياهص وحارب إسرائيل»[2]

وهنا تمتد يد مؤلف «سفر العدد» فتؤرخ؛

«واقعة ياهص»

لاجدال فى أن بهذه الواقعة قد تنفّس تاريخ بنى إسرائيل عن حدث كان له فى نفسية هذه الجماعة أثره فيما بعد فإنما هذه المعركة التى يقول عنهـا مـؤلف «سفر العـدد» بأنها معركة قد دارت رحاها بين الإسرائيليين مـن جهة وبين العامورييين من جهة أخـرى لـم تكن فى واقعها التـاريخى إلا بمثابة الانطـلاقه الأولـى صـوب «الأرض المـوعودة» لهـذه الحفنة مـن الناس الذين يحدثنا عنهـم مؤلف«سفر العـدد» بأنهم قـد لقوا سيحون؛

«فضربه إسرائيل بحد السيف، وملك أرضه من أرفون إلى يبوق إلى بنى عمون.. فأخذ

(١) الإصحاح ٢١ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ٢١ «سفرالعدد».

إسرائيل كل هذه المدن، وأقام إسرائيل فى جميع مدن الأموريين فى حشبون وفى كل قراها!..»[1]

لاغْروَ من ثم أن تنطلق، لأول مرة، صرخة تكشف عن مدى مايكنه من إسرائيل الضمير؛

«ويل لك ياموآب».

هلكت ياأمة كموش!

قد صير بنيه هاربين وبناته فى السبى.. هلَكت حشبون إلى ديبون!.»[2]

وهكذا امتدت يد هذا المؤلف اليهوذى تسجل بأن «واقعة ياهص» كانت أول انتصار حربى لإسرائيل.. وهذا فى واقع الأمر ماقد حدث فإن هذا«السفر» وإن كان ليس إلاّ كغيره من«الأسفار»قد أترعته المبالغات والتهاويل وشطط الخيال فإن هذا لايمنعنا من الانتصاف للحقيقة فنقول بأن من مجريات الأحداث السياسية لذلك العصر فى «أرض كنعان» يمكننا استخلاص الحقيقة من أن هذا الانتصار الاسرائيلى على موآب كان حقيقياً غير أن ماقد أحاط بهذا الانتصار من مبالغات كان هو الشىء غير الحقيقى!.. ونستبين ذلك تماماً إذا أحطنا علما بموقع حشبون الجغرافى. فإن حشبون لم تكن، يومذاك، إلا قرية!.. ومازالت حتى اليوم قرية فإنما حشبون الأمس ليست إلا قرية«حسبان» القائمة اليوم فى البلقاء من شرق الأردن!

ومن هنا ندرك أن هذا الانتصار الذى سجلته اليد اليهوذية كان حقيقياً وأما مدى أهميته فى ضوء الواقع فلم يكن إلا فى امتداد الزحف الإسرائيلى صوب مايسمونه، ادعاء، «أرض الآباء» إذ ما أقام بنو إسرائيل فى أرض الأموريين إلا ردْحاً قصيراً من الزمن أعقبته وثبة جديدة ألصقها مؤلف «سفر العدد» بموسى حيث سطر؛

«وأرسل موسى ليتجسس!».[3]

وهنا رأى مؤلف «سفر العدد» أن الاستمرار فى الزحف صوب «الأرض الموعودة» قد غدا ممكناً، فراح يسطر بأن بنى إسرائيل قد تدفعوا وتقدموا حتى؛

---

(١) الإصحاح ٢١ «سفرالعدد».
(٢) الإصحاح ٢١ «سفر العدد».
(٣) الإصحاح ٢١ «سفر العدد».

«طردوا الأموريين الذين هناك، ثم تحولوا وصعدوا فى طريق باشان.»(١)

ولكن !... هنا؛

«خرج عوج مَلك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب فى إذْرَعى».(٢)

وهنا امتدت، مرة أخرى، يد مؤلف«سفر العدد» فأرخت؛

«واقعة إذرعى»

عن هذه الواقعة الأخرى يحدثنا هذا المؤلف قائلا بأن الدائرة على عوج وقومه قد دارت أيضاً فلقد؛

«قال الرب لموسى؛ لاتخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع جميع أرضه وقومه قد دارت أيضاً فلقد؛

«قال الرب لموسى؛ لاتخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع جميع أرضه وقومه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن فى حشبون!..»(٣)

ومن ثمَّ؛

«فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد وملكوا أرضه!.»(٤)

ومرة أخرى، أيضاً، امتدت يد هذا المؤلف اليهوذى فسجلت أن«واقعة إذرعى» كانت انتصار حربياً آخر لاسرائيل.. ولنرى أن إلى «واقعة ياهص» ثم إلى «واقعة إذرعى» يعود بأسبابه التدافع الإسرائيلى صوب«الأرض الموعودة» تدافعاً إيجابياً فلقد تحول بعد هاتين الوقعتين التوثب إلى الوثوب واستحال الإحجام إلى الإقدام، على حد تصوير مؤلف هذا «السفر»، إذ ليس إلا فى أعقاب «واقعة إذرعى» كان ان؛

«ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا فى عربات موآب من عبر ارض اريحا»(٥).

---

(١) الإصحاح ٢١ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ٢١ «سفرالعدد».
(٣) الإصحاح ٢١ «سفر العدد».
(٤) الإصحاح ٢١ «سفرالعدد».
(٥) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».

وهناك..هناك فى صحراء موآب عبر أرض أريحا تنتشر صفحة أخرى جديدة يُجرى عليها هذا المؤلف قلمه وينشر بها الجديد من الأحداث .. فإن موآب وإن كانت قرية وشأنها فى ذلك لم يكن الاكشأن أدوم وحشبون من حيث المرتبة الجغرافية إلاَّ أنها كانت تعتبر دويلة من الدويلات التى كانت عهد ذاك منتشرة على «أرض كنعان». ولما كان لكل دويلة ملك من رؤساء كنعان فقد؛

«كان بالآق بن صفور ملكا لموآب فى ذلك الزمان»(١)

ومن هنا يبدأ هذا المؤلف اليهوذى يروى رواية جديدة يستهلها قائلا؛

«لما رأى بالآق بن صفور جميع مافعل إسرائيل بالأموريين فزع!...»(٢)

أما موآب فقد أطلقت، فى ارتياع، صرخة من خلالها؛

«قال موآب لشيوخ مديان؛ الآن يلحس الجمهور كل ماحولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل!..»(٣)

وعند ذاك هبَّ ملك موآب؛

«فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور..»(٤)

وأمَّا من كان بلعام بن بعور؟.. فسؤال، نلقيه إلى هذا المؤلف ومنه يأتى إلينا الجواب؛ بأن بلعام بن بعور كان يعتبر فى مديان وعند موآب «نبيا» وكان فى اعتبار قومه، وعلى حد تعبير ذلك العصر، شأنه كشأن الـ«الكلاماه» من فئة الكهنوت البابلى وهذه فئة كان قد ينط بها أمر«الكلام مع المعبود». وهنا نترك نصوص هذا المؤلف، نفسها، تحدثنا بينما نقف نحن بدون تعليق نتأمل هذه الصورة وهى فى إطار هذا«السفر» موضوعة وفى معرض التاريخ الدينى اليهودى الحالى قائمة.. فالنصوص تسترسل وفى سخاء عجيب تحدثنا قائلة بأن بالآق بن صفور قد؛

«أرسل رسلا إلى بلعام بن بعور.. ليدعوه قائلا؛

---

(١) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».

(٢) الإصحاح ٢٢ «سفرالعدد».

(٣) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».

(٤) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».

هو ذا شعب قد خرج من مصر.. وهو مقيم مقابلى. فالآن تعال والعن لى هذا الشعب!..

فانطلق شيوخ مديان، وحلوان العرافة فى أيديهم، وأتوا إلى بلعام وكلموه بكلام بالآق.

فقال لهم؛ بيتوا هنا الليلة فأرد عليكم جواباً كما يكلمنى الرب..» .(١)

يقيناً لقد راعى مؤلف«سفر العدد» منطق العصر الذى يتحدث عنه فإن هذا النص يعود بالذاكرة منا إلى معتقد بابلى قديم حمله المرتحلة من بلاد مابين النهرين إلى حيث رفّ أيضاً على أرض كنعان وهو القائل بأن المعبود يتصل بالأتقياء عن طريق الأحلام.. ومن هؤلاء كان «بعل فغور» وهو المعبود الذى يتحدث عنه أيضا مؤلف هذا«السفر» بصيغة الألوهية، ويحدثنا عنه وعن بلعام قائلا؛

«فإتى الله إلى بلعام وقال؛ من هم هؤلاء الرجال الذين عندك؟

فقال بلعام لله؛ بالآق بن صفور، ملك موآب، قد أرسل إلى يقول هوذا الشعب الخارج من مصر قد غشى وجه الأرض. تعالى ألعن لى إياه!..

فقال الله لبلعام؛ لاتذهب معهم ولاتلعن الشعب لأنه مبارك!..»(٢)

ومن ثم؛

«قام بلعام صباحاً وقال لرؤساء بالآق؛ انطلقوا إلى أرضكم لأن الرب أبى أن يسمح لى بالذهاب معكم..»(٣)

لماذا؟! ألم يجد بلعام فيما منحه بالآق له من مال مايكفى القيام بهذه«اللعنة» ؟..يبدو أن الأمر كان كذلك، إذ؛

«عاد بالآق وأرسل أيضاً رؤساء أكثر، وأعظم من أولئك فأتوا إلى بلعام وقالوا له؛ هكذا قال بالآق بن صفور. لاتمتنع من الإتيان إلى لأنى أكرمك إكراماً عظيما وكل ماتقول لى أفعله!.»(٤)

---

(١) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٣) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٤) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».

وإذن فليرفع بلعام أسهمه!. ومن هنا؛

«أجاب بلعام وقال لعبيد بالآق؛ لو أعطانى بالآق ملء بيته فضة وذهباً لاأقدر أن أتجاوز قول الرب إلهى.»[(١)]

ولكن!.

«امكثوا هنا أنتم أيضاً هذه الليلة لأعلم ماذا يعود الرب يكلمنى به..!»[(٢)]

وأمام وعد باكرام جزل ووافر عطايا حدث أن؛

«أتى الله إلى بلعام ليلا وقال له؛ إن أتى الرجال ليدعوك فقم واذهب معهم!.. فقام بلعام صباحاً وشد على أتانه وانطلق مع رؤساء مؤآب.»[(٣)]

ولكن!.. ماكاد بلعام يشدّ على أتانه وفى رضوخ لأمر «ربه» انطلق إلى بالآق إلاّ وعليه؛

«حمى غضب الله لأنه منطلق!..»[(٤)]

لماذا؟!.

أما لماذا حمى غضب«بعل فغور» إله بلعام على بلعام لأنه انطلق وهو الذى، على حد ترّاهات هذه النصوص، كان قد أمره بهذا الانطلاق فسؤال يقذف بنفسه إلى الخاطر أمام هذه المتناقضات التى تتنافى وكل معايير المنطق بينما تتولى النصوص اليهوذية الإجابة عنه بحديث يطلق الخيال منإلى عالم سحرى عجيب مادته قد صيغت من عنصر التهاويل وأما كل مايجرى فى رحابه فهو، ولاجدال، من صنع عقل وليد!.

على جناح جانح من أوهام الطفولة الباكرة ينطلق هذا المؤلف ويتجاوز حدود المنطق ويحدثنا من ورائه بأن غضب إله بلعام على بلعام لم يحم إلا وأسرع «ملاك الرب» يمنع بلعام من الانطلاق بأتانه إلى حيث يريد.. فلقد؛

«وقف ملاكُ الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه!

(١) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح٢٢ «سفر العدد».
(٣) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٤) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».

فأبصرت الأتاونُ ملاكَ الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فمالت الأتان عن الطريق ومشت فى الحقل.

فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق!.»[1]

أبصرت الأتان «ملاك الرب»، وفي يده سيفه المسلول، فحادت عن الطريق فضربها بلعام ليردها إلى الطريق، ولكن!..

«وقف ملاكُ الرب فى خندق للكروم له حائط من هنا وحائط من هناك. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط فضربها أيضاً!..»[2]

ولكن!.

هل تستطيع أتان بلعام محاورة «ملاك الرب» ؟!..

كلا! فلقد؛

«اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف فى مكان ضيق حيث ليس سبيل للنكوب يميناً أو شمالاً!.»[3]

وأما ماذا فعلت الأتان عند ذلك؟.. فإنها؛

«لما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام!..»[4]

وهنا؛

«حمى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب!..»[5]

وعند ذاك!.. عند ذاك؛

«فتح الربُ فم الأتان!..»[6]

(١) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٣) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٤) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٥) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».
(٦) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد».

ماذا؟!..

نعم!.؛

«فتح الرب فم الأتان! وقالت لبلعام؛ ماذا صنعت بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات؟!

فقال بلعامٌ للأتان؛ لأنك ازدريت بى! لو كان فى يدى سيف كنت الآن قد قتلتك!

فقالت الأتان لبلعام؛ ألست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم؟ هل تعودت أن أفعل لك هكذا؟..»(١)

وهنا نرنو إلى مؤلف «سفر العدد» بنظرة تخترق الأجيال إليه فى نفس الوقت الذى له نسأل؛ وماذا كان جواب بلعام أمام هذا المنطق الذى جاء من «الأتان» ؟.

وفى ثقة ويسريجيبنا هذا المؤلف اليهودى قائلا بأن عند ذاك أجاب بلعام الأتان؛

«فقال؛ لا!.»(٢)

ولكن.. حدث عند ذاك أن؛

«كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق.. فقال له ملاك الربٌ؛ لماذا ضربت أتانك؟!.. ها أنذا قد خرجت للمقاومة.. فأبصرتنى الأتان ومالت من قدامى.. ولو لم تمل من قدامى لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها!

فقال بلعام لملاك الرب؛ أخطأت! إنى لم أعلم أنك واقف تلقائى فى الطريق. والآن إن قبحٌ فى عينيك فإنى أرجع!..»(٣)

ولكن؛

«قال ملاكُ الرب لبلعام؛ اذهب مع الرجال وإنما تتكلم بالكلام الذى أكلمك به فقط!

فانطلق بلعام مع رؤساء بالآق..(٤)

---

(١) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد» .
(٢) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد» .
(٣) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد» .
(٤) الإصحاح ٢٢ «سفر العدد» .

حتى الآن لانستطيع أن نفهم لماذا كان هذا كله ولكننا، ولاجدال،نفهم أن هذه الرواية ليست إلا محض خرافة حاكها الخيال من هذا المؤلف، وانطلق بها على أجنحة الهوى حتى إلى هاوية الخزعبلات بها هوى! فهى رواية لايقبلها العقل وترفضها البداهة ويأباها المنطق فحسب، وإنما هى فى واقعها ليست إلا امتداداً لتلك الأسطورة التى كانت معروفة فى مصر القديمة، وبالتحديد فى عصر الرعامسة.. فليست رواية الأتان التى تكلم بصوت آدمى إلا رجع الصدى من قصة الثعبان الذى يتكلم بصوت آدمى!..

وأما تلك الرواية الأخرى التى تقول بظهور«ملاك الرب» .. فهذه رواية ليست فى واقعها، أيضاً، إلا امتداداً لمعتقد قديم عرفته بابل ومصر القديمة على سواء، فإنّما أساطير القدامى مترعة بالكثير من الروايات عن كائنات مجنحة بين الإلهية والبشرية ومن ثمّ فالمؤلف اليهوذى إذ يأتى بهذه الصورة فإنما هو قد راعى التفكرى الدينى للعصر الذى كان عنه يتحدث وهو بهذه النصوص يسترسل قائلا؛

«فلما سمع بالاَق أن بلعام جاء خرج لاستقباله.. فقال بالآق لبلعام؛ ألم أرسل إليك لأدعوك؟.. أحقًا لاأقدر أن أكرمك؟!

فقال بلعام لبالاق؛ ها أنذا قد جئت إليك.. الكلام الذى يضعه الله فى فمى به اتكلم!..

وفى الصباح أخذ بالاقُ بلعام وأصعده إلى مرتفعات بعل، فرأي من هناك أقصى الشعب.»(١)

وأطرق بلعام للحظة هب على أثرها؛

«فقال بلعام لبالآق؛ ابن لى هنا سبعة مذابح وهيىء لى ههنا سبعة ثيران وسبعة كباش.

ففعل بالآق كما تكلم بلعام. وأصعد بالآق وبلعام ثوراً وكبشاً على كل مذبح.

فقال بلعام لبالآق؛ قف عند محرقتك فأنطلق أنا لعل الرب يُوافى للقائى. فمهما أرانى أخبرك به..»(٢)

---

(١) الإصحاح ٢٣ «سفر العدد».

(٢) الإصحاح٢٣ «سفر العدد».

وهنا نترك للخيال منا حرية التفكير فى أن يتصور هذا المشهد الذى ترسمه هذه النصوص وهى عن بلعام تحدثنا قائلة؛

«ثم انطلق إلى رابية فوافى الله بلعامَ!.»(١)

أى عبث هذا العبث بالعقول؟!

وأى «إله» هذا الذى يوافى المرء عند الرابية؟!.

نحن نعلم أن هذه النصوص لاتعنى بهذا الإله إلاَّ «بعل فغور» إله مؤاب ولكن ذلك لايمنعنا من التدليل على عدم شرعية هذه النصوص التى تقول بأن «الله» قد وافى بلعام عند الرابية حيث هناك؛

«وضع الرب كلاماً فى فم بلعام وقال؛ ارجع إلى بالاق وتكلم هكذا..؛ من أرام أتى بى بالآق مَلِك موآب من جبال المشرق. تعال العْنَ لى يعقوب وهلمّ اشتم إسرائيل.

كيف ألعن من لم يلعنه الله؟! وكيف أشتم من لم يشتمه الرب؟!» .(٢)

حقاً لقد جار الفكر منّا بين «يهوه» وبين «بعل فغور» هذين الربّين اللذين يتكلّم عنهما هذا المؤلف بصيغة الألوهية وفى هذا اعتراف منه صريح بوجود آله أخرى غير إله إسرائيل، وأن «يهوه» هذا ليس إلاّ رباً خاصاً بإسرائيل!.. بيْد أن تُرى أى شىء كان قد حدث، فى واقع الأمر، عند تلك الرابية؟.. ومن ذاك الذى كان قد وافى بلعام هناك حتى جعله، بعد انقلاب إلى موآب، على موآب ينقلب؟!.

إننا لن نستطيع انتزاع الجواب من صدر هذا المصدر اليهوذى وإنمّا مما لانزاع فيه هو أننا نستطيع الاهتداء إليه من مجريات أحداث هذه الرواية نفسها.. فإن بلعام كما يبدو من خلال هذه الرواية كان شخصية قد نيط بها حلّ مايطرأ على القوم من ملمات الأمور ومفاوضة أى عدو يريد اقتحام حرمة البلاد، وإلا لما كان قد ناداه ملك موآب إليه وبذل له الفضة والعطايا ثمناً لهذا الانتقال . وأما كيف جاء هذا الميل عن موآب بعد الميل إليها فلم

---

(١) الإصحاح ٢٣ «سفر العدد» .

(٢) الإصحاح ٢٣ «سفرالعدد» .

يكن إلاّ بعد ذلك الحدث«عند الرابية»والذى على أثره انطلقت صيحة بلعام فى موآب تقول« كيف ألعن إسرائيل» . إنه؛

«شعب يقوم كلبوة!..

لاينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى!..»[1]

وأما إذا سألنا هذا المؤلف لماذا كان هذا الوصف!.. فالجواب يأتى يحدثنا بأنه قد حلّت «روح الله» على بلعام فانطلق يقول؛ هذا؛

«وحى بلعام بن بعور وحى الرجل المفتوح العينين وحى الذى يسمع أقوال الله!.. ماأحسن خيامك يايعقوب مساكنك ياإسرائيل ؟!.

يأكل أمما!.. يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفى موآب!.»[2]

لاجدال فى أن هذا المشهد ليس إلاّ فصلا من روايةٌ مثلت على مسرح تاريخ هذه الجماعة التى وصفت نفسها بالقدسية وبأنها مباركة من الرب وأما النتيجة التى تفتقت عن هذا المشهد فاختلاط أبناء إسرائيل بالموآبيين فى غير صدام وحتى المدى الذى يحدثنا عنه مؤلف هذا«السفر» قائلا لقد؛

«أقام إسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب!.»[3]

فى «شطيم» ،«شط اليوم» فى منطقة بيان، أقام إسرائيل ، وفى عبث بالقيم الأخلاقية تناهى مداه، كما نفهم من مؤلف«سفْر العدد» ، أوغل«الشعب المختار» فى انحلاله وانحرافه الخلقى، بل ولقد بلغ الشطط بهذا« الشعب المقدس» فى هوى بنات موآب أقصاه حتى أنه بغية استرضائهن قد انحرف إلى إله موآب عن «إله إسرائيل» وولى وجهه عن «يهوه» واتّجه يعبد«بعل فغور»!.. فلقد؛

«تعلق إسرائيل ببعل فغور!.»[4]

---

(١) الإصحاح ٢٣ «سفر العدد» .
(٢) الإصحاح ٢٤ «سفر العدد» .
(٣) الإصحاح ٢٥ «سفر العدد» .
(٤) الإصحاح ٢٥ «سفر العدد» .

وهـنـا علقت عيـنـا هـذا المـؤلف اليهـوذى بالأفـق للحظـة قـدر خـلالها بميـزان الغـد نتائـج مـيـل هـــذه الجماعـة عــن «يهـوه» إلـــه إســـرائيـل إلــى «بعـــل فغـــور» .

إله موآب فكان حتما عليه أن يُشمّر عن ساعده من جديد، ويسطر قائلا بأن عند ذاك .

«حمى غضب إسرائيل!.»[1]

وأما كيف يعبر هذا المؤلف عن هذا الغضب؟ فليس إلا بإضافة افتراء جديد على موسى عليه السلام!.. فالقلم فى يده قد جرى يقول؛ بأن الرب قد وافى موسى وله منادياً قال؛

«ياموسى ! خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس. فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل!

فقال موسى لقضاة إسرائيل؛ اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور!..»[2]

ثم؟ .

«ثم كلم الرب موسى قائلا؛ ضايقوا المديانيين واضربوهم!.»[3]

اضربوهم؟ . بلى اضربوهم فلقد؛

«كلم الرب موسى قائلا؛ انتقم نقمة لبنى إسرائيل!..

فكلم موسى الشعب قائلا؛ جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الربّ على مديان!.»[4]

وارتفعت يدُ مؤلف«سفْر العدد» بقلمه تشير لجند إسرائيل بالهجوم..ثم عادت تسطر؛

(١) الإصحاح ٢٥«سفر العدد» .
(٢) الإصحاح ٢٥«سفر العدد» .
(٣) الإصحاح ٢٥«سفر العدد» .
(٤) الإصحاح ٣١«سفر العدد» .

«أرسلهم موسى ألفاً من كل سبط إلى الحرب! هم وفينحاس ابن اليعاذار الكاهن إلى الحرب!.»[1]

وتحت إمرة فينحاس وقيادته انحدرت إسرائيل على مديان؛

«كما أمر الرب!.

وقتلوا كل ذكر!

وملوك مديان اقتلوهم فوق قتلاهم!.. خمسة ملوك، صناوى وراقم وصور وحور ورابع.

وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف!.»[2]

كلا لن نتساءل قائلين كيف، بعد انحراف عن قومه إلى إسرائيل يقتل بلعام بسيف إسرائيل؟.. وإنما نتساءل؛ إذا كان ذكر فى مديان قد قتل بسيف إسرائيل ائتماراً بأمر«يهوه إله إسرائيل» فبماذا أمر«إله إسرائيل» «شعبَه» أن يفعل بنساء مديان وأطفال مديان؟!..

سؤال، تأتى الإجابة عنه من هذه النصوص وهى تسترسل صريحة تقول؛

«سبى بنو إسرائيل نساء مديان!. وأطفالهم! ونهبوا جميع بهائمهم ومواشيهم!.»

والمدن المديانية؟.. ماذا فعل بنو إسرائيل بمدن مديان؟..

سؤال آخر تأتى الإجابة عنه من نفس هذه النصوص وهى فى زهو وخيلاء تحدثنا عن توغل إسرائيل فى مدن مديان بل وفى تفاخر تسجل عليهم بأنهم قد؛

«أحرقوا جميع مساكنهم ومدنهم وجميع حصوتهم بالنار! وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم!.»[3]

---

(١) الإصحاح ٣١«سفر العدد».
(٢) الإصحاح ٣١«سفر العدد».
(٣) الإصحاح ٣١«سفر العدد».

وأما ماذا فعل بنو إسرائيل بهذه الأسلاب والأنهاب!.. فسؤال آخر يأتي الجواب عنه من نفس هذه النصوص الحاملة فى ثناياها البرهان الدامغ على عدم شرعيتها وهى عن سؤالنا هذا تجيب؛

«أتوا إلى موسى واليعاذار الكاهن.. بالسبى والنهب والغنيمة..

فخرج موسى واليعاذار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم.»(١)

ولكن!.هذا«الشعب المبارك»لم يكد يطرح أمام موسى هذه الأسلاب والأنهاب بعد سبى الأطفال والنساء إلاَّ؛

«وسخط موسى على وكلاء الجيش!..»(٢)

لماذ؟!. هذا سؤال آخر يأتى الجواب عنه من نصوص استقت مدادها من مادة البهتان إذ تصور موسى، وقد خرج على رؤساء الجيش ساخطاً؛

«وقال لهم...،هل أبقيتم كل أنثى حية؟!..

اقتلوا كل ذكر من الأطفال!

وكل امرأة عرفت رجل بمضاجعة ذكر اقتلوها!

لكن. جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيّات!..»(٣)

ماهذا العبث الساخر بالقيم الأخلاقية وبالأديان؟! يقيناً إنه لعبث لايحتاج إلى تدليل على انتفاء القدسية عن هذه النصوص!..

ولكن.! هنا لنا كلمة نقولها والى مؤلف«سفْر العدد» نلقيها عَبْر الأجيال وهى؛ أن هذه«العملية» التى قامت بقتل كل طفل ذكر وكل أنثى ثيّب ولم تستبق إلا الإناث الأبكار متعة لرجال إسرائيل ليست عملية هى العنف بعينه وتحمل فى ثناياها أصرخ ألوان القسوة وأقسى مابلغته القسوة من ألوان الإيذاء فحسب وإنما هى عملية كان الأجدر بهذا المؤلف ألا يجعلها تقع فى «مديان» !..

(١) الإصحاح ٣١«سفر العدد».
(٢) الإصحاح ٣١«سفر العدد».
(٣) الإصحاح ٣١«سفر العدد».

أنسى مؤلف «سفْر العدد» أن مديان كانت الملجأ الوحيد الذى لجأ إليه موسى، عليه السلام، فى أعقاب ذلك الحدث فى مصر؟ أم غفل هذا المؤلف عن أن بمديان تربط هذا الرسول الكريم رابطة نسب ومصاهرة بابنين له فيها وزوجة أولى هى بنت كاهنها يثرون؟!

يقيناً لقد غاب عن ذاكرة مؤلف«سِفْر العدد» حديث زميله مؤلف«سِفْر الخروج» عندما تحدث عن استقبال يثرون لموسى وترحيبه به وببنى إسرائيل وشكره للرب على خلاصهم، وإلا فما الذى جعل مؤلف «سفر العدد» يفعل ذلك وليس هناك أي إصحاح فيما قد سبق ما يشير إلى تبدّل حالة الصداقة والسلم تلك إلى هذه الحالة من العداء؟!... ولكنه هو يطلع علينا فجأة بقصة هذا الغزو والفتك بالمديانيين وسلبهم وسبيهم وتدمير مدنهم وإحراقها بهذه القسوة التى بلغت أقسى ماتبلغه القسوة من ألوان الإيذاء ليحمل إلينا الدليل الكافى على ماينطوى فى نفوس بنى إسرائيل من غلٍّ وحقد وشرّ ضدّ غيرهم من الشعوب والتذرّع بأتفه الأسباب إلى حربهم كهذه الذريعة التى ساقها هذا المؤلف، نفسه، من مادة تعلقّ إسرائيل«بعل فغور» وحملهم إليه نفس ماكانوا يحملونه إلى «يهوه» من الكباش والثيران! وهذا مما يجعلنا نقول إن نسبة هذا«السفر» إلى موسى إنما هى من أفدح المآخذ التى تؤخذ على مؤلف هذا«السفْر»!.. فإنّ هذه النصوص التى تجعل موسى، عليه السلام، يسخط على الرؤساء من إسرائيل لاستبقائهم الأطفال وبعض النساء هو الذى يدفع بنا إلى أن نعلى الصوت قائلين بأن صفة القداسة ترتد عن هذا «السفر» كل الارتداد والبرهان على ذلك هو نفس هذا المؤلف الذى لم يتورع من أن ينسب، افتراء كما اعتاد وتعود، هذا الفعل إلى موسى!.. بل وفى تطاول يأتى بفرية جديدة عليه، عليه السلام، فيقول بأن يومئذاك؛

«كلّم الربُّ موسى قائلا؛ احص النهب المسبى، من الناس والبهائم،أنت والبعاذار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة.. وارفع زكية للرب!.. نفساً من كل خمسمائة من الناس، والبقر والحمير والغنم من نصفهم تأخذونها وتعطونها لأليعاذار

الكاهــن!.. ومــن نصف بنــي إســرائيل تأخــذ واحــدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم من جميع البهائم وتعطيها للاويين.

ففعل موسى واليعاذار الكاهن كما أمر الرب موسى!.» (١)

والآن؟.. أليس هناك حد يمكن أن يقف عنده مؤلف«سفر العــدد» ؟.. كلا!.. إنما هــو يمعن فى الافتراء والأضاليل ويتوغل قائلا: بأن عند ذاك تقدم«الوكلاء» إلــى مــوسى؛

«.. فأخذ موسى وأليعاذار الكاهن الذهب منهم!..» (٢)

إلى أين سيذهب هذا المؤلف اليهودى بكل هذا «الذهب» ؟.

إن مؤلـف «سفرالعدد» قد سال فى يده الذهب فتغير عن ذى قبل حتى إنه إلى داخل«خيمة الاجتماع» قد بدأ الآن يُدخل الذهب!. فلا غرو من ثمَّ أن نراه يتوغل فى تضليله ويوغل فى ضلالته ويسطر بأن اليد الموسوية قد بدأت تمنح المنح، لابالذهب فحسب وإنما بالممالك!. فهو يجعلها تهب مملكتى «حشبون» و«باشان» لسبطى رأوبين وجاد وذلك عندما جاء يطلبان هذه المنحة بحجة أنهما أصحاب ماشية وأن تلك الأرض صالحة للرعى..

ولكن..! هذا المؤلف اليهودى الذى أسرع بمنح هذين السبطين هذه المنحة قد وجد نفسه أنه بفعله هذا قد تسرَّع!.. فلقد تراجع هذان السبطان، وبدلاً من أن يشد أزر باقى الأسباط راحا يصدان سائر إخوانهم عن مواصلة الترحال صوب الأردن.. ومن ثم كان حتما عليه أن يسطر؛

«قال موسى لبَنى جــاد ورأوبين؛ هــل ينطلق إخوتكم إلــى الحرب وأنتم تقعــدون هنا؟ لماذا تصــدون قلوب بنى إسرائيل عــن العبــورإلــى الأرض التــى أعطاهــم الرب؟!.

(١) الإصحاح ٣١«سفر العدد».
(٢) الإصحاح ٣١«سفر العدد».

هكذا فعل آباؤكم حين أرسلتهم من قادش فحمى غضب الرب فى ذلك اليوم وأقسم قائلا: لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر، من ابن عشرين سنة فصاعدا، الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب! لأنهم لم يتبعونى تماما!..

فحمى غضب الرب على إسرائيل وأتاههم فى البرية أربعين سنةً حتى فنى كل الجيل الذى فعل الشر فى عينى الرب!.

فهو ذا أنتم قد أقمتم عوضاً عن آبائكم.. أناس خطاة!.» (١)

ماهذا المنطق المعكوس؟! سؤال نلقيه إلى مؤلف هذا «السفر» قائلين: ألم يجد «يهوه» شعباً يختاره أصلح من هذا الشعب الذى يصفه بالشر ويصف سلالته بأناس خطاة؟!.. أم أن مافى الجماعة من صفات قد وافقت من هواه الهوى؟! سؤال نلقيه إلى هذا المؤلف الذى منح نفسه مطلق الحرية فى التكلم بلسان موسى، عليه السلام، غير أننا نراه فى شاغل عن الجواب بحصر عدد كل جماعة بنى إسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعدا ليكون جندياً فى إسرائيل!.. فلقد مضت أربعون سنة وجماعةُ إسرائيل تتحفز للانطلاق صوب «الأرض التى أعطاهم الرب» ومن ثم فلاغرو أن نراه يتناول قلمه ويجريه راسماً هذه الصورة التى سجلت:

❊ ❊ ❊
❊ ❊
❊

(١) الإصحاح ٣٢ «سفر العدد».

ارتسام رقعة «الأرض الموعودة» في إطار الفرات والنيل

فى تطاول امتدت يد مؤلف «سفر العدد» ترسم على قماش الزمن صورة «الأرض الموعودة» وفى تمادٍ نسبتها إلى موسى بل وفى افتراء سافر على هذا الرسول الكريم راح القلم فى هذه اليد يسطر بأن موسى هو القائل؛

«هذه هى الأرض التى تقع لكم نصيباً؛

أرض كنعان بتخومها!. إلى وادى مصر!.»(١)

وهكذا فى إطار الفرات والنيل ارتسمت رقعة «الأرض الموعودة» لوحةً وقف أمامها هذا المؤلف اليهودى يمنح نفسه مطلق السلطان فى تقسيمها بين أسباط إسرائيل وكيما يعطى قضيته صفة شرعية راح يقول: إن موسى هو «نفسه» قد تابع الكلام قائلا لبنى إسرائيل:

«هذه هى الأرض التى تقسمونها بالقرعة.. هذان اسما الرجلين اللذين يقسمان لكم الأرض؛ اليعاذار الكاهن ويشوع بن نون.»(٢)

لقد عرفنا أن اليعاذار هو ابن هرون وأما يشوع فلم يطلع علينا من قبل وله هذه الصفة الرسمية التى خلعها عليه هذا المؤلف حتى أنّه فوّض إليه أمر ارتفاعه إلى مرتبة خطيرة ذات شأن، وهذا مما يجعل الفكر منا يتحوّل بالانتباه إليه!..

ولكن، حتى يطلع علينا يشوع بن نون تحت صورة واضحة نرانا، ونحن فى صدد تقسيم هذه الأرض، لانتساءل؟ ماهو نصيب اللاّويين من هذه «الأرض» إلاّ ليلتقط منا المسمع هذا الجواب؛

«كلم الرب موسى فى عربات موآب.. قائلا؛ أوص بنى إسرائيل أن يعطوا للاّويين من نصيب ملكهم مدناً!. ومسارح للمدن!.

فتكون المدن لهم للسكن ومسارحها تكون لبهائمهم.

ثمانى وأربعين مدينة مع مسارحها!».(٣)

---

(١) الإصحاح ٣٤ «سفر العدد».
(٢) الإصحاح ٣٤ «سفر العدد».
(٣) الإصحاح ٣٥ «سفر العدد».

ولكن..

«المدن التى تعطون للاَّويين تكون ستا منها للملجأ..ثلاثاً من المدن تعطون فى عبر الأردن.وثلاثاً تعطون فى أرض كنعان».[1]

لماذا؟!

«لكى يهرب إليها القاتل.. القاتل الذى قتل نفساً سهواً..»[2]

وهنا يطرق الفكر منا بينما تستعيد المخيلة صوراً باهتة فى جبين الماضى البعيد، ولايقطع عليه هدأة هذه التأملات إلاصوت هذا المؤلف اليهوذى وقد عاودته حمى امتلاك«الأرض الموعودة» فيصيح؛

أى إسرائيل

«إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان..!»[3]

من ثم عليك، أى إسرائيل، أن تذكر ماقد سمعته من وصايا حينما.

«كلم الربُّ موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلا كلم بنى إسرائيل وقل لهم؛ إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم.. وتخربون جميع مرتفعاتهم!

تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها!.

وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً فى أعينكم، ومناخس فى جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها. فيكون إنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم!.»[4]

أى إسرائيل!.

إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان لتخرجوا أهلها منها وتمتلكوها.. وإذن .. دكوا

(١، ٢) المصدر نفسه.

(٣) الإصحاح ٣٣«سفرالعدد».

(٤) الإصحاح ٣٣«سفر العدد».

مشارف كنعان. اطردوا أهل البلاد من أرضهم، خربوا بيوتهم! أبيدوهم. اقتلوهم. إن إلهك، ياإسرائيل، يأمرك بذلك ولك يقول إنك إذا لم تأتمر بهذا الأمر فسيصنع بكم ماقد انتوى صنعه بهم!..

وائتمرت إسرائيل بهذا الأمر كما تحدثنا بذلك هذه النصوص التى تحمل الإلماح الكافى لأثر الوقائع التى جرت فعلا عند زحف بنى إسرائيل صوب«الأرض الموعودة».. فقد راحوا يشفون غلاً كان بين جوانبهم دفيناً وغيظاً كان فى صدورهم كظيما حتى ليمكننا القول بأن هذه النصوص هى فى واقعها رجع الصدى للوقائع التى جرت مع أهل البلاد من سكانها الأصليين.. فلقد زحف أبناء إسرائيل على غرب الأردن وتغلبوا على مساحة كبيرة فيها وقتلوا من قتلوا من الرجال بعد الأطفال والنساء كما يحدثنا بذلك هذا المؤلف اليهودى الذى يضاعف افتراءاته على موسى، عليه السلام،قائلا:

«هذه هى الوصايا والأحكام التى أوصى بها الرب إلى بنى إسرائيل عن يد موسى!.»(١)

ماهذا الهراء المبثوث على موسى عليه السلام؟!.. يقيناً إنه لهراء مبثوث على هذا الرسول الكريم وهذا مما يجعل الإيمان بقدسية هذه النصوص هو، بعينه، الكفر!. وكأنما هذا المؤلف قد أحس بأنه قد أفرط فى كفره فتراخت يده وهناً عن التسطير بينما قفز أمامنا مؤلف يهودى آخر أبى إلاَّ أن يلصق بموسى ماقد اقترفه رفاقه فى حق هذا الرسول الكريم، فهو يهب صائحاً بأن هذه هى حقاً؛

«شريعة إسرائيل!»

يطلع علينا هذا المؤلف اليهودى الجديد للسفر الخامس، من الكتاب المقدس للدين اليهودى الحالى، الحامل اسم«سفر التثنية»تارة واسم«سفر تثنية الاشتراع»تارة أخرى، مؤكدا بأن؛

«هذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع إسرائيل فى عبر الأردن.. ففى السنة الأربعين.. كلم موسى بنى إسرائيل حسب كل ماأوصاه الرب إلههم!.»(٢)

---

(١) الإصحاح ٣٦«سفر العدد».
(٢) الإصحاح الأول«سفر التثنية».

وأما ما هى هذه «الشريعة» ؟..وما الذى تحمله من قيم ومن معان؟. فسؤال بعد آخر نلقيه إلى هذا المؤلف الجديد، وإلينا منه يأتى الجواب عبر قلم فى يده جرى فصور موسى، عليه السلام، بصورة بزّ فيما أتى بها من ألوان الأضاليل من سبقوه من مؤلفى «الأسفار» إذ استرسل يقول:

«فى أرض مؤآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا: الرب إلهنا كلمنا فى حوريب قائلا؛ كفاكم قعوداً فى هذا الجبل! تحولوا وارتحلوا! وادخلوا جبل الأموريين وكل مايليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر!.. أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات!..»(١)

هذه هى«الشريعة»!.. وهذا ماتحمله هذه الشريعة من قيم ومن معـان لاتمثّل إلا صرخة أطلقها هذا المؤلف اليهودى فى ذلك الزمن البعيد، وما زال منها الصدى يجلجل فـى المسمع اليهودى حتى اليوم!.. فلم تكن هذه النصوص إلا الصرخة التى احتفـرت عقيدة امتلاك «الأرض الموعودة» فى الوعى اليهودى غداة هب هذا المؤلف اليهـودى يصيح؛

أى إسرائيل !. كفاكم قعوداً فلقد استكفيتم تقاعداً عن تحقيق حلم الآباء!. ازحفوا صوب«الأرض الموعودة».

وامتلكوها ائتماراً بما شرع لكم إلهكم من شريعة تقول:

«ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم.. أن يعطيها لهم!.»(٢)

وأما إذا سأل سائل وقال، ولماذا لم يعط الرب للآباء هذه«الأرض» وهو بإعطائهم إياها كان لهم قد أقسم؟ فإنما لذلك أسباب، وهى أنكم كنتم فى ذلك الوقت قلة، وأما الآن فإن؛

«الرب إلهكم قد كثركم!.»(٣)

---

(١) الإصحاح الأولى«سفر التثنية».
(٢) الإصحاح الأول «سفر التثنية».
(٣) الإصحاح الأول«سفر التثنية».

ومن ثم فالآن يستطيع هذا المؤلف الجديد أن يرسل صرخته وبلسان موسى، في افتراء عليه، يصيح؛

أى إسرائيل!... لقد كنا حفنة مبعثرة فى راحة الأيام وأما اليوم قد كثرنا إلهنا و:

«جئنا إلى جبل الأموريين الذى أعطانا الرب إلهنا. انظر! قد جعل الرب إلهك الأرض أمامك!

اصعد! تتملك، كما كلمك الرب!..

لاتخف! ولاترتعب!» (١)

وعلى هذا المنوال تجرى النصوص من هذا«السفر» وخاصة الاصحاحات الثلاثة الأوَل وهى ليست إلا تكراراً لما كان من سيرة بنى إسرائيل فى«برية سيناء» ومجريات الأحداث التى جرت عليهم منذ اتجاههم نحو شرق الأردن إلى أن استولوا على دويلتى «حشبون» و«باشان» مما ورد ذكره من قبل فى «سفر العدد».. فلاشىء جديداً فى هذه الإصحاحات الثلاثة إلا مايفيد بأن حركة اسرائيل واتجاهها نحو شرق الأردن كانت بعد انقضاء أربعين سنة من الارتحال عن مصر، وأن فى خلالها كانت فكرة«الأرض الموعودة» تودع فى أذهانهم حتى غدت عقيدة دينية وأما فى نهاية هذه الأربعين سنة ففى النصوص مايفيد بأنها قد أصبحت عقدة نفسية يزيدها على تعقيد تعقيداً صوت هذا المؤلف الذى يزيدنا إيماناً بأن على أجنحة الهوى قد شطح به الخيال وإلا فأى جنوح أكبر من التقول على موسى عليه السلام. والقول بأنه هوالمتحدث الى «يهوه» بهذه النصوص قائلا:

«وتضرعت إلى الرب فى ذلك الوقت قائلا؛ ياسيدى الرب قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة. أى إله فى السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك؟!..» (٢)

أىّ إسرائيل؛

«قد علمتكم فرائض وأحكاماً كما أمرنى الرب إلهى لكى تعملوا هذا فى الأرض التى أنتم داخلون إليها لكى تمتلكوها!

---

(١) الإصحاح الأول «سفر التثنية».

(٢) الاصحاح ٣ «سفر التثنية».

فاحفظوا واعملوا لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعب الذين يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون؛ هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن. لأنه أى شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا؟!» .(١)

أولا تذكرون ذلك «اليوم» ؟. وكيف لا تذكرون ذلك «اليوم» ؟.. إنّه؛

«اليوم الذى وقفتَ فيه أمام الرب إلهك فى حوريب حين قال لى الرب اجمع لى الشعب **فأسمعهم كلامى**...»(٢)

ألا تذكرون حينما؛

«تقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب؟ فكلمكُم الرب من وسط النار!..(٣)

حقيقة إنكم؛

«لم تروا صورة بل صوتاً» .(٤)

ولكن!..

«هل سمع شعب صوت الله وتكلم من وسط النار كما سمعت أنت؟!..»(٥)

كلا!.. هذا جواب لسؤالٍ ترتد عنه الشكوك!.. فمن اليقين إنه لم يسمع أحد«صوت الله» حتى ولا جماعة اسرائيل!.. ولكن هذا المؤلف اليهودى كان يعلم تمام العلم أن هذا كان معتقد العصر الذى كان يعيش فى خلاله ذلك الجيل من أبناء اسرائيل. ومن هنا راعى ذلك عندما غمس بمداد الخرافات قلمه وأجراه مسطراً هذه النصوص التى نجد لها نظائر مسجلة على الصحف الصلصالية التى ألقتها إلينا المعاول الأثرية بين الرافدين، وبالتالى، على البرديات التى احتفظت لنا بها يد الزمن فى وادى النيل حيث ساد هذا

(١) الاصحاح ٤ «سفر التثنية».
(٢) الإصحاح ٤«سفر التثنية».
(٣) الإصحاح ٤«سفر التثنية».
(٤) الإصحاح ٤«سفر التثنية».
(٥) الإصحاح ٤«سفر التثنية».

المعتقد الوادى خلال العصور التاريخية قاطبة وخـاصة عصر الرعامسة، وهو المعتقد القائل بأن المعبود يتجلـى مـن خـلال النار..فهنـاك بردية تعـود بكتابتها إلـى عهد «رع موسى» الثانى تقول؛

«فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة لايقتربنّ أحد من النار.. لأن الإله رع قد تجلى ذلك اليوم فى النار!.»

ومن ثم فيقيناً إن هذا المؤلف اليهوذى حينما سطر هذه السطور قد راعى هذا الاعتبار لاسيّما وقد كانت مصـر القديمة تحتفل كل عام بذكرى هذا التجلى للاله رع فـى النـار احتفالها بذكـرى أخـرى مماثلة وهـى تجلـى الرب«أوزيـر» أيضاً، مـن خلال النـار!.

ومن هنا نعلم أن هذا المؤلف اليهوذى وهو يحدث قومه بهذا الحديث لم يأت بحديث على مسامعهم غريب ولذلك نراه وهو يسجل أضاليله هذه قد تناولها الخيال منهم بالتجسيم ثم بمددٍ من شطحات الخيلة جرت يده فسطرتها نصوصاً «مقدسة» تتحدث عن أشياء، وكأنما هى قد وقعت بالفعل.. كما بذلك يطلع علينا ونحن نتابع إليه الإصغاء بينما يسترسل فى افترائه ويقول إن موسى هـو، نفسه، الذى لإسـرائيل قـد قال؛

أى إسرائيل!. لقد اختارك الرب شعباً مقدساً ولذلك؛

«من السماء أسمعك صوته!.. وعلى الأرض أراك ناره!.. وسمعت كلامه من وسط النار!..»(١)

أف!

أف لهـذا المؤلف وأف مـن افتـراءاته علـى مـوسـى، وهـو عليه يتقـول ويُمْعن فـى تطـاوله عليه فيقـول: إنـه قـد دعـا جميـع إسرائيل وقـال لهـم؛ أولا تذكـرون يـوم؛

«.. *سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار؟!..*»(٢)

---

(١) الإصحاح ٤ «سفر التثنية».

(٢) الإصحاح ٥ «سفر التثنية».

فى ذلك اليوم؛

«تقدمتهم إلى وقلتم.. هو ذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار!.. فتقدم أنت واسمع كل مايقول لك الرب إلهنا وكلمنا. بكل مايكلمك الرب إلهنا نسمع ونعمل.

فسمع الرب صوت كلامكم حين كلمتونى وقال الرب لى؛ سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب الذى كلموك به. قد أحسنوا فى كل ماتكلموا ياليت قلبهم كان هكذا!.

إذهب وقل لهم؛ ارجعوا إلى خيامكم..

وأما أنت فقف هنا معى فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التى تعلمهم فيعملونها فى الأرض التى أنا أعطيهم ليتملكوها!.»(١)

هراء!..

هراء عجيب هذا الهراء اليهودى الحامل فى نفسه البرهان على أنه الافتراء بعينه على موسى عليه السلام ولذلك فكل تعليق فى هذا الصدد إنما هو قاصر على عمل العقل وإعمال الفكر.. وأماما هى هذه«الوصايا والفرائض والأحكام» التى يعلمها «إله إسرائيل» لموسى، على حد افتراء هذا المؤلف، ليعلمها موسى بدوره لإسرائيل وليعمل بها هذا «الشعب» الذى أحسن فيما تكلم وليت قلبه كان مثله لسانه؟.. فذلك افتراء آخر على موسى يأتى به هذا المؤلف القائل بأن موسى لإسرائيل قد قال؛

«هذه هى الوصايا والفرائض والأحكام التى أمر الرب إلهكم أن أعلمكم فى الأرض التى أنتم عابرون إليها لتمتلكوها!.

اسمع يا إسرائيل!..

متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى حلف لآبائك، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أن يعطيك إلى مدن عظيمة وجيدة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها، وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها.

وأكلت وشبعت..

---

(١) الإصحاح ٥ «سفر التثنية».

فاحتزرا.. لاتسر وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم لأنّ الرب إلهكم إله غيور فى وسطكم، لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض!..

احفظوا وصايا الرب إلهكم».(١)

يقيناً أن هذه لنصوص أخرى هى، أيضاً، إلى التعليق فى غير حاجة!. فهى بما تحمله من منطق معكوس تقدم البرهان الدامغ على انتفاء القدسية عنها.. غير أن فيها بما تحمله من وصف لأرض كنعان تنويه بما كانت عليه هذه «الأرض الموعودة» من عمران وخاصة غرب الأردن الذى كان يومذاك الهدف الرئيسى لإسرائيل. ولكن؛ ماهى«وصايا إله إسرائيل لإسرائيل» ؟.

من شفتى هذا المؤلف اليهوذى يأتينا الجواب فيأتينا بافتراء آخر على موسى جديد إذ يتقول عليه قائلا بأنه قام فى إسرائيل ينادى؛

ياإسرائيل!.

«متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك.. وضربتهم فإنك تحرّمهم!

لاتقطع لهم عهداً!

ولاتشفق عليهم!.»(٢)

اسمع؛

«اسمع ياإسرائيل! أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك.. فتطردوهم وتهلكوهم سريعاً كماكلمك الرب!..»(٣)

ولكن!.

«لاتقل فى قلبك».. لأجل أنى برىء أدخلنى الرب لامتلك هذه الأرض!.. ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم!بل لكى يفى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك!..

---

(١) الإصحاح ٦«سفر التثينية».

(٢) الإصحاح ٧«سفر التثنية».

(٣) الإصحاح ٩ «سفر التثنية».

ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة!..»[١]

لاشك، ياسرائيل، إنك«صلب الرقبة»!. لابرّ في طبعك ولاعدالة في قلبك!.

أولا تذكر، يا إسرائيل، ماذا قد فعلت؟!

«اذكر! لاتنس كيف أسخطت الرب إلهك في البرية من اليوم الذى خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيت إلى هذا المكان كنتم تقاومون الرب!.

حتى في حوريب أسخطتم الرب، فغضب الرب عليكم ليبيدكم!..»[٢]

ما هذا الخلط؟.. وماهذا العبث؟!.. وماهذه الترهات التى ينتشر عنها هذا السفر الأخير من هذا الكتاب«المقدس» الذى يعتمد عليه يهود العالم كل الاعتماد في ادعائهم بملكية رقعة من الأرض يسمونها«أرض الآباء!.»

ثم أى كفر هذا الذى يتمرغ فيه مؤلف هذا «السفر» وهو يواصل التسطير في الفتراء على موسى إذ يجعله هو المتحدث بهذه النصوص التى تحمل البيان الكافى للخطة الوحشية التى يجب على بنى إسرائيل أن يسلكوها مع أهل البلاد من سكان هذه الأرض الموعودة؟!.. ففى هذه النصوص بيان صارخ للخطة الإرهابية التى اعتزمتها اسرائيل نحو أهل البلاد من سكانها الأصليين واتجاه غادر نحو العدوان المباشر الهادف إلى إبادة السكان في غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة واحدة هى أنهم غير أصحاب«الأرض الموعودة» دون ماإنذار ولادعوى إلى سلم مما يسجل على إسرائيل قسوة جامحة مصدرها، ولاشك، الفكرة الاختصاصية وسياسة العزلة التى تأصلت فيهم وكانت من أسباب عقدهم النفسية والتى، ولاجدال، كانت أقوى مظاهر ماانبثق عن نفوسهم من عداء كظيم لغيرهم من الناس.. ونظرة واحدة نلقيها على هذه النصوص تأتى إلينا باليقين على انتفاء القدسية عنها ودليلنا هو هذا المنطق المعكوس الذى يجعل هذا«الرب» يصف هذه الجماعة بقسوة القلب وعدم البرّ «وصلابة الرقبة» والشر ثم يختارها شعباً دون سائر الشعوب!

(١) الإصحاح ٩«سفر التثنية».
(٢) الإصحاح ٩«سفر التثنية».

ماهــذا السفـه؟!.. لاشك فى أن مؤلف هذا«السفر» قد بزّ رفاقه فى الافتراء على موسى لاسيما وهو يروحُ مؤكداً مـاقد أتوا به مـن ترهات هـى لا يستسيغها منطـق فحسب وإنما لايقبلها عقل طفل!. وإلا فلنصغ إليه وهـو يوالى علـى موسـى افـتراءاته ولنستعن بمـدد الصبر عليه ونحن نسمعه يحدثنا بأن موسى قد اتجه يخاطب إسرائيل قائلا:

ياأيها القوم الخطاة! ألا تذكرون:

«حين صعدت إلى الجبل لكل آخذ لوحى الحجر.. أقمت فى الجبل أربعين ليلة لاآكل خبزاً ولاأشرب ماء.. وفى نهاية الأربعين.. قال لى الرب قم انزل عاجلا من هنا لأنه قد فسد شعبك!.. هذا الشعب شعب صلب الرقبة! اتركنى فأبيدهم!.

فانصـــرفت ونــزلت مـن الجبل.. فنظــرت وإذا أنتم قـد أخطـأتم إلـى الـرب إلهـكم!.. ثـم سقطت أمام الـرب، كالأول ، أربعين ليلة لاآكل خبزاً ولاأشرب مـاء! مـن أجـل كل خطـايـاكم التـى أخطـأتم بها بعملكم الشـر أمـام الـرب لإغاظتـه!» .(١)

وأما لماذا «سقطت أمام الرب»؟ فليس ذلك إلا:

«لأنى فزعت من الغضب والغيظ الذى سخطه الرب عليكم ليبيدكم! وصلّيت للرب وقلت: ياسيد الرب لاتهلك شعبك وميراثك!..

لاتلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيته!.

لئلا تقول الأرض التى أخرجتنا منها إن الرب لم يقدر أن يدخلهم الأرض التى كلمهم عنها..»(٢)

ولكن!..

«على هرون غضب الرب جداً ليبيده!.»(٣)

---

(١) الإصحاح ٩ «سفر التثنية».
(٢) الإصحاح ٩ «سفر التثنية».
(٣) الإصحاح ٩ «سفر التثنية».

أية فرية على موسى، عليه السلام، أشد فداحة من هذه الفرية التى يرتكبها هذا المؤلف فى حق هذا الرسول الكريم إذ يصوره متجهاً إلى إسرائيل يحدثها بمثل هذه الخزعبلات التى، ولاشك، ليست إلا من أوهام هذا المؤلف الذى لم يكفه، بعد، كل ماقد افتراه على موسى وإنما هو يمضى فى تقوله عليه ويقول إنه قد استرسل فى حديثه لإسرائيل قائلا؛

«وسمع الرب لى تلك المرة أيضاً، ولم يشأ الرب أن يهلكك ثم قال لى الرب؛ قم اذهب للارتحال أمام الشعب ليدخلوا ويمتلكوا الأرض التى حلفت لآبائهم إن أعطيهم!.

فالآن ياإسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك؟» (١)

أى إسرائيل!

أن الرب إلهك لايطلب منكم إلا أن؛

«تدخلوا وتمتلكوا الأرض التى أنتم عابرون إليها..

فتأكل.. وتشبع!..» (٢)

من ثم تشددوا جميعاً وإلى «الأرض الموعودة» شدوا الرحال جميعاً فإنكم؛

«تأكلون هناك!.. وتفرحون بكل ماتمتد إليه أيديكم!..

من كل ماتشتهى نفسك تذبح وتأكل لحماً!..» (٣)

ثم؛

«هذه هى الفرائض والأحكام التى تحفظون لتعملوها فى الأرض التى أعطاك الرب.. تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التى ترثونها آلهتها على الجبال!.» (٤)

هكذا يقول لكم، أى إسرائيل، إلهكم «يهوه» الذى عبدتموه، أول ماعبدتموه وقبل أن تنقلوه إلى «الخيمة»، على الجبال!.

---

(١) الإصحاح ١٠ «سفر التثنية».
(٢) الإصحاح ١١ «سفر التثنية».
(٣) الإصحاح ١٢ «سفر التثنية».
(٤) الإصحاح ١٢ «سفر التثنية».

ومن ثم فإذا دخلت«الأرض» وطردت سكانها؛

«فاحترزا.. من أن تسأل عن آلهتهم قائلا كيف عبد هؤلاء الأمم آلهتم؟ فأنا، أيضاً، افعل هكذا. لاتعمل هكذا!.»(١)

أولا تذكر، ياإسرائيل، يوم طلبت من هرون أن يصنع لكم عجلا مسبوكا فغضب الرب عليكم وعلى هرون؟.. من ثم فاصغ! اصغ جيداً إلى هذا النص الذى ينسبه هذا المؤلف اليهودى إلى موسى،زوراً وافتراء وبهتاناً، قائلا بأن موسى قد قال؛

«إذا أغواك سراً أخوك.. قائلا؛ نذهب ونعبد آلهة أخرى.. من آلهة الشعوب الذين حولك.. فلا ترض عنه ولاتسمع له ولاتشفق عليه ولا ترق له.. بل قتلا تقتله!..»(٢)

حتما، أمام هذه النصوص، نجد الفكر منا مدفوعا إلى استعادة ماقد رواه ذلك المؤلف الآخر، الذى سبق هذا المؤلف، من ترّهات يوم راح يروى لنا رواية صعود موسى بهرون إلى قمة«هور».. بينما الفكر منايواصل التأمل فى إصحاحات هذا«السفر» الذى يشتمل معظمه على تحذير من الأنبياء والرائين الذين يدعون إلى عبادة رب آخر غير«يهوه» آله اسرائيل بل وإيجاب قتلهم حتى، ولو ظهرت على أيديهم«معجزات»! لذلك اصغ، ياإسرائيل إلى هذا الحكم؛

«إذا قام فى وسطك نبىّ أو حالم حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة.. فلا تسمع.. ذلك النبىّ أو الحالم يُقتل!..»(٣)

هذا النص هو سر سياسة العدوان التى لقى بها كل«نبى» لا يدعو إلى عبادة«يهوه» إله إسرائيل الجفوة من إسرائيل ومن أشهر ضحاياهم كان المسيح عليه السلام نفسه!.. فقتلا يقتل كل «نبى» وقتلا يقتل حتى الأخ إذا أغوى أخاه، سرّاً، إلى عبادة رب آخر غير«إله إسرائيل».. بل وحتى إسرائيل؛

---

(١) الإصحاح ١٢«سفر التثنية».
(٢) الإصحاح ١٢ «سفر التثنية».
(٣) الإصحاح ١٣«سفر التثنية».

«إن سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً.. تذهب وتعبد آلهة اخرى. فضرباً تضرب سكان تلك المدينة وبحد السيف وتحرمها بكل مافيها مع بهائمها بحد السيف! تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة!». (١)

لماذا؟.. إليك الجواب؛

«لأنك شعب مقدس!.اختارك الرب لكى تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب!..» (٢)

كلا!.

كلا، لانسل ياإسرائيل لماذا اختارك الرب واختصك بهذا التفضيل على الرغم من شرور فى قلبك وانحرافات فى طبعك وصلابة فى العنق وانحلال فى الخلق!!

كلا، لاتسل يا إسرائيل لماذا؟.. وأما إذا ألححت بالسؤال فاعلم بأن ذلك ليس إلا لكى تكونوا جبهة قوية ضد كل الشعوب التى؛

« .. إذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف!..

وإما النساء والأطفال والبهائم وكل مافى المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك!

هكذا تفعلون بجمع المدن البعيدة، منك جداً التى ليست من مدن هولاء الأمم هنا وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما!..» (٣)

اسمع!...؛

---

(١) الإصحاح ١٤ «سفر التثنية».
(٢) الإصحاح ١٤ «سفر التثنية».
(٣) الإصحاح ٢٠ «سفر التثنية».

«اسمع ياإسرائيل ! أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم! لاتضعف قلوبكم لاتخافوا!..

حين تقرب من المدنية لكى تحاربها استدعها للصلح.

فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك!

وإن لم تسالمك.. فحاصرهاوإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف!.»(١)

يقيناً إنه لنص رهيب إنما هو هذا النص الذى يأمر باستعباد جميع شعوب المدن التى توافق الاستسلام وهذا قاصر على المدن البعيدة أولاً دون مدن«أرض كنعان» التى يقع على ذكورها الحكم قتلا بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع مافى المدينة فيكون غنيمة لرجال إسرائيل!.

هذا هو قانون الحرب عند إسرائيل وهذا هو دستور الذى ينم عن مشاعر سفاحة عطشى إلى الدم ممَّا يعطينا صورة واضحة بل وفكرة شاملة عن نوايا«إسرائيل» فى عصرنا الحاضر تجاهنا وتجاه سائر الشعوب من غير اليهود فى اتباع لخطى هؤلاء الذين راحوا يزحفون صوب«الأرض الموعودة»وبين جوانبهم تصطلى نيران الغلّ والحقد وفى سمعهم يدوى هذا الصوت الصارخ؛

افعل!..

افعل «كما أمرك الرب إلهك!..»فإنما هذه هى؛

«كلمات العهد التى أمر الرب موسى أن يقطع مع بنى إسرائيل فى أرض مواب فضلاً عن العهد الذى قطعه معهم فى حوريب!»(٢)

لاجدال فى أن هذه السلطة التى يطلع بها علينا قانون الحرب فى إسرائيل إنما هى سلطة مطلقة كانت مقصورة عند ذاك على أصحاب العروش وأما موسى، عليه السلام،

(١) الإصحاح ٢٠ «سفر التثنية».
(٢) الإصحاح٢٨ «سفر التثنية».

فلم يكن من أصحاب العروش حتى يستطيع هذا المؤلف الافتراء عليه فيقول بأنه قد أمر بإطاحة الرؤوس!.. بيد أن مؤلف«سفر التثنية» وهو الذى افترى على موسى كل هذه الافتراءات، لم يضره أن يصور موسى متوثباً لاعتلاء عرش بل ويتمادى فيصوره مهيئاً الأفئدة من هذه الجماعة إلى هذا الأمر.. ومن هنا راح يتقول عليه قائلا بأنه قد اتجه إلى إسرائيل، وقد شارفوا مشارف«الأرض الموعودة» ، يناديهم؛

يا إسرائيل!..

«متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها فإن قلت أجعل علىَّ ملكا كجميع الأمم الذين حولى فأنت تجعل عليك ملكا الذى يختاره الرب إلهك. وعندما يجلس على كرسى مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب!.»(١)

بهذا النداء، على حدَّ ادعاء الرواية المفتراة، نادى موسى إسرائيل- بينما كانت يده قد انتهت من كتابة نسخة من هذه الشريعة فى كتاب هو هذه التوراة.. فلقد؛

«كتب موسى هذه التوراة» ..(٢)

حتى المدى امتد بهذا المؤلف اليهودى التمادى فى حق موسى، عليه السلام، فأبرزه فى صورة هو منها برىء.. ولكن! . الذى قد دار بعد فى مخيلة هذا المؤلف فأمر مستتر إذ أننا نراه فجأة وبدون سابق مقدمات يتغير

فى يده الأسلوب وتتغير العبارة وبعد أن حاول إعلاء موسى على عرش عاد وعاودته شطحاته أشدّ عن ذى قبل وراح يلتف من حول شخصية أخرى بينما كان القلم فى يده يجرى مُسجّلاً؛

❋ ❋ ❋
❋ ❋
❋

(١) الإصحاح ١٧ «سفر التثنية» .
(٢) الإصحاح ٣٠ «سفر التثنية» .

بروز يشوع بن نون
في إطار التاريخ الإسرائيلي

مرة واحدة وفى تحول عجيب تحول مؤلف«سفر التثنية» عن موسى بن عمران إلى يشوع بن نون وبينما بدأ يجلى عن يشوع سحب الزمن بدأ يجمعها من حول موسى بل والى غيوم راح يحيك هذه السحب من حول موسى فى تكتل رهيب ويجعل مصدرها هذا الذى كان من الجواسيس الذين استكشفوا مكامن«أرض كنعان» ثم ارتفع إلى تلك المرتبة التى منحته حق تقسيم هذه «الأرض» بين أسباط إسرائيل ولكن، يأبى هذا المؤلف أن يستهل حديثه عن يشوع إلا ببهتان جديد يضاعف به من افتراءاته على موسى، عليه السلام، لا لأن هذا المؤلف جاء بنصوص تصور لنا يشوع فى صورة أكثر إعجازاً وأقوى من موسى شخصية فحسب وإنما لأن هذه النصوص تشير إلى بروز يشوع فى إطار التاريخ الإسرائيلى فى أعقاب كتابة موسى هذه التوراة وأثر نظرة خفية انسدل على أثرها الجفن من يشوع قام بعدها فأقبل على موسى يوعز إليه بالانتقال إلى مداولة سريعة؛

«فانطلق موسى ويشوع ووقفا فى خيمة الاجتماع».(١)

لماذا؟! هذا سؤال يأتى الجواب عنه من النصوص التى يسرى من ثناياها فحيح التهامس بأن نهاية موسى قد أمست وشيكة الوقوع!.

كيف؟..

هذا ما سيصوره لنا هذا المؤلف بعد أن يمهد له بمقدمة يصور بها اتجاه إسرائيل بكليتها إلى الصوت من موسى وهو ينطلق، فى تلك اللحظات، ينادى؛

ياإسرائيل؛

«اجمعوا لى كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض!.»(٢)

---

(١) الإصحاح ٣١«سفر التثنية».

(٢) الإصحاح ٣١ «سفر التثنية».

وأما ماهى هذه«الكلمات» ؟ فها هى ذى؛

ياإسرائيل ايا؛

«جيل أعوج ملتو!

الرب تكافئون بهذا ياشعباً غبياً غير حكيم؟!..

أمة عديمة الرأى ولابصيرة فيهم! لو عقلوا لفطنوا!.» (١)

يقيناً إن يهود العالم أجمع لو عقلوا لفطنوا إلى مدى افتراءات هذا المؤلف الذى جاء يُحدثهم هذا الحديث عن ذلك«اليوم» الذى جاء انقضاؤه بغدٍ، غدا بعده موسى طيفاً فى أفق التاريخ!.

أين موسى؟!

سؤال. جعله مؤلف«سفرالتثنية» يدوى فى أرجاء محلة إسرائيل وجعل جوابه سبابة يشوع وهى إلى قمة«عباريم»فى جبل«نبو» تشير؛

هناك؛

هناك، فى قمة«عباريم» من جبل«بنو»موسى!.

إذن. متى سيعود موسى؟..

سؤال آخر جعله هذا المؤلف يدوى فى كل خيمة من خيام إسرائيل والعين من هذه الجماعة قد علقت بتلك القمة التى كانت السبابة من يد يشوع إليها تشير بينما انطلق الصوت منه بين هذه الجماعات يصيح؛

إن موسى لن يعود!..

لماذا؟!..

سؤال آخر كان جوابه الصوت أيضاً من يشوع الذى ارتفع؛ لأول مرة، جهيراً يقول لقد؛

«كلم الربُ موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا؛ اصعد إلى جبل عباريم هـذا جبل نبو

---

(١) الإصحاح ٣٢«سفر التثنية».

فى أرض موآب الذى قبالة أريحا وانظر أرض كنعــان التى أنا مُعطيها بنــى إســرائيل ملكا.

ومت فى الجبل!..»(1)

إذن، لقد مات موسى؟!

ولكن!. كيف مات موسى؟!..

ومن شفتي يشوع بن نون جاء الجواب؛ وعلاَم العجب وقذف سؤال بعد سؤال؟.. فلقد مات موسى فى جبل نبو تماماً؛

«كما مات هرون فى جبل هور!.»(2)

وهنا..

هنا يطرق الفكر منّا وأما الشفاه فتؤثر الصمت على الكلام بينما يلتقط المسمع منا من هذا «السفر» أصداء صرخة دوت فى المخلة وأما رجع صداها فكان أسئلة ترف من جديد على الشفاه انحصرت فى كلمة واحدة وهى؛

لماذا أمر «الرب» بموت موسى؟!

عن هذا السؤال يأتى الجواب من شفتى هذا المؤلف الذى لم يكن صرير قلمه إلاَّ رجع الصدى من صوت يشوع القائل؛ أتدرون لماذا أمر الرب بموت موسى؟!.. إنكم لاتدرون ماذا قد حدث؟..

لقد؛

«كلمّ الربُّ موسى قائلا؛

مت فى الجبل!. كما مات هرون أخوك فى جبل هور.. **لأنكما خنتمانى!..»**(3)

أستغفر الله!.. ولكن، كيف؟.

كلاَّ!.. لن نظفر من هذا المؤلف اليهودى بجواب مالم نجاره مجازاً فى منطقه المعكوس

(1) الإصحاح ٣٢ «سفر التثنية».
(2) الإصحاح٣٢ «سفر التثنية».
(3) الإصحاح ٣٢ «سفر التثنية».

فنقول: لقد قلتم إن هرون، عندما صاغ العجل، قد خان مرة الرب وأما موسى؟! متى خان موسى الرب؟!.

وفى كفر صارخ يأتينا الجواب من هذا «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الذى يختتم روايته عن وفاة موسى رامياً إياه بالخيانة رمسجلاً على نفسه هذه النظرة إليه بصوت هذا المؤلف اليهودى الذى جاء بالجواب المؤكد أن موسى قد خان الرب:

«عند ماء مريبة قادش! فى برية صين.»(1)

يقيناً إن هذا المؤلف اليهودى إذ يعود بنا إلى «ماء مريبة» فليس ذلك إلا ليذكرنا بما قد أتى به، نفسه، من افتراءات لحظةَ تصور أن العين من يشوع قد تنبهت إلى اليد من موسى فى نفس اللحظة التى انفضت من كتابة «نسخة من التوراة» !.

إلى تلك اللحظة التى استهل هذا المؤلف اليهودى نصوصه المفتراة هذه فصوّر لنا موسى وقد وقف فى خلالها وفى المخيلة منه ترتسم رقعة «الأرض الموعودة» والحلم بتحويلها من أرض موعودة إلى أرض لإسرائيل «مملوكة» يقوم عليها لإسرائيل ملك يستهل أول خطوة إلى عرشه بكتابة «نسخة من التوراة» يعود بنا هذا المؤلف فيصوّر لنا فيها العين من يشوع بن نون وقد استقرت على موسى استقراراً كان له فى مخيلة هذا المؤلف نتيجته التى أضاف بها إلى افتراءات منه سبقت افتراء آخر تمثل فى تصويره لموسى صاعداً إلى حيث لم يعد من هناك أبداً بينما ارتفعت قبضة يشوع وأطبقت بمخالبها على عنق إسرائيل وبينما كان فى سفح الجبل صوت ينطلق فى جماعة إسرائيل قائلا بأن موسى كان قد قال:

«الربُّ إلهنا كلمنا فى حوريب قائلا: كفاكم قعوداً فى هذا الجبل تحولوا ارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل مايليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر.. أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات!.. ادخلوا وتملكوا الأرض..

لكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم وتمرمرتم فى خيامكم..

---

(1) الإصحاح ٣٢ «سفر التثنية».

وسمع الربُّ صوت كلامكم فسخط وأقسم قائلا: لن يرى الناس من هذا الجيل الشرِّير الأرض الجيدة التى أقسمت أن أعطيها لآبائكم!..

وعليَّ، أيضاً، غضب الرب بسببكم قائلا: وأنت لاتدخل إلى هناك!

يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل إلى هناك!..»(١)

ثم إن موسى قد واصل الكلام قائلا، ولقد:

«تضرعت إلى الرب فى ذلك الوقت قائلا: ياسيد الرب أنت قد ابتدأت تُرى عبدك عظمتك ويدك الشديدة.. دعنى أعبر وأرى الأرض الجيدة التى فى عبر الأردن، هذا الجبل الجيد ولبنان.

ولكن!

الرب غضب عليَّ بسببكم ولم يسمع لى! بل قال لى الرب كفاك! لاتعد تكلفنى فى هذا الأمر!.. لاتعبر هذا الأردن وأما يشوع.. هو يعبر!..»(٢)

نعم!.. لقد:

«غضب عليَّ الرب بسببكم وأقسم أنى لاأعبر الأردن ولاأدخل الأرض الجيدة التى يعطيك إلهك نصيباً! فأموت أنا فى هذه الأرض لا أعبر الأردن!.»(٣)

ماهذا العبث بالعقول الذى يجىء به هذا المؤلف اليهوذى بنصوص يسيجها بالقدسية طالباً من العالم تصديق هذا المنطق المعكوس؟!. بل وما هذه الافتراءات على موسى، عليه السلام، التى تزداد عليه بهتاناً فتقول:

«قال الرب لموسى: خذ يشوع بن نون.. وضع يدك عليه. وأوقفه قدام اليعاذار الكاهن.. لكى يسمع له كل جماعة بنى إسرائيل.. حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون!.»(٤)

---

(١) الإصحاح الأول «سفر التثنية».

(٢) الإصحاح ٣ «سفر التثنية».

(٣) الإصحاح ٤ «سفر التثنية».

(٤) الإصحاح ٢٧ «سفر التثنية».

ولكن.. هنا نرانا نطرق، للحظات، أمام هذا الانقلاب الواضح الذى جعل فيه مؤلف«سفر التثنية» اليد من يشوع بن نون بمؤازرة اليعاذار، ابن هرون، الكاهن الأكبر تتناول مقاليد الحكم تناولاً مكنها من أن تشير إلى قمة «جبل بنو»وبإسرائيل تصيح كفوا أسئلة فإنه كما من قبل قد طوى«هور» هرونَ فقد طوى«نبو» موسى!.

وهكذا طَوَت هذه التوراةالمفتراة لموسى، عليه السلام، حياة!.

ولكن!..

لئن طويت الحياة الموسوية تحت هذه الصورة التى رسمتها شفتا يشوع بن نون وغدا موسى بعدها طيفاً فى أفق التاريخ فليس إلا لتهب عن حوله للزمن أنفاس رفرفت عليه بقداسة خلت منها هذه«الأسفار الخمسة» المعروفة باسم التوراة!.. هذه التوراة التى تنسب إليه زوراً وبهتاناً والتى تحمل البرهان القاطع على أن الدين اليهودى الحالى، بنظرته هذه إلى موسى، لاعلاقة له بموسى على وجه الإطلاق!..

وكيف؟!..

إن هذا التوراة التى بين أيدينا، وهى مصدر العقيدة للدين اليهودى الحالى، تَعتبر موسى خائناً غضب الرب عليه وأمر بموته جزاء خيانته.. فكيف، بعد ذلك، يمكن أن ينسب هذا الدين اليهودى الحالى إلى موسى؟!.

إذن؟!.

إلى من ينسب هذا الدين اليهودى الحالى؟.. إن هذا ماستكشف عنه هذه التوراة نفسها وستفصح بنصوصها عن أن هذا الدين اليهودى الحالى لايعود بمصدره إلا إلى ذاك الذى تولى قيادة بنى إسرائيل إثر وفاة موسى عليه السلام.. ذاك الذى اتخذ من موسى قاعدة بنى عليها له سلطان تحول بها موسى إلى مجرد رمز بينما أسلس العَنق الإسرائيلى لقبضته العنان.. ذاك الذى ببروزه على صفحة التاريخ اليهودى بدأ فى الواقع تاريخ هذا الدين وكان أن بدأت، بالفعل، حياة عقيدة«الأرض الموعودة»..

هذا هو، فى واقع الأمر، الأمر الصحيح!..

بوفاة موسى آل أمر بنى إسرائيل إلى يشوع وهذه حقيقة يحدثنا بها مؤلف يهودى آخر أبى إلا أن يطلق على كتابه اسم:«سفر يشوع».. ففى هذا السفر، المتصل بالتوراة اتصالا وثيقاً والذى يكوِّن معها وحدة مؤتلفة مما حدا بكثير من العلماء إلى اعتبار التوراة ستة

أسفار لاخمسة، نمسك بخيوط الأحداث التي عقدت في جبين الزمن عقدة هذا الدين اليهودي الحالي وليس ذلك لأننا نجد فيه المصادر المختلفة للتوراة فحسب ولا لأنها قد مزجت فيه مزجاً فحسب وإنما لأن الحقيقة تطلع علينا من ثناياه صارخةً تقول؛ إنَّ بني إسرائيل قد انحرفوا بعد وفاة موسى إلى يشوع انحرافاً أصبح فيه موسى ليس إلاَّ مجرد رمز بينما أمسى يشوع هو القائد الحربي الحقيقي والزعيم الديني لبني إسرائيل والبرهان على ذلك هو هذا الاعتراف الصادق الذي يسجله مؤلف«سفر يشوع» عندما أبرز يشوع في صورة أكثر إعجازاً وأقوى شخصية من موسى.. فهو يقص علينا قائلا؛

«كان بعد وفاة موسى أن الرب كلم يشوع بن نون.. قائلا: موسى عبدي قد مات فالآن قم اعبر هذا الأردن، أنت وكل هذا الشعب، إلى الأرض التي أعطيها لهم لبني إسرائيل!.. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات!..

ولايقف انسان في وجهك كل أيام حياتك.. كل إنسان يعصي قولك ولايسمع كلامك في كل ماتأمره يقتل!»(١)

إن مؤلف «سفريشوع» يريد بنصوصه هذه أن يقول لنا إنه تماما كما كلم الرب موسى من قبل كلم الرب يشوع من بعد وليتخذ من هذا القول نقطة بداية يسير بها حتى النهاية مرسلا القول على عواهنه ليقول بأن الرب إذا كان قد أجرى على يد موسى معجزات فإنه آثر يشوع بمعجزات أعظم!. إذاكان موسى قد آثره الرب بمعجزة شق البحر فإنما يشوع قد بزه بمعجزات أكبر!.. فلقد توقف ماء الأردن وانفلق لكي يمر عليه يشوع يقود بنى إسرائيل من ورائه!.. وهذا بالإضافة إلى المعجزة الكبرى عند مدينة جبعون عندما تعطل مسير الأفلاك بإشارة من يد يشوع وتوقفت حركة الكون ائتماراً بأمريشوع.. فلقد تكلم يشوع؛

«وقال أمام عيون إسرائيل؛ ياشمس دومي على جبعون وياقمر قف على وادي إيلون. فدامت الشمس ووقف القمر.. وقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل!..»(٢)

---

(١) الإصحاح الأول«سفر يشوع».

(٢) الإصحاح ١٠«سفر يشوع».

هكذا يقول لنا مؤلف«سفر يشوع»، ونقول مؤلف«سفريشوع» لأن هذا «السفر» المترع هو الآخر بالتهاويل والمتناقضات بالرغم مما قدمازجه من بعض الحقائق من سيرة بنى إسرائيل وتحكركاتهم فى«أرض كنعان»، قد ألّف حوالى القرن الخامس ق.م ثم نُسب إلى يشوع إبرازاً له وتعظيما له عن موسى وفى هذا الدليل الكافى على التفاف الوجه اليهودى من حول يشوع منذ ذلك العهد الذى عاش فيه يشوع حتى هذا العهد الذى كتب فيه هذا«السفر» الذى يحمل كل هذا التعظيم ليشوع!.. بل وكأنما هذا التعظيم لم يكن ليكتمل إلا عن طريق اختلاق هذه «المعجزات» التى وإن نسب بها هذا المؤلف إلى نفسه جهالة فادحة بعلم الهيئة وبالتالى بقوانين الكون فإنما وراءها يقع السبب الحقيقى الذى غفل عنا طويلا فى تاريخ بنى إسرائيل والسبب نفسه هونفس يشوع!. فإنه هو يشوع الذى لمح بوادر الجزر الكنعانى وأدرك أن السانحة قد سنحت لغزو«أرض كنعان» واحتمال قيام ملك فيها لمن سيعبر بهذه الجماعة إلى تلك الأرض..يشوع هو الذى انتهز فرصة الوهن السياسى الذى أصاب كنعان فامتدت قبضته تتحسسٌ مقاليد الحكم فى بنى إسرائيل فأعلن نبأ وفاة موسى بينما راح مؤيدوه يقولون:

«إن الربَّ كلم يشوع بن نون... قائلا: موسى عبدى قد مات! الآن قم اعبر هذا الأردن!.. كما كنت مع موسى أكون معك!.»(١)

بهذا النص تبدأ السّجف السياسية والدينية فى الانحسار عن يشوع ابن نون، القائد الحربى والزعيم الدينى الحقيقى لبنى إسرائيل، وعن دوره الفّعال فى تاريخهم.. هذا الدور الذى يفصح عنه هذا النص القائل:

«قال الرب ليشوع: اليوم أبتدىء أعظمك فى أعين جميع إسرائيل كى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك!..

فقال يشوع لبنى إسرائيل: تقدموا إلى هنا واسمعوا كلام الرب إلهكم.»(٢)

تُرى؟!

---

(١) الإصحاح الأول «سفر يشوع».

(٢) الإصحاح ٣«سفر يشوع».

تُرى أى صوت آخر كان هذا «الصوت» الذى سمعه بنو إسرائيل، على حد رواية هذا المؤلف اليهودى الجديد؟!..

يقيناً إن هذه النصوص لاتحتاج إلاّ لإعمال الفكر فيما تشتمل عليه من معان!.. فهى، أولا، تسوِّى يشوع بموسى مساواة تامة من حيث «المكالمة» ثم هى، بالتالى، ترفع من مكانة يشوع كواسطة يُسمع كلام «الرب» إلى «شعبه» من أفراد هذه الجماعة الذين كانوا، بعد أن أسمعهم يشوع كلام الرب إليهم، قد:

«أجابوا يشوع قائلين: كل ماأمرتنا به نعمله وحيثما ترسلنا نذهب.. كل إنسان يعصى قولك ولايسمع كلامك فى كل ما تأمره به يقتل!.»(١)

ومن هنا ننتزع الحقيقة من صدر التاريخ اليهوذى نفسه وهى أن يشوع هو الذى انتهز الجزر الكنعانى وعرف كيف يميل وميول بنى إسرائيل رؤساء وجماعة ويهوى على أعناقهم بقبضته فى اللحظة التى اشتد فيها تمردهم على ذلك الرسول الكريم..وهذه المعرفة أو بالأحرى هذه الدراية بضمائر ونفوس جماعة إسرائيل هى التى مكّنت يشوع من التمكن من ناصية بنى إسرائيل فتزعّم فيهم القيادة وانطلق بهم يسوقهم إلى ماوراء أريحاحتى عبر بهم الأردن إلى ضفته الغربية وتمّ له الاستيلاء على هذا الجزء الغربى الذى قسمه بين «بيوت إسرائيل».. وتؤيد ذلك المعاولُ الأثرية التى تشير إلى آثار هذه الموجة العاتية التى زحفت فدمرت «لآشيش» ثم أوغلت فأغرقت شمال «البحر الميت» واجترفت «جريكو» ثم انحرفت فقوّضت «بيت إيل». وهذا مايجعلنا نقول بأن بيشوع، وليس إلاّ بيشوع، قد امتد هذا المد الإسرائيلى سعيراً فأحرق بالنار المدن الكنعانية الواحدة تلو الأخرى وقتل أهلها برمتهم من رجال ونساء وأطفال بل وفى حمّى لاواعية انطلق هذا المد مجنوناً فلم يسلم من التدمير من يده شىء حتى السائمة!.. لم يستبق يشوع من البهائم واحدة!.. البقر والغنم والحمير أحرقها يشوع أحياء! كل مااستولى عليه يشوع دمره تدميراً وقتله قتلا وأحرقه حياً!.. أباد يشوع كل شىء باستثناء المعادن وسبائك الفضة والذهب!.

وهكذا تنحسر سجف تاريخ الدين اليهودى الحالى عن يشوع كصاحب هذا الدين

(١) الإصحاح الأول «سفر يشوع».

وباذر تلك السياسة العدوانية الحقيقية فى تاريخ بنى إسرائيل والتى بلغت أقصى مداها من القسوة والوحشية!. فإنه هو الذى قبض، فى تلك اللحظة التى انحرف فيها بنو إسرائيل عن موسى، على زمام الأمور فى إسرائيل فأعلن وفاة موسى وتولى هو فيهم الحكم بينما أسلس له أفراد إسرائيل الأعناق إشباعاً لما فى نفوسهم من أهواء مالت بهم إلى انتهاج منهجه فى معاملة آمن سواهم من الناس.. ولكن!.. لماكان فى الالتصاق باسم موسى مايمنحهم بين الشعوب حيثية وكياناً وبالتالى وسيلة إلى تحقيق مآرب لهم وغايات فقد أبوا إلا أن يظهروا بأن الأيام لاتزيدهم بموسى إلا استقطاباً وإلا بطيفه تشبثاً فتنادوا بأنهم موسويون وأما واقع الأمروحقيقته فليسواهم إلا يشوعيين!.. يشوعيين قلباً وقالباً وليس إلاكى يصبغوا أهواءهم السياسية بصبغة شرعية راحوا بإملاء من نزعاتهم هذه يسطرون مايتخيلون ويمنعون فى أضاليلهم فينسبون هذه«الأسفار الخمسة» إلى موسى وإنما هو برىء من كل ماجاء فى هذه«الأسفار» التى بلغت المدى فى تطاولها عليه حتى رمته فى نهايتها بالخيانة بقدر مارفعت من شأن يشوع حتى صاغت باسمه سفراً خاصاً هو هذا الذى سجّل؛

تكوين الدين اليهودي الحالي وعودته بأصوله إلى يشوع بن نون

إن الأدلة التاريخية المنتزعة من نصوص «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى تتضافر وتقدم «يشوع بن نون» على أنه صاحب هذا الدين الذى يدين به اليهود منذ عصره حتى عصرنا الحاضر وهذا الرأى يتخذ دعامة له من أمرين:

الأول: أن موسى عليه السلام قد ثوى وهذه «الأسفار» التى تنسب إليه كانت لم تكتب بعد!.. وهذا مايجعل موسى لاصلة له بهذا «الكتاب المقدس» إطلاقاً.

والآخر: أن يشوع هو الذى بدأ به تاريخ بنى إسرائيل على صفحة التاريخ السياسى والدينى معاً. فإذا كان إلى ماأتى به يشوع من عدوان قد أثبتت المعاول الأثرية أدلته المادية هو السمة البارزة فى السياسة اليهودية حتى اليوم فإنما إلى ماأتى به يشوع من تعاليم يعود بتكوينه الدين اليهودى. وبرهان ذلك أن الدين اليهودى الحالى لم يتكون فيصبح لبنى إسرائيل دين خاص بهم من بين الأديان إلا بعد استيلائهم على بعض الأجزاء من «أرض كنعان» واحتلالهم إياها!.

من ثمّ فإذا كان لاصلة لموسى، عليه السلام، بهذا «الكتاب المقدس» الذى لم يتكون الدين اليهودى الحالى إلا من نصوصه التى سارت وفقاً لسياسة يشوع وتعاليم يشوع.. وإذا كان يهود اليوم، بالتالى، يتمسكون بهذا «الكتاب» ويدعون قدسيته ويعتبرون مايحتويه من نصوص قد كونت لهم هذا الدين به يدينون فأية صلة هناك تربط اليهود بموسى؟!.. ثمّ!..

ثمّ إذا كان هذا «الكتاب المقدس»، نفسه، قد انتهى فى حديثه عن موسى إلى أن يتهمه بالخيانة وبغضب الرب عليه فقال بأن «الأمر» بموته فى «جبل نبو» قد جاء لأنه قد «خان الرب» وهذا فى نفس الوقت الذى يعلى من شأن يشوع إعلاء عجيباً لاتتبينه فحسب من النصوص التى تقول بأن بحر الأردن قد انفلق لأمره وأن حركة الزمن قد توقفت لإشارة من يده.

وإنما من النصوص التى تجعله زعيما دينياً كلمه الرب ومنحه سلطاناً مطلقاً على بنى إسرائيل غدا به قائداً حربياً لهذه الفئة التى راح يعيث فى أجزاء من «أرض كنعان» ويستن لها هذه السياسة العدوانية ضد سائر الشعوب والتى مااستقر بها فى تلك الأنحاء المقام إلا وكوّنت سياسةَ يشوع لها هذا الدين الذى تفصح عن مرتبته بين الأديان هذه النصوص نفسها التى تكّونه والتى سارت وفقاً لتعاليم يشوع، فإنّ هذا هو، نفسه، البرهان على قولنا بأنّ يهود اليوم ليسوا موسويين على الإطلاق، وإنما هم يشوعيون فى الصميم!.. وإلاّ فكيف يمكن أن يكون اليهودى تُبّاع موسى وهاهى ذى نظرة الدين اليهودى الحالى إلى موسى قد تكشفت من خلال كتابهم هذا «المقدس» نفسه ؟!.

هاهوذا أمامكم «الكتاب المقدس» انشروا صفحات «الأسفار الخمسة» تطالعكم الحقيقية الصارخة وتناديكم من ثناياه قائلة، إن اليهود ليسوا أتباع موسى وإنماهم أتباع يشوع، ذاك الذى صعد مع موسى إلى قمة الجبل ثم عاد بدونه وأعلن أن موسى من هناك لن يعود وماذلك إلا لأنه قدخان الرب فغضب عليه وقال له اصعد إلى الجبل ومت هناك!..

وإذن؟!..

إذن، أليس من واجب التاريخ الحاضر تصحيح اسم هذا الدين فيستبدله من الدين الموسوى إلى الدين اليشوعى ؟!.

وحقاً! كيف يمكن أن تكون هناك صلة تربط موسى بالدين اليهودى الحالى، هذا الدين اليشوعى الذى تكونه هذه «الأسفار الخمسة» وهى التى ترميه بالخيانة وبغضب إله إسرائيل عليه وتأمر بموته فى الجبل عقاباً؟!..

ثم كيف يمكن أن تكون هناك صلة تربط موسى بالدين اليهودى الحالى وهذه «الأسفار الخمسة» التى تكون هذا الدين نفسه لم تؤلف ولم تكتب ولم تبرز على صفحة التاريخ الدينى إلا بزمن طويل بعد موسى!.

إذن..

متى كُتبت هذه «الأسفار» ولماذا كتبت؟..

إن الجواب عن هذا السؤال يُحتم علينا استعراض التاريخ السياسى لـ«بيوت إسرائيل» منذ احتل بهم يشوع بن نون تلك الأجزاء من«أرض كنعان» حيث هناك راحت تتوالى عليهم الأيام وتتدرج بهم من «عهد يشوع» إلى «عهد القضاة» إلى «عهد الملوك» الأول الذى بدأ بـ«شاؤل» وبرز ببيت يهوذا غداة امتلك داود آخر حصون كنعان«صهيون» وانتهى بوفاة سليمان..

فى خلال تلك العهود لم يؤلف «سفر» واحد من هذه«الأسفار» !..

ولكن!.. بعد وفاة سليمان انقسمت مملكته إلى قسمين؛ شمالا وجنوباً.. فأما الجزء الجنوبى بما فيه القدس فقد اقتطعه بيتا يهوذا وبنيامين وهؤلاء أقاموا عرشاً اقتصر ولاته على سلالة سليمان وحفدة داود.. ولماكان «بيت داود» هذا من سلالة يهوذا وكان هو البيت الملك فقد عرفت هذه المنطقة باسم«اليهودية» أو «مملكة يهوذا».. وأما الجزء الشمالى، حول سامريا، فقد اقتطعته«البيوت العشرة»وهذه آثرت أن تطلق على هذه المنطقة اسم جدها الأعلى، ومن هنا عرف هذا الجزء الشمالى باسم«إسرائيل»أو «مملكة إسرائيل».

بهذا الانقسام الذى قامت به فى الشمال«مملكة إسرائيل» وفى الجنوب«مملكة يهوذا» بدأ دبيب الوهن يسرى فى أوصال تينك المنطقتين على سواء وسرعان ماتحت ذلك«آشور» فأسرعت للانقضاض مستهدفة المنطقة الشمالية أى إسرائيل وقد جرد الأشوريون فى عهد«شالم نصر» الثالث، «شلمنصر»، جيشاً على«إسرائيل» هذه فهزمها عام ٨٥٣ق.م، فى موقعة «كركر» وهذه هى الموقعة التى قضت على التاريخ السياسى لإسرائيل إذ مكنت الآشوريين بعد ذلك وفى عهد «سرجون» الثانى من ضم هذه المنطقة الشمالية، نهائيا، إلى«آشور» فاندمجت إسرائيل، عام ٧٢٠ق.م.، فى آشور والى ذلك كان قد مهّد «سرجون» الثانى، عام ٧٢١ق.م، نفسه عندما نال أفراد هذه«القبائل العشر» بالقتل فسحقهم سحقاً تامّاً وأفناهم إفناءً كاملاً وحمل القلّة التى تبقّت منهم إلى بلاده أسرى.. وهكذا أذاب الغزو الآشورى سلالة«البيوت العشرة» من نسل إسرائيل وغيبهم التيار الزمنى تمام المغيب ومن ثم زال من التاريخ هذا القسم الشمالى المعروف باسم«إسرائيل» ومحيت «مملكة إسرائيل» من خريطة الوجود..

ثم حلّ البابليون فى العراق محل الآشوريين وكما فعلت آشور من قبل بالقبائل العشر فى الشمال فعلت بابل بالقبيلتين الباقيتين فى الجنوب.. فلقد ضم البابليون هذه المنطقة

الجنوبية المعروفة باسم«اليهودية» إلى بابل، عام ٥٨٥ق.م، وأمست فلسطين بأجمعها جزءاً من الدولة البابلية وإلى ذلك كان قد مهد «نبو خضر نزار» الثانى عندما أطاحت أسيافه، سنة ٥٨٦ق.م، بأهل اليهودية ودمرالهيكل ثم حمل الرؤساء من قبيلتى يهوذا وبنيامين إلى بابل أسرى وفى مقدمتهم أفراد«بيت داود» من سلالةيهوذا وأعضاء«مملكة يهوذا».

هؤلاء الأسرى من سلالة يهوذا الذين أبوا إلا الجلوس على شاطىء الفرات يبكون ويتباكون ويتذاكرون ملكالهم كان فى أورشليم قاعدته«حصن صهيون» هم الذين راحت هبّات التذاكر عنه تعصف بأفئدتهم وتستحنّ الشوق فى صدورهم إلى تفيوء ظلال صهيون من جديد حتى أصبح الحنين إلى صهيون رمزاً للحنين إلى عودة المملكة الدائرة!.

فى غضون هذا المنفى ألقى أبناء يهوذا هؤلاء فى تربة الزمن بذور الصهيونية بل كانوا هم الصهاينة الأوَل الذين بدأوا تاريخ الصهيونية غداة بدأت قرائحهم تبحث عن أجدى الوسائل لإعادة بيتهم، «بيت داود»، إلى مملكة يهوذا وعرش صهيون من جديدا.. فبدأت الأيدى منهم تنشر القراطيس لتجرى عليها الأقلام مستهدفين من وراء ذلك شيئاً واحداً انحصر فيه تفكيرهم وهو عودة «دولتهم» الزائلة.. هذا التركيز فى تعبيد الطريق نحو هذا الهدف المرسوم، وهو العودةإلى عرش صهيون، هو الذى صرفهم إلى استعمال معول واحد وهو هذا الذى جاء بهذه المشكلة التى تجابه جبهة الزمان إذ لم يكن هذا المعول إلاّ بدعة«الأرض الموعودة»!

هذا هو الواقع التاريخى!..

وهذه هى الحقيقة، فليس إلا لكى يضمن أبناء يهوذا لبيتهم، بيت داود، عودة إلى صهيون جرت أقلامهم على القراطيس فكونت هذه«الأسفار» المفتراة على موسى والتى تدافعت بنصوص تترى عن أن أرض فلسطين هى لهم كانت قد منحت منحة من إلههم، نفسه«يهوه» .، إله إسرائيل!.. وهذه حبكة سياسية تنم عن دراية تامة بالنفسية البشرية ومدى تأثير العاطفة الدينية فى الجماعات إذ أن على المنحة الإلهية لايمكن لبشر الاعتراض!..

وأما كيف جاءت هذه«المنحة» ومتى كانت؟ فهذا من الطبيعى لابد وأن يكون سباقاً

على العهد الذى كانوا فيه يسطرون هذه«البدعة» .،ولكى يصبغوا قضيتهم بصبغة شرعية بدأوابهذا«الوعد»بإبراهيم.

هذه الأقلام التى جرت فى أيدى أبناء يهوذا وجاءت بهذه النصوص التى غلفتها بالقدسية هى فى الحقيقة السّجلات التى تكشف من أمر هذا«الوعد» الذى لم يكن فى واقعه إلا وعداً تابعاً لمآرب السياسة وألعوبة فى يد هؤلاء المؤلفين اليهوذيين منذ بدأوا يكتبون«سفر التكوين» حتى«سفر التثنية» فأتموا بذلك هذه«الأسفار الخمسة» التى لم يكن إلاَّ لإضفاء الصفة الشرعية عليها نسبوها إلى موسى متنادين بأنّها هى هذه«التوراة» التى أنزلت على موسى!.

وهكذا فى ذلك العهد وفى أسر الفرات كتبت هذه«الأسفار الخمسة» التى لم تؤلفها إلا مخيّلات هذا السبط من يهوذا والتى عن مدى مرتبة مؤلفيها فى عالم الأخلاق تفصح نصوصها أبلغ الإفصاح!.. أولا من خلال تصويرهم موسى، عليه السلام، شخصية غامضة مبهمة شريرة العمل له إلا فرض الإتاوات وذبح الضحايا ورش الدماء على الحيطان وأباهم اليد اليمنى واليد الشمال وإلاَّ الصعود إلى«يهوه» والهبوط من لدنه ثم إسكانه«خيمة» يطلق صوته من داخلها بهذه«الأوامر» من أمور الترّهات وانتهائهم بهذه الشخصية الكريمة إلى اتهامها بخيانة الرب!.. ثم من خلال تصويرهم الفاحش للوط، عليه السلام، وابنتيه!.. ثم من خلال إسفافهم فى تصوير إبراهيم عليه السلام، وأهله إسفافاً هوى بهؤلاء إلى الدرك الأسفل من الانهيار الخلقى الذى لم يدر بخلدهم، وهم فى حمى سعيرهم هذا، مدى عمق الهوة التى تردّوا فيها!. فلقد نسوا كل شىء إلا غايةواحدةمستهدفين من ورائها التمهيد لعودة«بيت داود» و«مملكة يهوذا» ولهذا كان حتما، كما رأينا، أن يتحول هذا«الوعد» فى يديهم من شخص إلى آخر حتى يصلوا به إلى «ذرية داود» أى هم أنفسهم، أما وأنهم قد بدأوا به بإبراهيم فإن ذلك لم يكن، كما قلنا، إلاَّ حبكة سياسية كيما تكسب قضيتهم الصبغة الشرعية.. فلقد انبثق هذا«الوعد» عن مصالح السياسة وتحولت به «الوعود» تحولا يتسق وهــذه المصالح دون ماأدنى التفات إلــى ماسطروه مــن إسفاف فــى المنطق وطــفولة فــى التفكير فقــد كان«الوعد» لإبراهيم فحولوه إلى إسحاق ليخرجوا منه إسماعيل!.. ثم حولوه إلى إسحاق ليحوّلوه إلى

يعقوب أى اسرائيل وليحصروه فى سلالة إسرائيل!.. ثم حولوه إلى ذرية داود لينحصر،وهم من مملكة الجنوب، فى مملكة الجنوب دون الشمال وتعود «اليهودية»إلى الوجود!..

هذا هو الهدف الحقيقى من وراء هذه المحاولات المتكررة فى صورة انتقال هذا«الوعد» من شخص إلى آخر حتى ينتهى إلى«يهوذا» ومنه إلى«بيت يهوذا» .. فإنّ هناك شرياناً واحداً يجرى فى هذه«الأسفار»يمجّد «يهوذا»و«بيت يهوذا» وهذا الشريان هو الذى ينبض بفكرة «الأرض الموعودة» وهو نفسه هؤلاء الصهاينة الأوَل من«بيت يهوذا» الذين تعهدوا فكرة«الأرض الموعودة» بالإنماء وحولوها إلى عقيدة هى فى حقيقتها ليست إلاّ فكرة نابعة لقيام الدولة وسقطوها فى «بيت داود» متخذين حجة على هذا التحويل«للوعد» من فرد إلى آخربأن «يهوه» كان ينسى «وعده» فيجدده!..

وهذا هو الهدف نفسه الذى دفع بهذه الفئة من سبط يهوذا، هؤلاء الصهاينة الأوَل الذين حملوا لواء العودة إلى «صهيون»، إلى كتابة هذه«الأسفار» التى لايقوم الدين اليهودى الحالى إلا عليها ولايتخذ يهود العالم اليومَ حجتهم فى ادعائهم بأحقيتهم بفلسطين إلاَ مما تشتمل عليه من نصوص هى هذه التى مازالت تحوم من حولها أنفاس اليهوذيين منذاللحظة التى نفثت فيها القدسية فى ذلك العهد الذى أعادهم فيه الفتح الفارسى لبابل إلى أورشليم حيث هناك بدأ بروز هذه«الأسفار الخمسة»المكونة «التوراة» على صفحة التاريخ الدينى!..

هذه هى «التوراة» !..

هذه هى«توراة» اليوم التى لم تُكتب إلا بأقلام هؤلاء الصهاينة الأُوَل وفى ليالى الأسر الطويل على شاطىء الفرات والتى ليس إلا على وهم من الإيمان بقدسيتها منذ ذاك العهد الذى عاد فيه اليهوذيون من الأسر إلى أورشليم حتى هذا العهد الذى يعيش فيه اليهود فى عالمنا الحاضر، كان أن قامت، كامتداد من هذه الصهيونية القديمة، الدعوى الصهيونية الحالية بملكية فلسطين وافتعلت «دولة إسرائيل!.»

وهكذا تولّد وهم عن وهم وجاء من باطل باطل !.. فلا سند للصهيونية الحالية إلا هذه «النصوص» التى افتعلتها الصهيونية القديمة بهذه «الأسفار» التى طلعت مسيجة بالقدسية غداة عاد أبناء يهوذا من أسر الفرات إلى ظلال صهيون من جديد وهذا مما يجعل الغزو الفارسى ودخول «كورش» بابلَ فاتحاً من أبرز الأحداث فى تاريخ اليهود إذ لم تمر سنتان بعد دخوله بابل إلاَ وبدأت الفصيلة الأولى من اليهود رحلتها إلى الأرض التى كانوا قد خرجوا منها قبل ذلك الحين بخمسين عاماً وعلى الرغم من أن هذا الجيل الجديد من أبناء يهوذا الذى جاء فلسطين لم يجد الترحيب الذى كان له ينشد، إذ أنه قد وجد أقواماً آخرين من «الساميين» وعلى وجه التحديد من العرب الذين تدفقوا إليها من الصحراء السورية ومن شبه الجزيرة العربية إلا أن تولى «دارا الأول» الحكم جاء بالجديد فلقد أقام «دارا» هذا والياً على اليهودية فرداً من «بيت داود» نفسه هو «زُر بابل بن شألتيئل» وسمح لليهود بإعادة بناء الهيكل فبدأوا فى بنائه فى السنة الثانية من حكم «دارا» وأتموه فى السنة السادسة من هذا الحكم، عام ٥١٨ق.م، ومن هنا عادت أورشليم، شيئاً فشيئاً، مدينة يهودية من جديد ومن جديد ترددت فى هيكلها حشرجات الضحايا المذبوحة بيد أهل الكهنوت.. بينما تسارعت الأيدى الكهنوتية فى تدوين هذه «الأسفار» فى نسخ كثيرة حتى يتم تداولها بين هذا الجيل الجديد من أبناء يهوذا الذين تداولوها مغلّفة بالقدسية وليسيجوها بدورهم بالتقديس ثم راحوا يورثونها لأبنائهم جيلا بعد جيل ولتتشبث بها من هؤلاء الأيدى ضنينة بها من التبديد. فلقد عانقهم من الإيمان وهمه بأنَّ يدَهم قد امتلكت من إلهم صكا شرعياً على تمليكهم فلسطين وكل الرقاع المترامية من الفرات إلى النيل !..

هذا هو تاريخ بروز هذه «التوراة» على صفحة التاريخ الدينى وهذا هو الأصل فى إحكام عقد عقدة.. «الأرض الموعودة» فى صدر هذه الجماعة إحكاماً كان فى واقع الأمر محنة لهم لامنحة بما أصابتهم به هذه العقيدة من مرض نفسى تظهر عليهم أعراضه فى كل مظهر من مظاهر حياتهم الخاصة والعامة، لافى صورة هذا التعالى والاستعلاء عن الناس «كشعب مختار» ولافى صورة هذه العزلة التى أحاطوا بها أنفسهم منكمشين فى قوقعة تخيلاتهم فحسب وإنما فى إضمارهم الإضرار بكل من سواهم واستحلالهم إيذاءهم حتى القتل كما عن ذلك يتفتّق تاريخهم منذ ذلك اليوم الذى تكوّنت فيه هذه

الجرثومة السرطانية فى جسم المجتمع البشرى حتى هذااليوم كصفة طبعت الجماعات منهم والأفراد على سواء إلا من فرد بين هؤلاء الأفراد أو آخر شذّ عنهم بطبعه فنبذوه بطبيعتهم!. وفى مقدمة هذه الأمثال كان من قد ألمحنا إليه قبل قليل، وإلى اليهودية زربابل ابن شألتيئل.. وهنا نرانا نتمهل قليلا لنستعرض صفحة هامة من تاريخ اليهودية فى ذلك الحين لما كان لها من أثر على الأجيال فيما بعد.. فإن أفراد«بيت داود» الذين عادوا إلى أورشليم معتزمين أن يعيدوا دولتهم الدائلة من جديد بملك كان لابد أن يكون من نسل داود فإنما هم قد وجدوا أن اليد الكهنوتية لاتمتد وأنها كما مسحت من قبل شاؤل وداود وسليمان بالزيت المقدس ملوكا مسحاء تأبى أن تمسح «زربابل»بهذا الزيت المقدس ملكا مسيحاً..

والواقع أن تفكير «بيت داود» فى قيام ملك منهم وبالذات من نفس«نسل داود» كان قد جاء فى غضون الأسر البابلى وكان حتماً له أن يجىء طالما أن هذاالأسر كان قد اجترف «بيت داود» نفسه فى المقدمة وغدت سلالة دواد فى هذا الأسر تعيش. كما كان طبيعياً أن يمهد دعاة هذا«البيت» إلى ذلك السبيل. وبالفعل بدأ هؤلاء يعبدون الطريق وتزعم هذا الأمر «حجى» وإلى جانبه«زكريا» ، النبى العاشر فى سجل أنبياء اليهودية الإثنى عشر، كما بذلك تأتينا الأدلة تترى من خلال سفريهما، آخر سفرين قبل السفر الأخير فى«العهد القديم».. وأما الآن وقد أعادهم الفرس إلى أورشليم فعاد إلى أورشليم «بيت داود» وعلى رأسه سليل داود نفسه وأبرز فرد فيه «زربابل بن شألتئيل» وهذا قد عيِّن من قِبَل الفرس والياً على يهوذا فإن الهدف أمام بيت داود ودعاته يلوح وشيك التحقيق ولايتوقَّفن ذلك إلا على مؤازرة الكهنوت وعلى رأسه الآن«يهوشع بن يهوه صادق» وليس على هذا الكاهن الأكبر إلا إعداد «المسحة» لمسح زربابل وإشعار السلطان الفارسى بإعلان هذا الوالى ليهوذا ملكا على يهوذا لاسيما ودعاة بيت داود قد أطلقوا أصواتهم من منطقة الجليل إلى حيث تجاوبت فى أورشليم..

ولكن!..

أهل الكهنوت الذين كانوا قد لبثوا، منذ هوت أورشليم وهُدم المعبد الأول عام، ٥٨٦ق.م، يتخيلون هذا«الملك المسيح»صاحب عرش يفتح بيت المقدس بالسيف ويعيد فيها الدولة الدائلة، قد عادوا بعد العودة من الأسر، عام ٥٣٦ق .م، يطمعون هم أنفسهم

فى هذا الملك ومشاركة بيت داود فى الحكم وساعدهم على ذلك وداعة«زربابل» هذا الملك المنتظر والوالى الحالى لليهودية الذى رأته أورشليم حاملا الحجارة على كتفيه لإعادة بناء المعبد وتراه فى تنقلاته «راكباً على حمار تارة وتارة أخرى على جحش ابن أتان» كما إلى ذلك يشير الإصحاح التاسع من«سفر زكريا»... ومن ثم فإذا أراد بيت داود لمُلْكه أن يعود فذلك أمر يعترضه شرط كهنوتى واحد وهو أن يكون الحكم بين «زربابل» و«يهوشع» مشاركة..

يبد أن هنا تميد هوة فى تاريخ اليهودية غاب فيه«زربابل» وكأنما لم يكن له وجود علـى الإطـلاق بينما راح يرفُّ عليها صمت عجيب تحولت به مـرة واحدة، عام ٥٢٠ق .م، عن «زربابل» سليل داود والجد الأعلى ليوسف النجار، دفة التاريخ!..

وهكذا أخفق«بيت داود» وانتصر«بيت صدُوق» من أهل الكهنوت الذين راحوا مع الأيام يدفعون بهذا البيت إلى التوارى فالانغمار فى ركب الحياة وزحام المعاش بينما انتقل الحكم نهائياً إلى اليد الكهنوتية.

وهكذا هدمت اليد الكهنوتية «ملك يهوذا» .. وفى غفلة عن أن عقيدة«الأرض الموعودة» لم تكن إلا لإعادة «بيت داود» امتدت هذه اليد محمومةتقبض فى تشنج على «الأرض الموعودة» وتدير دفة المعتقد الدينى إلى الناحية التى تماشى مالها من مصالح شخصية، ومنها أخذ الكهنة فى وضع حكم دينى قالوا إنه يقوم على المأثور من أقوال السلف وتقاليد الآباء وعلى «أوامر الرب» .. وتزّعم «عزرا» هذا الأمر فدعا الجماعة اليهودية،٤٤٤ق.م، إلى ماأسماه «اجتماع خطير» وأخذ يقرأ عليهم ماسماه«شريعة موسى» التى لم تكن فى واقعها إلا تلك«الأسفار الخمسة» التى دبجها يراع أولئك المؤلفين اليهوديين الذين حسبوا أنهم قد مهدوا بها الطريق لإعادة «مُلك يهوذا» .. وعندما فرغ«عزرا» من قراءتها أقسم الجميع على أن يتخذوا من هذه«الشرائع» دستوراً يسيرون وفقه.. وبهذا عملوا بالفعل فقد ظلت هذه«الشرائع» دستوراً يسيرون وفقه حتى اليوم، فهو المحور الذى تدور من حوله الحياة الخاصة والعامة لهذه الطائفة الدينية. ولايزال تقيدهم به من أهم الظواهر المستترة فى معاملاتهم مع من سواهم من الناس فمنذ تلك اللحظة التى ناول بها«عزرا» المجتمعَ اليهودى هذه«الأسفار» كتاباً «مقدساً» وعلى هذا المجتمع قد خيّمت ، بلونها القديم، ألوهية «يهوه» ورفَّ دين يشوع بن نون!..

هذا هو مايسميه اليهودُ بالإصلاح الـديني الـذى جـاء به هـذه الشخصية الكهنوتية التى نراها واضحة من خلال سفرها،«سفر عزرا»، غداة غيبت اليـد الكنهوتية«زربابل» وبدأت تدفع «بيت داود» إلى الخلف.. ولكن!.. هذه الشخصية الكهنوتية التى هبت تؤيد الحكم الكهنوتى قد تنبهت إلى أن هذه الجماعات التى تخاطبها إنما هى قدوعت أحداث الماضى القريب وأن بذاكرتها قد علقت عـن «زربابل» الذكـرى وعـن«بيت داود» الذكريات بـل ومازال طيف «الملك المسيح» الذى كانت تراه أورشليم مجسّدا فى شخصية «زربابل» يحـوم فـى آفاق التفكير! هـذه العوامـل، مجتمعة، هـى التـى دفعت«عـزرا» إلى أن يطلق نداء كان له رجع الصدى السريع فى هـذه الجماهير وهـو أن فى «زربابل» لم تتوافر فيـه شروط «الملك المسيـح» وأن الحكم إذا كان قـد غـدا كهنوتياً فليس ذلك إلا لإدارة دفـة الأمـور ولفترة مـوقوتة.. ستنتهى بمجـىء مـن ستتوفر فيه الشروط المطلوبة لفـرد مـن بيت داود يمكن أن يمسحه الكهنوت «مسيحاً» فيكـون«ملك اليهود» !..

وهكذا حول«عزرا» الأذهان من الماضى إلى المستقبل ومن هنا تعلّقت الآمال بعودة الملكية على يد سليل من آل داود راحت الفكرة عنه تزداد مع الأيام رسوخاً طالما أن الكهنوت نفسه قد أسهم فى إيداع هذه الفكرة فى تربة الأجيال بينما كان الزمن يسير حتى العهد الذى هب فيه من شواطىء البحر الأبيض الأرج الغنوصّى مضخماً بعبير الفلسفات الفيثاغورية والأفلاطونية والرواقية وأقبل يعانق نواحى فى هذه الأرجاء ماتنسمته إلا وبدأ يمسح عنها الطابع اليشوعى القديم وإلا وبدأت يد الزمن تفصلها فصلا باتراً عن هذا المجتمع اليهودى العتيد!.. هذه الناحية هى التى خضبها من الفيثاغورية عمق الزهد ومن الأفلاطونية «الطهر الأفلاطونى» و«الحب والمحبة الأفلاطونية» و«خلود النفس» الأفلاطونى بينما كان قد راقها من الرواقية عقيدة«اللُوغوس» أو «الكلمة» فاعتنقتها عقيدة.. ولكن، لما كان فى الاعتقاد بهذه المعتقدات الفكرية وبالأخص عقيدة الخلود مايتعارض كل التعارض وتعاليم الدين اليهودى الذى يعتبر الحياة مقصورة على هذا الحيز من الدنيا فقد انشطر هذا المجتمع اليهودى إلى أكثر من فرقة نستطيع أن نحصرها، فى هذا الصدد، فى هذه الشعب الثلاث؛

الشعبة الصدوقية. والشعبة الأسينية. والشعبة الفريسية.

فأما «الشعبة الصدوقية» فهى الجانب الكهنوتى المتمثل«فى بيت صدوق» ويؤازر هذا الجانب العدد الأكبر من أصحاب الثراء المادى وفى ركبيهماتسير الجماعات. هذه الشعبة، التى أنشأت الـ«ساندهارين» وجعلت من هذا المجمع الدينى اليهودى مقرا لحكمها فى تمسُّكٍ بألوهية «يهوه» وتشبث بتعاليم يشوع بن نون، هى التى رفضت رفضا حاسما نسائم الروح الهابة بعطر الخلود وحجتها أن «توراتها» تتعارض وعقيدة الخلود.

وأما «الشعبة الأسينية» ومن هذه«الشعبة» سيكون «يوحنا المعمدان».. فهى ليست إلاَّ رجْع الصدى للمذهب الفيثاغورى والمذهب الغنوصى معاً!.. ومن هنا اعتنقت الحب دينا ولفظت الطقوس الدموية ورش الدماء فنبذت التطهر بالدم إلى التطهر بالماء حتى أصبح الاغتسال شعيرة مرعية فى صلب مذهبهم وتخلت عن الممتلكات الشخصية وآمنت بخلود النفس فتخلت عن دين يشوع بن نون!..

وأما «الشعبة الفريسية» وهذه التى سيكون منها يوسف«النجار» حفيد«زربابل بن شألتيل» ، فهى هذه الناحية التى اعتنقت الأفلاطونية والرواقية معاً فذابت عنها مادية السلف ذوباً تاماً وبلغت من الشفافية المدى الذى أضفى عليها لوناً من الصفاء الروحى بلغ بها الذروة من طهارة الخلق ومكارم الأخلاق حتى أصبح «الطهر الفريسىّ» مثلا وحتى غدا التفانى فى ضروب الأعمال الصالحة طابعاً مميزاً فيهم وأما الزهد فقد أمسى طابعهم الذى بدأ به انسلاخهم شيئاً فشيئاً عن «يهوه» إله إسرائيل إلى ألوهية إله عالمى هو«الأب الرحيم».. وواكبت هذه النزعة هذا الزهد الذى أخذ يشتد عليهم ظهوراً كلما اشتد فيهم تغلغلا وكما اتضحت عليهم معالمه بوضوح تام فيما بين منتصف القرن الثانى ق.م. إلى نهاية القرن الأول ق.م وكما سجلتها أيديهم تلك التى سطرت «المزامير» ثم «الأمثال» ثم «الجامعة».

ويقيناً إننا على أنغام المزامير، هذا«السفر» الذى تم تأليفه فى أوائل القرن الأول ق.م، نسمع الشفاه الفريسية تتغنى بثراء الروح!.. وفى «الأمثال» هذا«السفر» الذى يعود تاريخه إلى منتصف القرن الأول ق.م تضرب الفريسية على تفاهة الدنيا الأمثال.. وفى «الجامعة»، هذا «السفر» العائد بتاريخه أيضاً إلى منتصف القرن الأول ق.م، نرى الفريسية

تشيح إشاحة.. تامة عن زخرف الدنيا وبريقها الخاطف ثم تجمع كل مافيها جمعاً وتسميه «قبض الريح».

وبذلك تقدم الفريسية براهينها على أن «الزهد» قد اجترفها بعيداً عن دنيا إسرائيل وعلا بها من الأرض إلى «ملكوت السماء».

وفى الواقع أن هذه الشعبة الأخيرة هى التى كانت قد يئست مع الزمن من تجدده «مملكة يهوذا» بقوة السلاح فعلق رجاؤها بملكوت السماء.. ولكن، لماكان التفكير الإيجابى فى «ملكوت السماء» باعثاً على التفكير فى محاولة تطبيق قوانين هذا الملكوت على الأرض فليس إلا لتستشعر فى نفسها أن أمامها واجباً عليها أن تؤديه.وأن هذا «الواجب» الذى ينحصر فى إقامة العدالة على الأرض يدفعها إلى الإصلاح الدينى وهذا يتمثل فى وجوب تعديل شرائع هذا الدين الدموى حتى نسخه عن طريق هذا التعديل وذلك بالحدّ من سلطة الكهنوت أو بالأحرى سلطان «بيت صدوق»..

لاجدال فى أن هذا «الواجب» الذى كان نفسه الدافع إلى كتابة «المزامير». و«الأمثال» و«الجامعة» هو الذى اتخذ مظهره هذا فى الحد من طغيان الصدوقيين.. هذا الطغيان الذى استهل تاريخه منذ دُفع «زربابل» فى هوة التاريخ والذى، بالتالى، بلغ مداه منذ قام «عزرا» يتلو «الشريعة» ثم أسفر فى الأحوال السياسية والاجتماعية التى كانت تمر بها أورشليم وقت كتابة هذه الأسفار الفريسية ما يجعل الزمن نفسه يرهص إلى ظهور «مخلص» ينشر على الأرض حكم السماء!..

مَلك؟

إن المُمْلَك مورث التعلق بأهداب الماديات والأيدى التى جرت فسطرت هذه الأسفار إنما هى أيدى قد سطرتها بإملاء نفس تأملت هذه الدنيا فنفضت أيديها هذه من كل الماديات!.. ومن ثم فالمخلِّص الذى تدفع لظهوره الأحداث لن يكون ملكا يرفع يده بصولجان وإنما سيكون روحاً هى مرآة عاكسة لروح السماء!. ومن ثم سيكون من صفاته التجرد عن هذا التكالب على جمع المال!.. لن يجمع الفضة والذهب ويكليها بمثقال بعد مثقال وإنما بيدِ سيبدد هذا السراب وبالأخرى سيجمع البشر كافة فى رحاب أخوة

عالية ويربط فيما بينهم برباط المحبة والسلام ويعلمهم إلقاء الأعمال الصالحة بذوراً، لن تفسد أبداً، فى تربة السماء!.. ومن ثمّ تصبح الأرض مملكة حكمها حكم السماء، الكل فيها سواسية وصالح الأعمال فيها أنفس المقتنيات!..

من ثمّ..

فإن هذا«المخلص» لن يحتاج إلى مسحة من الكهنوت! لا لأنّ الذكريات عن «زربابل» جذوة ثانوية تحت رماد الأيام تلهب الخيال فحسب ولا لأن قيام «مملكة السماء» على الأرض لن يحتاج إلى تأييد كهنوتى فحسب وإنما لأن هذا«الملكوت السماوى» سيجىء لاقتلاع فساد هذا الكهنوت ويمحق ضلاله من الأرض ويستبدل بربوبية هذا الرب المحب لرشاش الدماء وريح القتر والقاصر على إسرائيل، رباً آخر هو إله العالمين وربّ الأرض والسماء!.. لذلك لن يحتاج «المخلص» إلى مسحة من هذا الكهنوت فإنما هو سيكون «الممسوح من الرب»!.

ولكن!..

لماذ يستهزىء «بيت صدوق»؟..

إن اليد الكهنوتية وإن كانت قد غيبت عن أورشليم «مخلصها» الذى كانت تراه مجسّداً فى شخصية «زربابل» فإنما عن الأذهان التى كانت قد هُيئت لقبول هذه الفكرة لم تغب، قطّ، هذه الفكرة عن البال!.. بل العكس بدأت رياح الزمن تنحسر عن هذه الجذوة ترسلها لهيباً وكأنها ألسن تنادى بأن إلى ظهور هذا الممسوح من ربّ العالمين، هذا المسيح، تنادى حاجة الزمن فى أورشليم والأيام تسير بها من بداية القرن الأول ق.م. حتى منتصفه وعلى وجه التخصيص غداة امتد الظل الرومانى عليها بل وليشتد من هذا النداء الدوى منذ هذه السنة، ٦٣ق.م، السنة التى أصبحت فيها اليهودية ولاية رومانية حتى سنة ٣٧ق.م. فلقد اشتد بالزمن هذا الإرهاص لاسيما والعهود الهيرودية قد بدأت فى الانتشار..

والواقع أن العهود الهيرودية قد ضاعفت هذا الإرهاص فقد قام على عرش اليهودية هيرود الأكبر. ٣٧ ق.م – ٤ ق.م، وبذلك قام بيت مالك جديد يعود بنسبه إلى «أدوم».. و«أدوم» وأن كان أخا يعقوب فإنما سلالة أدوم غير سلالة يعقوب وغير سلالة يهوذا

الابن الرابع ليعقوب أو إسرائيل.. ومن ثمّ فهذا «بيت» قد اغتصب عرشاً كان وفقاً على «بيت داود» حفدة يهوذا ابن إسرائيل وساعده على هذا الاغتصاب هذا الكهنوت من بيت صدوق عمال هؤلاء الرومان الذين أقاموا هيرود هذا عنهم قيلا، وقد كان من قبل لهم حليفاً، كيما ينفذ قضاء الرومان في اليهودية. بل وإن هذا الإرهاص ليشتد عن ذي قبل شدة والأيام في هاوية الزمن تتهاوى من هيرود إلى هيرود فيجيء هيرود الثاني، ٤ ق.م - ٣٧ب.م، وتبدأ مراحل الثورة النفسية في الاشتعال! فالاجتماعات السرية تعقد وإلى أورشليم تبعث بشرارها من الجليل وماحول الجليل وأما الصوت الذي انطلق غير هياب فكان صوت «يوحنا المعمدان» الذي انساب من «الجليل» في غضون هذه الفترة الزمنية القلقة يعلن؛

لقد آن مطلع «المسيح».

ومن هيرود الثاني عومل يوحنا معاملة المتمردين على العرض فقتل بَيْدَ أنَّ مصرع يوحنا جاء يرجع صداه من الجليل ليطوف بأورشليم معلناً؛

لقد طلع «المسيح»!.

على صفحات التاريخ منتشرة أحداث اليهودية في غضون هذه الفترة الخطيرة من التاريخ السياسي والديني والتي تفتّقت عنها الأيامُ التي جرت عبر العهود الهيرودية من هيرود الأكبر إلى الرابع ممن حمل نفس الاسم، من٣٧ق.م، إلى ٧٠ب.م. وكأنما كل سطر فيها قد خط من غيوم تلبّدت ينبعث ثناياها همس راعد يتمتم باسم؛

«يسوع»؟!

تلك هي الفترة الزمنية التي نرى من خلالها انقسام اليهودية إلى فئات من حول الحامل هذا الاسم. فئة تراه الابن الاكبر ليوسف.. ولما كان يوسف حفيد زُربابل نفسه وسليل بيت داود ومالقَب «النجار» الذي علق به إلا دلالة على احترافه صناعة النجارة وعلى ماآلت إليه حالة آل داود بعد زربابل فقد رأت أن يسوع، وقد ثوى الآن يوسف، هو الشخصية الجديرة بأن يكون «المسيح». وفئة أخرى، وهذه كانت طائفة الكنهوت من بيت صدوق، رأته متحدياً لسلطتها وليس هذا فحسب وإنما هو قد جاء، وفي صورة التكميل، ناقضاً لشرائع دين لم يتناوله التبديل منذ قننه عزرا على أساس كان قد وضعه يشوع بن

نون!.. ولهذه الطائفة الكهنوتية يؤازر«بيت هيرود» وهذا يراه ثائراً على العرش!. وبين تكاثف هـذه الفئات المناوئـة عصفت عـواصف السلطة الـزمنية والدينية معاً ومـرة واحـدة اغبرت الآفاق بينمـا نـرى يسـوع من خلالها وقد أصبح روحاً فـى أفـق الخـلود!.

إن المجال ليس بمجال التحدث عن المسيح والمسيحية إلا من الإلماح إلى مالقيه المسيح، عليه السلام، من اضطهاد ومحاربة من اتباع يشوع بن نون مما يجعل كل محاولة يقوم بها يهود اليوم لتبرئتهم مما يعتبره المسيحيون دماً قدسفك محاولة ترفضها رفضاً باتاً ذمة التاريخ!.

راجعوا «العهد الجديد» وتصفحوا بدقة وعناية صفحات «الأناجيل» تنتشر أمامكم قصة محنة السيد المسيح.. وبعد ذلك ستعلمون أن أى قرار يُبرىء اليهود من «دم المسيح» ليس إلا مؤامرة استعمارية لاصلة لها بالدين المسيحى وأنّ المسيحية منها براء!.. بل وإنها لمؤامرة تتجاهل هذا «الكتاب» الذى تُحترم نصوصه من جميع المسيحين على اختلاف مذاهبهم وتباين نحلهم، وإصدار قرار يتعارض مع نصوصه ليس إلا مؤامرة سياسية يؤكدها أن أصحاب هذا القرار من دول خلقت إسرائيل واغتصبت لهـا الأرض العربية وشردت أهلها وأبرزتها إلى الكيان السياسى بقرار هذه الدول الاستعمارية لحمـايتها ثم أرادت أن تدعم كيانها السياسى بقرار دينى!.. فهـى من ثمّ، بدعة مغـرضةَ!.. بدعة مجاملة الصهيونية على حساب دين كانت دعوة صاحبه أن آمنوا برب هو إله الجميع هى فى نظر اليهود جريمة كبرى استحق أن يحكموا عليه من أجلها بالإعـدام!.

وإذا قال قائل إن اليهود الذين كفّروا السيد المسيح عاشوا منذ حوالى ألفى عام وإن يهود «إسرائيل» اليوم أبرياء من «دم المسيح»،أجبنا بالقول إن إصرار اليهود على رفض الاعتراف بالمسيح وعدم إيمانهم به هو وحده البرهان الدامغ على حملهم هذه المسئولية ذاتهـا!.. وهذا مما يجعل أى وثيقة لاتتفق جملة وتفصيلاً مع نصوص «العهد الجديد»ليست فى واقعها إلا بدعة مغرضة!.. بدعة مجاملة الصهيونية عن طريق تزييف التاريخ!.. هل ضاقت الدنيا فى وجه المجمع السكسونى فى دورته الثالثة بمدينة روما عندما أنهى البحث فى وثيقة الكاردينال«بيا» ، أو وثيقة تبرئة اليهود من «دم المسيح» ، فلم يجد من وسيلة يناصر بها إسرائيل سوى التجنّى على التاريـخ؟!.. هذا التاريخ الذى يبدأ

عندما، بين يشوعيين في جانب ويسوعيين في جانب آخر، استهلت أورشليم القرن الأول الميــلادى.. هذا القرن الذى لم تكن مجريات الأحـــداث السياسية والدينية فى خلاله إلا أشد خطورة مما قــد سبقه من قرون.. لا لأن هناك كان الذيــن نبــذوا ظهــرياً دين يشــوع واعتنقوا ديناً مبادىء يسوع..كلا!. فإنَّما هؤلاء كانوا قلة وتاريخهم الحيوى كان لــم يبدأ بعــد. وإنما لأن هناك كانت تلك الكثرة من أهل اليهودية التى رفضت مسيحية يسوع، عليه الســلام، بينما علقت أنظارها بالمستقبل تنتظر ظهور«المسيح المنتظر»!.. ومن غــريب المفارقــات أن تصبح علــى رأس هــذه الكثرة طبقة الكهنوت نفسهــا التــى نجدها قــد اعتنقت نفس هذه العقيدة وراحت تحاول استغــلالها لتدعيم مــركزها الدينــى!..

واعتبر الحكم الرومانى ذلك تحدياً له فثار ضد اليهود جميعاً!.. وهاجم «تيطس» اليهودية واحتل أورشليم ودمرها وهدم المعبد الثانى من جديد وقتلَ من تمكن من قتله من اليهود وأما من ظل منهم على قيد الحياة فليس إلا ليبدأ تاريخ التشتت فى أرجاء الأرض.. فكان هذا الحدث، الذى استغرق مرحلة من الزمن، مابين سنة ٦٦م إلى سنة ٧٠م، إيذاناً ببداية نهاية التاريخ اليهودى من فلسطين.. وأما النهاية الحاسمة فقد جاءت إثر تلك الأحداث الدامية فى تاريخ أهل اليهودية وكانت آخر محاوله يهودية جاءوا بها لإحياء تراثهم فى فلسطين وذلك عند ماأعلن بعض يهود القدس العصيان على الرومان ودعوا لقيام دولتهم من جديد وقام«باركوشباس» ، ابن النجم، ينادى بأنه هو«المسيح المنتظر» .. فهاجمهم «هادريان» ، ١١٧–١٢٨م.، واحتل المنطقة اليهودية فى القدس ودمرها تدميراً وقتلَ من تمكّن من قتله من اليهود.. وأما ماكان قد تبقى من آثار المعبد الثانى فقد قوضه تقويضاً ثم بنى مكان مدينة القدس مدينة جديدة سماها «إيليا» حرّم على اليهود سكناها.وبعد هذه المحاولة لم تقم لليهود فى فلسطين قائمة ولم يظهر لهم فيها أى نشاط سياسى حتى العصر الحديث..

هذا هو الواقع التاريخى لتاريخ هذه الجماعة من اتباع يشوع بن نون وتبّاع دينه والذين لم يبق منهم من«بيوت إسرائيل» إلاحفنة وأمَّا العدد الأكبر من هؤلاء اليهود فكان قد تألّف من الذين كانوا قد تهودوا .. وهؤلاء هم الذين قد راحوا، فراراً من الجحيم الذى استعر حممه فى فلسطين إثر الغزو الرومانى، وهدم «المعبد» ، يدأون تاريخ اليهود وقصة

التشتت فى أرجاء الأرض. لاتجمع بقعةٌ الأفرادَ من هذه الجماعة الدينية إلاً لتستدير حلقاتهم من حول هذه الأسئلة؛

أين أورشليم؟.

وأين صهيون ؟!..

وأين «بيت الرب» ؟!..

وأين؟!..

أين «الأرض الموعودة» ؟!

لقد هوت أورشليم فهوت الجامعة الوطنية.. وهوى «المعبد» فهوى النظام الكهنوتى وفصمت عرى الوحدة التى كانت تصل اليهودى باليهودى ولم يعد شىء يربط هذه الجماعة إلا الذكرى..

والذكري؟.. الذكرى حالة نفسية تمربها الجماعات كما يمر بها الأفراد وتعتصر الفكر لدى مغيب كل أمنية ولاتعتصره إلا لتطرق من حوله مطارق الحزن.. والحزن إذا ماطرقت الفكرَ مطارقه فليس إلا ليبتعث ماتطويه الذاكرة من أصوات ومايحوم فيها من أطياف..

تحت ضغط من دوافع هذه العوامل النفسية تناولت اليد اليهودية، حيثما كان مكانها من الأرض، الحلقة التى تصلها بالماضى.. هذه الحلقة المتمثلة فى«الأسفارالخمسة» والتى كان قد أصبح عليها علماً اسم؛ «التوراة».. ومـاانحنى القلب اليهودى يراجع فى هذه «التوراة» ماضيه إلا وبدأ التهامس يدور فى مجتمعاتهم بنغمة واحدة تـرت تُردد؛

إذا كانت أورشليم قد هوت فليس ذلك إلا لفترة وإذاكان «المعبد» أيضاً قد قوض فليس ذلك أيضاً إلا لفترة.. فترة، قد تطول ولكنها حتما ستنتهى يوماً طالما أن اليد تمتلك هذه«الأسفار»!. هذه«التوراة» القائلة بأن فلسطين، بل وليس فلسطين وحدها فحسب وإنما كل الأراضى الممتدة من الفرات إلى النيل، هى «منحة» لبنى إسرائيل!.

وهكذا جاء انتثار يشوع بن نون فى الأرض بمضاعفة تسييج هذه «الأسفار الخمسة» بالقدسية لاعتبارهم إياها حجة شرعية على تمليك بنى إسرائيل فلسطين.. ناسين، فى حمى التمسك بهذه «الأسفار»، أن هذا الاعتبار نفسه ينقض دعوتهم من أساسها، وهذا لأمرين..

أولا: هذا «الوعد» جاء مقصوراً على بنى إسرائيل وحدهم وهؤلاء كانوا قد طواهم الزمن منذ أباد الغزو الآشورى «القبائل العشر» من صفحة التاريخ ومحا من هذه الصفحة شيئاً اسمه إسرائيل. وبالتالى، منذ حمل الغزو البابلى القبيلتين الباقيتين من سلالة يهوذا وبنيامين، وهؤلاء لم يعد منهم إلا قلة تناولها، أيضاً، التيار الزمنى بالتلاشى.. وهذا مما يجعل هذا «الوعد» حتى ولو كان صحيحاً، وهذا مجازاً، يعتبر لاغياً من الوجهة الشرعية إذ لاصلة دم تربط هذه الجماعة من سلالة آباء كانوا قد تهودوا واتبعوا دين يشوع بن نون بأبناء إسرائيل الذين كانوا قد تناولهم الزمن بالفناء إلا من قلة تغيب فى هذه المجموعة من أدعياء النسب إلى إسرائيل!..

والأمر الآخر هو: أنّ هذه «الحجة» تعتبر من الوجهة التاريخية غير شرعية ومن ثمّ لاغية وذلك لأن هذه «الأسفار الخمسة» مفتراة على موسى وعليه مزورة!..

وهنا نتساءل؛ أغابت، حقاً، عن هذه الجماعة هذه الحقيقة؟..

يقيناً إن هذه الحقيقة وإن غابت عن الناحية الجماعية فى هذه الجماعة فإنما هى عن الناحية المثقفة فيهم لم تغب!.. والبرهان على ذلك مستمد من نفس التاريخ الفكرى لذلك العصر الذى كان العقل الإنسانى فى خلاله يسجل خطواته الفلسفية فى اليونان الصغرى وفى اليونان الكبرى وخاصة فى الاسكندرية.. فهناك، وتحت أشعة ذلك العصر الفلسفى وأضواء العلم اليونانى تناول العقل اليهودى هذه «الأسفار الخمسة» وماتصفّحها إلا وبدأ يتطرق إلى تفكيره الشك بكل مااحتوته من نصوص!..

كل ما فى هذا «الكتاب المقدس» تنقضه نقضاً صريحاً هذه الفلسفات وهذه العلوم!..

كل مافى هذا «الكتاب المقدس» من نصوص قد أترعتها الأغلاط والتُرّهات كما أترعها السفه والفحش والانحلال!.

وفى الواقع أن هذا الشك الذى تمثَّل بـ «فيلون» فى القرن الأول الميلادى كان قد بدأ قبل ذلك بزمن غير قصير ذلك عندما بدأ اليهود فى الإسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد بترجمة «العهد القديم» إلى اليونانية وأتموها حوالى سنة ٢٥٠ ق.م فنحن نرى من هذه الترجمة، التى عرفت بالترجمة السبعينية، أن رياح الشك قد عصفت بمترجميها وإلا لما كانت هناك كل تلك الشروح والتعليقات التى رأوا أن يضيفوها كيما يفُهم المعنى وراء النصوص من هذه«الأسفار الخمسة» !..فمن هذه الشروح والتعليقات تطلع علينا تأويلات غريبة واستعارات بعيدة عن ظاهر العبارات ومايشبه الخيال من صور مجازية وكتابات خفية على النحو الذى أفاض فيه من بعد «فيلون» .. ومثلا على ذلك ماتأتى به إلينا الشروح التى أضيفت إلى السفر الأول من هذه الأسفار والتى تستهل سطورها بهذا القول؛ إن سفر التكوين لاينبغى أن يؤخذ على ظاهره الساذج هذا وإنما ينبغى أن يفهم أن له معنى آخر خفياً!.

وأما ماهو هذا المعنى الخفى فهذا ماقد تناوله من بعد«فيلون» عندما راح يلجأ إلى«بدعة التأويل» محاولاً ماقد جاء فى هذا«السفر» من قصص أتى فى تأويلها بأخطاء أفدح منها!. لا لأنه قد خرج بهذا التأويل عن درجة النزاهة فحسب وإنما لأنه قد أظهر بذلك شكه من حيث أراد له إخفاء.

هذا المنهج هو الذى انتهجه الفكر اليهودى عندما أدرك مايحتويه هذا«الكتاب المقدس» من سفه وفحش وانحلال وترّهات وأباطيل وهذا هو المنهج الذى انتهجه اليهود وظهر عليهم واضحاً بعد هدم «المعبد» وطردهم من فلسطين فلقد تغافلوا تغافلاً بيّناً عن كل ما جاء فى«الأسفار الخمسة» من أغلاط تاريخية واستخدموا«المنهج الفيلونى» منهجاً فى تفسير ما يصطدمون به من نصوص « كتابهم» هذا مستهدفين بذلك هدفاً سياسياً واحداً هو احتلال فلسطين من جديد! وأما كيف يمكنهم الاستيلاء من جديد على فلسطين فليس إلا عن طريق إيهام العالم بأنهم لموسى أتباع وأن هذه الأسفار لموسى أسفار.. ففى هذا ضمان أمام الرأى العالمى يكفل لهم الحق فى مطالبتهم بهذه البقعة من الأرض كوعد روحانى جاءت به إليهم هذه «التوراة» !..

والواقع؟..

الواقع هوأن هذه الجماعة لاتعود إلى موسى بدينها لأن هذه «الأسفار» التى بها تدين ليست لموسى أسفاراً!..

الواقع هو أن هذا «العود» لايحمل أية صبغة شرعية قط!.. لا لأن هذه «الأسفار» لاتعود إلى موسى فحسب وإنما لأنه «وعد» جعلوه يجىء على لسان «يهوه» إله إسرائيل وهذا رب لاصفة له عالمية قط ولايتصف إلا بالمحلية كما بذلك يطلع علينا «السفر الثانى» من هذه «الأسفار الخمسة» وكما تؤكده بقية هذه «الأسفار» وإن كان عن هذه الحقيقة يتغافل اليهود عمداً، وكى يعطوا دعواهم صبغة شرعية راحوا يُوهمون العالم بأنهم إذ ينادون «يهوه» فلا يعنون بذلك إلا إله الكون!.

الواقع هو أن هذه الجماعة وثنية المعتقد لأن عبادة «يهوه» عليها تسيطر.. وهل هناك وثنية أوغل من عبادة رب محب لرشاش الدماء يأمر عابديه باستنزاف دم من سوى جماعته من البشر؟!.

هذا هو الواقع فى تاريخ هذه الجماعة منذ بدأوا يلعبون على مسرح التاريخ هذه الرواية الماجنة حتى هذا العصر الحاضر الذى بدأت اليد العربية تسدل فيه الستار على آخر فصول هذه الرواية الهزلية!.. وهذا هوماسجلوه بأنفسهم على أنفسهم عندما سطروا «التلمود» بعد أن كتبوا؛

الـ «مشنا»

لم تكد مدينة أورشليم تسقط فى أيدى الرومان ولم يكد الرومان المنتصرون على اليهود ينهالون على أكثرهم تقتيلا واستعمال القسوة مع الباقين فالطرد وبذلك بدأ التيه حول الأرض إلا ورأى خاصة اليهود، وعلى رأسهم الحاخام «يوخاس»، حوالى عام ١٥٠م، أن كل ما يستطيعون عمله بعد فقدهم «الجامعة الوطنية» هو اتخاذ الوحدة العقيدية، المتمثلة فى عقيدة «الأرض الموعودة»، وسيلة للعودة إلى أورشليم، وذلك عن طريق تقوية الرابطة الدينية بين جماعاتهم المتفرقة فى أنحاء العالم وأن السبيل إلى ذلك يتلخص فى تقييد سننهم بعناية ودقة.. وبدأوا العمل فراحوا يسجلون قوانينهم الخاصة وعاداتهم المتوارثة وتقاليدهم الدينية وسننهم الموروثة فى كتاب

أطلقوا عليه، نسبة إلى هذه السن،هذا الاسم: «مشنا» وما تم وضعه فى منتصف القرن الثالث الميلادى إلا وعملوا بكل مالديهم من قوة على تداوله بين أيدى جميع يهود الأرض..

بيد أن«مشنا» كان موجزاً تترعه النواحى الغامضة والمتشابهة ومن ثمّ كان افتقاره إلى تفصيل وتجلية وإيضاح. واضطلع خاصتهم بهذا الأمر فراحوا يضعون شروطاً وتعليقات يفصّلون فيها مجمله ويجلون بها غامضه ويقولون الكلمة الحاسمة فى شأن ماقد جاء فيه من متشابه الكلام فجاءوا بشروح دعوها باسم«جامارة».. ومن هنا نعلم أن الـ«مشنا» المشروحة على هذه الصورة مع الـ«جامارة» كونت كتاباً يحمل تعاليم الدين اليهودى وهو؛

«التلمود»

إن «التلمود» كلمة معناها باللغة العبرية «تلمذة» أو «تعليم»اختصاراً لكلمة«تعاليم» بيد أن معناها الدينى أو بالأحرى مفهومها اليهودى أعمق من هذا بكثير وأخطر إذ أن التلمود يعتبر لديهم «التوراة الشفوية» !.

«إن إله إسرائيل قد أملى التلمود على موسى شفوياً!» .

هذا هو قول حاخامات اليهود من مؤلفى«التلمود» وأما تاريخ «التلمود» فشىء آخر!..

إن تاريخ «التلمود» ينحصر فى عهود ثلاثة هى نفسها العهود التى استغرقت وضعه حتى إتمامه وهذه هى؛

العهد الأول؛

عهد«تانايم» أو المعلمين.. وهذا عهد جاء فى أعقاب سقوط أورشليم عندما أسس «يوحنا بن زاكاى» فى منطقة منعزلة بالقرب من يافا مدرسة«هامدراس» وبدأ بنفسه فى وضع السطور الأولى من هذا«التلمود» حتى أتم هو اثنان من خلفائه وضع القسم الأول منه وهو المعروف تحت اسم«التلمود الأورشليمى» .

العهدالثانى:

عهد الـ«عمورايم» ، أو الشُرّاح.. وهذا عهد جاء عقب الانتقال إلى العراق وتأسيس

مدرسة«سورا» هناك، حوالى عام ٢٢٠م،حيث تم القسم الأخير من «التلمود»وهو المعروف تحت اسم «شلقان عراق» أو «التلمود البابلى»..

العهد الثالث والأخير:

عهد الـ«صبواريم» أو المحققين.. وهذا عهد جاء وقد تم بناء هيكل التلمود ولم يبق إلا التحقيقات الأخيرة من أنه قد جاء مطابقاً لما جاء فى «الأسفار الخمسة» من نصوص .. وتولّى حاخامات اليهود هذه المقارنة وقاموا بهذا التحقيق وماأتمت أيديهم،دون إضافة أى شيء جديد، اللمسات الأخيرة لهذا الهيكل وتم الاتفاق فيما بينهم على أنه قد جاء حقاً يمثل تمثيلا صحيحاً شريعة«إله إسرائيل» إلا وكانت الأيام قد جرت إلى حوالى سنة ٥٥٠م. وهذا هو العهد الذى تم فيه وضع «التلمود» !.

هذا هو تاريخ «التلمود» .. سطور كتبت بأيدى حاخامات اليهود كما قد كتبت من قبل سطور«الأسفار الخمسة» بأيدى اليهوذيين!.. ومن هنا جاء «التلمود» حاملا نفس الصفات المادية الموروثة والمبادىء الدموية المتوارثة.. ومن هنا لانتناوله وننشر منه الصفحات إلا وتفوح منها، كريهة، رائحة الذبائح والدماء وإلا وتضجّ المسامع منا من أهوال مافيها من استنزاف دماء البشر!..

وهنا..

هنا يجب علينا، حتماً، أن نأتى ببعض مايشتمل عليه التلمود.. ومع علمنا بأنه ليس إلا المرآة العاكسة لما فى«الأسفار الخمسة»من نصوص فلابدّ لنا من استجلائه على حقيقته فنقول: إن «التلمود» عدة أجزاء تبلغ الثمانية ولكن يُوحّد فيما بينها روح واحدة تسرى فى جميع هذه الأجزاء وتسير عبر سطورها كفحيح أفعى تنفث السموم! عطشى هى إلى الدم أبداً، لاترتوى إلا بسفكه ولاتقيم لها عيداً إلا على استنزافه قطرة فقطرة!.. لاهدف لها إلاّ اتخاذ«مسيح منتظر» وإبادة سكان الأرض جميعاً من مسيحيين ومن كان فى عهد إتمام هذا التلمود من غير المسيحيين.. وهذه هى بعض النصوص التلمودية الخاصة بها الموضوع الذى طرقناه والتى جاءت فى «شلقان عراق» [1]هذا التلمود البابلى المتداول بين يهود العالم فى عصرنا الراهن..

(١) طبعة امستردام سنة١٦٤٤.

=

فلنقرأ؛

خلاصة تعاليم التلمود وأصول شرائعه

يقد«التلمود» قبل كل شيء صورة لإله إسرائيل فيقول؛

إن النهار اثنتا عشرة ساعة.

«فى الثلاثة الأولى منها يجلس يهوه يطالع الشريعة وفى الثلاثة الثانية منها يحكم.

وفى الثلاثة الثالثة يطعم العالم.

وفى الثلاثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك!.»

ولكن!..

فى لحظات من هذه الساعات يهبّ«يهوه» يبكى ويزأر

فلقد؛

«اعترف يهوه بأخطائه فى تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكى ويزأر قائلا؛ تباً لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل!.»

بيد أن لابأس؛

«ليس يهوه معصوماً عن الطيش والغضب»!.

ولكن«يهوه» وإن كان غير معصوم عن الطيش والخطأ إلا أن هذا لايمنعه من الندم على هذا الطيش والغضب اللذين جرّا على «شعبه المختار» هذ الحالة من التعاسة حتى إنه كثيراً مايبكى كل يوم ويلطم.

نعم!..

«يندم يهوه على تركه اليهود فى حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكى كل يوم!.»

وكيف لايبكى «يهوه» ندماً فيزأر ويلطم و؛

«أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح»!

=وطبعة براج سنة ١٨٣٩.

وطبعة فارسوفيا سنة ١٨٦٣.

لماذا؟..

«لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية!.»

وعلاّم العجب وهذا هو الواقع فاسمعوا؛

«كان آدم يأتى شيطانة عظيمة اسمها«ليليت» لمدة مائة وثلاثين سنة فولد منها شياطين.

وحواء أيضاً اتصلت خلال هذه المدة بذكور الشياطين فصارت لاتلد فى هذه الفترة إلا شياطين.

هؤلاء الشياطين الذين من نسل آدم أيضاً ومن نسل حواء هم غير اليهود من الناس!.»

لذلك؛

«يستطيع الإنسان فى بعض الأحوال أن يقتل الشياطين!.»

ثم لما كان لامكان للشياطين فى النعيم ومكانهم هو الجحيم فإن؛

«النعيم مأوى أرواح اليهود ولايدخل الجنة إلاّ اليهود!..

أما الجحيم فمأوى كل غير اليهود وفى مقدمتهم المسيحيون! ولانصيب لهؤلاء فى الجحيم سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين!..»

أو شك فى أن المسيحيين مكانهم الجحيم؟!

أنّى يمكن أن يكون غير ذلك وسيلحق المسيحيون، حتماً، بمن اتّبعوه فإن؛

«يسوع الناصرى موجود فى لجّات الجحيم بين الزفت والقطران والنار!.»

لماذا؟!.. لأن؛

«يسوع الناصرى ارتدّ عن الدين اليهودى!.»

ثم؛

«أن أمه مريم أتت به من الجندى «باندارا» بمعاشرة الزنا!.»

لذلك نقول؛

«إن الكنائس المسيحية بمقام القاذورات وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة!.»

ولذلك؛

«من الواجب الديني أن يلعن اليهودى، كل يوم، ثلاث مرات رؤساء المذهب المسيحى!.»

بل إن؛

«من الواجب الدينى على كل يهودى أن يلعن المسيحيين، كل يوم، ثلاث مرات ويطلب من إلهه أن يبيدهم ويفنى ملوكهم وحكامهم!.»

إن من الواجب؛

«على اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة!.»

لذلك فإن؛

«العهد مع المسيحى لايكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود به!.»

ولذلك، تُعتبر؛

«كنائس المسيحيين كبيوت الضّالين ومعابد الأصنام، فيجب على اليهود تخريبها!.»

بل إن؛

«قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها!.»

اعلموا؛

«أن كل مسيحى هو عدو لهيوه ولليهود! وليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم!.»

ولكن!.

هناتنبهوا!.

إن المسيحيين ليسوا هم وحدهم أعداءكم وإنما سائر الأمم، ياأيها اليهود، لكم أعداء ، لأنهم لايدينون بدينكم ولذلك فإنه؛

«لاقرابة بين اليهود وبين الأمم الخارجة عن دين اليهود؛

لانهم أشبه بالحمير!

يجب أن يعتبر اليهود بيوتَ باقى الأمم نظير زرائب للحيوانات!.»

بل؛

«إن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة!

خلقهم الله على هيئة إنسان ليكونوا لائقين لخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا من أجلهم!.»

كيف؟!..

«نحن شعب الله فى الأرض!.

لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا هذا الحيوان الإنسانى وهم كل الأمم والأجناس!.. سخَّرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان؛

نوع أخرس، كالدواب والأنعام والطير. ونوع ناطق، كالمسيحيين وغيرهم من سائر الأمم من أهل الشرق والغرب.

سخَّرهم لنا ليكونوا فى خدمتنا.. وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم ونمسك بعنانهم لمنفعتنا!.»

ولذلك فإنَّ؛

«اليهودى لايخطىء إذا اعتدى على عرض غير اليهودية لأنَّ المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة!..»

لاجدال فى؛

«أن لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير اليهوديات!» .

كلا ولاشك فى؛

«أن الزنا بغير اليهود، ذكوراً كانوا أو إناثاً، لاعقاب عليه لأن غير اليهود هم من نسل الحيوانات!.»

لاشك؛

«أن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان يماثل الفرق بين اليهودى وباقى الشعوب!..»

كلا، وليس هذا فحسب وإنما الواقع هو؛

«أن اليهودى عند الله أفضل من الملائكة! لولا اليهود لزالت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر!..»

ولذلك؛

«يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود دون سواهم!.»

وهذا حتى؛

«يحكم اليهود نهائياً باقى الأمم!.»

ولكن!..

«قبل أن يحكم اليهود نهائياً على باقى الأمم يجب أن تقوم الحروب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم!..

وأما إذا سألتم؛ ماهى الوسيلة إلى هذه الغاية؟..

فإليكم الجواب وهو؛ إن هذه الغاية لايمكن أن تتحقق إلا عن طريق المال!

ولذلك؛

«يجب أن تصبح الأمة اليهودية غاية فى الثراء!.»

أتسألون ماهى الوسائل إلى الإثراء؟. إليكم الجواب؛

«إن السرقة والربا هما أسرع الوسائل إلى الإثراء!.»

السرقة؟..نعم!..؛

«إن السرقة غير جائزة من اليهودى لليهودى ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهودى!

السرقة من غير اليهودى لاتعتبر سرقة بل استرداداً لمال اليهودى!

حلال هى ومباحة كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يمتلكها من يعض يده عليها أولاً!..»

تعلّم!..

«تعلم من الحاخام صموئيل الذى ابتاع من غير يهودى آنية من الذهب ظنها الأجنبى نحاساً ودفع الحاخام ثمنها أربعة دراهم فقط ثم سرق منها درهماً!» .

ثم إن هناك أسلوبا آخر من أساليب السرقة وهو الربا. بل والربا الفاحش!.. فإنما؛

«مسموح لليهودى غش غير اليهودى وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش!.»

لأنّ؛

«الله يأمر بأخذ الربا من غير اليهود وأن لانُقرضه إلاّ تحت هذا الشرط! وبدون ذلك نكون قد ساعدناه مع أنه من الواجب علينا ضرره!.»

كيف؟..

«إن حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله؟»

ومن ثمّ تنبهوا!..

«إذا احتاج غير اليهودى بعض النقود فعلى اليهودى أن يستعمل معه الربا المرة بعد المرة حتى يعجز عن سداد ماعليه إلا بتنازله عن جميع أمواله!.»

ولذلك؛

«لليهودى أن يستحّل فى معاملة غيره، فيما عدا اليهود، كل وسائل الغش والخداع!»

وإذن!..

«إذا جاء أمامك، بدعوى، يهودى وغير يهودى فإذا أمكنك أن تجعل اليهودى رابحاً فافعل!..»

كيف؟!..

«استعمل الغش والخداع فى حق غير اليهودى حتى تجعل الحق لليهودى!.»

ولذلك؛

«مُصرّح لك أن تحلف أيماناً كاذبة!» .

أجل؛

«لليهود أن يؤدى عشرين يميناً كاذبة ولايُعرّض أحد إخوانه اليهود لضرر ما!..»

بل..؛

«يجوز لليهودى أن يشهد زوراً وأن يقسم بحسب ما تقتضيه مصلحته عند اللزوم ويؤول ذلك فى سره!..»

ثقوا!..؛

«إن كل خير يصنعه يهودى مع غير يهودى هو خطيئة عظمى! وكل شر يفعله معه هو قربان ليهوه يثيبه عليه!..»

كل شر يفعله اليهودى بغير اليهودى هو قربان ليهوه، حتى السلام غير جائز!.. فإنما؛

«محظور على اليهودى أن يُحييّ غير اليهودى بالسلام ما لم يخش ضرره أو عداوته والنفاق جائز فى هذه الحالة، فلا بأس من ادّعاء محبة غير اليهودى إلى غير اليهودى إذا خاف اليهودى من أذاه!

ولذلك مُصرح لليهودى أن يوجه السلام إلى غير اليهودى ولكن على شرط أن يستهزئ به سراً!.»

ولكن!..تنبهوا!..

«لليهودى أن يستحل فى معاملة غيره، فيما عدا اليهود، كل وسائل الغش والخداع!..

بل والقتل أيضاً!.»

القتل؟!. نعم، القتل بدون استثناء!.؛

يا أيها اليهودى!. اقتل!..؛

«حتى الصالح من غير اليهود

حلال قتله بيد اليهودى!.»

اقتل!..؛

« اقتل الصالح من غير اليهود! فإنما محرّم على اليهودى أن ينجيّ أحداً من غير اليهود من هلاك!.»

كلا!.

«لا يصح لليهودى أن ينقذ حياة أحد من غير اليهود!..»

لا تشفق!..

«إن الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودى!

إذا رأيته واقعاً فى نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أن تنقذه!.

إذا رأيته واقعاً فى حفرة لا تنقذه بل عليك أن تسدها عليه بحجر!..»

هذا هو العدل!.. فإنّما،

«من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل غير يهودى!

لأنّ من يسفك دم غير اليهودى يقربّ قرباناً إلى يهوه!..»

يا أيها اليهود!.. لا تتوانوا!... فإنّما،

«على اليهودى أن يقتل من يتمكّن من قتله فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع!.»

هذه هى شريعتكم، يا أيها اليهود، وأنتم فى حال السلم وأما فى حال الحرب فاعلموا أنه،

«إذا انتصر اليهود فى موقعة وجب عليهم استئصال أعدائهم عن بكرة أبيهم!..»

اعملوا بذلك، يايهود العالم، فإن،

«من يخالف ذلك فقد خالف الشريعة!..»

يايهودالعالم!..

هذه شريعتكم شريعة إلهكم «يهوه» الذى اختاركم لنفسه

«شعبا مختاراً»!.. لا يتخلّفن أحد منكم عن العمل بأوامرها حتى يسرع الزمن فيأتى «مسيحكم» فإنه،

«لا يأتى المسيح الحقيقى إلا بعد انقضاء حكم الأشرار هؤلاء الخارجين على دين بنى إسرائيل!..»

سارعوا إلى العمل بأوامر شريعتكم حتى يسرع الزمن و،

«يأتى المسيح... وفى ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له! وفى ذلك الوقت يكون لكل يهودى ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه!.»

عند ذاك،

«يتحقق أمل الأمة اليهودية!.. وتكون هى الأمة المتسلطة على باقى الأمم!.»

وأما حتى ذلك الحين فإنّ؛

«اليهود يعيشون فى حرب عوان باقى الشعوب منتظرين ذلك اليوم يوم يأتى المسيح الحقيقى ويحقق النصر المرتقب ويحكم اليهود نهائياً باقى الأمم يوم يكون اليهود قد أصبحوا غاية فى الإثراء لأنهم يكونوا قد حصلوا على جميع أموال العالم!.»

يومذاك!.

يومذاك، يا يهود العالم، ستكون أيامكم كلها أعياداً كأيام هذين العيدين المقدسين، عيد «البوريم» وعيد «الفصح».. هذين العيدين اللذين لأنتم لكم فيهما الفرحة إلاّ بأكلكم الفطير الممزوج بالدماء البشرية!.. (١)

نعم!...

«عندنا مناسبتان دمويتان تُرضيان إلهَنا يهوه.. عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية!.»

والآن؟..

الآن هذه هى خلاصة تعاليم التلمود وأطول الشرائع التلمودية التى جاءت تَفْرض هذا القدر المحتوم للذين يعيش اليهود بينهم أو تدوس أقدام اليهود أرض بلادهم وكان المقصود بذلك هم المسيحيون أولاً وبالتالى أصحاب الأديان الأخرى قبل أن تشمل هذه التعاليم الإسلام..

وأما الآن والتعاليم التلمودية لاتقتصر على صبٍّ هذا القدر المحتوم على المسيحيين وحدهم وإنما على المسلمين وعلى كل أصحاب دين من غير اليهود فإنّ الأمر ليس

---

(١) راجع الأسانيد الخاصة بهذه «الذبائح البشرية» تجدها فى صفحة «المراجع» الخاصة بهذا البحث.

بالسهل البسيط!.. أقول ذلك وأؤكده لأنها الحقيقة التى يخفونها عنّا والتى لايستطيعون أن يتخلّوا عنها ما لم يتخلّوا عن دينهم نفسه!.

إن نظرتهم إلى أنفسهم تفرض عليهم قتلنا لأنها هى صلب دينهم وصميمه وليس ذلك إلا لاعتبارهم أنفسهم «الشعب المختار» وأنهم وحدهم هم البشر الحقيقيون ومن عداهم فهم من نسل تلك الشيطانة التى اتّصل بها آدم وأولئك الذكور من الشياطين الذين كانت تتصل بهم حواء!. لذلك وضعوا من سواهم من أصحاب الأديان الأخرى في مرتبة السائمة ولذلك حلّل «التلمود» ذبحنا دون تمييز بين شيخ منّا أو طفل فالإبادة هى مصير البشرية من غير اليهود فى شريعة «الأسفار الخمسة» و«التلمود»!.. ومن ثمّ فالقتل هو نصيب أهل البلاد التى أهداها «يهوه» لشعبه «المختار» من نهر مصر إلى الفرات أوّلا ثم، بالتالى، كل العالم!.

أجل... هذه هى خلاصة الشرائع التلمودية التى جاءت تفرض هذا القدر المحتوم للذين تدوس أقدام اليهود أرض بلادهم وما ذلك إلا لأن «التلمود» هو تقنين الدين اليهودى فى جوهره وتفسيراً للصفة المادية التى تتصف بها «الأسفار الخمسة» ولذلك عرف بأنه «التوراة الشفوية» وليس ذلك إلاّ لأنه المرآة العاكسة لما فى «الأسفار الخمسة» من تعاليم تجعله وإيّاها صنوين بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الآخر وأنهما يمثلان وجهَين لعلة واحدة!..

أجل!. هذه هى خلاصة الشرائع التلمودية التى تُمثّل أصدق تمثيل الدين اليهودى الحالى «دين الأسفار الخمسة» التى كتبها اليهوديون الذين أسسوا الصهيونية. فإنما الصهيونية، والصهيونية تعتبر الامتداد الطبيعى للدّين اليهودىّ والتطور التاريخى لهذا الدين، هى نفسها الامتداد الطبيعى للشرائع التلمودية.. وإذا كانت الصهيونية تستمد الركائز لدعوتها الإجرامية من «الأسفار الخمسة» فإنّما هى تستمد دستورها الرهيب من هذه «التوراة الشفوية» التى يتخذها يهود العالم، لا الصهاينة وحدهم فحسب، دساتير ساروا عليها حتى العصر الحاضر منذ ذلك العصر الذى انتهت فيه أيدى الحاخامات من كتابتها فى زمن كان تاريخه قبل مشرق الرسالة الإسلامية بقليل وكان فى خلاله قد عمّ انتشار هذا التلمود بين يهود العالم والعمل بما جاء فيه شاملاً تلك البقعة من شبه الجزيرة العربية والتى كانت تسمى «يثرب!..» . وهنا لنا كلمة نقولها وهى؛

إن الإسلام حينما جاء، جاء وهذه الشرائع التلمودية كانت هي الدساتير المعمول بها عند يهود شبه الجزيرة العربية كما كان الدين اليهودي دين «الأسفار الخمسة» فيها مُمثلاً ومن هنا نفهم لماذا جاء القرآن الكريم مُرشداً إلى أنّ ما في أيدي اليهود من توراة هي توراة افتروها على موسى عليه السلام ﴿يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً!﴾ (١). ومن هنا نفهم لماذا نسخ الإسلام، مع اعترافه برسالة موسى، لهم ديناً لا يعود بتكوينه إلاّ إلى هذه «الأسفار الخمسة» أو «التوراة المكتوبة» وإلاّ إلى هذا «التلمود» أو «التوراة الشفوية» والأولى قد ألفها اليهوذيون مؤسسو الصهيونية الأولى والآخر قد ألفه الحاخامات من رؤساء هذا الدين الذي يستحلّ ذبح من لا يدين به واستنزاف دمه قطرة بعد قطرة!..

جاء الإسلام فوجدهم يعبدون رباً رمزاً هو للهمجية والوحشية يسمونه «يهوه» ويدْعُونه إله إسرائيل ويلقبونه «بربِّ الجنود» ويصورونه سفاحاً متعطشاً لسفك دماء البشرية من غير اليهود، الشعب المختار هذا الذي عليه أن يقدّم القرابين البشرية لإرضائه ومزج مايستزف من دمائها بفطير كل عيد!. ثمّ هم يحتكرون أنفسهم له ويحتكرونه لأنفسهم ويريدون إحلاله على عرش الألوهية مكان «الله» ربّ العالمين!..

جاء الإسلام فوجدهم يقدسون «كتاباً» هو صورة للبذاءة تكشف عن حقيقة تكون هذا الدين بما نسبوه فيه للأنبياء والمرسلين من ارتكاب المعاصي والرذائل والفجور، وبما أباحوه فيه من ألوان الانحلال الخَلقي والسرقة، وبما انتهجوه فيه من أساليب في الحياة ملتوية كل الالتواء تناولت نفس «الوصايا العشر» التي جاء بها موسى، عليه السلام، يوم جاء لهدايتهم فأبوا عليه إلاّ تمرداً وتآمراً وخيانة!.. فإن هذه الوصايا الناهية عن القتل والسرقة والزنا لا تؤخذ لديهم إلا على معنى لاتقتل اليهوديّ ولا تسرق اليهوديّ ولاتزن باليهودية!..

جاء الإسلام فوجدهم يتداولون «تلموداً» مثلاً على الفحش والرذيلة والانحلال يهاجمون فيه السيد المسيح، هذا الذي سفه بتعاليمه أحلامهم وشذّ عن خططهم الجهنمية وأساليبهم الملتوية في الحياة، بأسلوب قذر وهم ينكرونه ولا يعترفون برسالته ولايقتصرون على ذلك وإنما هم يتطاولون إلى عرض مريم نفسها فيرمونها بأشنع رمية

(١) سورة البقرة.

بينما جاء الإسلام يعترف بابن مريم مسيحاً وروحاً إلهياً و«كلمة الله» المتجسدة لهداية البشرية وأما مريم فيصون شرفها في نظرة قدسية سامية، وينعتها بأطهر نساء العالمين قاطبة. ثم هذه الصوامع مراكز الرهبان وهذه الكنائس مراكز القسيسين يعتبرها اليهود مكان قاذورات، ولا يعتبرها الإسلام إلا مراكز لإشعاع الطهر والحب والسلام!.

جاء الإسلام فوجدهم يعيشون على الربا ويتوصلون بواسطة هذه القاعدة الأولى التي يتركز عليها كيانهم إلى خططهم الإجرامية الهادفة إلى استعباد من سواهم من البشر!.. وجدهم يستخدمون هذا السيف البتّار للنظام الاجتماعي في تحقير من سواهم وتدنيس أعراضهم وتلويث شرفهم وامتصاص دمائهم!. وجدهم يتخذون رائداً القتل الفردي والقتل الجماعي، تارة عن طريق الذبح وتارة أخرى عن طريق تسميم الآبار فيخربون البلاد التي يعيشون فيها ولا يحفظون لأهلها جواراً بل ويمعنون بين جنباتها تخريبا وفساداً يجعلهم يكونون فيها بؤرة بغي وفساد ومنكرا!.

ومن ثم كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يدعو إلى مكارم الأخلاق وبين دين يدعو إلى الفحشاء بنشر الرذيلة حيثما كان ويحارب الفضيلة في كل مكان فإنما هم؛

﴿*لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون!*﴾ (١)

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يدعو إلى التواضع والدعة ولا يفرق بين عربي وغير عربي إلا بالتقوى وبين دينٍ يدّعي التعالي ويترعه الغرور ويملأه البغض والحقد والكراهية لسائر الشعوب!..

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يحتم المساواة بين الناس ويدعو إلى البذل والعطاء وعدم خزن الفضة والذهب وبين دين يرى سـائر النـاس شياطين أو سائمة ويَعبُد الفضة ويُؤلّه الذهب!.

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يرفع من شأن إبراهيم ولوط وموسى ومريم وابن مريم ويصفهم بألوان من المحامد وبين دين ترميهم كتبه بأرجس الصفات فالتوراة تصف إبراهيم بالفسوق ولوطا بالفحشاء وموسى بالخيانة!. و«التلمود» يقدح في «كلمة الله» ويتناول عرض «البتول» وينالها بالمثالب في تعريض صارخ!..

---

(١) الآية ٧٩ (سورة المائدة)

هذا هو السرّ فى التفرقة التى وضعها القرآن الكريم بين موسى و «صحف موسى» وبين اليهود وصحفهم هذه من «توراة مكتوبة» ومن «توراة شفوية»! أو هذه «الأسفار الخمسة» وهذا التلمود!.

هذا هو السرُّ فى إلغاء الإسلام لهذا الدين اليهودى الذى كان وباؤه قد انتشر وداؤه قد استشرى لا فى «يثرب» فحسب ولا فيما حول يثرب فحسب وإنما فى أطراف شبه الجزيرة العربية عند مشرق الإسلام!.

هذا هو السّر فى استئصال الإسلام لهذا السرطان من جسم المجتمع العربى والذى كان لاينمو إلا على حساب الفتك به فتكا لاشفقة فيه ولارحمة!.

هذا هو السّر فى محاربة محمد ﷺ، ليهود شبه الجزيرة العربية وأما فى استئصاله شأفة من هناك منهم فلم يكن ﷺ، إلا أول محارب لأسس الصهيونية والعامل الأول فى حقل التاريخ الذى استطاع معوله اقتلاع جذور ذلك النبت الضار من هناك قبل أن يتفاقم نموه كما نما فى غيرها من البلدان وأثمر هذه الأشواك السامة التى تلفح سمومها فى عالم الشرق الأوسط الآن!..

هذا هو الواقع التاريخى..

ومن ثمّ فإننى إذا قلت إن محمداً ﷺ، كان أول محارب لأسس الصهيونية وإنه قد تمكن من اقتلاع نبتها من تربة شبه الجزيرة العربية فإننى بقولى هذا أكون قد قررّت واقعاً تاريخياً وأما إذا قلت إنه، ﷺ، قد حاربها محاربة إيجابية بأن ألغى إلغاء تاماً الدين اليهودى الحالى فإننى أكون قد قررت حقيقة تاريخية لأن الصهيونية هى اليهودية واليهودية هى الصهيونية!. فما اليهودية والصهيونية إلا وجهان لجسم ممسوخ واحد وكلمتان للتعبير عن داء واحد خبيث!.

كيف؟.

هذا سؤال يشارف بنا الهدف من موضوع هذا البحث

ويجابهنا نفسه بهذا السؤال؛

ما هى الصهيونية وما هى اليهودية؟.

وما هى الرابطة بين الصهيونية واليهودية؟. (١)

فى الواقع أن اليهودية كدين وأن الصيهونية كحركة سياسية لايختلفان.. فإنما اليهودية كدين ليس ديناً كسائر الأديان لأنه دين لا يعبر عن طائفة دينية فحسب وإنما هو يعبر أيضاً عن حركة سياسية امتدت أصولها منذ أن قُوض «بيت يهوذا» ودالت «دولة يهوذا» وزالت من خريطة الوجود.. ومن هنا كان ارتباط اليهودية بالصهيونية منذ ذلك التاريخ.. منذ ذلك التاريخ أصبحت اليهودية والصهيونية صنوين بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الأخر وأصبحتا تمثلان وجهين لمشكلة واحدة ومن هنا يجئ مفهوم الصهيونية وهو أنها الحركة اليهودية التى تسعى بكل قواها وبكل ما تستطيع اتخاذه من الوسائل إلى إعادة «مملكة اليهودية» وبناء هيكل سليمان على أنقاض «المسجد الأقصى» ومن ثم السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك يهودى هو «المسيح المنتظر» ومن هنا عرفت الصهيونية بأنها «الامتداد الطبيعى لليهودية والتطور التاريخى لهذا الدين» وهذا هو الواقع التاريخى لأن الدين اليهودى لا يعبِّر عن طائفة دينية فحسب وإنما هو يعبر عن حركة سياسية أيضاً بدأ عملها الجدّى منذ أدال البابليون من «مملكة يهوذا».

ومن هنا ارتباط اليهودية بالصهيونية بمعنى أن اليهودية قد ظهرت على حقيقتها تحت هذا الطابع الصهيونى البحت. وأما لماذا نشأ فى أذهان الكثيرين أن الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر فليس ذلك إلا لأن مفكرى اليهود قد حرصوا، منذ مستهل الدعوة الصهيونية الحديثة، على ألا يكشفوا عن هذه الحقيقة بدافع من حرصهم على إخفاء نواياهم الحقيقية محاولين أن يخلعوا على إعلان «الحركة الصهيونية» وأهدافها ومبادئها وبرامجها ثوباً إنسانياً عاماً بأن راحوا يوهمون العالم بأن الهدف منها هو مدُّ يد المساعدة إلى اليهود «المضطهدين» فى أرجاء العالم والبحث لهم عن ملجأ يحيون فيه ويُحيون فيه لغتهم ويمارسون فيه طقوسهم الدينية بحرية تكفل لهم الطمأنينة وأما أنهم يطلبون فلسطين ملجأ فليس ذلك إلا أنها لبنى إسرائيل «منحة إلهية»! هذا من ناحية وأما من ناحية أخرى فقد خشى اليهود أن يكون لإعلان الحركة الصهيونية رد فعل ضد اليهود فى بعض الدول الغربية التى كانت قد اضطرت إلى التنكيل بهم بالفعل نتيجة حتمية

---

(١) دائرة المعارف البريطانية (zionism)

لمحاربتهم الاقتصادية إياها فى الخفاء ولاستنزاف دماء من كانت تقع عليه أيديهم من أهلها عملا بشرائع التلمود.. ولذلك نفى الصهيونية كل صلة بين الحركة الصهيونية وبين مجموع اليهود فى العالم زاعمين أن الحركة الصيهونية حركة مستقلة، وخاصة بعدد قليل من المفكرين اليهود ولكن!. الواقع التاريخى القديم يثبت بطلان هذا الزعم بشكل لا يقبل الجدل ويؤيده الواقع التاريخى الحديث وهذا مستمد، نفسه، منهم!. فإنما هم أنفسهم الذين أعلنوا هذه الحقيقة الصارخة صريحة تقول؛

«إن العقيدة الصهيونية ليست إلا الإيمان باليهودية وما تعنيه من مفاهيم وتاريخ وعادات وتقاليد من ناحية الهجرة إلى فلسطين للإقامة..

بقصد بناء الدولة الجديدة من الناحية العملية كأرض منحت من الإله!

ومن ثمّ فلا يمكن تدمير الصهيونية إلا بتدمير اليهودية..»

«وايزمان»

هذه هى *الحقيقة فإن؛*

«حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشطين تكون اليهودية حيّة فعّالة!.» (١)

«شختر»

هذا هو الواقع ولذلك وضح المؤتمر الصهيونى الأول هذه الحقيقة بصورة صريحة أعلنت؛

«إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية»

«هرتزل»

هذه هى الحقيقة. فإن بين اليهودية، كدين، وبين الصهيونية كحركة سياسية، صلة ليست بالوثيقة فحسب وإنما هى واحدة لأن الصهيونية لاتستمد مبدأ وجودها إلا من اليهودية... فالركائز التى ترتكز الصهيونية عليها فى دعوتها السياسية هى «الأسفار الخمسة» والدستور الذى تسير وفق تعاليمه هو «التلمود» فإن؛

---

(١) سولومون شختر «١٨٤٧ ـ ١٩١٥»

« الشعور الدينى هو مصدر الصهيونية والحافز لقيامه. هذا الشعور الناجم عن التقاليد والمعتقدات الدينية والمبنى على أقدم الذكريات للبلاد التى نشأت فيها الحياة اليهودية الأولى والتى مارس اليهود فيها حريتهم!.»

«هرتزل»

هذا هو مفهوم الصهيونية وأما الصهيونية فى مبناها ومرماها فقد تبينا أنها حركة تابعة لقيام الدولة وسقوطها فى «بيت داود» وأما اسمها هذا فليس إلا كلمة اشتقت من اسم «صهيون» كانت كنعان قد أطلقتها على ذلك الجبل الواقع ناحية الشرق من مدينة «القدس القديمة»، «أورشليم»، بمعنى الصون والتحصين لأن المكان كان فعلا من حصون الروابى العالية وأما المرمى من وراء انتساب الصهاينة إلى هذا الجبل فحجتهم الجوهرية هى هذه النصوص؛

«وأخذ داود حصن صهيون وأقام داود فى الحصن وسماه مدينة داود!.» (١)

هذا هو الأصل من هذه الكلمة وهذا هو مصدر التمسك بها!.. فإذا كانت «صهيون» هى «مدينة داود» فمعنى ذلك أن «صهيون» هى عاصمة مملكتهم ورمز مجدهم ومن هنا بدأ تاريخ الصهيونية فى الانتشار كحركة تبعت قيام الدولة وسقوطها فى «بيت داود!.» وهذه هى حقيقة الصهيونية فى واقعها التاريخى، حركة سياسية قديمة تعود بأصولها إلى أعقاب الغزو البابلى لأورشليم.. فإن أولئك اليهود الذين كانوا قد سيقوا إلى بابل أسرى، عام ٥٨٦ ق. م، كانوا هم أنفسهم بذور الصهيونية!.. أولئك هم أول من ترنم باسم صهيون ذلك الترنم الذى ولد فكرة «العودة» إلى صهيون.. فلقد ارتسمت هذه «الفكرة» فى عقولهم عن طريق التباكى والبكاء والمراثى والرثاء والنواح على دولة دالت وأرض انقطعت بينهم وبينها الصلات فلم تعد إلا ذكرى تتردد وترانيم تتغنى وآهات تنفس عن صدور كليمة لجسد بالٍ يريدون أن يبعثوا فيه الروح من جديد!... هذه هى حقيقة الصهيونية فى واقعها التاريخى، وهذا هو أصل هذه «الفكرة» التى بدأت منذ ذلك العهد تمر بمراحل كان لها تأثيرها النفسى فى تاريخ هذه الجماعة الدينية.. ومن أبرز هذه الحركات على التاريخ ظهوراً كانت حركة «يهوذا المكابى» فى عهد أنطيوخوس الرابع،

---

(١) الإصحاح ٥ «سفر صموئيل»

أيفانوس، الذى بدأ حكمه عام ١٧٤ ق.م. وكانت هذه الحركة من أشد الحركات عنفاً وعتواً حتى أنها تمكنت من ترديداسم صهيون من جديد ومن ترميم الهيكل وبناء المعبد وحتى أصبح تاريخ يوم تدشينه عيداً عند اليهود يحتفلون به ثمانية أيام من كل عام ابتداء من يوم ٢٥ ديسمبر.. وأما آخر مراحل هذه الحركة الصهيونية القديمة فكانت حركة «باركوشباس» فى عهد «هادريان»، ١١٧ ـ ١٢٨م، وهى التى حثت اليهود على السعى للتجمع فى فلسطين وإعادة بناء المعبد الذى كانت قد هوت عليه المعاول الرومانية مرة أخرى من سنة ٦٦ إلى سنة ٧٠م، كما عملت على تأسيس «دولة يهودية» وتنصيب ملك عليها من «بيت داود» حتى أمست هذه «الفكرة» تعبر عن حقيقة قائمة فى نفوسهم وحتى تأصلت فى أعماقهم بتوالى القرون التى تلت انهيار «دولة يهوذا» على أيدى الرومان سنة ١٣٥م. انهياراً كاملا بينما بدأ يتراكم على ذكراها ركام السنين..

أجل..

لردح من الزمن ظلت هذه «الفكرة»، فكرة العودة إلى صهيون، فى مرحلة ركود لا تحتل من المخيلة اليهودية إلا كما يحتل الخيال أى حلم بعيد المنال لا تخطر على خواطرهم إلا خواطر تبعثها أناشيدهم الدينية فتستعيد ذكراها فى نفوسهم وتذكى فى هذه النفوس لها لظى بينما كانت ذكريات المذابح الرومانية لم تزل عالقة فى نفوسهم وتدفع بهذه «الفكرة» إلى التوارى وراءغيم داكن كان قد تكتل فى آفاق الذاكرة ولاسيما عند دخول فلسطين فى حوزة الدولة العربية عقب ظهور الإسلام. فقد بدأ كل أمل لليهود فى العودة بالتلاشى كما أن سياسة الكنيسة الكاثوليكية التى بادلتهم العداء وموجات الانتقام التى عرضوا أنفسهم لها والحملات التى أثاروها على أنفسهم فثارت ضدهم فى معظم البلاد الغربية قد جعلتهم ينطوون على أنفسهم، غير أن الفرصة لم تكد تسنح أمامهم من جديد إلا وكانت حركة صهيونية أخرى مشابهة لحركة «باركوشباس» ومثلها فى المصير وتلك كانت حركة «موزس الكريتى» .. غير أنه مع مرور الأيام بدأت فكرة «العودة إلى صهيون» فى الظهور على مسرح التاريخ الحديث، فقد ظهرت ببعض المحاولات الفردية بين حين وآخر فى صورة دعوى تدعو الجماعة اليهودية إلى الأرض الممنوحة لهم من إلههم.. ولكن لما كانت هذه العودة قد ارتبطت فى أذهانهم بظهور «المسيح الحقيقى»

الذى سيقيم «دولة يهوذا بن إسرائيل» فقد ارتبطت هذه الفكرة الدينية بالفكرة السياسية وكان مظهر هذا الارتباط أكثر من حدث؛

الأول؛ ظهور «دافيد روبينى»، خلال القرن السادس عشر، يؤازره تلميذه سولومون مولوخ، ١٥٠١ ـ ١٥٣٢، موجهاً الدعوة إلى زعماء اليهود لغزو فلسطين وتأسيس «دولة يهودية» فى أرضها الممنوحة لهم حسب نصوص التوراة والتلمود!.

الثانى؛ ظهور «منشة بن إسرائيل، ١٦٠٤ ـ ١٦٥٧، داعياً إلى توطين اليهود فى بريطانيا توطئة لإعادتهم إلى فلسطين!

الثالث والأخير؛ ظهور «شبتان زيفى» خلال القرن السابع عشر، ١٦٢٦ ـ ١٦٧٦، ومناداته بنفسه «المسيح المنتظر» المختار من «إله إسرائيل» لإعادة «مملكة يهوذا» والعودة بـ «أبناء إسرائيل» إلى «أرضهم» الممنوحة لهم حسب نصوص التوراة والتلمود!.

فأما الحدث الأول فقد نبّه الأذهانَ اليهودية إلى إخراج فكرة «العودة إلى صهيون» من حيز الأمل إلى حيز العمل.

وأما الحدث الثانى فقد كان النواة الأولى للصهيونية الحديثة التى وجدت لها أرضاً خصبة فى بريطانيا ترعرعت فيها ونمت.. فلقد استطاعت بعد ذلك وفى مدى ثلاثة قرون من الزمن أن تسخّر القوى البريطانية من أجل تحقيق أهداف الصهيونية خاصة واليهود عامة!.

وأما الحدث الثالث والأخير فقد كان إخفاقه فى دائرة العصر الذى نبت فيه، والذى نجد سيرته فى كتب التاريخ الحديث، هو السبب المباشر فى يقظة السلالة الخزرية وفى؛

❄ ❄ ❄
❄ ❄
❄

انتقـال عقيـدة «الأرض الموعـودة»
من المجال العاطفى إلى المجال السياسي

نبه فشل «شبتاى» الأذهان من مفكرّى اليهود بين شعوب الغرب، وهم السلالة الخزرية التى كانت قد وزعت على الدول المختلفة فى شرقى أوروبا، إلى إمكان الاتحاد مرة أخرى ليكونوا «دولة يهودية» على غرار مملكتهم تلك «مملكة الخزر» التى كانت تتحكم فى شرقى أوروبا.. نبّههم إلى ذلك علمهم بأن انتظار «مسيح منتظر» لن يكون إلا انتظاراً فاشلا!. فاذا كان الأمل فى العودة إلى صهيون عن طريق «مسيح منتظر» أن يتحقق أبداً فإنما فى المجال السياسى عوضاً عن هذا المجال العاطفى.. ومن هنا بدأ الاتجاه السياسى يبرز على الاتجاه العاطفى حتى أصبح عملا إيجابياً له دوره الفعّال غداة استهل نشاطه، فى فرنسا منذ سنة ١٧٩٨، بأولئك الكتّاب الغربيين الخزريين الأصل الذين انطلقوا يثيرون حماسة اليهود لإعادة دولتهم الدائلة فى فلسطين ومن أخطر ما جرت به الأقلام اليهودية عام ١٧٩٨ كان ذلك النداء الذى نقتطف منه الفقرات التالية:

«أيها الإخوان!...

لشدّ ما رزحتم تحت أثقال الجور والاضطهاد فهلا تنوون أن تتخلصوا نهائياً من هذه الحالة المقرونة بالإذلال والانحطاط التى وضعكم فيها أناس من الهمج؟..

أننا نرى الازدراء مرافقاً لنا فى كل مكان فالبدار البدار!..

ثم!

قد آن الأوان لنهوضنا واحتلال المركز اللائق بنا بين الأمم فهيّا بنا أيها الإخوان لتجديد هيكل أورشليم!...

إن عددنا يبلغ ستة ملايين منتشرين فى أقطار العالم. وفى حوزتنا ثروات طائلة واسعة وممتلكات عظيمة شاسعة فيجب أن نتذرع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا وإن الفرصة لسانحة ومن واجبنا اغتنامها!

يجب العمل بالوسائل لتحقق هذا المشروع المقدس وهى: إقامة مجلس ينتخبه اليهود

المقيمون فى الخمسة عشر بلداً التالية وهى إيطاليا وسويسرا والمجر وبولونيا وروسيا وبلاد الشمال وبريطانيا العظمى وإسبانيا وبلاد ويلزوالسويد وألمانيا وتركيا وآسيا وأفريقيا.

إن اللجنة الممثلة لليهود المقيمين فى هذه البلدان كلها يمكنها أن تبحث فى مهمتها وتتخذ من القرارات ما تراه نافعاً فى صددها ويكون من الواجب على جميع اليهود قبول هذه القرارات وأن يجعلوها بمثابة قانون لا مندوحة لهم من الخضوع له. أما البلاد التى تنوى قبولها باتفاق مع فرنسا فهى؛ إقليم الوجه البحرى من مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر. فهذا المركز هو الملائم أكثر من أى مركز آخر فى العالم يجعلنا قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية!. ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من إقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها من بلدان أورو. ولما كانت بلادنا فى موقع متوسط من العالم فانها ستصبح كمستودع لجميع الحاصلات التى تنتجها البلاد الغنية..

أيها الإخوان؛

يجب ألا تدخروا وسيلة أو تضحية فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية أى الرجوع إلى بلادنا!..

يا أيها الإسرائيليون!..

إن الفرصة الآن سانحة فحاذروا أن تفلت من أيديكم!.» (١)

هذا النداء الذى جاء فى صورة خطاب والذى قد مهد الطريق أمام المرحلة التالية للصهيونية العالمية هو نفسه الذى أشعل حماس اليهود فى فرنسا بادئ ذى بدء ودفع بهم إلى «نابليون» يحملون إليه المال سلاحاً ويطرحونه بين يديه مساعداً فى امتلاك الشرق العربى مقابل وعده إياهم بمنحهم فلسطين.. ولعب المالُ اليهودى دوره وسجل التاريخ بأنه بناء على دعوة من نابليون قد تمّ اجتماع المجلس اليهودى الأعلى الـ «ساندهارين» !

فى نفس اللحظة التى عُقد فيها الـ «ساندهارين» بدأت الصهيونية القديمة فى التنفس!. بدأت الجرثومة القديمة التى تكونت فى غصون الأسر البابلى فى التحرّك إيذاناً بأن الحياة قد بعثت فيها من جديد!. فلقد مضى على ذلك النداء قرن كامل من الزمن

(١) يقظة العالم اليهودى إيلى ليفى أبو عسل «مطبعة النظام مصر ١٩٢٤»

كانت المعاول اليهودية خلاله قد عملت كادحة فى تعبيد الطريق إلى ما كانت قد أشارت إليه من أطماع تطاولت إلى الوجه البحرى من مصر حالمة باغتصاب مياه النيل لإرواء صحراء النقب ونقل الوعد النظرى بـ «الأرض الموعودة» إلى حقيقة واقعة!..

وكانت المعاول اليهودية هى الذهب!..

فى الحقل البريطانى

عملت هذه المعاول أول ما عملت فى بذر السموم فيه فى صورة الاسترلينى والذهب مفرغة بذلك ما فى جعبتها من نقمة كانت مكبوتة فى الصدر منذ خرجت من هذه البلاد طرداً فى عهد إدوارد الأول عام ١٢٩٠ حتى عادت إليها، عام ١٦٥٦، تدفع ثمناً لهذه العودة تأييدها المادى الواسع لثورة «كرومويل»..

وحذا اليهود العائدون إلى بريطانيا حذو هذين الممولين، منشّة بن إسرائيل وموزس كارفاجال، اللّذَين موّلا بسخاء ثورة «كرومويل» فتدفق المال اليهودىّ على بريطانيا تدفقاً على أسس مدروسة رُوعى فى بذله توطيد جسم هذا السرطان فى البلاد حتى لا يتعرض إلى ما قد تعرض له من قبل!.

وأمام سياسة التسامح التى كان لا بدّ على «كرومويل» أن يفرضها على أهل البلاد من المسيحيين مقابل هذا العون المادىّ أفحل اليهود فى استغلال النفوس وإذلالها بالمال عن طريق تسلطهم على ميادين الاقتصاد والسياسة. ففى مجال الصحافة سيطر اليهود على دور النشر حتى امتلكوها وفى مجال الاقتصاد أصبحوا القوة الجبارة المتحكمة فى اقتصاديات البلاد وفى المجال السياسى وصلوا إلى أعلى المناصب حتى تمكن هذا الأخطبوط من نشر أذرعته الفتاكة على الجزيرة البريطانية!. ومن أبرز مظاهره الحديثة كانت مذكرة «اللوردشافتسبرى» إلى وزير خارجية بريطانيا فى خلال مؤتمر لندن، الذى عقد عام ١٨٤٠، وكانت ثمرة ذلك أن أعلنت بريطانيا حمايتها لليهود فى فلسطين وفقاً للرسالة التى بعث بها «بالمرستون» رئيس وزراء بريطانيا حين ذاك إلى القنصل البريطانى فى القدس، ولم تكن هذه الحماية إلاّ المقدّمة لذلك الوعد الذى أصدرته بريطانيا فيما بعد وسمى «وعد بلفور»!. وهو هذا الوعد الذى مكّن هذا الأخطبوط من نشر أذرعته الفتاكة أيضاً فى سائر الأقطار الأوروبية ولم ينج بلد من بلدان هذه القارة القديمة من قبضاته

العاتية التى ما أطبقت عليه من أطرافه إلا وامتدت بأذرع أخرى راحت تعتصر عصراً القارة الجديدة وإلا لتبدأ هذه اليهودية التى ابتاعت نفوسهم وأذلّتها ما، يا بأن لها حقاً عليهم هو مساعدتها على العودة إلى «أرضها». فقد آن الآن لكى تعود إلى «صهيون» وتستقر فى «أرضها الموعودة»!.

واستجمع الأخطبوط اليهودىُّ قواه وتحرَّك للافتـراس فكانت حركته هذه التى سجّلت؛

انبثاق «الصهيونية»

استهلت الصهيونية العالمية تاريخها الحديث بطابع فردىّ فى أوّل الأمر مثلته إمّا شخصيات بارزة أو منظمات متناثرة فى مناطق شتى من العالم كانت تقوم على تمويل أساطين المال من أمثال «مونتفيورى» و«روتشيلد». ولكن جهودها لم تلتق كلها فى حركة واحدة ويبدأ ستار التاريخ فى الانحسار ليشهد العالم ميلاد الفكر اليهودىّ الحديث وأسس العمل المنظم لإنشاء «الدولة اليهودية» فى الظاهر و«مملكة الخزر» فى الواقع إلاّ إثر مذبحة اليهود فى روسيا حيث شعر سلالة الخزر بأنه لم يعد فى إمكانهم إعادة مملكة الخزر اليهودية فى نفس الرقعة التى كانت تحكمها فنقلوها إلى صعيد الشرق الأوسط ووجدوا فى عقيدة «الأرض الموعودة» وسيلة لتحقيق أهدافهم وهذا هو الذى أدّى إلى ظهور «ثيودور هرتزل»، ١٨٦٠ ـ ١٩٠٤، على مسرح التاريخ وعقده أول مؤتمر صهيونى ونشره كتابه «الدولة اليهودية».

لأوّل مرة ارتفع الصوت اليهودىّ جهيراً ينادى العالم بأنه تبعاً لنصوص «التوراة» والتلمود يتحتّم تكون مجتمع يهودىّ يحكم نفسه بنفسه فى فلسطين كأرضٍ هى لليهود قد مُنحت من إله إسرائيل وبرهان ذلك هذه «الأسفار» وهذا «التلمود».. ومن هنا نفهم الصهيونية بمعناها الخاصّ كفكرة نابعة من عقائد «الأسفار الخمسة» و«التلمود» كما نفهم محتواها الفكرى من «هرتزل» نفسه الذى كان أوّل من رفع صوته بهذا القول؛

«إن هدف الحركة الصهيونية هو؛

تنفيذ شريعة التلمود القائمة على أسس الأسفار الخمسة بإنشاء

وطن قومىّ يهودىّ فى فلسطين!..»

«فلسطين؟!»

أجل!..

«إن فلسطين هى وطننا التاريخىّ الذى لن ننساه!..»

أنسى هذا الصوت الخزرىُّ الأصل أن وطنه التاريخىَّ لم يكن قط، فلسطين؟!. كلا! لم ينس ولكنه تناسى واستطاع أن يُوهم العالم بأنّ صرخته إنما هى صرخة نابعة من أعماق التاريخ!.

وهكذا كان المؤتمر الصهيونىّ الأوّل، الذى عقد عام ١٨٩٧، بزعامة سليل الخزر هذا بمثابة حجر الأساس فى بناء هذه الحركة على أسسٍ سياسية تستهدف إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين يكفل قيامَه القانونُ الدولى!..

وأمّا كيف؟.. فلقد عرّف هرتزل، بنفسه، فى هذا المؤتمر الحركةَ الصهيونية بأنها؛

«حركة الشعب اليهودىّ فى طريقه إلى فلسطين!.»

وهكذا أعطى «هرتزل» لليهودية معنى جديداً إذا أخرجها من النطاق المغلق إلى المسرح السياسى الدولى.. وبهذا الاتجاه نحو إثبات أن اليهودية دين وشعب وقومية وأن فلسطين هى وطن هذه القومية اليهودية تمّ التحول التام بعقيدة «الأرض الموعودة» من المجال العاطفى إلى المجال السياسى وأصبحت هذه العقد النفسية مشكلة دولية معقّدة لاستمدادها أصولها من الفكر الصهيونى النابع، نفسه، من عقائد «الأسفار الخمسة» وشرائع «التلمود» ولاستمدادها حيويتها من ارتباط الفكر الجماعى اليهودى بما جاء فى هذه التوراة وفى هذا التلمود!.

لا جدال فى أن «هرتزل» قد لجأ إلى طريق الأسطورة ليؤيد سياسته بينما كانت يده تسطر صفحات مؤلفه «الدولة اليهوية» الذى أثار من الاهتمام والحماسة ما قد شجّع اليهود على عقد أول مؤتمر لهم هو الذى عقد فى ٢٩ أغسطس من عام ١٨٩٧ متوخين أن يستعيدوا به ذكرى ذلك اليوم الذى أدال فيه الرومان «دولتهم» من فلسطين نهائياً، ٢٩ أغسطس من عام ٧٠م إلهاباً للمشاعر وإرساءً لحجر الأساس فى بناء هذه «القومية» التى أعطاها «هرتزل» طابعها عندما قام هو نفسه يفتتح جلسة هذا المؤتمر الأوّل بهذا القول؛

«إننا هنا لنضع حجر الأساس لبناء المأوى الذى يأوى الشعب اليهودى... إنّ الصهيونية هى عودة اليهود إلى اليهودية حتى قبل عودتهم إلى الأرض اليهودية!.

إن الصهيونية هى القومية الجديدة للشعب اليهودى!.»

فى المؤتمر الصهيونى الأوّل أطلقت هذه الصرخة لتكون النواة من قرارات هذا المؤتمر التى تتلخص فيما يلى؛

استعادة «أرض مملكة إسرائيل» بحدودها التاريخية.

إعادة تكوين «الشعب اليهودى» فى وطنه القديم.

إيقاظ «الوعى القومى» بين يهود العالم!..

ومن ثمّ وُضع فى هذا المؤتمر شعار العَلم اليهودى، وهو المكون من اللونين الأزرق والأبيض، لون رداء الصلاة إلى «يهوه» كما وضع النشيد القومى اليهودى «الأمل»، كما وضعوا رمزاً لأنفسهم يتمثل فى «الأفعى»!.. كما وضِعت أسس الهيئات الصهيونية العالمية.. وليفرض على كل يهودى الاكتتاب سنوياً بمقدار «شيكيل واحد»، وهو ما يعادل نصف دولار، لبناء «دولة إسرائيل»!.. وهكذا خرجت الصهيونية العالمية إلى الوجود واغتمرت كل فرد يهودى كقضية بالغة القِدَم متصلة بالدين اليهودى نفسه وأصبحت جزءاً من تفكير كل يهودى!..

هذا هو الواقع... فمن اليقين الذى لاشك فيه؛ أن القلب اليهودى، حيثما كان مكانه من الأرض، لابدّ وأن يعتنق مبادئ هذا المؤتمر كعقيدة لاتصالها بالدين اليهودى نفسه حتى لقد أصبحت محور تفكير كل يهودى مهما أخفاها، خوفاً، وتستر فنفاها عن نفسه!..

من ثمّ!..

لاتصدقوا يهودياً يقول لكم إن الصهيونية شىء واليهودية شىء آخر.. كلا!.. فإنّ الصهيونية متصلة بالدين اليهوديّ نفسه كعقيدة بالغة القدم وضاربة بأعراقها فى أعماق تاريخية ولم تتخذ لها شكلا بارزاً إلاّ فى أعقاب هذا المؤتمر الذى كان، بالفعل، نقطة بدء ونقطة تحوُّل هامة فى تاريخ اليهود للأسْباب الآتية؛

أوّلا: أضفى هذا المؤتمر على العقيدة اليهودية القديمة ثوباً جديداً حين أكّد أن الصهيونية هى القومية الجديدة «للشعب اليهودى» على اعتبار أن هذه الطائفة المبعثرة الأفراد بين الشعوب تُؤلّف «شعباً واحداً» وبالتالى لتحديده هدفاً واحداً وهو إعادة «مجد إسرائيل» عن طريق إقامة «دولة» خاصة بهذا «الشعب» وهذا هو الهدف الذى يتطلع، نحوه، كل يهودى!..

ثانياً: وضع خطة عملية مدروسة لتحقيق هذا الهدف عن طريق تشجيع برنامج الإستعمار واحتلال أرض العرب بشراء الأراضى من العرب من ناحية وعن طريق تشجيع هجرة اليهود من، ناحية أخرى، إلى فلسطين كأرض هى لهم موعودة!..

ثالثاً وأخيراً: نقل المشكلة اليهودية إلى الصعيد العالمى بعد أن كانت تعتبر مشكلة داخلية للدول التى يقيم فيها اليهود.

وهكذا نرى أن الصهيونية الجديدة التى رسمها «هرتزل» فى مؤتمره جاءت ترتكز على دعامات ثلاث، هى شراء الأرض من العرب والهجرة اليهودية والدخول فى معترك السياسة الدولية لكسب عطف الدول الكبرى وتأييدها من أجل خلق «دولة يهودية» فى فلسطين، ليست إلاّ الصهيونية القديمة فى صورة جديدة وأنه لم يفعل شيئاً إلاّ أنه ابتعثها من مضجعها فأكّدوا جودها بأن نقلها من الماضى إلى الحاضر وأخرجها من النطاق الذى كان قد أغلقه عليها الرومان إلى المجال الدولى الذى أفسح أمامها الاستعمار وكانت سبباً له مجريات الأحداث فى خلال القرن التاسع عشر عندما استطاعت السلالةُ الخزرية باسم الصهيونية أن تشغل لها مكاناً وسط أحداث القارة الغربية واتخذت من التنافس بين الدول الغربية وبروز سياسة التحالف والتكتل الدولى وظهور الأفكار القومية وسيلة استغلتها لمصلحة اليهود إلى درجة أن أحسّ زعماء اليهود أن الظروف الدولية أصبحت تسمح بإخراج «الوطن القومى اليهودى» إلى حيز الوجود ومن ثم تمكن «هرتزل» من نشر كتابه «الدولة اليهودية» الذى كان، ولا جدال، فاتحة عهد جديد بالنسبة لليهود إذا أصبحت أمانيهم ماثلة أمام أعينهم كحقيقة محسوسة بعد أن كانت مجرد خواطر ومحض آمال فمنذ نُشر هذا الكتاب، عام ١٨٩٦، والفقرات منه تلهب المخيلة اليهودية!..

فى «الدولة اليهودية» جمع «هرتزل» هؤلاء الأفراد من هذه الطائفة الدينية وأوْهم

العالم أن هذه الطائفة، التى ينتمى أفرادها إلى شعوب مختلفة، هى «شعب» له كيانه الخاص!.

فى «الدولة اليهودية» استطاع «هرتزل» أن يكون من مادة الأساطير حجر الأساس فى بناء صرح «دولة يهودية»!..

فى «الدولة اليهودية» أرشد «هرتزل» هذه الجماعة إلى فلسطين ومن خلال سطوره أرسل فحيحه هو نفسه كرأسٍ لهذه «الأفعى» يناديهم؛

إلى فلسطين!..

«إن فلسطين هى وطننا التاريخىّ الذى لن ننساه!...»

لاغرو من ثمّ أن يكون لهذا «الكتاب»، الذى أعطى للعقيدة الدينية القديمة طابعها السياسى الحديث اعتماداً على الحق الروحانى، أثره العميق فقد أضرم فى صدر كل يهودى ضرام الجموح!..

وهكذا!!.

بدأ سلب العَرب بشراء الأراضى من العرب!.

وهكذا بدأ احتلال الأراضى العربية فى صورة الهجرة اليهودية..

وهكذا بدأ النداء «بالقومية» و«بالجنسية اليهودية»!.

ومن ثمّ فإذا كان الأمل فى «مسيح منتظر» قد صادف فى تاريخ اليهود الإخفاق تلو الإخفاق فقد نقله «هرتزل» من إخفاق فى دائرة الدين إلى نجاح فى دائرة السياسة الاستعمارية، ودليلنا على ذلك الأحداث التى تلت نشر هذا الكتاب ومدى الأثر الذى تركه هذا المؤتمر الصهيونى الأول فى نفوس اليهود من التصريح الذى أدلى به «هرتزل» فى صحيفته بقوله؛

«لو طُلب إلى تلخيص أعمال المؤتمر فإنى أقول بل أنادى على مسمع الجميع؛ إننى قد أسست الدولة اليهودية!..

إن العالم سيشهد بعد خمس أو خمسين سنة قيام الدولة اليهودية حسبما تمليه إرادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة»!..

وتمكنت عينا هذه «الأفعى» من تنويم أجزاء من هذا العالم وأرسلت فحيحها هذا إيحاءً، حتى أنه لم تمض خمسون سنة من هذا المؤتمر الصهيونى الأول إلا وأعلنت «الأمم المتحدة» ، ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، قرارها بتقسيم فلسطين وقيام «دولة خزرية» دعية النسب إلى إسرائيل باسم «دولة إسرائيل» ..

لا غرو من ثمّ أن نرى صورة كاتب «الدولة اليهودية» تتصدر قاعة «كنيست» وهو يكرم رسمياً كرسول لهذه «الدولة» التى افتعلها من مادة الأساطير بينما يتغافل أصحابها عن أنها «دولة» خزرية الأصل أسطورية المادة تقوم قوائمها على أساس من نصوص «الأسفار الخمسة» و«شرائع التلمود» !..

ومن عنصر هذا «الحق» الموهوم الذى استهل تاريخ انبثاقه بهذا النص الوارد فى السفر الأول من «الأسفار الخمسة» المفتراة على موسى والقائل بأن «الرب» قد قطع مع أبرام ميثاقاقائلا ؛

«لنسلك أعطى هذه الأرض !..

من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات !.» (١)

هذا النص الأسطورى هو الأساس الدينى لهذه الدولة الأسطورية وبالتالى لادّعاء اليهود امتلاك فلسطين والدعامة الجوهرية التى تتخذها الصهيونية عقيدة تبنى عليها دعوتها لدعوة اليهود إلى «العودة» إلى الأرض الممنوحة لهم من «إلههم» وإلى «دولة» لهم فيها تتخذ من نصوص التوراة والتلمود دساتير حتى تتمكن هذه «الأفعى» أن تزحف من هناك وتطبق بمخالبها على جسم المجتمع البشرى ثم تطويقه كله تطويقاً لا تبقى له بعد باقية وحينذاك تستطيع أن ترفع رأسها ويكون العالم كله لها ملكا وليس ذلك، كما تدعى، إلاّ ائتماراً بأمر «إله إسرائيل» وتمسكاً بهذا «الحق الروحانى» الممنوح لها من «يهوه» والمسجّل فى «الأسفار الخمسة» وفى «التلمود» !.

ويقيناً، لم يكن إلاّ على أساس من هذا «الحق الروحاني» وحده الذى ادعته الصهيونية ومازالت تدّعيه قد استطاعت أن تغوص إلى عالم الأساطير ثم تطفو على صفحة الحاضر وبلعبة «سحرية» تفتعل صرح وليدتها «دولة إسرائيل» !.. وهذا مما يجعلنا نتساءل ؛

---

(١) الإصحاح ١٥ «سفر التكوين» .

ما هو تاريخ هذا «الحق الروحانى» الذى تدّعيه الصهيونية لوليدتها «دولة إسرائيل» وهى فى ذلك تتخذ «الأسفار الخمسة» دعائم و «التلمود» مساند؟!.

أمّا تاريخ «الأسفار الخمسة» فسنتعرض له بعد قليل مختتمين به هذا البحث وبذلك نسدل الستار على فصول هذه المهزلة التى لعبت دورها الخطير على مسرح التاريخ السياسى باسم الدين.. وأما تاريخ «التلمود» فقد عرضنا، قبل، بعض نصوصه المتعلقة بهذا البحث وبذلك تبين لنا أنه ليس إلا المرآة العاكسة لما جاء فى «الأسفار الخمسة» من نصوص لأن ما كل يحتويه من شرائع ليس إلا تقنيناً لهذه «الأسفار» !.

ولكن! لما كانت الصهيونية قد اتخذت من النصوص التلمودية شريعة ومن تعاليمها منهجاً وضعت على أسسه خططها لامتلاك العالم فنحن نستطيع القول بأن ما وضعته الصهيونية من دساتير عليها سارت وعليها تسير ليس إلا مرآة تعكس، بدورها، شرائع التلمود.. وهذه الدساتير تطلع علينا واضحة كل الوضوح من خلال تلك المجموعة من «الوثائق السّرية» التى تمخضت عنها حركة «هرتزل» يوم رأس أول مؤتمر صهيونى واتخذ إلى جانب القرارات العلنية قرارات أخرى سرية. فأما العلنية فقد مررنا بها وأما «السرية» فهى تلك التى قررها هذا المؤتمر الصهيونى الأول يوم ضم كبار اليهود الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «حكماء صهيون» ووضعوها دساتير لما سيتلو هذا المؤتمر من مؤتمرات أخذت تنعقد سنوياً فى أكثر من بلد من بلدان الغرب وتضم رؤوس هذه «الأفعى» من اليهود الذين يطلق عليهم أيضاً لقب «حكماء صهيون» وهذا مما يحتم علينا أن نلقى نظرة على هذه «القرارات السرية» التى تمخض عنها هذا المؤتمر الصهيونى الأول لحكماء صهيون الأول وكما أرسلتها رؤوس هذه «الأفعى» فحيحاً فى كل متّجه وكما سطروها هم أنفسهم بعد أن ناقشوا الخطط والوسائل التى تمكنهم من إطباق مخالبهم على كل بقعة من بقاع العالم وعلى كل شعب فيه الواحد بعد الآخر مما.. يسجل؛

ارتسام الحركة الصهيونية

فى «بروتوكولات حكماء صهيون»

تحمل إلينا هذه «الوثائق السرية»، والتى لم تعد سراً منذ اكتشافها عام ١٩٠٢، صورة

القرارات التى قننت المؤامرة الصهيونية التى وضعها المؤتمر الصهيونى الأول سنة ١٨٩٧ . لاننشرها إلاّ ونرانا نقول بأنهم حقاً قد راعوا فيها بدقة بالغة شرائع التلمود!..

تستهل هذه «البروتوكولات» قرارتها بمواد خمس صاغتها معاول لهدم العالم المسيحى أولا والإسلامى وباقى الأديان ثانيا كيما يستطيع اليهود بعد ذلك إخضاع العالم جميعاً لسيطرتهم وهذه هى؛

المادة الأولى:

زعزعة كل مقومات العالم الحاضر ونظمه لتمكين اليهود من الاستئثار بحكم العالم والاستحواذ على خيراته لأن اليهود، وهم «الشعب المختار»، هم وحدهم من نسل آدم وحواء ولذلك ما خُلق العالم إلا لهم وإلا ليكونوا سادته. ومن حقهم وحدهم، استعباد من فيه وحكمهم وتسخيرهم بكل الوسائل. إن الناس، ما عدا اليهود، ليسوا إلا شياطين وبهائم!.

المادة الثانية:

تحقيق سيادة الصهيونية بإقامة إمبراطورية عالمية تحكم العالم قاطبة ويتعاقب على عرشها الملوك ممن يعملون بشريعة «التوراة» و«التلمود» ويكون مقرها «أورشليم» أولا ثم تستقر فى «روما» إلى الأبد وبذلك تكون قد قامت مكان الإمبراطورية الرومانية التى أدالت «دولة يهوذا» وفى نفس الوقت تكون قد احتلت القاعدة الحالية للدين المسيحى الذى يجب أن يزول!.

إن الإمبراطورية اليهودية العالمية لن تقوم إلا إذا زالت جميع الأديان بصفة عامة والمسيحية بصفة خاصة. ومن ثمّ يتحتم القضاء على الأمم المسيحية حتى يمكن بعد ذلك القضاء على بقية الأمم والأديان! إن القضاء على الأمم المسيحية يتيح الفرصة للقضاء على الأمم والأديان لأنّ المسيحية أوسع الأديان انتشاراً وأممها أقوى الأمم وأوسعها نفوذاً ولها الزعامة فى التوجيه العالمى. فإذا ركزت الصهيونية طليعة ضرباتها وأعنفها على الأمم المسيحية وأمكن القضاء عليها كانت هزيمة بقية الأمم ومحو باقى الأديان أيسر وأسرع، فلا يبقى بعد ذلك إلا الدين اليهودى وإلا القومية اليهودية!

وأما الوسائل التى يتحتم اتخاذها لبلوغ هذه الغاية فتنحصر فى؛ العمل على إفساد أنظمة الحكم الحاضر!.

المادة الثالثة:

يتحتم أن يصبح زعماء الأمم جميعاً كقطع الشطرنج فى أيدينا! نستميلهم ونغريهم من طرق شتى أهمها الرشوة والنساء! كما أن منها العنف والإرهاب بل والقتل فى الخفاء إذا لم تنجح وسيلة غيره!

يتحتم أن تُعامل أفراد الأمم جميعاً بالحيلة تارة وبالعنف تارة أخرى بأن تساس كما تساس قطعان الماشية!

المادة الرابعة:

ينبغى للصهيونية أن تسيطر على كل وسائل النشر والإعلام من صحف وكتب وأن تستخدم، بسخاء، الذهب!

المادة الخامس:

إن التشتت الذى أصاب اليهود «الشعب المختار» فى كل أقطار العالم ليس، كما يبدو، مصدر ضعفهم وإنما هو فى الواقع مصدر قوة لهم! فإنّ هذا التشتت فى أقطار العالم مع تماسكهم قد جعلهم ذوى نفوذ فى كل قطر إذ يستطيعون من خلال تشتتهم هذا أن يتسللوا إلى كيان الدول لتسخيرها لمصالحهم الذاتية!.

والآن؟!..

هذه المواد الخمس هى فى الواقع ليست إلاعبارات اقتطفناها مما جاء فى «بروتوكولات حكماء صهيون» وهى وإن كانت لاتغنى عن قراءة التقارير كلها إلا أنها تعطينا فكرة واضحة عن خطة الصهيونية وأساليبها لإخضاع العالم قاطبة وإقامة عرش صهيون على الدنيا على أساس أنهم العنصر الإنسانى الوحيدة ومن عداهم من البشر ففى مرتبة السائمة فهم أولاد حواء وآدم وأمّا نحن فمن نسل الشياطين!.. هذا هو السرّ فى سياسة العزلة التى يحيط بها اليهود أنفسهم وهذا هو السرّ فى استعلائهم على الناس حتى تمادوا فراحوا يزعمون أن «يهوه» لم يعد ذلك الرب القَبَلى بين الأرباب القدامى وإنما هو قد ارتقى إلى مصاف الألوهية وأصبح إله العالم وأنه إلههم وحدهم وأنهم «شعبه المختار» وليس للأمم الأخرى حظ من رضاه ولذلك لايمكن لليهودى أن يقبل مشاركة أحد فى هذا الاحتكار

وليس فى استطاعته أن يقيم سلطانه على عقيدة عامة تشاركه فيها الأمم الأخرى لأنه يرفض التنازل عن عقيدة «الشعب المختار» التى ميزه بها «يهوه» على شعوب العالم جميعاً!. ولذلك أقول لا يلتبسنّ عليكم إذا سمعتم يهودياً يقول بأنه يؤمن بإله العالم ويعبده فإنما هو لا يقصد بهذا القول إلاّ «يهوه» هذا الذى يدعوه فى صلاته باسم «إله إسرائيل».

إن كلمة «الله» هى فى ذهن كل يهودى صفة لاحقة لهذا الرب الخرافى الذى تصورته هذه الطائفة من عبدته أنه لن يرضى عنها إلاّ إذا استنزفت دماؤنا قطرة بعد قطرة!.. ولذلك أقول أيضاً إن اليهودى يهودى قبل كل شىء مهما تكن جنسيته وإنه صهيونى أولا وآخراً لحماً ودماً فكراً وعقيدة!.. صهيونى هو مهما تشكلت أسماؤه وتباينت أصوله وخالفت جنسية الواحد منه الآخر!... فهو قد ينتمى إلى جنسية أو أخرى ويتبع مذهباً سياسياً أو آخر ولكن، إذا تعارض ذلك ومصلحته الأولى كيهودى أصبح يهودياً ويهودياً فقط صهيونىّ النية والفعل!...

وإلا فمن هو اليهودى؟..

أليس اليهودى هو الذى يدين باليهودية كدين؟..

أليست اليهودية، كدين، هى نفس «الأسفار الخمسة» و«التلمود» ؟!..

ثم.. ما هى الصهيونية!..

أليست الصهيونية هى تقنين التلمود والتلمود هو تقنين الدين اليهودى؟!

إن الصهيونية لا تستمد قوامها إلاّ من «الأسفار الخمسة» ولا تتخذ دساتير لها إلا شرائع التلمود وليس أدل على ذلك من نصوص «البروتوكولات» التى نحن بصددها والتى تنص على قرارات تفصح عن ما يكنه الضمير من كل يهودى نحونا وفى نفس الوقت ترسم صورة واضحة للخلق اليهودى، ونقتطف منها القرارات التالية؛

«القرار الأول» :

إن الغاية تبرر الوسيلة. ومن ثمّ فعلينا، ونحن نضع خطتنا لامتلاك العالم، ألا نلتفت إلى ما هو خـيّر وأخلاقى بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد. ولذلك يجب أن

يكون شعارنا كل وسائل الدهاء وأن يكون جواز المرور لدينا هو الخديعة والكذب والادّعاء، فإن حقنا في قوتنا! لاعيب ولا عار في أن تكون جاسوساً أو دساساً بل هذه فضيلة لأنها ستمكّننا من إقامة «دولة صهيون»..

«القرار الثانى» :

إن الصحافة كلها وجميع وسائل الإعلام هى التى يمكننا عن طريقها أن نحصل على توجيه دفة الأمور لصالحنا، وهذه قد حصلت عليها أيدينا! فلقد أصبحنا، بفضل الصحافة، قوة دولية ومن خلالها أحرزنا نفوذاً وبفضلها كدّسنا الذهب فيجب ألا تفلت من أيدينا بل ويجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف!..

«القرار الثالث» :

فى إمكاننا الآن أن نؤكد لكم أننا قد أصبحنا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ولم تبق إلا مسافة قصيرة كى تتم الأفعى الرمزية، شعار شعبنا، دورتها! وحينما تغلق هذه الدوائر ستكون كل دول الغرب المسيحية محصورة فيها بأغلال لن تتحطّم!.

تذكروا

أن الثورة الفرنسية من صنع أيدينا. وأننا منذ ذلك الحين ونحن نقود الأمم من خيبة إلى خيبة تمهيداً للملكِ من دم صهيون نعده لحكم العالم!..

«القرار الخامس» :

لقد أصبحنا أقوياء جداً واقتصاديات العالم تعتمد علينا. المال كله فى أيدينا، فأيدينا تملك أعظم قوة فى هذا العصر وهى الذهب!. وإن الحكومات لاتستطيع أبداً أن تبرم معاهدة ما، ولو صغيرة، دون أن نتدخّل فيها سراً!..

إن شريعتنا تقول إننا مختارون من الله لنحكم الأرض وقد منحنا الله العبقرية كى نكون قادرين على القيام بهذا العمل!.

بكل ما قد عرضناه من الوسائل ستضغط على الأمم المسيحية حتى تضطر إلى أن تطلب منّا أن نحكمها دولياً! وعندما نصل إلى هذا الهدف سنستطيع مباشرة أن نستنزف

كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم. وعند ذاك نستطيع أن نشكّل حكومة عالمية عليا!.

«القرار السابع»:

لقد اعتادت البلاد جميعاً أن تستغيث بنا عند الضرورة ومتى لزم الأمر. ولذلك يجب علينا أن ننشر فى سائر الأقطار الفتنة والمنازعات! أولاً فى كل أقطار العالم الغربى. ثمّ بمساعدة العالم الغربى، نفسه، ننشر فى سائر أقطار العالم الفتن والخصومات..

بهذه الوسائل سنتحكم فى أقدار كل الأقطار!.

إن لنا القدرة على خلق الاضطرابات فى كل قطر كما نريد! فقد نصبنا شباكنا فى جميع الحكومات ولم نحبكها إلاعن طريق الخدمات المالية والاتفاقات الصناعية أيضاً!. وبشباك المال سوف نتصيدّ جميع الحكومات وبشباك المكائد والدسائس سوف يعادى بعضهم بعضاً وعند ذلك نكون قد وصلنا إلى ما نريد. ولكن! لكى نصل إلى هذه الغاية يجب أن ننطوى على كثير من الدهاء خلال المفاوضات والاتفاقات بأن نتظاهر بعكس ذلك كى نظهر بمظهر الأمين المتحمّل للمسئولية وبهذا ستنظر إلينا الحكومات كأننا متفضّلون ومنقذون للإنسانية!...

«القرار التاسع»:

إننا مصدر إرهاب بعيد المدى! فإننا نسخّر فى خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب، من رجال يرغبون فى إعادة الملكيات.. وسواهم. ولقد وضعناهم جميعا تحت السرج! وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما تبقّى من السلطة ويحاول أن يحطم كل النظم الحاضرة والقوانين القائمة. وبهذا التدمير تتعذب الحكومات وتصرخ طلباً للراحة وتستعد من أجل السلام، لتقديم أى تضحية.. ولكن!. لن نمحنهم أى سلام حتى يعترفوا صراحة بحكومتنا الدولية العليا.

لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميّين وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام.. ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة!.

«القرار العاشر»:

لابدّ أن يستمر فى كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات

فتستمر، بذلك، العداوات والحروب والموت!. هذا مع الجوع والفقر ومع تفشى الأمراض!. ولابدّ أن يمتد كل هذا إلى حد ألايرى الأمميون أى مخرج لهم من متاعبهم غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا!

وبأموالنا ستمتد سلطتنا الكاملة!..

«القرار الحادى عشر»:

إن الأمميين كقطيع الغنم واننا الذئاب!.

هل تعلمون ماذا تفعل الذئاب بالغنم؟!

إذن، ادفعوهم إلى هذا المصير!..

لقد شتتنا إلهنا فى أرجاء الأرض لنفعل ذلك، وهذا هو السرّ من وراء هذا التشتت الذى حلّ بنا. فإن من رحمة «يهوه» أن «شعبه المختار» قد شُتت، لأن هذا التشتت الذى يبدو ضعفاً فنّياً أمام العالم قد ثبت أنه كل قوتنا التى إذا ما طبقناها على هذا المثل وصلنا، حتماً، إلى أعتاب السلطة العالمية!.

«القرار الرابع عشر»:

حين نُمكّن لأنفسنا فنصبح سادة العالم لن نبيح قيام أى دينٍ غير ديننا!..

«القرار الثانى والعشرون»:

فى أيدينا تتركز أعظم قوة فى الأيام الحاضرة ونعنى بها الذهب!. ففى خلال يومين نستطيع أن نسحب أى مقدار منه!.

أفلا يزال ضرورياً لنا بعد ذلك أن نبرهن على أن حكمنا هو إرادة إله إسرائيل؟!

«القرار الثالث والعشرون»:

إن ملكنا سيكون مختاراً من «يهوه»!. وعندئذ نستطيع أن نرفع أصواتنا ونصرخ فى وجه العالم قائلين؛

صلّوا ليهوه!

واركعوا أمام هذا المَلك الذى أعاد «مُلْك داود» والذى يقود يهوه، نفسه، نجمه ويتوجه ملكا على العالم بأجمعه!.

لامكان بعد ذلك لبابوات المسيحيين، فسيصبح «ملك اليهود» هو «البابا» ... «البابا» الحقيقى للعالم بأكمله!..»

والآن؟.

الآن، وهذه هى بعض قرارات من «بروتوكولات حكماء صهيون» ماذا نرى؟!.

نظرة واحدة نلقيها على هذه النقط الأساسية فى «بروتوكولات حكماء صهيون» ترينا أنها ليست إلا صورة مطابقة لأوامر «التوراة المكتوبة» و«التوراة الشفوية».. فأمّا التوراة الشفوية، أو «التلمود» فهو كتاب قد مررنا بتاريخ كتابته ومن ثمّ فهو لايمت إلى موسى، عليه السلام، بأسباب!.. وأما إلصاق «التوراة المكتوبة» بموسى فلم يكن ذلك إلاّ استغلالاً لاسمه لأن هذه «الأسفار الخمسة» التى يقوم عليها الدين اليهودى الحالى قد وُضعت، كما سنرى بعد قليل، بعد مضى قرون من الزمن طوال على وفاة موسى وأما هذا الفحيح السّام الذى ينبعث من سطور هذه «البروتوكولات» ينفث شرر النقمة فى كل متجه؛ متذرعاً بأن علة ذلك هى محاربة العالم لهم فإن لنا فى هذا الصدد كلمة وهى؛ إن قول اليهود بأن محاربة العالم لهم، وهو ما يسمونه بالاضطهاد، هو علة هذا الجهاز التنفيذى لدينهم والمسمى بالصهيونية وأن قيام الصهيونية يقضى على هذه العلة إنّما هو يقول لا أساس له البتّة من الصحة! لأن الصهيونية، نفسها، هى أعراض لداء مزمن وهذاالداء هو فى اليهود أنفسهم بل هو اليهود أنفسهم!.. وإلا فمن اضطهدهم يوم اضطهدوا أنفسهم ويوم تمردوا على موسى، عليه السلام، وخانوه وكتبوا فى أسفارهم، هذه التى ينسبونها إليه، أنه قد «خان الرب» وأن عليه غضب الرب وقال له اطلع إلى الجبل ومت هناك فى الجبل؟!..

من اضطهدهم يوم انقسموا على أنفسهم فى مملكة سليمان ثم تقاسم كل شطر من شطريها على أهله وراحوا يترا شقون بسهام العداء؟!..

من اضطهدهم يوم وصفوا أنفسهم بأنفسهم بالفساد والشر وغلظة الطبع وصلابة

الرقبة؟. ولن يصمهم أعدى أعدائهم بشر ممّا وصموا به أنفسهم فى «أسفارهم» هذه التى من عجيب المفارقات أن يتخذوها فى الوقت نفسه دعامة وسنداً.

إنهم هم الذين قضوا على أنفسهم وجروا على أنفسهم، «الاضطهاد» فى كل بقعة وفى كل عصر وبين كل قبيل، لأن العلة ليست فى غيرهم وإنما فيهم وليس للأمم من حيلة معهم إلا أن تُخضعهم آخر الأمر! فإنّ آفتهم الكامنة فيهم أنهم كائن ممسوخ من الوجهة الاجتماعية لأنهم جماعة مقتضبة لم تصبح أمة، واشتبكت مع العالم وهى فى مرحلة غير نامية وغير قابلة للنمو لاتصافها بصفات ليست ناجمة عن الحروب التى عرضّت نفسها لها عبر القرون الطويلة ولكنها وليدة الدين اليهودى نفسه فإن الخلق اليهودى الذى لم يكن فى جميع العصور إلاّ وباء يهدد سلامة المجتمع البشرى وأمنه وأواصره بالفساد ليس وليد «الاضطهاد» وإنما وليد الدين اليهودى نفسه!.

إن الخلق اليهودى استباح أبغض الوسائل لتحقيق أغراضه وسعى جاهداً لينفرد بسلطان المال على مصير المجتمع فحاربه بأخس الوسائل وعمل وسعه على إفساد أخلاقه وتمزيق أُسره وهدم أديانه وقيمه ومقوماته لكى يتسلط عليه فيسخّره فى مصالحه ويستأثر بخير العالم دونه، ليس وليد «الاضطهاد» وإنما هو وليد الدين اليهودى نفسه!..

إن الخلق اليهودى الذى يهدر المبادئ الإنسانية ويقوّض مقاييس الأخلاق، إنما ينبع من العزلة التى يفرضها أصحاب هذا الخلق على أنفسهم وإن موقفهم العدائى من كل أمة يحملون جنسيتها ومعاداتهم كل الأديان ولاسيّما المسيحية والإسلام، ليس إلاّ وليد هذا الدين اليهودى نفسه المبنى على التوراة والتلمود وعلى ما فيهما من تعاليم وشرائع ترسم بوضوح خطط تدمير العالم كى يحكم اليهود على أنقاضه!.

ولما كانت الصهيونية لا تسعى إلا لتحقيق هذه الأهداف التى يرسمها الدين اليهودى فإنما ذلك لأن الصهيونية هى اليهودية أو بعبارة أوضح معنى وأصح قولا؛ هى الجهاز التنفيذى للدين اليهودى!..

وإذن؟.. هل يمكن ليهودىّ، كائناً ما كان، أن يعارض الصهيونية وهى ليست إلا الجهاز التنفيذى لدينه؟!..

كلا!..

لا جدال فى أن الصهيونية هى الجهاز التنفيذى لليهودية.. فإنما اليهودية القديمة هى

الصهيونية الحديثة والصهيونية الحديثة هى الصهيونية القديمة التى انبثقت فى غضون الأسر البابلى لأولئك الذين كتبوا «الأسفار الخمسة» من سبط يهوذا وحولوا بدعة «الأرض الموعودة» إلى عقيدة دينية وصاغوها لواءً حملوه للعودة إلى «صهيون» فأسّسوا بذلك الصهيونية وجعلوها الجهاز التنفيذى لهذا الدين الذى جاءت شرائع التلمود تمثله تمام التمثيل وهذا هو الدليل الدامغ على أن اليهودية هى الصهيونية والصهيونية هى اليهودية وهذا مما يجعلنا نقول إن «حاييم وايزمان»، خليفة «هرتزل» فى قيادة الحركة الصهيونية الحديثة، كان على حق عندما قال؛

«إن الصهيونية واليهودية متلازمتان متلاصقتان ولايمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية»!..

وهنا..

هنا أقول إن الحركة الصهيونية، سواء منها الصهيونية الغربية التى كان يتزعمها «هرتزل» أو الصهيونية الشرقية وهذه كان يتزعمها «وايزمان» أول رئيس لـ «دولة إسرائيل» الأسطورية وتفتقها عن صهيونية عالمية، قد تناولها أكثر من قلم فى عصرنا هذا بالشرح.. (١) ومن ثم فالحديث عنها كرة أخرى ليس إلا تكرارا ولذلك قد قصرت هذا البحث على سبر الأسس التى تقوم عليها الصهيونية وهى الدين اليهودى الحالى ووضعت موضع المقارنة؛ الأسس الجديدة للصهيونية الحديثة والأسس القديمة لليهودية الحالية فى «الأسفار الخمسة» وفى «التلمود» حتى يتبين لنا أن خليفة مؤلف «الدولة اليهودية» ومن كان أول رئيس لهذه «الدولة» الأسطورية كان صادقاً عند ما قال بأن اليهودية والصهيونية متلازمتان متلاصقتان وأنه لايمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية!..

وهذا هو الواقع..

إن الحركه الصهيونية ليست إلا الجهاز التنفيذى لهذا الدين اليهودى الحالى الذى بناه يشوع بن نون ولذلك انصب بحثنا على سبر «الأصول» و«الظروف» و«التيارات» و «العوامل» و«الأسباب» التى أفضت إلى تكون «الفكرة» التى تستمد الصهيونية منها

---

(١) ومن أهم هذه المراجع «الصهيونية العالمية» للأستاذ عباس محمود العقاد.

مبدأ وجودها ألا وهى «عقيدة الأرض الموعودة».. هذه «العقيدة» التى لم تفتعل «دولة إسرائيل» الحالية إلا على أساس منها ولم تقم إلا غداة تجمع «أبناء الخرز» فى تكتل وأطلقوا من حناجرهم صيحة واحدة كان رجع صداها تلك «الحجة» التى تذرع بها ممثلهم وتجاوبت فى أرجاء «الأمم المتحدة» تقول؛

«قد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسى أو القانونى ولكنها حق لنا على أساس روحانى فهى الأرض التى وعدنا بها الله وأعطانا إياها!. ومن الفرات إلى النيل!..»

ولذلك؛

«يجب على كل يهودى أن يهاجر إلى فلسطين وإن كل يهودى أقام خارج إسرائيل منذ إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة!..

إن هذا اليهودى يكفر يومياً بالدين اليهودى!..» (١)

هذه الصيحة التى دوت، ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٠، عندما عُقد فى القدس المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرون لم تكن فى مداها وأول رئيس لـ «دولة إسرائيل» لأنّها لم تكن، فى مداها الواقعى إلا ترديدا من تصريح أبرز زعيم من زعماء الحركة الصهيونية الحديثة وأول رئيس لـ «دولة اسرائيل» لأنها لم تكن بالتالى، فى واقعها الإيجابى إلاّ باكورة لحركة «شيبات زيون»، أى «محبة صهيون»، التى امتدت فروعها الأخطبوطية فى كل ركن من أركان الغرب والشرق حتى تفتّقت عن الحركة الصهيونية العالمية التى تعتبر جميع يهود العالم أعضاء فى جنسية واحدة تسميها «الجنسية الإسرائيلية» وإن واجبها ينحصر فى تطبيق هذه المبدأ وهو؛

«توطيد دعائم دولة إسرائيل وتقويتها وجمع شعب يهود العالم فيها واعتبارها وطن جميع اليهود فى كل أنحاء العالم!» (٢)

من هنا نفهم إلى أى مدى تطورت الصهيونية حتى غدت عالمية، لا تستهدف إلامرمى واحداً وتتخذ من «دولة إسرائيل» قاعدة لهذا المرمى!.. فالصهيونية العالمية اليوم ترى فى إقامة «دولة إسرائيل» عاملا أساسياً لتجميع جميع يهود العالم على أساس التظاهر بأن هذا هو الحل الوحيد لقضية كل يهودى وأما المرمى من وراء ذلك فهو التكتل فى فلسطين

(١) «بن جوريون».
(٢) «وايزمان».

ثم الزحف منها على العالم ولذلك اتجهت الدعوة الصهيونية الحديثة فى كافة أنحاء العالم إلى تعلم اللغة العبرية كوسيلة نحو التكتل القومى وكمظهر صادق من مظاهر ربط الولاء إلى هذه القومية الجديدة فى فصم للولاء الذى كان يربطهم بالبلاد التى نشأوا فيها وللجنسيات التى يحملونها!.. ولا حائل يحول بين اليهودى وبين ذلك طالما أنه يدين باليهودية، فاليهودية هى الصهيونية، وبذلك ظهرت اليهودية بمظهرها الحقيقى باسم الصهيونية العالمية.. هذه الصهيونية التى ليست فى حقيقتها، سواء منها القديمة أم الحديثة والغربية والشرقية وهذه العالمية، ليست إلا اليهودية اليشوعية الأصيلة!..

كيف؟..

إن الجواب عن هذا السؤال يأتينا من نفس أسس هذه الحركة الصهيونية العالمية القائمة على ركائز أربع هى؛

أولا: الروابط التاريخية والدينية القديمة التى تربط اليهود بأرض فلسطين والصهاينة بصهيون.

ثانياً: يمثل اليهود فى شتى أنحاء العالم شعبا واحداً ينتمى إلى أصل واحد مرجعه، إلى فلسطين ومن ثم يعتبر جميع يهود العالم أعضاء فى جنسية واحدة هى «الجنسية الإسرائيلية»

ثالثاً: إن «الأرض الموعودة» التى وعد بها «إله إسرائيل» شعبه «المختار» لتكون لهم وطناً وملكا أبدياً هى فلسطين وما حولها من أراضٍ تمتد من الفرات إلى النيل!.

رابعاً وأخيراً: إن«الرب» قد تعهد بأن يرقى بذرية إسرائيل» فى النهاية إلى السيادة على العالم... ولذلك تكون فلسطين قاعدة «الإمبراطورية اليهودية العالمية المنشودة!.»

هذه هى الركائز الأربع التى تمثل أسس الحركة الصهيونية العالمية وليس علينا إلا أن نناقشها ركيزة ركيزة وكل واحدة على حدة حتى تتبين لنا ماهية هذه الدعائم التى تستند إليها الصهيونية وعليها ترتكز دعواها..

أولاً:

ما هى هذه الروابط التاريخية والدينية القديمة التى تربط اليهود بأرض فلسطين والصهاينة بجبل صهيون؟..

لنجعل الفصل فى هذا القول هو الاحتكام إلى التاريخ. التاريخ السياسى، أولاً، ثم التاريخ الدينى.. وهذا ما يدفع بنا إلى أن نتساءل؛

هل لليهود حق سياسىٌ فى فلسطين؟..

إن الحق السياسى فى أى إقليم إنما تقرره أصول ثابتة أساسية تتلخص فى الصفة العنصرية وفى الأسبقية إلى سكناه وطول مدة الحكم واستمرارها.. ومن ثمَّ فلنعد إلى البيانات التاريخية الخاصة بفلسطين..

لقد عُرفت فلسطين فى التاريخ القديم بـ «أرض كنعان» نسبة إلى قبائل الكنعانيين التى استقرت فيها إثر إحدى تلك الهجرات من جزيرة العرب إلى الشمال فى الألف الثالث ق.م. ولقد عرفنا أن هذه البقعة ظلت تسعى بأرض كنعان حتى مغرب الألف الثانى ق.م. وليس إلا بعد أن غزتها، حوالى سنة ١٢٠٠ ق.م تلك القبائل الآتية من كريت وعن طريقها وفى مقدمتها قبيلة «فيليستيا» ثم استقرت على شواطئها بين يافا وغزة وبعد أن اندمج الكريتيون والكنعانيون، بالاختلاط والتصاهر، سميت تلك المنطقة نسبة إلى هذه القبائل باسم فلسطين وأصبح هذا الاسم يطلق على جميع الأراضى الساحلية والداخلية التى كان يسكنها الكنعانيون.. ثمَّ لم يلبث أن ساد العنصر الكنعانى على فلسطين مرة أخرى وأصبح سكانها هم أهلها الأول من هؤلاء الكنعانيين العرب.

وفلسطين بحكم موقعها الجغرافى بين القارات الثلاث القديمة كانت طوال تاريخ الحضارة تقريباً -جسراً يعبره الغزاة من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب كما يمر عليه الفاتحون من الشمال بمحاذاة الساحل إلى الجنوب حيث الجزيرة العربية ومن أفريقيا الشرقية إلى الشمال. كما كانت بالنسبة لخصب تربتها واعتدال مناخها قبلة للقبائل الرحّل المتنقلة من الجنوب والشرق والغرب وليس إلاّ فى فترة من تاريخ ذلك العهد كان أن ارتحلت من الفرات الأدنى تلك العائلة العائدة بأصلها إلى «عابر» فاختارت «أرض كنعان» ملجأ وسكت بين أهل هذه الأرض من الكنعانيين!..

أجل..

لقد خضعت هذه البقعة لعناصر شتى، وفى فترة خاصّة من تاريخها كانت خاضعة لحكم هذه الجماعة من سلالة إسرائيل ولكن ذلك كان لفترة وجيزة من الزمن وكما

دالت ممالك غيرها فى هذه المنطقة دالت هى أيضاً بل وذابت سلالة إسرائيل نفسها فى تيّار الزمن ولم يعد هناك إلاّ يهود كانوا قد تهوّدوا ولاتربطهم بأبناء إسرائيل نفسه صلة عنصرية فما هى، بعد، هذه الروابط التاريخية التى تربط يهود اليوم بفلسطين والصهاينة بصهيون؟..

أى الروابط التاريخية تربط يهود العالم ببنى إسرائيل وتربط سلالة الخزر ببنى إسرائيل؟!..

إن الصلة بين صهيون والصهاينة إنما هى صلة لا تحمل من المعنى الجغرافى إلا الاسم ولا شىء غير ذلك!. وأما الصلة التى تربط اليهود بفلسطين فليست إلا من خيوط الوهم المحض قد حيكت منها الروابط!..

هذه هى الحقيقية النابعة من أغوار التاريخ!..

فأما صلة الصهاينة بفلسطين فلقد ذكرنا هذه الحقيقة التاريخية فى مستهل بحثنا هذا عندما فرقنا بين «العبريين» وبين «بنى إسرائيل» وبين «اليهود» وقلنا إنه فى نهايةالقرن السابع عشر الميلادى أبدى «بولان» ملك الخزر رغبته فى الاطلاع على الدين اليهودى، ثم وافق هواه فاعتنقه ولم يلبث أن أرغم شعبه على اعتناقه وهكذا أصبحت تلك المملكة التى كانت تحتل منطقة تقع بين جبال الأورال شرقاً ووسط أوروباغرباً وشمال البحر الأسود جنوباً مملكة يهودية صرفة!. ثم تعرضت هذه المملكة لغزوات شتى وتفرق أبناؤها، وكان عددهم يربو على عشرة ملايين نسمة، على دول شرق أوروبا وهؤلاءهم اليهود الغربيون من سكان شرق أوربا وهؤلاء هم أصحاب الحركة الصهيونية الحديثة وإذن!. أى الروابط التاريخية هناك تربط هؤلاء الصهاينة بفلسطين؟..

أى الروابط التاريخية تربط سلالة الخزر بسلالة إسرائيل؟!..

إن الخزر شعب غير سامٍ ومن الوجهة العلمية فى علم الأجناس ينتمى إلى سلالة القبائل المنغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا ثمّ طُرد فى القرن الأول الميلادى فراح يتوغل فى شرق أوروبا وليس إلا بعد سبعة قرون من الزمن اعتنق اليهودية ديناً فأى الروابط التاريخية، إذن، تربط هذا الشعب غير السامى الذى لم تكن له صلة إطلاقاً

بالقبائل السامية التى عاشت يوماً فى «أرض كنعان» بالقبائل السامية التى عاشت يوماً فى أرض كنعان ؟!.

ثم، بالتالى، أى الروابط التاريخية تربط يهود العالم الحاضر بفلسطين وأية قرابة لهم بنى إسرائيل ؟!..

إن يهود عالم اليوم ليسوا من سكان فلسطين الأصليين ولاعودة إلى التاريخ نفسه إنما هى على هذه الحقيقة برهان... حقيقة لقد جاء الفتح الفارسى لبابل وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين فعاد منهم كثيرون وأقاموا معبدهم بل وأنشأوا فيها حكومة لهم ولكن!. . المجموعة الساحقة من هذه الجماعة الدينية لم تكن إلا جماعات قد تهودت!... فلقد كانت اليهودية، كدين، فى خلال القرون الطوال قبل الميلاد وبعده قد انتشرت فى أجزاء مختلفة من العالم.. فقد اعتنقتها جماعات صغيرة من الشعوب التى كانت تسكن نفس فلسطين.ثم أسهم أسرى الحروب والتجار والمشردون من اليهود بنقلها إلى شعوب القبائل فى شمالى أفريقيا حتى مراكش وحتى الحبشة وتوغلوا بها حتى الصين والهندواليمن ومن هنا انتشر الدين اليهودى بين فئات كانت تنتمى إلى كل الأجناس المعروفة.. ففى كل جنس كنا نجد أقلية صغيرة تهودت واعتنقت اليهودية ديناً.. ومن ثم فإن هؤلاء اليهود ينتمون إلى أجناس لا صلة لها قط تاريخية بفلسطين ولا يوجد أى الروابط التاريخية تربطهم بفلسطين ولا أية قرابة لهم ببنى إسرائيل ؟!.

إن إسرائيل نفسه وأسباطه الاثنا عشر لم تكن لهم صلة تاريخية بفلسطين، فكيف بسلالة الخزر وبفئات تهود أسلافها وتوارثت دينها هذا عن هؤلاء الأسلاف ولايعود العنصر منها إلا إلى أجناس مختلفة متفرقة فى أرجاء العالم؟!

وإذن!.. فإن الحجة الأولى للصهيونية الحديثة، وهى القائلة بالروابط التاريخية لليهود فى فلسطين، تنهار من أساسها!... لا لأنه لا رابطة تاريخية لسلالة الخزر بفلسطين فحسب ولا لليهود، وبالتالى، ولا لأن بنى إسرائيل أنفسهم لا صلة لهم تاريخية بفلسطين فحسب وإنما لأن بنى إسرائيل أنفسهم لا وجود اليوم إلا كأطياف عابرة فى مخيلة التاريخ!..

إن يهود اليوم ليسوا من من سكان فلسطين الأصليين ولم تكن لهم بفلسطين فى عهد العهود صلة عنصرية ولا روابط تاريخية يمكنهم الاستناد إليها وهذه حقيقة تكشف عن ماهية الدعوى التى يستند إليها الصهيونيون فى « حقهم السياسى» فلسطين وهى الدعوى

القائمة على قيام حكم لبنى إسرائيل فيها ،وهو حكم لم يدم إلا للمحة فى جفن الزمن كما أنه لم يبسط سلطانه على كل فلسطين!..

ولكن !.

ما زال الصهيونيون يستندون فى مطالبهم الإقليمية فى فلسطين إلى هذه الفترة من الحكم التى كان لبنى إسرائيل وهى الفترة التى بدأت بـ«شاؤل» وانتهت بالغزو البابلى لمملكة الجنوب..بيد أننا هنا نتساءل، ألا يرى هؤلاء الصهاينة اليهود واليهود الصهاينة أن هذا التحديد نفسه يهدم دعواهم من أساسها؟!. فإن حكم «شاؤل» لم يكن قط ذا سيادة حقيقية على البلاد التى كانت أكثر بقاعها تقع تحت الظل الكنعانى والفلسطينى كما كانت،بالتالى، تقع تحت نفس هذا الظل إبان السنوات السبع من حكم داود فى حبرون قبل أن يهزم الفلسطينيين ويستولى على آخر حصون كنعان، حصن صهيون، ويتخذ من القدس عاصمة للمملكة هى ولئن بلغت ذروتها فى عهد سليمان الاّ أن القسم الأكبر من فلسطين لم يدن لها بالطاعة ولم يعترف لها بالسلطان !..

ثمّ إنّ هذه المملكة، التى لم تعمر أكثر من تسعين عاما، قد انشطرت عقب وفاة سليمان وانقسمت إلى «مملكة إسرائيل» فى الشمال و«مملكة يهوذا» فى الجنوب وهذا الانقسام، نفسه، لم يجئ أيضا بالاستقلال الحقيقى لكلتا المملكتين لأنّ كلا منهما كانت تخضع إلى دولة عظمى خارجة وإلى حماية هذه الدولة كانت باستمرار وجودها تدين حتى جاء الغزو الآشورى فاكتسح «مملكة إسرائيل» ومحاها محواً من صفحة التاريخ ثمّ جاء الغزو البابلى فأدال من «دولة يهوذا» من الجنوب ثمّ حمل «يواقيم» آخر ملوكها من «بيت يهوذا» والآلاف من رجال «اليهودية» أسرى إلى بابل وفى مقدمتهم «سبط يهوذا» نفسه وهؤلاء هم الذين تعهّدوا فكرة «الأرض الموعودة» بالإنماء عندما رفّ عليهم ذلّ الأسر وابتعث الذكريات عن حال مماثل كان فى أرض النيل للآباء فراحوا يصبُّون النقمة على الفرات والنيل معاً ويسطرون بأن «الأرض الموعودة» من الفرات إلى النيل، بينما لم يسعهم إلاّ التباكى على أورشليم الضائعة والترنم على ضفاف الفرات بذكرى صهيون!.

ومن ثمَّ فنحن إذا سلّمنا بأن مدى الحكم لبنى إسرائيل، لا لليهود، فى فلسطين كان من «شاؤل» ١٠٠٧ ق.م، إلى «يواقيم» ٥٨٦ق.م، فإننا نتوصَّل إلى حكم دام نيفاً وأربعة قرون من الزمن وهذا المدى الزمنى فقط هو الذى يستند إليه الصهيونيون فى مطالبهم الإقليمية فى فلسطين ويستمدون منه الرابط التاريخى والحق السياسى فى أرض لا تربطهم بها صلة تاريخية، قطّ، وذلك لسبب واحد آتٍ من نفس تاريخهم نفسه وهو أنهم ليسوا إلا يهوداً من نسل آباءٍ كانوا قد تهودوا وليسوا، قط، ببنى إسرائيل!.

وهنا لنا كلمة نقولها وهى؛

إن هولاء اليهود الذين يستندون إلى هذا المدى الزمنى فى مطالبهم الإقليمية فى فلسطين إنماهم يتجاهلون المدى الزمنى لحكم العرب فلسطين!.. ألا يذكر الصهاينة المدى الزمنى لحكم العرب فلسطين؟!..

إن الفتح العربى، ٦٣٦، قد اغتمر فلسطين.. بل واغتمرها اغتماراً كان من أثره أن ضاعف صبغها بالصبغة العربية الخالصة، فلقد امتد للعرب حكم فى فلسطين لم يدم نيفاً وأربعة قرون من الزمن وإنما!.. إنما نيفاً وأربعة عشر قرناً من الزمان!.

يقيناً إن هذه الفترة من تاريخ فلسطين لكفيلة بالرد على مزاعم الصهاينة فى ندائهم بالحق السياسى لليهود فى فلسطين وهى نفسها، بالتالى، البرهان على تثبيت دعائم العروبة فى فلسطين تثبيتاً تنهار أمامه ما تستند إليه الصهيونية العالمية من حُجج ومزاعم...

هذا هو الواقع إذ عدنا إلى استعراض التاريخ، فليس إلاَّ على أساس إحصائى صرف تتكشف هذه الحقيقة ونخلص بها إلى النتيجة الحتمية من هذا السؤال الذى ألقيناه لنجد أن أصحاب «الحق السياسى» فى فلسطين إنماهم؛ العرب!..

وهنا..

هنا يجابهنا هذا السؤال؛

هل لليهود «حق قانونى» فى فلسطين؟..

منطقياً أن الجواب عن هذا السؤال هو؛ لا أحقية لشعب فى فلسطين إلاَّ لشعب فلسطين..

ولكن.... من هو «شعب فلسطين» ؟...

من الأسانيد التاريخية نستطيع أن نتخذ من العصر الكنعانى؛ بداية فنقول إن من الكنعانيين، والكنعانيون موجة عربية بحتة قذفتها شبهُ الجزيرة العربية، قد تكوّن شعب فلسطين فهو شعب عربى محض!..

حقيقة أن الدم الكنعانى قد ذاب فى الدماء التى مازجته والتى كان، فى خضم الغزوات والفتوح، بها قد امتزج. غير أن هناك مازالت نسبة مئوية من الدم العربى أعلى من النسبة المئوية لأى دم آخر وذلك يعود بأصوله إلى هذا الأصل الكنعانى العربى البحت كما يعود بأسبابه إلى ذلك التدفق العربى على البلاد واستيطانه لها خلال نيف وأربعة عشر قرناً من الزمان.. وهذا مما يجعل من المنطقى، والنسبة المئوية العليا هى للدم العربى، أن نقول إن فلسطين هى أرض العرب وإن العرب هم أصحاب «الحق القانونى» فى فلسطين!.

ومن ثمَّ، فإن هذه الحجّة الصهيونية القائلة بالروابط التاريخية والدينية لليهود فى فلسطين إنما هى حُجّة إذا جزمنا بصحتها، على أساس من معبد كان لهم فيها وهيكل كان قد بناه سليمان، فليس إلاّ لنقول؛

متى كانت الرابطة الدينية حُجّة للاستيلاء على بلدٍ يقوم فيه رمز من حوله تترابط أفئدةٌ بالإيمان ؟!..

هذا هو العالم المسيحى!. أيتخذ من وجود قبر السيد المسيح، عليه السلام، فى القدس ذريعة للاستيلاء على فلسطين ثم الزحف منها على بلاد العالم؟..

وهذا هو العالم الإسلامى!. هل يتخذ من وجود «البيت الحرام» فى مكة أو يتخذ من وجود ضريح الرسول ﷺ، فى المدينة ذريعة للاستيلاء على أحد البلدين ثم الزّحف منها على بلاد العالم؟!.

كلا!..

وإذن!. فإنّ حجة الصهاينة من حيث التذرع بذكرى هذا الارتباط الدينى لليهود

بفلسطين إنما هى حجة واهية لا تقوم على أساس سليم من المنطق بل إنما هى حجة واهية لاتقوم على أساس سليم من المنطق بل وإنما لحجة تنقض نفسها بنفسها لأنَّ الارتباط الدينى بأى بلد لا يمنح لأحد «الحق السياسى» أو «الحق القانونى» فى الاستيلاء عليه!.

وهكذا تنهار الركيزة الأولى من الركائز الأربع الممثلة أسس الحركة الصهيونية العالمية.

وأما الركيزة الثانية وهى القائلة بأن اليهود يمثلون فى شتى أنحاء العالم شعباً واحداً ينتمى إلى أصل واحد مرجعه إلى فلسطين، ومن ثمَّ يجب أن يعتبر جميع يهود العالم أعضاء فى جنسية واحدة هى «الجنسية الإسرائيلية» فهذه ركيزة نقترب منها بهذا السؤال؛

هل «للجنسية الإسرائيلية» وجود، حقاً؛؟..

هذه الركيزة القائلة بأن جميع يهود العالم ينتمون إلى «بنى إسرائيل» ومن ثمَّ يُكوِّنون «جنساً» وبالتالى «شعباً» ثمَّ «أمة» ومن هنا يريدون الاستقرار فى وطنهم السابق إنما هى ركيزة لاسند لها من الواقع التاريخى إطلاقاً وليست فى واقعها إلاخرافة تاريخية ابتدعتها الدعايةُ الصهيونية، يدحضها البحث العلمى الصحيح وينقضها العلم الأثنولوجى الحديث.

البرهان؟..

البرهان مستمد من علماء اليهود أنفسهم. فلقد وضع «جروفتش»، أستاذ علم الأجناس فى «الجامعة العبرية»، تقريراً أوضح فيه نتائج التجارب التى قام بها على المهاجرين اليهود الذين وفدوا إلى «إسرائيل» من مختلف أنحاء العالم. وكان الرمى من وراء هذه التجارب هو فحص دماء هولاء الذين دفعت بهم «الوكالةُ اليهودية» إلى فلسطين لبيان ما إذا كان اليهود جنساً واحداً له فصيلة واحدة من الدم طالما أن العلم الأثنولوجى الحديث قد تمكن من تعيين فصائل الدّم لكل شعب من الشعوب على أساس من براهين أثبتت أن الدم موروث وأن كل شعب من الشعوب القديمة له فصيلة من الدم ورثها عن أسلافه وأورثها لسلالته.. وقد أوضحت هذه التجارب أن نسبة ضئيلة جداً من يهود الأقطار العربية هم من نسل سامى الجنس وأما المجموعة الكبرى من يهود العالم وخاصة يهود أوروبا الشرقية فلا ينتمون إطلاقاً إلى الفصيلة السامية!.

ومن ثمَّ فإنَّ الركيزة الثانية التى أقامتها الصهيونية الحديثة على أساس أن يهود العالم أجمع يمثلون أعضاء فى «جنسية واحدة» وأن لهم على هذا الأساس حقاً فى فلسطين إنما هى ركيزة متداعية لاستحالة اعتبار اليهود جنساً واحداً له مميزاته الإثنولوجية الخاصة وهذا ما يجعلنا نفرق بين «بنى إسرائيل» وبين انتشار الدين اليهودى وبين انتشار اليهود فنذكر أن الدين اليهودى الذى أخذ فى الانتشار فى عهد الدولة الرومانية عامة وبعد سقوطها خاصة قد أنشأ طوائف من اليهود لاتمت إلى «بنى إسرائيل» بأوشاج قرابة ولابصلة سوى صلة العقيدة ومن هؤلاء هذه النسبة الضئيلة من يهود اليوم الذين ينتمون إلى الفصيلة السامية ومن هؤلاء أيضا يهود العالم الغربى، وخاصّة أوربا الشرقية، الذين لا ينتمون إطلاقاً إلى الفصيلة السامية ولاصلة لهم باسرائيل ولا بآباء إسرائيل ولا بأبناء إسرائيل، هؤلاء الذين طواهم تيار الغزوات المتوالية والمتتالية فى لجة التاريخ!..

ومن ثمّ!.

على هذا الأساس العلمى البحت تنهار للصهيونية الحديثة حجّة تقول بأن يهود العالم أجمَع أعضاء فى جنسية واحدة هى «الجنسية الإسرائيلية» طالما أن العلم الإثنولوجى قد أثبت بأنه ليس هناك فى «علم الأجناس» شيء اسمه «الجنسية الإسرائيلية»!..

يقيناً!.. يقيناً علمياً، لا نقاش فيه، أنه ليس هناك بين الأجناس البشرية شيء اسمه «الجنسية الإسرائيلية» وبهذا كان قد أقرّ، أيضاً، «المجلس اليهودى الأمريكى» معترفاً:

«إن اليهودية لم تكن جنسية فى يومٍ من الأيام بل إنها دين والجماعات البشرية التى يطلق عليها اسم يهود هى جماعات تتمتّع بجنسية الدولة التى تنتمى إليها»!..

هذا الاعتراف بجانب ما قدمناه من برهان إثنولوجى على انتفاء «الجنسية الإسرائيلية» عن اليهود هو بدوره جانب من الدعامة التى نستند إليها قائلين:

إن اليهود ليسوا شعباً بل طائفة دينية تضم جماعات مختلفة الأجناس من الناس اعتنقوا ديناً واحداً!.

وإذن!.

متى كان لطائفة دينية تضمّ جماعات مختلفة من الأجناس فى وطن واحد؟!.

إن يهود العالم أجمع ليسوا إلاّ طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الأجناس وليس لطائفة دينية حقوق قومية ولا حقوق تاريخية فى بلد من البلدان ومثل هذا الادّعاء لا يقره «القانون الدولى» لأنه لايعترف بالأديان كأساس قومى ولا يقيم العلاقات الدولية على أسس دينية وإنما يعترف بالجنسيات وإلاّ لطالبت كل جماعة دينية أن تكوّن لنفسها دولة

استناداً إلى هذا القول!. وهذه هى «البهائية» يمكن أن نتخذها مثلاً.. ينتشر البهائيون فى كل ركن من أركان الأرض وينتمى أفرادها إلى جنسيات مختلفة ويمثلون طائفة دينية واحدة تستمد وجودها من مصدر إيرانى بحت فماذا يكون حكم المنطق التاريخى عليهم إذا حاولوا التجمُّع وادعوا امتلاك إيران؟!.

ومن ثمّ تنهار من أساسها هذه الركيزة الثانية التى استطاعت بها الحركة الصهيونية العالمية، تحت وهم «الجنسية الإسرائيلية»، تجميع اليهود فى فلسطين وإقامة «دولة» لهم فيها تحت اسم «دولة إسرائيل».. هذه «الدولة» التى يُعد قيامها افتئاتاً على القانون الدولى وخرقاً صريحاً للمواثيق الدولية!..

وهنا نأتى إلى الركيزة الثالثة التى تمكنت بها الصهيونية العالمية من افتعال «دولة إسرائيل» بالفعل ألا وهى القائلة بأن فلسطين هى «الأرض الموعودة» التى وعد بها «يهوه» إله إسرائيل «شعبه المختار» لتكون لهم وطناً وملكا أبدياً يشمل كل ما حوله من أراضٍ تمتد من الفرات إلى النيل.. وذلك على أساس؛

«مصدر عاطفى دائم مستقل عن الزمان والمكان، قديم قدم الشعب اليهودى ذاته ويتمثل فى الوعد الإلهى بالعودة.. ذلك الوعد الذى يرجع إلى قصة اليهودى الأول الذى أبلغته السماء أن سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا أبدياً»..!.. (١)

ومن ثمّ

وهت كل حجة فى يد الصهيونية الحديثة والصهيونية العالمية على هذا الادعاء إلا حجة واحدة بها تتشبّث وهى هذه التى تتمثل فيما تحمله فى يدها من «كتاب» تحفّه بالقدسية وتُسجِّل نصوصهُ «الأسفارَ الخمسة الأوَل» الممثلة للتوراة هذا «الوعد» بأرض كنعان المترامية فى أحضان الفرات والنيل!..

كلا!..

كلا، ليس هذا بالقول الجزاف وإنما هو الواقع المرتسم سطوراً على مدخل الـ «كنيست» ينادى؛

«حدودك يا إسرائيل من الفُرات إلى النيل!.» (١)

ثم من «تل أبيب مازال يصيح؛

«ومن البحر المتوسط حتى الفرات، ومن لبنان حتى نهر النيل!.»(٢)

---

(١) «بن جوريون»   (٢) المصدر نفسه

لاجدال أن هذا «الوعد» مصدره «التوراة»، ولكن!.. حتى نتناول هذه «التوراة» ونضعها، بعد قليل، في ميزان التاريخ ونسلِّط عليها أشعته سابرين ماهيتها وشرعيتها من حيث الصحة والبطلان وعند ذلك تنهار من أساسها هذه الركيزة الثالثة، نسترسل قائلين؛

إننا من هنا نرى أن الصهيونية الحديثة لا تقف عند المدى الذى مكّنها من افتعال «دولة» لها في فلسطين وإنما هي على أساس من هذه النصوص الواردة في «التوراة» تتمادى بأطماعها إلى الاستيلاء على الشرق الأوسط بأجمعه وتستهدف مد نفوذها على سائر هذه الأنحاء التي حددتها «الأسفارُ الخمسة» ومن هنا راحت تطلق الصيحة في كل الأرجاء قائلة بأن رقعة «الأرض الموعودة» غير مقصورةٍ على فلسطين وإنما هي تشمل كل البقاع الممتدة من الفرات إلى النيل وأنّه يجب الاستيلاء على كل هذه الرقاع تحقيقاً للنصوص الواردة في التوراة!..

وهنا نأتي إلى الركيزة الرابعة وهي القائلة بأن «يهوه» قد تعهّد بأن يرقى بذرية إسرائيل في النهاية إلى السيادة على العالم ومن ثمّ تكون فلسطين قاعدة الإمبراطورية اليهودية العالمية!..

نعم، إنَّ؛

«على الشعب اليهودى أن يجمع قواه لتحقيق هذه الأهداف والاستعداد للوصول إلى الهدف النهائي في بناء الدولة اليهودية التي تضمُّ يهود العالم جميعاً وتحقيق النصوص الواردة في التوراة!.» (١)

ومن ثمّ فإننا من هنا نرى أن بقاء «دولة إسرائيل» في فلسطين لا يُعدّ إلاّ مرحلة إذا لم تُحد فستفتق عن مراحل أخطر طالما أن الشرق الأوسط قد غدا في العقيدة اليهودية هو الرقعة من الأرض التي منحها لهم إلههم!. إن «دولة إسرائيل» بحدودها الحالية لا تعد في النظر اليهوديّ الحديث قاعدة استقرار وإنما موطئ قدم للتحفز والوثوب ورأس جسر لتحقيق نصوص التوراة بإنشاء «الدولة اليهودية الكبرى» على قاعدة تمتد من الفرات شرقاً إلى النيل غرباً!..

كلا!.. كلا، ليس هذا بالقول العابر ولما هو بالرهل من الحديث فإنما المسمع منا قد طرقته هذه العبارات القائلة؛

«إننا لم نحقق بعد هدفنا!..

---

(١) «بن جوريون» في عام ١٩٤٨

نحن حتى الآن لم نحرِّر من بلادنا سوى قسم واحد فقط ولذلك سنجعل الحرب حرفتنا حتى يتم تحرير بلادنا كلها بلاد الآباء والأجداد!.. وسنحقق رؤى أنبياء إسرائيل!..

وسيعود الشعب اليهودىّ بأسره إلى أرض آبائه وأجداده!..»

«بن جوريون»

هذه الأهداف التى تستهدفها هذه «الدولة» القائمة على أساس وهمى من القول بـ «الجنسية الإسرائيلية» والهادفة إلى جمع شتات يهود العالم فى «فلسطين» ثمّ إفساح حدود «إسرائيل» حتى ينفسح المجال لتوطين اليهود الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم بحيث تشمل فلسطين «التاريخية» من الفرات إلى النيل، كانت موضوع البحث الرئيسى للمؤتمر الصيهونى الثالث والعشرين يوم عقد فى القدس، أغسطس ١٩٥١، وطالب فيه ممثلو اليهود من أعضاء هذا المؤتمر؛

«ألا يجبن أحد من اليهود عن الجهر بعزم الصهيونية على جمع يهود العالم فى الدولة اليهودية!..»

وكرجع الصدى من هذا الرجاء دوّت فى أرجاء الـ «كنيست»، عام ١٩٥٥، هذه الصيحة الأخرى تقول؛

«إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء مالم تشنّ حرباً وقائية على الدول العربية وتعمل على مدّ حدودها داخل هذه الدول حتى تضمن سلامتها وتحقق الحلم الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية ألا وهو إقامة إمبراطورية إسرائيلية ممتدة الأرجاء تفرض سلطانها قوياً يخشاه الجميع!..»

«موسى شاريت»

ومن «تل أبيب» انطلقت صيحة أخرى تقول؛

«إن إسرائيل بوضعها الحالى لاتمثل إلاّ خُمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء.

ومن ثمّ يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية!.»

«مناحيم بيجن»

والآن؟.

الآن ندور اللّوالب الفكرية منّا، مرة أخرى، على هذا السؤال؛

ما هى هذه «الأربعة الأخماس الباقية»؟..

إن الجواب عن هذا السؤال قد سبقت منّا الإشارة إليه فى مستهل بحثنا هذا ونؤكده

الآن قائلين؛ إن تعريف هذه «الاربعة الأخماس الباقية» لا يأتينا إلاّ من الخريطة الجغرافية التي وضعها اليهود لإمبراطوريتهم المرتقبة وهي نفسها الخريطه الرسمية المستعملة في المدارس اليهودية.. فنحن لا نلقى عليها نظرة إلاّ ونعلم أن هذه «الأربعة الأخماس الباقية» هي؛ شرقي الأردن وسوريا ولبنان والقسم الأكبر من العراق ومن أراضي الإقليم الجنوبي بما فيها سيناء كلها والدلتا المصرية، كما تضم أراضي جنوبي العقبة بما فيها «المدينة المنوّرة» حيث يقوم «الضريح النبوى الشريف»!.

هذه هي الخريطة الجغرافية الرسمية المتبعة اليوم في «دولة إسرائيل» ولتدريس النشء كيما يفتح كل طفل يهودى عليها عينيه ويشحذ للغد قواه أملاً في احتلال كل هذه الرقاع مستهلاً عدوانه على الأجزاء العربية من فلسطين وشرقي الأردن، هذه الأجزاء التي تسميها هذه الخريطة؛ «إسرائيل المحتلة من العرب!.»:

ومن ثمّ فإنّ هذه الخريطة الرسمية لـ «إسرائيل»، بالإضافة إلى التصريحات التي مررنا بها والصادرة عن شخصيات لها اعتبارها السياسى في سياسة «إسرائيل»، هي إن دلت على شيء فإنما تدل على إصرار الصهيونية العالمية على ألا تقف عند حدّ إقامة «دولة إسرائيل»!.. كلا!.. وإنما هي تعلن، صراحة، أنها تترقب الفرص وتتحين الظروف المواتية لتحقيق الحلم الكبير من الفرات شرقاً إلى النيل غرباً في نفس الوقت الذى تستخدم فيه جميع الوسائل وتستغلُّ جميع الفرص وتتزود بكل الإمكانيات لتحقيق هذا الحلم الذى بدأت، بالفعل، تتخذ إليه الطريق!.

أو لم نقل؛

«على الشعب اليهودىّ أن يجمع قواه... والوصول إلى الهدف النهائى في بناء الدولة اليهودية التي تضم يهود العالم جميعاً وتحقيق النصوص الواردة في التوراة؟!..». (١)

وإذن!..

«التوراة»، وليس إلاّ «التوراة»، هي الباعث الأساسى لهذه الصرخة المحمومة التي تطلقها الآن «إسرائيل!.». «التوراة» وليس إلاّ «التوراة» بما تحمله من نصوص هي مبعث كل هذه الشرور لأنها هي نفسها الأساس الذى تقوم عليه نفس «دولة اسرائيل!» فإن وجوده هذا الشرّ المسمى «إسرائيل» في هذه المنطقة من شرقنا العربى وتماديها في التوسع وتحوُّلها إلى التفنن في أساليب العدوان علينا لا يقوم إلاّ على دعائم من نصوص هذه «التوراة» وهذا مما يجعلنا نقول بأن اتجاهنا نحو توطيد الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط

(١) «بن جوريون»

يحتم علينا ألا نغفل المصدر الوحيد الذى استمدت منه هذه «الدولة» الأسطورية المسمّاة «إسرائيل» وجودها ومنه تستمد كيانها وقوتها وبقائها ألا وهو هذه «التوراة»!.

أجل..

إنّ مما لاشك فيه هو أن تحقيق الحلم الذى طاف على الجبين اليهودى طويلا بقيام «دولة» لهم فى فلسطين يرجع إلى مساندة المصالح الاستعمارية وتأييدها كما أنه مما لاشك فيه هو أن جهود الاستعمار قد تضافرت مع جهود الصهيونية منذ أمد بعيد على ابتداع «دولة إسرائيل» وأن الصلة التى تدعمت بين هذين الجانبين من خلال الأساليب التى انتهجتها الصهيونية قد أدت إلى افتعال هذه «الدولة» التى تمكنت من أن تلعب دوراً هاماً على مسرح التاريخ السياسى والسياسة الدولية وأن تبرز على صفحة الحاضر كقوة سياسية ولكن!.. حجر الأساس فى بناء هذه «الدولة» لم يكن إلا «التوراة»!.

هذا هو الواقع التاريخى!...

يقيناً!..

يقيناً إنّ هذا هو الواقع التاريخى فليس إلاّ استناداً إلى هذه «التوراة» المفتراة استطاعت الصهيونية العالمية استدرار العطف على اليهود وبرعت بصفة خاصة فى فن إثارة عواطف الشعوب فى العالم القديم والعالم الجديد حتى تمكنت من أن تدخل فى روع الجماعات أن هناك روابط دينية عميقة تربط اليهود بفلسطين كأرض هى لهم «موعودة»!.. فلقد كانت دعاياتها من التنظيم والقوة بحيث أقنعت المجموعة الكبرى فى هذين العالمين بأن هذه الأسطورة حقيقة!. ولذلك أقول بأن كل محاولة عن إمكان الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط لن تأتى إلى الغد بنتيجة فاصلة طالما ظلت الشرعية الوهمية تحف بهذا المصدر الذى تتخذه «إسرائيل» سلاحاً حاداً فى يدها وسنداً لها فى حجتها والذى منه انتزعت الصهيونيةُ الحديثة ركيزتها الرابعة والأخيرة إلا وهى القائلة بأن «الرب» قد تعهد بأن يرقى بذرية إسرائيل فى النهاية إلى السيادة على العالم!.

والآن؟.

الآن والصهيونية العالمية لا تقف عند المدى من افتعال «دولة» لها فى فلسطين انتزعت الحجّة على «شرعيتها» مما فى يدها من «توراة» تزعم أن دعوتها منها مشتقة وعليها مبنية..

الآن والصهيونية العالمية تأبى إلا التمادى وهى عطشى إلى الدماء تتحول ناحيتنا

بأسلحة صاغتها من النصوص الواردة فى «التوراة» وشحذت منها النصل على غلاف «التلمود» مستهدفة هتك أستارنا واستنزاف دمائنا والتضحية بنا قرابين ترفعها إلى «يهوه» إلهها على أساس من نصوص هذه «التوراة» القائلة بأن «الأرض الموعودة» تشمل كل الرقاع الواقعة من الفرات إلى النيل..

الآن ورقعة «الأرض الموعودة» قد اتسعت مساحتها فى المخيلة اليهودية اتساعاً لا يقتصر على فلسطين ولا على أنحاء من شبه الجزيرة العربية لها كل التقديس وإنما أصبحت تطوى معاً الفرات والنيل لتكون كل هذه الرقاع بمثابة قاعدة تستطيع هذه «الحيّة» السامة الزحف منها على العالم حتى تتمّ تطويقه كله بجسدها واعتصاره عصراً حتى الإفناء لتقيم على أنقاض مدنياته وأشلاء أهله «الإمبراطورية اليهودية العالمية» عملا بنصوص التوراة!..

ومن ثمّ فالآن..

الآن ورأس هذه «الحيّة» قد ارتفع مُرسلاً فحيحه السّام فى كل متجه بنصوص من «التوراة» فليس إلا لنجد أنه قد آن لنا أن نتناول تناولاً سابراً هذه التوراة التى لا تستمد هذه «الحيّة» حياتها إلا منها ولا يقوم لها كيان إلا بها ولا يرتفع لها رأس إلاّ على مساندها ولا يزحف لها جسد تُشكّله هذه المجموعة من «أبناء الأفاعى»، كما تسميهم أسفارهم، إلاّ على ما قد جاء من نصوص هذه التوراة التى لا نتناولها الاّ لنضعها فى ميزان التاريخ وإلاّ لنسلّط عليها أشعته وأضواءه وليس إلاّ فى هذا الميزان وتحت هذه الأشعة والأضواء نطرحها أمام الرأى العالمى ونسأل المنطق العالمى الحكم على مدى شرعية «الأرض الموعودة» وحياة «إسرائيل؟!.».



التعقيب

عقيدة «الأرض الموعودة»
في
ميزان التاريخ

إن المنطق الصهيونى العالمى الذى يرسل اليوم فى مسمع العالم فحيحه سعيراً يصيح أن فلسطين هى أرض اليهود لم يأت بجديد، فما هذا الفحيح الذى تنفثه هذه «الأفعى» إلاّ ترديداً لفحيح لها قديم وحديث... أقدمه يوم تماسكت وهى فى أسر الفرات وفى تطلع نحو وكرلها اتخذته من جبل صهيون راحت تنفث شرر النقمة على الفرات وعلى النيل، وأحدثه يوم زحفت هذه «الأفعى» إلى داخل «هيئة الأمم المتحدة» ورفعت رأسها من على منبره وأطلقت فحيحها يطلب «الاعتراف» بقيام «دولة إسرائيل» ويصيح، شاهراً فى وجه العالم هذه «التوراة» بدعوى أنها الحجّة الشرعية التى تحمل نصوصها هذه المنحة الأبدية لليهود، قائلاً:

« قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسىّ أو قانونىّ ولكنها حقٌ لنا على أساس روحانىّ.

فهى الأرض التى وعدنا بها وأعطانا إياها الله.»

إن هذا الفحيح وإن كان قد نفث سماً ولم يعن بكلمة «الله» هنا ربَّ العالمين وأنما «يهوه» إله إسرائيل فإنما هو فى واقع الأمر لم يقل إلا صدقاً!. فلا سند لليهود يمنحهم فلسطين إلا هذه «الأسفار الخمسة» التى تُكوِّن نصوصَها مادة هذا «الأساس الروحانى» الذى استطاعوا إيهام الجانب الأكبر من العالم بصحته حتى تمكنوا من أن يقيموا عليه هذا البناء الأسطورى والوكر الصهيونى المسمى «إسرائيل..!» .

وهذا هو ما قد وقع بالفعل. فإن «دولة إسرائيل» ، هذه «الدولة» القائمة من نسج خرافة تاريخية كبرى، قد أصبحت مرتعا لهذه «الأفعى» التى تغافلت الأجيالُ السابقة عن سحق رأسها حتى اشتدت فاجترأت وأخذت تزحف نحونا اليوم تشهر سلاحاً فى وجهنا صاغته من نصوص هذه «التوراة» وشحذت منه النصل على غلاف «التلمود»!..

هذا هو الواقع فإنما «إسرائيل» التى تطاولت اليوم بالعدوان علينا لم تتكوّن إلا من مادة هذا «الحق الروحانى» الذى استمدته هذه «الأفعى» من نصوص هذه «الأسفار الخمسة» التى تكوّن هذه «التوراة»، ومن هنا قلنا إن الصهيونية ليست إلا الجهاز التنفيذى لهذا الدين اليهودى الحالى الذى بناه يشوع بن نون، هذا السّفاح الذى بذر هذه السياسة العدوانية فى تاريخ هذه الطائفة غداة قبض على زمام الأمور فى تلك اللحظة التى انحرف فيها بنو إسرائيل عن موسى وتمردوا عليه ودارت أعينهم بحثاً عن رئيس حتى استقرت عليه.. هذا السفاح الذى أساس له العنق من هذه الجماعة إشباعاً لما فى نفوسهم من أهواء مالت بهم إلى انتهاج منهجه فى معاملة من سواهم من الناس ثم راحوا يتبعون له خطوات سجلتها عليهم «توراتهم» هذه التى تتحدث عنه قائلة بأنه صعد مع موسى إلى قمة ذلك الجبل ثم عاد بدونه وأعلن أن موسى لن يعود أبداً وما ذلك إلا لأنه قد خان «إله إسرائيل» فغضب عليه وقال له... «اصعد إلى قمة عباريم من جبل نبو.. ومت هناك!».

ولكن لما كان بنو إسرائيل قد وجدوا أن فى الالتصاق باسم موسى ما يمنحهم بين الشعوب حيثية وكياناً وبالتالى وسيلة إلى تحقيق مآرب لهم وغايات فقد اتخذوا موسى رمزاً وأبوا إلا أن يظهروا بأن الأيام لا تزيدهم بموسى إلاّ تعلقاً وله استقطاباً وأما واقع الأمر وحقيقته فليسوا هم إلا يشوعيين قلباً وقالباً، سياسةً وميولاً، عقيدة وديناً ولاصلة لموسى، عليه السلام، بهذا الدين اليهودى الحالى على الإطلاق!... ومن أين جاءت هذه الصلة وهذه هى «توراتهم» التى يفترونها عليه وينسبونها إليه تنتهى إلى أن ترمى هذا الرسول الكريم بالخيانة وبغضب «يهوه»، إله إسرائيل، عليه؟!.

كلا!. ولاتقف «توراتهم» هذه عند هذا الحدّ من التطاول على هذا الرسول الجليل وإنما هى قد أقصته عنها بهذا النص الذى وجهته إليه قائلة «إصعد إلى الجبل.. ومت هناك» وذلك كما أقصت من قبل هارون، ذلك النبى الجليل الذى حدثتنا عنه هذه «التوراة» بأن «الأمر بموته» فى الجبل قد صدر أيصاً على نفس هذه الصورة فى أعقاب ذلك اليوم الذى فزع فيه إلى أخيه يستنجد به منهم ويناديه؛

«.. استضعفونى وكادوا يقتلوننى!... لا تجعلنى مع القوم الظالمين!» (١)

---

(١) «ابن جوريون»

حقاً!..

حقاً لقد صدقت فيهم فراسة موسى يومَ أشاح عنهم إلى الله ربّ العالمين يتضرع إليه ويناديه؛

﴿*رب إني لا أملك إلاّ نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين*﴾ (١)

حقاً!. حقاً لقد فسق بنو إسرائيل يومّ تمردوا على موسى ومالوا عنه إلى يشوع، ولذلك؛

﴿... وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (٢)

حقاً!. حقاً لقد فسق بنو إسرائيل يومَ مالوا إلى يشوع في ميل عن موسى لتحلق بهم لعنة هذا الرسول الكريم الذى نعتهم بالجحود ولهم؛ ﴿.. قال بئسما خلفتموني من بعدي.﴾ (٣)

وأما كيف تمكنت هذه الطائفة الدينية، أتباع يشوع بن نون، من إيهام العالم بأنها بدينها اليشوعي هذا إلى موسى تدين؟ فتلك بدعة جرت بها الأقلام في أيدى سبط يهوذا وهم في أسر الفرات يعبّدون بها الطريق إلى إعادة «مملكة اليهودية» من جديد فليس إلاّ ليصبغوا دعواهم بصبغة شرعية راحوا بإملاء من نزعاتهم هذه يسطرون هذه «التوراة» وينسبونها إلى موسى وهو بريءٌ منها ومن كل ما جاء فيها من فحش وسفه وإسفاف وانحلال واستهتار وترّهات والتى ليس إلاّمن نصوصها ينتزع اليهود حقاً دينياً موهوماً في فلسطين هو هذا الذى يدّعونه، اليوم، حقاً روحانياً!..

ومن ثمّ!..

من ثمّ، فقد آن لنا الآن أن نحاصر هؤلاء اليهود أتباع يشوع بن نون بالأدلة والبراهين ونلقى أضواء التاريخ على هذه «الحجة» التى تسجل هذا «الوعد» الذى يجعلونه قد أتى

---

(١) الآية «٢٥» من «سورة المائدة»

(١) الآية «٢٥» من «سورة المائدة»

(٢) الآية «٦١» من «سورة البقرة»

إليهم من «إله إسرائيل»، ونكرِّر القول من «إله إسرائيل» لأننا لانستطيع أن نغض الطرف متجاهلين ما تحمله هذه الجملة القائلة «... أعطانا إياها الله» من معنًى نعلم به تمام العلم، كما يعلمون هم أيضاً هذا العلم نفسه وبه يعترفون، بأنّ المقصود بكلمة الله هنا ليس إلاّ «يهوه» رب إسرائيل... فنتساءل؛

هل لليهود حق روحانىّ، ومن ثم دينىّ، فى فلسطين؟..

هذا السؤال هو الأخير وهم الأهمّ.. فإلى المقياس الأخير من ثمّ وإلى الحجّة الفاصلة فى «قضية فلسطين» نأتى الآن.. ومن هنا يتحتّم علينا أن نضع عقيدة «الأرض الموعودة» فى ميزان التاريخ وأن نسلط للتاريخ أشعة على هذه «الحجة التى تحمل هذا «الحق الروحانى» سابرين ماهيتها من حيث الحقيقة والبطلان وبذلك نضع؛

"الأسفار الخمسة" أو "التوراة"
تحت أضواء التاريخ

تتصدر «الأسفارُ الخمسة» الكتابَ «المقدس» للدين اليهودى الحالى والنصوص من هذه «الأسفار الخمسة» الحاملة اسم «التوراة» هى الحجة الوحيدة التى يبنى عليها يهود العصر الحاضر مطالبهم والصهاينة مشاريعهم اعتماداً على أن كل نص من نصوصها يعود إلى موسى متناسين أنهم قد رموه بالخيانة وبغضب «الرب» عليه وأنهم ليس إلا ليعطوا دعواهم الصبغة الشرعية نسبوا هذه «التوراة» إليه وجعلوا النصوص منها إملاءً صدر إليه عن «يهوه» إله إسرائيل!.

كلا!..

كلا، لن نتناول فى هذا الصدد البحث فى أمر صدور هذه «الأسفار» عن ربّ اسمه «يهوه» لا لأننا لانؤمن بوجود هذا الرب الخرافى «يهوه» فحسب وإنما لأن الأحرى بنا أن نبحث أولاً ونتثبّت ثانياً عمّا إذا كانت هذه «الأسفار»، حقيقة، صادرة عن موسى!.

أين البرهان؟.

عبثاً تُقلِّب اليَدُ منّا الصفحات تلو الصفحات من هذه «الأسفار» بحثاً عن هذا البرهان فلا تعثر إلا على النقيض!..

كلا!.

كلاً، لا برهان هناك يأتى من ثنايا هذه «الأسفار» على أنها قد أُمليت على موسى إملاءً من غيره أو حتى أن موسى كان قد أملاها، على غيره»!.. وإنما على العكس وعلى النقيض كل حرف منها يُنادى ويصرخ بالاعتراف بأن نسبتها إلى موسى إنما هى نسبة خاطئة كل الخطأ!.. لا لما تنتهى إليه من فحش القول بقذفها موسى، عليه السلام، بالخيانة وبغضب الربِّ عليه فحسب وإنما لأن نسبتها إلى هذا الرسول الكريم هى نسبة خاطئة من الجهة التاريخية!..

هذه هى الحقيقة الصارخة التى تطلع علينا ونحن نلقى أضواء التاريخ على هذه «الأسفار» ونتسلسل بما تحتويه من نصوص فى نسق تاريخىّ متسلسل يجعلها تفصح بنفسها عن نفسها فى اعتراف صريح بأن أكثر من مُؤلِّف من «سلالة يهوذا» وأعضاء «بيت داود» قد اشترك فى كتابتها وأن عهوداً من الزمن طوالاً كانت تفصل بينهم وبين موسى!. وبرهاننا الأول على أن هذه الأقلام اليهوذية لم تجر فى أيدى مؤلفى هذه «الأسفار» إلاَّ بعد اكتساح الغزو البابلى لأورشليم وإدالة «دولة يهوذا» وحمل أبناء يهوذا أسرى من ظلال صهيون إلى ضفاف الفرات هو أنَّ شرياناً واحداً يجرى فيها لا يمجد إلا يهوذا وسلالة يهوذا ولايستهدف إلاَّ إعادة «مملكة يهوذا» إلى الوجود من جديد!. واستهداف هذا الهدف هو الذى حدا بهذه الأقلام إلى تعهد فكرة «الأرض الموعودة» وإنمائها إلى عقيدةٍ أبوا إلاَّ تطاولاً بها على الفرات والنيل، كما أملت ذلك عليهم عقدةٌ نفسية فى صدورهم سجلوها بأيديهم على أنفسهم يوم جلسوا فى رسف هذا الأسر على شاطئ الفرات يتأملون ما قد آل إليه حالهم من حال ابتعث فى ذاكرتهم حالٍ آخر مماثل كان فى أرض النيل للآباء فاستشاطت جوانبهم بنيران النقمة على النيل وعلى الفرات وراحوا بوحى من مخيلة محمومة يتخذون هذه «العقيدة» وسيلةً إلى غاية انحصرت فى إعادة بيتهم هذا، «بيت داود»، إلى الملك من جديد فتعود به «مملكة اليهودية» إلى

الوجود!.. وهذا مما يجعل القول بنسبة هذه «التوراة» إلى موسى هو، بعينه، الامتراء والافتراء والبهتان!..

الدليل؟..

إن الدليل على انتفاء نسبة هذه «الأسفار الخمسة» إلى هذا الرسول الجليل يأتينا مما تذكره نصوص هذه «الأسفار» نفسها من مجريات أحداث ومن أسماء بلدانٍ وقبائل ومن تاريخ ملوك.. ومن ثمّ حتم علينا أن نتناول كل «سِفْر» من هذه «الأسفار الخمسة» على حدة مستهلين بالأوّل منها، فنضع؛

«سفْر التكوين»
تحت أشعة التاريخ

في هذا «السفْر» المُسمى بالعبرية «براشيث»، ومعناها «البدء» نسبة إلى الكلمة التي يبتدئ بها، توجدَ كلمة ينهار بها الركن الأول من نسبة هذا السفْر إلى موسى.. إذ يتبين لنا بها من الوجهة التاريخية أنه «سفْر» قد كُتب بعد عهد موسى بزمن غير قصير وهذه الكلمة هي؛

«دان»

هذه المنطقة في فلسطين والمسّماة «دان» كانت تُعرف حتى «عهد القضاة»، وعلى وجه التخصيص عهد «شمشون»، باسمها الكنعاني «لآييش».

وكان، حتماً، هذا اسمها في عهد موسى لأنها لم تُسمّ «دان» إلا في أعقاب وفاة شمشون سنة ١١٢٠ ق.م!..

البرهان؟..

إنّ البرهان مُستمدّ من نفس هذا «الكتاب المقدس» للدين اليهودي الحالي والذي بـ «شرعيته» يتحدّانا الصهاينةُ ويستمدون منه هذا «الحق الروحاني» الذي له يدّعون بل ومنتزع من سابع سفر فيه وهو المسمى «سفر القضاة».. فهذا السفر، «سفر القضاة»، الذي يأتي بعد «سفر يشوع» مباشرة يتحدث في الإصحاح الثامن عشر عن «قبيلة دان» قائلا بأن هذه القبيلة قد ظلت حتى «عهد القضاة» تضرب عصا الترحال من مكان إلى

مكان ويهيم أفرادها حيارى بين كل هذه الجهات حتى استقرت أعينهم في أعقاب وفاة شمشون على «لآييش» وما لبثوا أن هاجموها وقتلوا اهلها وأحرقوها ثم بنوا على أنقاضها مدينتهم الجديدة هذه التي نسبة إلى أبيهم القبَلى، «دان»، سموها «دانا» !..

وهذه هي النصوص من «السِّفْر» المشار إليه تحدثنا كيف؛

« .. هبّ الخمسة الرجال وجاءوا إلى، لآييش» !.

ثمَّ؛

« .. ارتحل من عشيرة الدانيين.. ست مئة رجل مُتسلحين بعدة الحرب وصعدوا وحلّوا. لذلك دعوا ذلك المكان محلة دان» !.

ومن ثمَّ..

حسب هذا التوقيت التاريخي نجد أن المؤلف الذى كتب «سِفْر التكوين»، هذا السفر الأول من «الأسفار الخمسة» المنسوبة إلى موسى والذى ينتزِع اليهود من الإصحاح الخامس عشر فيه هذا «الحق الروحاني» الذى يدّعون لهم في فلسطين، لابدّ وأنه قد عاش بعد أن قويت «قبيلة دان» وتمكنت من الزحف على «لآييش» واحتلالها. ولما كانت «لآييش» لم تصبح «محلة دان» إلاَّ بعد وفاة شمشون فإنّ هذا البرهان كاف على أن هذا «السفر» لا يعود إلى عهد موسى وإلاَّ فكيف يمكن أن يجئ الذكر فيه عن «دان» على لسان موسى وتكون على عهد شمشون مدينة باسم «دان» لم تكن حتى تكون على عهد موسى؟!..

ثمّ..

ثمّ، إلى جانب هذا البرهان يأتي برهان آخر ينبع من أغوار الترتيب التاريخيّ نفسه ومكانه من نفس هذا «السفْر»، «سفر التكوين»، الإصحاحُ السادس والثلاثون الذى يستهل الحديث بذكر الترتيب النسبى لنسل عيسو الابن الأكبر لإسحاق والذى، كما تغير اسم يعقوب إلى إسرائيل، كان قد تغير اسمه، أيضاً، من عيسو إلى «أدوم» ثم، بالتالى، كما أصبح نسل إسرائيل يعرف بالإسرائيليين أصبح نسل أدوم هذا يعرف بالأدوميين.. وعلى قائمة طويلة بأسماء هؤلاء الأدوميين يشتمل هذا الإصحاح حتى ينتهى بنا في الحديث عنهم إلى كيف توالت عليهم الأزمان فكونتهم إلى قبائل وعشائر مكنتهم بعد

ذلك من احتلال «جبل سعير» حيث أقاموا فيه لأنفسهم مُلْكا مستقلاً من مُلْك بنى إسرائيل... ثمّ، بعد أن يحصى كاتب هذا الإصحاح «أبناء أدوم» يقول:

«وهؤلاء هم الملوك الذين ملَكوا فى أرض أدوم ملَكَ مَلِكٌ لبنى إسرائيل!.»

ومن ثمّ...

حسب هذا الترتيب النَّسَبى نجد أن هذا المؤلف نفسه الذى كتب هذا «السفر» الأول من أسفار خمسة نُسبت، زورا، إلى موسى لم يعش فحسب فى أعقاب «عهد القضاة» وإنما هو قد شاهد «عهد الملوك»!. لابد وأنه قد عاش بعد أن قام ملك فى بنى إسرائيل وإلا فكيف يتسنى التحدث عن ملوك إسرائيل ما لم يكن قد قام ملك فى إسرائيل؟!.

وإذن.!.

إذن، فمن اليقين المنطقى أن العهد الذى كُتب فيه هذا «السفْر» لا يمكن بأىّ حالٍ أن يكون العهد الذى عاش فيه موسى!. وإلا فكيف يمكن أن تجرى على لسانه، عليه السلام قائمة بأسماء ملوك أدوم ومناطق حكمهم وعلى عهده وفى زمنه لم تكن توجد تلك المناطق ولا كان للملوك أدوم قد بدأ عهد؟!.

ثمّ، كيف يمكن أن يجرى على لسانه، عليه السلام، أى ذكر للملك قام فى إسرائيل وهذا عهد بدأ بـ«شاؤل» عام «١٠٠٧» ق.م وتفصله عن عهد موسى فترة زمنية استوعبت حقبة من الأجيال تربو على اثنى عشر قرناً من الزمان؟!..

ومن ثمّ فهذا برهان ثانٍ يؤيد البرهان الأول وينهار به ركن آخر من نسبة هذا «السفْر» إلى عهد موسى فى نفس الوقت الذى يرجح فيه لدينا الرأى بأنه «سفْر» قد كتب فى عهدِ أعقب انهيار «مملكة يهوذا» وزوال ملك «بيت داود» والبرهان على ذلك كلمة نلتقطها من نفس هذا «السفْر» نفسه وتاريخها لا يتجاوز نفس هذا التاريخ، وهذه الكلمة هى:

«الكلدان»

يتحدث مؤلف «سفر التكوين» فى إصحاحه الحادى عشر قائلا بأن «أبرام» قد خرج من «أور الكلدانيين».. ولما كان هذا الاسم، الكلدان، لم يعرف فى صفحة التاريخ الجغرافى إلابعد أن سقطت «نينوى» عام ٦٠٦ ق.م فإن هذا يؤكد لدينا اليقين بأن مؤلف هذا «السفْر» قد عاش فى فترة زمنية جاءت حتما بعد أن انتهى الوجود السياسى لآشور

وحل الكلدانيون محل الآشوريين!. وبما أننا نعلم أن الكلدانيين قد حلوا مكان الآشوريين لمدى ثلاثة أرباع قرن من الزمن «٦٠٦ ـ ٥٣٩ق.م» وأن بابل قد استعادت فى خلال ذلك مكانتها السياسية القديمة كعاصمة للعالم السامى فمكنت ملكها «نبوخضر نزار» الثانى من تحطيم أورشليم سنة ٥٩٦ق.م ونقل من نَقلَ من أهل اليهودية فى أصفاد الأسر إلى ضفاف الفرات وأن فى خلال هذه الفترة الزمنية المشار إليها آنفاً قد عرف العالم القديم اسم «الكلدان» وطلع على التاريخ اسم «الكلدان» فإننا من هنا نستطيع أن نقول إن هذا «السفر» ، «سفر التكوين» ، لا يعود بتاريخه إلى عهد موسى ولا صلة لموسى به على الإطلاق!..

والآن؟..

الآن، وقد انهار الركن من بعد الركن من بناء هذا «السفر» الأول من «الأسفار الخمسة» المنسوبة إلى موسى فتصدع الصرح نفسه من «عقيدة الأرض» بل وتقوض ووقفنا على أساسٍ له لا يعود إلاّ إلى عهد متأخر عن عهد موسى، أفلا نستطيع أن نُعلى الصوت قائلين إن الشرعية تنتفى عن «سفْر التكوين» انتفاءً قاطعا لاشك فيه؟!.

ومن ثمّ..

ما هو حكم المنطق العالمى على دعوى اليهود ومطالب الصهاينة ومطالبهم ودعواهم ليست إلا من هذا «السفْر» نابعة، وعلى الإصحاح الخامس عشر فيه إنما عقيدة «الأرض الموعودة» قائمة؟!.

ما هو حكم الرأى السياسى على «دولة» لم تتخذ مبدأ وجودها إلاعلى أساس من هذا «الحق الروحانى» وسجله هذا النص الأسطورى الوارد فى الإصحاح الخامس عشر فى نفس هذا «السفر» وهو الذى جاء فى صورة ذلك «الميثاق» ومكانه كان رحاب المنام آمراً بأخذ «عجلة وعنزة وكبش وحمامة ويمامة» علامة على منح حفنة من الناس، لا وجود لها اليوم فى صفحة الزمن، كل رقاع هذه «الأرض الموعودة» و«من نهر مصر إلى نهر الفرات» ؟!.

ثم... ما هو حكم أتباع يشوع بن نون، هؤلاء اليهود الصهاينة والصهاينة اليهود

أنفسهم، على هذا «السفْر».. هذا «السفر» الذى يحملونه بيدهم ويقدمونه للعالم بدعوى أنه الحجة الشرعية التى تسجل لهم «حقاً روحانياً» جاء وعداً فى منام ولفئة من الناس طوتهم راحة الزمن وانسدل عليهم جفنُ الأيام؟! كلا وليس هذا فحسب وإنما هذا «الوعد» الذى جاء فى منام ولجماعة لاتربطها بهؤلاء الأدعياء إلا صلة العقيدة الدينية لم يكن فى واقعه إلا حلماً حاكته عقدة نفسيه عقدها الأسر البابلى فى صدور أصحاب «مملكة اليهودية» من أعضاء «بيت يهوذا» أنفسهم!.. فهو حلم طاف على جبين سلالة يهوذا وهم فى الأسر البابلى قد جلسوا على شاطئ الفرات يتذا كرون حالا راهناً لهم تساوى فى نظرهم بحال آباءٍ لهم وأجداد عاشوا لزمن، أيضاً، مستعبدين على ضفاف النيل... تماثلت الحالتان فى المخيلة الأسيرة بينما كان الأمل بإعادة «مملكة يهوذا» والعودة إلى صهيون يراود من أصحاب هذه المخيلة الجفن فهدرت الصدور بحمم النقمة على النيل معاً والفرات وجرت الأقلام فى اليد المحمومة بإملاء من خيال جانح تسطِّر بدعة «الأرض الموعودة» وتمدّ رقعه هذه الأرض من الفرات إلى النيل!.

والآن!..

الآن وقد تبيّن لنا أن «السفْر» الأول من هذه «التوراة»، التى يعتبرها يهود العالم صكا فى أيديهم يمنحهم امتلاك كل الرقاع المرتسمة فى إطار الفرات والنيل، ليس من الوجهة التاريخية إلاّ صكاً باطلا تنقضه من الأساس نفسُ نصوصه التى لا تمت إلى موسى بصلة على الإطلاق، كلا؛ وليس هذا فحسب وإنما هوصك خرافى كتب بقلم يهوذى فى غضون أسر الفرات وبإملاء خيالٍ طاح إلى الماضى فتذكر عهداً كان لآباء له وأجداد طواهم فيه أسر النيل لأجيال فهب محموماً ينادى بأنه سيطوى معاً النيل والفرات، فليس إلا لنتبين مدى ضعف الدعائم التى تستند إليها الصهيونية العالمية ومدى الأسس التى يرتكز عليها بناء «دولة إسرائيل» وليس إلاّ ليتلاشى من جبهة العالم، بتلاشى القدسية عن هذا السفْر، وهم هذا «الحق الروحانى» فيتلاشى بذلك لهذه «الدولة» الأسطورية وجود لا يقوم إلا على أساس من هذا «الحق الروحانى» الموهوم!..

والآن نتناول السفر التالى من هذه «التوراة» فنضع؛

«سفْر الخروج»

تحت أشعة التاريخ

فى هذا «السفر» المسمى بالعبرية «شموث» ، ومعناها أسماء، توجد كلمة ينهار بها الركن الأول من بناء هذا «السفر» إذ يتبين لنا بها أن نسبته إلى موسى، عليه السلام، إنما هى نسبة خاطئة أيضاً من الوجهة التاريخية، وهذه الكلمة هى؛

«فلسطين»

هذه المنطقة من الشرق الأوسط كانت تعرف فى التاريخ القديم باسم «أرض كنعان» وكان، حقاً، هذا اسمها فى عهد موسى، عليه السلام، لأنها لم تسم «فلسطين» إلاّ بعد الغزو الكريتى بأجيال؛ الغزو الذى وإن كان قد بدأ سنة ١٢٠٠ق.م فانما هذا الاسم، فلسطين، لم يطلع على صفحة التاريخ الجغرافى إلا بعد أن قويت قبيلة «فيليستيا» ، وكانت بين هذه القبائل اليونانية التى جاءت عبر كريت، حتى استطاعت إخضاع الكنعانيين وحتى أمكنها أن تطلق اسمها على جميع هذه الأراضى الساحلية والداخلية التى كان يسكنها الكنعانيون!..

ومن ثمّ..

حسب هذا التوقيت التاريخى نجد أن المؤلف الذى كتب هذا «السفر» الثانى من «الأسفار الخمسة» المنسوبة، زوراً، إلى موسى لا بدّ وأنه قد عاش فى فترة زمنية جاءت بعد أن سادت قبيلة «فيليستيا» على جميع تلك القبائل وتمكنت من السيطرة السياسية على كل هذه الأرجاء، وهذا مما يجعلنا نقول بأنّه من المستحيل، تاريخياً، أن يكون موسى صاحب هذا السفْر!

كلا؛ ولا يمكن بحال أن يكون صاحب تلك النصوص التى جاءت فى الإصحاح الخامس تقول بأنه قد رفع هذه الترنيمة إلى «إله إسرائيل» متغنياً؛ «أرنّم للربّ فإنّه قد تعظمّ.. تأخُذ الرعدة سكان فلسطين» !..

لاجدال، من ثمّ، فى أن الاعتقاد بنسبة هذا «السفْر» إلى موسى، عليه السلام، هو فى الواقع الوقوع البيِّن الغلط فى التاريخ!.

ثمّ..

ثم، إلى جانب هذا البرهان يأتى برهان آخر مستمد، أيضاً، من نفس هذا «السفْر» ومكانه الإصحاح السادس عشر القائل:

«وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة. أكلوا المنّ حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان!..»

ومن ثمّ..

إذا كان موسى، وفقاً لنصوص أخرى ستوافينا بعد قليل، قد توفى فى موآب وأرض موآب كانت غير عامرة ولا تقع فى طرف أرض كنعان ولم يكن إلاّ يشوع بن نون هو الذى بلغ بهم هذه الأرض العامرة وجاء بهم إلى طرف أرض كنعان فيكون الاستحالة بعينها أن موسى، عليه السلام، هو صاحب هذا «السفْر»!. وإلا فكيف يتسنّى لمتحدث أن يتحدث عن حدثٍ حَدَث بعده بسنين إن لم يكن بقرونٍ أو بأجيال؟!.

ثمّ..

ثم إلى جانب هذا البرهان يأتى، أيضاً، برهان ثالث وهذا ينبع من تاريخ كتابة اللغة العبرية نفسها.. إن الكتابة فى اللغة العبرية حديثة العهد نسبياً لأنها لم تُبتكر إلاّ بعد عهد موسى ببضعة قرون. ومن ثمّ فما هو حكم التاريخ اللغوى على هذا النصّ الذى يجئ فى الإصحاح الرابع والثلاثين من نفس هذا «السفر» يقول بأن موسى قد:

«.. كتب على اللوحين كلمات العهد؟!.»

كيف يتسنى أن يكون موسى، عليه السلام، قد كتب كتابة لم تكن قد تكونت بعد والحروف منها لم تكن قد خطت على صفحة التاريخ؟!

ثمّ..

ثمّ، إلى جانب هذا البرهان على حداثة هذا «السفْر» يأتى برهان آخر وهذا تمثله مجموعةُ الإصحاحات التى تُكوّن نفس «سفْر» الخروج»...

يحدثنا هذا «السفْر» بأن «الربّ» قد كلّم موسى، فى خلال ذلك التيه لأربعين سنة فى الصحراء، قائلا بأنه قد عين «بصلائيل» من سبط يهوذا صائغاً ليعمل فى الذهب والفضة والنحاس ونقش حجارة للترصيع ونجارة الخشب.. وأنه على الفور صدع بالأمر

وبدأ في عمل أكاليل من الذهب الخالص وصحاف وصحون وكأسات من ذهب نقي. وسلاسل مجدولة من ذهب نقي وجلاجل من ذهب نقي وصفائح من ذهب نقي. ومنارة من ذهب نقي. ومائدة رُصّت عليها أوانيها من ذهب نقي!.

ما هذا الخلط؟!.

كيف يتأتى لهؤلاء الذين كانت تتقاذفهم متاهاتُ الصحراءِ أن يصوغوا كل هذا الذهب؟!. بل ومن أين كان لهم كل هذا الذهب؟!.

وكيف يتأتى لهؤلاء الذين كانوا لا يجدون إلا «المنّ» طعاماً أن يصوغوا للمائدة أدوات كلها من ذهب؟!.

ثم!..

من أين كانت هذه الحجارة الكريمة التي يكيلها كيلاً الإصحاحُ السابع والعشرون من هذا «السفْر» ؟!.

من أين كان لهؤلاء كل هذا الزبرجد والزمرّد والياقوت الأصفر والياقوت الأزرق؟!.

من ثمّ!.. فلا جدال في أن المؤلف الذي كتب هذا «السفْر» لا بدّ وأنه قد عاش في فترة من الزمن متأخرة بكثير عن فترة ذلك التيه الذي يحدثنا عنه!.. بل لا بدّ أنه قد عاش بعد انهيار «مملكة يهوذا» وأمسى ذكر الصحاف من الذهب والحلي من الأحجار الكريمة التي كانت لملوك «يهوذا» مادة لسطوره هذه التي أبى بها، أيضاً، إلا أن يفرغ كل ذلك في يد واحدٍ من أبناء يهوذا.. ولما لم يجد من اليهوذيين أحداً في عهد موسى إلاّ «بصلائيل» فقد جعله صائغاً وأفرغ بين يديه كل ذهب وجوهر «مُلك يهوذا» !.

ثمّ..

إلى جانب هذا الحديث عن الجوهر وعن الذهب يحدثنا نفس هذا المؤلف عن لون آخر من البذخ مادته تلك الثروة الحيوانية التي يدّعي أنها كانت لبني إسرائيل خلال تلك المَسغَبة التي يحدثنا نفس هذا المؤلف عنها ويقصُّ علينا كيف كابدوا متاعبها في تلك المتاهات حيث عضهم الجوع واشتهوا اللحم ولم يجدوا إلا «المنّ» قوتاً!..

يزخر «سفْر الخروج» بأصناف من الضحايا التي كانت، على حدّ قول مؤلف هذا

«السفْر»، تجئ بها تلك الجماعات إلى باب «خيمة الاجتماع» من ثيران وبقر وكباش وماعز وغنم وتيوس ودجاج وحمام ويمام ومن طواجن ومن أقراص الفطير ومن رقاق الفطير ومن الدقيق الملتوت بالزيت..

إننا لنتساءل؛

من أين كان لهؤلاء الذين شحّت عليهم السماء إلا من قطرات «المنّ»، هذا الثراء الغذائى فى ألوان المآكل وأصناف اللحم؟!.

كيف أمكن أن يكون ذلك فى فترةٍ رقت فيها مجاعةٌ طاحنة وأن تكون هذه الثروة الغذائية فى متناول أيدى جماعة جائعة ضالّة فى صحراء لا تجد فى فيافيها غير المنّ طعاما وغذاءً ومأكلاً؟!.

وإذن!..

ما هو حكم المنطق العالمى على هذا «السفْر» المنسوب زوراً إلى موسى ولليهود الصهاينة دعاوى وللصهاينة اليهود مطالب ليست إلا من وهم القدسية التى تحفّ بهذا «السفْر» مستمدة ونابعة؟..

ما هو حكم العقل على هذا «السفْر» وليس إلا من سراب القدسية التى تُكونه قد تكونت عقيدة «الأرض الموعودة» ؟!.

وما هو حكم الرأى العالمى على جماعة هى بهذا «السفْر» تتشبث وله بالقدسية تغلف وفى وجه العالم تشهره حجّة شرعية تدعى بها «حقاً روحانيا» لها فى أرض تترامى فى أحضان الفرات والنيل؟!.

ها هو ذا «سفْر الخروج» أمامكم وقد خلا من كل منطق فأى منطق، بعد ذلك، هذا الذى يقول بقدسية «سفْر» لا يعود إلى موسى ولا منطق فيه؟!.

والآن..

الآن وقد أذابت أشعةُ التاريخ القدسيةَ الوهمية التى أحاطت بهذا «السفْر» فذابت بذلك الشرعية عن هذا السفر الثانى من أسفار هذه التوراة المفتراة فليس الا لنجد أنه آن لنا أن نتناول «السفْر» الذى يتلوه وبذلك نضع؛

«سفر اللاويين»
تحت أشعة التاريخ

في هذا «السفر» المسمى بالعبرية «ويقرا»، أي «ودَعَا»، توجد كلمة ينهار بها الصرح نفسه من هذا السفر، إذا يتبين لنا بها أنه «سفْر»، كسابقيه، باطل النسبة إلى موسى وإلى عهده، عليه السلام، بتاريخ كتابته لا يعود.. وهذه الكلمة مكانها الإصحاح الخامس القائل بأن «الربّ» قد كلم موسى قائلا:

«.. إذا خان أحد خيانة... يأتي إلى الربّ بذبيحة لاثمة كبشاً صحيحاً من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاقل القدس!.»

من المعلوم أن مدينة القدس لم تكن قد فتحها اليهود بعد كما هو المفروض عندما جاء هذا النصّ المنسوب إلى موسى. ولما كنا نعلم أنه لم تضرب في القدس عملة إلا بعد أن احتلها اليهود فيكون الكلام في عملتها مقدماً خطأ في الترتيب الزمني للحوادث!.. ومن ثمّ فيقيناً أن المؤلف الذي كتب هذا «السفْر» لا بدّ وأنه قد عاش في فترة من الزمن جاءت بعد أن دخل اليهود القدس وضُربت في القدس عُملة.. وعلى ذلك يكون هذا «السفْر» باطل النسبة إلى موسى ولا يمكن بأيّ حال أن يكون صاحبه موسى!..

والآن..

الآن وقد أذابت أشعةُ التاريخ القدسيةَ عن «سفْر اللاويين» نجدنا نتناول «السفْر» الرابع من هذه «التوراة» فنضع:

«سفْر العدد»
تحت أشعة التاريخ

في هذا «السفْر» المسمى بالعبرية «بمدبر»، نسبة إلى ما يشتمل عليه من تعداد «بني إسرائيل» عند طردهم من مصر، توجد جملة لو تنبّه إليها الباحثون من حول موضوع نسبة هذا «السفر» إلى موسى لما كان قد طال بينهم الجدال والجدل وهذه الجملة مكانها الإصحاح الثاني والعشرون والتي تجيء في صدد الحديث عن بالآق بن صفّور ملك موآب وتحدثنا عن تراجعه مخافة محاربة موسى. ولما كان هذا قول يجعل بالآق معاصراً لموسى

وكان من المفروض، بالتالى، أنّ موسى على حد ادعاء هذا المؤلف هو صاحب هذا «السفْر» وأنه هو نفسه المتحدث فكيف يتسنى أن تجئ هذه الجملة التى تدل دلالة قاطعة على حداثة هذا «السفْر» وهى القائلة؛

«وكان بالآق بن صفّور مِلكاً على مُواب فى ذلك الزمان؟!»

من ثمّ!.

لا شكّ فى أن المؤلف الذى سطر هذه العبارة لا بدّ وأنه قد عاش فى فترة زمنية بعيدة كل البعد عن الرواية التى يرويها بدليل أنه يقول « .. فى ذلك الزمان!.»

أى زمن تُراه كان هذا الزمن الذى يتحدث فيه مؤلف هذا «السفْر» عن « ... ذلك الزمان» ؟!.

لا جدال فى أن « .. ذلك الزمان» كان زمناً طالت بينه وبين هذا المؤلف المسافات وإلاّ لما كان قد تحدث عنه بصيغة الماضى البعيد!.

وهذا برهان منطقىّ على أنّ هذا «السفْر» الرابع من أسفار هذه «التوراة» الحالية لا صلة لموسى، عليه السلام، به على وجه الإطلاق ولا يمكن بحال أن يكون صاحبه موسى!..

والآن..

والآن وقد أذابت أشعةُ التاريخ الشرعيةَ عن «سفر العدد» وبانتفاء نسبته إلى موسى انتفت عنه القدسية نجدنا نتناول «السفر» الخامس الذى تكتمل به هذه «التوراة» المفتراة فنضع؛.

"سفْر التّثْنية"

تحت أشعة التاريخ

فى هذا «السفْر» المسمى بالعبرية «دبريم»، أى «إعادة»، يبلغ بنا الفكر ذروة الإغراب إذ نقرأ فى هذا الجزء من هذه التوراة، المنسوبة زوراً إلى موسى، هذا النص؛

«فمات هناك موسى... ودَفَنه فى الجواء فى أرض موآب مُقابل بيت فغور.

ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم!..»

بهذا الإصحاح الرابع والثلاثين والأخير من آخر «الأسفار الخمسة» تُختتم «التوراة».. فنطويها جانباً ونطرق للحظةٍ ثمّ نهبُّ ونتساءل؛

كيف قبلت العقول الاعتقاد بأن موسى، عليه السلام، هو صاحب هذه «التوراة» ؟!.

كيف يُعقل أن يكون موسى هو، حقاً، صاحب هذه التوراة أو المُوحَى إليه بها ومن غير المنطقى أن يتحدث إنسان، كائن من كان، عن موته ودفنه قبل حدوث هذه الأحداث؟!. كلا وليس هذا فحسب، وإنما كيف يمكن أن يتحدث موسى عن قبره، نفسه، ويقول؛

« ... ولم يعرف إنسانٌ قبره إلى هذا اليوم» !..

« ... إلى هذا اليوم» ؟..

حقاً أن هذه العبارة الأخيرة تحمل البرهان القاطع على أن هذا «السفْر» قد كتب فى عصر مُتأخر جداً عن عهد موسى، عليه السلام، بدليل أنه لم يعد يُوجد أحد يعرف أين مكان قبر هذا النبى الجليل!..

والآن ..

الآن وهذه هى أضواء التاريخ قد ألقيناها على هذه «التوراة» التى يتداولها يهود اليوم وهذه هى أشعته قد سلطناها على كل «سفر» من هذه «الأسفار الخمسة» على حدة فى تركيزٍ على النصوص التى تستقيم بها الحجة على انتفاء القدسية عنها وبطلان نسبتها إلى موسى، عليه السلام، أفلا نستطيع، بعد ذلك، أن نعلى الصوت قائلين؛

لقد تقطع الخيط الوحيد الذى يربط الصهاينةُ به أنفسهم بفلسطين وانقطع فتهاوى هذا «الحق الروحانى» وهوى فى هاوية الأضاليل فلا شىء يبقى، بعد، من مقومات هذه «الدولة» التى لم تقم إلاَّ على أساس وهمى من إيهام العالم بهذا الحق الموهوم؟!.

أى شىء يبقى، بعد، من مقومات هذه الأضلولة المسماة «إسرائيل» وقد وهت الحجة الوحيدة التى يربط اليهود بها أنفسهم بفلسطين؟!.

إليكم هذه «التوراة» !.

ها هى ذى «التوراة»، التى يستمد منها الصهاينةُ مطالبهم ويعتبرها يهودُ العالم الحاضر أجمع، سواءٌ أظهروا صهيونيتهم أم خافوا فأخفوها، حجة شرعية تمنحهم فلسطين منحة أبدية، قد تكشّفت فى واقع التاريخ الصحيح عن حجة باطلة ومن ثمّ غير شرعية... فلقد وضعناها فى ميزان التاريخ فارتفعت كفة الحق عنها وترفعت وفى كفّة الباطل هوت هوياً إلى الحضيض!.

وها هى ذى عقيدة «الأرض الموعودة»، هذه العقيدة التى لم تنبت إلاّ من هذه «التوراة»، قد وافتنا الأدلة عنها وأتانا البرهان من نفس نصوص «توراتهم» هذه على أنها ليست إلا مجرد خرافة بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى علمى وأن من هذه الخرافة التاريخية استطاع الصهاينة أن يصوغوا مادة وهمية بنوا بها على أساسى سرابىّ بحت أركان هذه الدولة الأسطورية المسماة «إسرائيل».. فلقد تتبعنا هذه الأسطورة وتيّار الزمن بها يجرى من فكرة مبعثرة إلى عقيدة دينية مستحكمة فوجدناها قد استحالت، حقاً، إلى مجرّد خرافة ومحض حلم ووهم بحت!.. فهى خرافة نسجتها غفوةٌ فى إبهار ظلمة التاريخ وهى حلم سجله على نفسه الإصحاح الخامس عشر من «سفر التكوين» فى استبهار ليالى الأسر على شاطئ الفرات والحلم بأرض النيل وهى وهمٌ!.. وهمٌ قد تبدد فى بهرة ضوء الحاضر وتحت معاول التاريخ الصحيح!.

وإذن!..

إذن، فلقد آن الآن لنجاوب المنطق الصهيونى الحديث الذى كلما حاصرته الحجج السياسية والقانونية راح يشهر فى وجه العالم هذه «التوراة المكتوبة» ولها يلجأ وبها يحتمى ومتّخذاً لمزاعمه منها مساند يصيح؛ «قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسى أو قانونى ولكنها حق لنا على أساس دينّى وحق روحانى مستمد من التوراة»، قائلين؛

ها هى ذى أشعة التاريخ قد أذابت مادة القدسية عن هذه «التوراة» ونفت كل صلة لموسى، عليه السلام، بهذا الدين اليهودى الحالى القائم على هذه التوراة المفتراة وعن نصوص غير شرعية قد تكشف هذا «الصك» الذى يقوم عليه كيان هذه الدولة الأسطورية المسماة «دولة إسرائيل» ومن ثم فما هو، بعد، هذا الأساس الدينى و«الحق الروحانى» لليهود فى فلسطين؟!.

أين هو هذا «الحق الروحانيّ» وقد تلاشت القدسية عن هذه «التوراة» فتلاشى هذا «الحق الروحانى» إلى... لاشىء!..

والآن؟..

الآن ومن مدد ما قد انتزعناه من صدر التاريخ من حقائق ترتدعنها أبسط الشكوك، إلى جانب ما قد خلصنا إليه فى بحثنا هذا أيضاً من تعقب تاريخ إسرائيل وآباء إسرائيل وأبناء إسرائيل، إلى أنه ليس هناك شىء فى واقع التاريخ الحاضر اسمه «إسرائيل» ولا شئ هناك اسمه «شعب يهودى» ولا شىء هناك اسمه «الجنسية الإسرائيلية» نستطيع أن نلقى بهذا التعقيب قائلين:

لا مكان شرعىّ فى فلسطين للصهاينة وإلى ترّهات قد استحالت إلى هذه «الحجة» التى اعتمدت عليها الصهيونية فى دعوتها وفى افتعال هذه «الدولة» الأسطورية المسماة «إسرائيل» وعن نصوص مفتراة على موسى ومُزورة عليه قد اتضح تحت أشعة التاريخ هذا «الصك» الذى شهرته الصهيونية فى وجه العالم ومازالت، فى غير تورّع، تشهره سجلاً يمنح اليهود به أنفسهم فلسطين ملكا أبدياً!..

كلا!. لامكان شرعىّ فى فلسطين لهؤلاء اليهود الصهاينة والصهاينة اليهود وإلى أساطير سطرتها أيد ذليلة بإملاء مخلية جامحة جنحت بها شطحاتُ الخيال على أجنحة فكر كليل عليل أوردها مواَرد الشطط قد استحالت هذه «التوراة» المفتراة على موسى!.. هذه التوراة التى، بانتفاء نسبتها إلى هذا الرسول الكريم، تنتفى عنها انتفاءً تاما صفة القدسية التى دثرت بها كما تتلاشى عنها، بالتالى، الشرعية التى أسبغت على ما جاء فيها من «أسفار» هى هذه التى تحمل هذا «الحق الروحانى» الموهوم لليهود فى فلسطين!..

كلا!. لا مكان شرعىّ فى فلسطين لهذا الخليط من الأجناس الـذى يتجمع خـلايا سرطانية فى جسم المجتمع البشرى تحت اسم «الجنسية الإسرائيلية»!. فلقد ذابت هذه الأكذوبة الروائية المسماة «الجنسية الإسرائيلية» فى خضم النوع البشرى الذى منه، كأفراد، قد طفت هذه الطائفة الدينية التى لا تربطها بفلسطين إلاّ أوشاج وهم حيكت من مادة الخرافة!.

كلا!..

كلا، لامكان شرعىّ فى أرض عربية لهذه السلالة الخزرية التى تتزعم طائفة من اليهود تنتمى إلى جنسيات مختلفة من شعوب العالم تعتنق ديناً قد واتتنا الأدلة عنه من «توراتهم» هذه بأنه لا يعود بأصول تكوينه إلى موسى، عليه السلام، وإنما إلى يشوع بن نون ذلك السّفاح الذى تُردِّد «توراتُهم» هذه لصوته الآثم مقالة آثمة رَمَت هذا الرسول الجليل بالخيانة وبغضب إلههم عليه وجعلت جزاءَ ذلك «الأمر بموته»، ثمّ هى فى اجتراءٍ عجيب تحدثنا أشنع حديث عن أشنع حَدَث لستُ أدرى كيف لم تفطن إلى مضمونه، من قبل، الأجيال!.. لا ولستُ أدرى كيف لم يَتَنَبّه من قبل فكرُ باحث إلى ما تشتمل عليه «توراتهم» هذه من نصوصٍ تحدِّثنا عن استصحاب هذا السّفاح لموسى، عليه السلام، إلى أعلى ذلك الجبل ثمّ العودة بدونه ليعلن أن الأمر بموت موسى قدتمّ تنفيذه وفقاً لما قد طلب «الربّ»!..

كلاّ!. لست أدرى كيف فات الأجيال وغاب عن الوعى الفكرى حتى الآن مفهوم هذه النصوص التى تَدين بها هذه الطائفة وفى نفس الوقت هى تدينهم بأكبر جرم هم بنصوصهم هذه، نفسها، به يعترفون!.. فإنّما هم بهذه النصوص يحمّلون أنفسهم بأنفسهم دم موسى نفسه!.. إن «توراتهم» هذه تلطخ أيديهم بدم هذا الرسول الكريم يومَ تمردوا عليه وانحرفوا عنه إلى هذا السفاح الذى لم يسلم من يده شىء حتى الحيوانات أحرقها أحياء!. ولذلك؛

«.. باءوا بغضبٍ من الله وضُربت عليهم الذّلة والمسكنة!. ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله!.. ويقتلون الأنبياء بغير حق!.. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون!.» (١)

كلا!. لامكان شرعىّ فى فلسطين لهذه الطائفة الدينية اليشوعية الدين العاملة بشرائع توراتها هذه «المكتوبة» وتوراتها الأخرى «الشفوية» أو هذا التلمود الذى لم نطوه جانباً إلاّ وقد علمنا لماذا يستحل اليهود قتلنا وهتك أستارنا وسفح أعراضنا.. فنحن فى شريعتهم التلمودية، مسيحيين ومسلمين، كائناتٌ ممسوخة، استولد آدم بعضنا من الشيطانة «ليليت» وولدت حواء بعضنا الآخر من اتصالها بالذكور من الشياطين.. وأما اليهود فهم، وحدهم، نسل آدم وحواء!..

---

(١) الآية «١١٢» من «سورة آل عمران»

كَلّا!. لا مكان شرعيّ في فلسطين لهذه الطائفة الدينية من عبدة «يهوه» وأتباع يشوع بن نون، وليس ذلك لأنه ليس لطائفة دينية الحق في امتلاك أي بقعة من بقاع الأرض فحسب وإنما لأن هذه الطائفة تدين بدينٍ يشوعيّ المنبت والمصدر والشرائع توارثته عن تلك الجماعة التي انحرفت عن موسى، عليه السلام، فتبرأ منها:

«قال: رب إني لا أملك إلاّ نفسي وأخي، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين!.» (١)

كلا! لا مكان شرعيّ في فلسطين لهذه الطائفة الدينية الفتاكة بالقيم السفاحة للأعراض والمتطاولة بأطماعها إلى النيل والفرات بدافع من عقدة نفسية توارثتها وأتانا عنها البرهانُ القاطع من نفس نصوص «توراتهم» هذه بإنها بدعة انبثقت في غضون الأسر البابلي بأعضاء «بيت يهوذا» يوم هدرت صدورهم بحمم النقمة على النيل والفرات فصاحوا: من الفرات إلى.. النيل!..

إذن!..

فلتمحَ هذه السطور المنقوشة على واجهة الـ «كنيست» والقائلة:

«إن حدودك يا إسرائيل.. من الفرات إلى النيل!..»

لتمح هذه السطور التي يلقنها تلقيناً كل طفل يهودي يولد صهيونياً بالطابع وبالطبيعة والفطرة فهو يفتح عينيه على الحياة ويستقبل العالم على أهازيج الوهم القائل بأنه فرد من شعب إسرائيلي مختار ومواطن في دولة يهودية عالمية وأن يده حجة وراثة شرعية تمنحه فلسطين وكل الرقاع المترامية في إطار الفرات والنيل ملكا أبدياً!..

ولتُخمد تلك الصيحة التي دوّت يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٠، غداة عُقد في القدس المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرون، تقول:

«إن كل يهودي يجب أن يهاجر إلى فلسطين وإن كل يهودي أقام خارج إسرائيل منذ إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة!..»

داود بن جوريون

«التوراة» ؟!..

---

(١) الآية «٢٥» من سورة المائدة

إن هذه «التوراة» المفتراة التى اتخذتها الصهيونية حجة فى يدها وتمكنت بها من إقامة هذه الدولة الأسطورية واحتلال فلسطين قد تلاشت عنها القدسية وفى سراب التاريخ قد ذابت ذوباً «عقيدة الأرض الموعودة» وفى حلم غابت كما من أضغاث حلم قد حيكت وفى آفاق الحاضر عبثاً نتلفت بحثاً عن شىء اسمه «شعب إسرائيل» فلا نجد إلاّ طائفة دينية تكوّنت من شتى شعوب العالم وشذاذه الأفاقين تدين بدين يشوع بن نون تستحل قتلنا وتستبيح استنزاف دمائنا وانتهاك أعراضنا وهتك أستارنا ولا تعرف عيداً إلا إذا عجنت فطائره بدماءٍ بشرية أشهى ما تكون لديها الدماء المسيحية قبل الدماء الإسلامية!.

نتلفت فلا نجد إلا طائفة دينية تدين بهذا الدين الذى حاكته قبضة يشوع بن نون وإلاّ سلالة خزرية من أدعياء النسب إلى إسرائيل لم تستطع أن تعيد «مملكة الخزر» اليهودية إنّما استطاعت من مدد هذه الخرافة التاريخية عقيدة «الأرض الموعودة» أن تقيم لها «دولة» هى بوضعها الحالى لا تمثل إلا جزءاً يسيراً من حقيقة «الدولة الصهيونية العالمية» وهذا ممّا يجعلنا نقول إن بقاء هذه الدولة الخرافية المسماة «إسرائيل» فى صفحة الحاضر على وجه التعميم وفى أرضٍ عربية على وجه التخصيص لا يمثل فحسب الشوكة السامة فى جنبات شرقنا وإنما وجودها فى أرض العروبة يمثل الخطر القائم الذى يهدد العالم بكل بقعة فيه.. فإن احتلال فلسطين من قبل الصهيونية وقيام «دولة» لهم فيها لا يمثل احتلال جزء من شرقنا العربى وإنما يمثل خطة استعمارية شاملة بعيدة المدى رسمتها رؤوس هذه «الأفعى» الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «حكماء صهيون» فهى خطة تستهدف إفناء كل فردٍ غير يهودى وإقامة صهيون على دنيا يرف عليها دين يشوع بن نون!..

هذا هو الواقع فإن قيام «إسرائيل» على أرض فلسطين لا يعنى تشريد العرب من ديارهم واغتصاب وطنهم فحسب كما أنه لايعنى قيام قاعدة جديدة للاستعمار الغربى فى العالم العربى هى حجر عثرة بين جزئى العروبة فى آسيا وأفريقيا وتشطر الوطن العربى إلى قسمين منفصلين وتقطع الشريان الذى يربط ببنهما فى قضاء على الوحدة الجغرافية الطبيعية بين سوريا والعراق وجزيرة العرب من ناحية ومن ناحية أخرى بين بلاد المغرب والجمهورية العربية المتحدة وإنما بقاء «إسرائيل» يحمل إلى العالم معانى أكثر بعداً وأعمق غوراً!. معانى تتصل اتصالا مباشراً بمستقبل العالم كله وتحمل تهديداً مباشراً للسلام

العالمى قاطبة ولهذا السبب ارتبطت حالة الاضطراب والتوتر داخل حدود المنطقة العربية بالموقف الدولى العام وأصبح سلام المنطقة جزءاً لا يتجزأ من سلام العالم وأخذ النزاع «العربى ـ الصهيونى» مظهره الحقيقى حيث أضحى صراعاً حاداً بين الاستعباد والحرية وبين الحرب والسلام وهذا مما يدفع بنا إلى القول بأنه إذا كانت «دولة إسرائيل» لاتقوم، أساساً وبنياناً، إلامن نصوص هذه «التوراة» وهذه قد استحالت إلى خرافة فلا مكان إذن يجب أن يبقى لهذه «الدولة» الأسطورية على صفحة الحاضر!..

وإذَنْ..

ماذا ينتظر العرب؟!.

ماذا ننتظر وقد اتضح أمامنا أن قضية فلسطين، هذه المشكلة التى تُعتبر أعقد مشكلة فى جبين الشرق الأوسط، ليست إلاّ نسج خرافة تاريخية بكل ما تشتمل عليه هذه الكلمة من معنًى علمى؟!.

إذَنْ!..

ليطلق العالم العربى صوته حتى تروح برجع صداه الآفاق رنين ينادى؛

لامكان لهذه «الدولة» الأسطورية المسماة «إسرائيل» فى أرضٍ عربية لأنّ المدد الذى استمدته الصهيونية العالمية لقيام هذه «الدولة» ليس إلا خرافة ذابت تحت أضواء التاريخ الصحيح وتلاشت مادة وهمية!..

لا مكان لهذه الجرثومة السرطانية المسماة «إسرائيل» فى قلب العروبة النابض لأنّ الدعائم التى اتخذتها الصهيونية ركائز لصرح «دولتها» قد مادت فى أغوار التاريخ إلى ترهات وأباطيل!..

وأمّا!.

أمّا إذا أبى عبدة «يهوه» وأتباع يشوع بن نون إلاّ إصراراً على الباطل وظل عبدة هذا الربّ الخرافى المحب لرشاش الدماء وأتباع هذا السفّاح الذى امتد جنونه إلى أن يحرق الحيوانات أحياء صرّعى هذيان هذه التوراة المفتراة فاعلموا أن أشعة التاريخ، وهى أقوى

علاج، لم تفد فى تذويب هذا التضخم السرطانى الذى استفحل داؤه واستشرى فى جسم المجتمع البشرى يهدّده بالفناء وأن الوقت، من ثمّ، قد آن لبتر هذا السرطان!..

وإذن هبُّوا!..

هبُّوا!..

ليهّبن العالم العربى قوياً، وجمعاً وجميعاً، ذوداً على الحق وردعاً لخلفاء الباطل، وفى صبرٍ جميلٍ يُغذّيه اليقينُ بالله ليعدّن عدته لبتر هذا السرطان الذى ينهش جسم المجتمع البشرى نهشاً ولا يعيش إلاّ على امتصاص دمائه قطرة بعد قطرة.. يسرق، بأساليبه، الأموال سلباً ويهتك، بتهتكه، للأعراض ستراً!..

يا أيها العرب!.

يا أيها العرب، مسيحيين ومسلمين، إنى أطلقها صيحة فى مسامعكم حيثما كان مكانكم فى أرجاء هذا الشرق الرحيب تخاطب كل فريق منكم على حدة...

ويا أيها المسيحيون!..

هل نسيتم ماذا أصاب السيد المسيح، عليه السلام، على أيديهم؟!.. راجعوا وصفهم له فى «تلمودهم» وراجعوا سيرته فى «أناجيلكم» وقارنوا بين السيرتين!.. لاتقولوا إن هذه نظرة تلمودية فإنما هم أبناء التلمود وهم لا يسيرون إلا على سننه!.. إنهم لا يزالون يرون «المسيح» فيكم ولذلك فهم يستحّلون دماءكم قبل دمائنا!.. هم يستهدفون تدميركم قبل تدميرنا!. هم ينتوون إفناءكم قبل إفنائنا!.. راجعوا ماذا يضمرون لكم فى وثائقهم [1].. تلك الوثائق التى سطرتها أقلام حكماء صهيون!..»

وأنتم يا أيها المسلمون!.

هل نسيتم أن صاحب الرسالة الإسلامية، عليه السلام، قد ألغى هذا الدين اليهودى الحالى إلغاءً باتاً!.. أذكروا أنه، عليه السلام، فرّق بين «صحف موسى» وبين «صحفهم» هذه التى وصفها بتوراة مُحرّفة مفتراة كتبتها أيديهم ونسبوها، بهتاناً، إلى مصدر قدسىّ!.. اذكروا أنه، صلى الله عليه وسلم، قد دعاهم إلى الإقلاع عن هذا الدين الذى افتروه

---

(١) راجعوا القرارات؛ الثالث والخامس والثالث والعشرين من «بروتوكولات حكماء صهيون».

على موسى، عليه السلام، فلما أبوا إلاّ التصاقاً بالباطل تناول، عليه السلام، مبضع البتر واستأصل هذا السرطان من جسم المجتمع العربيّ حيثما كان وحيثما قد وُجد!. استأصل، عليه السلام، جرثومة هذا الداء لا من يثرب وحدها فحسب وإنما من يثرب وفيما حول يثرب ومن كل مكان من أرجاء شبه الجزيرة العربية كان فيه قد توغل هذا الداء الخبيث وتغلغل واستشرى!..

إذنْ!.

يا أيها العرب!..

هبّوا... هبّوا، مسيحيين ومسلمين، جميعاً ومن أجل الخير الأسمى التفّوا مِن حول مَن في يده اليوم هذا المبضع الباتر!..

التفّو، إذا ابتغيتم سلاماً، من حول مَن خلق هذا المجتمع العربى الكبير وبَسَطَ ذراعيه تحتضنكم احتضاناً فى غير تفرقةً بين مسيحى منكم ومسلم!..

التفّوا بعزيمة لا تعرف ترددا ولا تخاذلاً من حول صاحب هذا الصوت الذى انطلق جهارة وجهراً وجهيراً يرنُّ فى مسمع الحاضر ويخلد فى ذاكرة الغد بنداء راح رجْع صداه فى قلب كل عربى حرٌ ويروح دوياً وهديراً هادراً يتجاوب؛

«إن الشرّ الذى وضَع فى قلب العالم العربيّ لا بدّ أن يُقتلع!.»

«جمال عبدالناصر»

هاهى ذى اللحظة الحاسمة لإستئصال جرثومة هذا الداء الخبيث من جسم المجتمع البشرى قد اقتربت إن لم تكن قد أزفت وتناول صاحب هذا الصوت المبضعَ الباتر يعدّه للبتر وأقْدَم، من أجل الخير البشرى والسلام العالمى وبنَفْسٍ ارتضت الإسلام ديناً ومحمد رسولا وآمنت بموسى وبالمسيح وبسائر الأنبياء والرسل الكرام، يَسْحَق بيد رأس هذه «الأفعى» وبالأخرى يُطوّح بهذه «النجمة السوداء» إلى أُفق الأفول بينما من حوله وحولكم قد ارتفعت يد الزمن وتأهّبت لتحفر فى وعى التاريخ وتسجل فى صفحة الخلد بأنّ المبضع العربيّ قد استأصل من جسم المجتمع البشرى هذا السرطان المسمى «إسرائيل» !..

المراجع العربية

«القرآن الكريم»

«الكتاب المقدس» ـ «العهد القديم» و«العهد العتيق»

«المشنا»

«التلمود» طبعات فارسوفيا وبراج وأمستردام.

«الكنز المرصود فى قواعد التلمود»

د. روهلنج ترجمة د. يوسف نصر الله ١٨٩٩

«الذبائح التلمودية»

«يقظة العالم اليهودى» إيلى ليفى أبو عسل

«الصهيونية العالمية» الأستاذ عباس محمود العقاد

«الخطر الصهيونى» أو «بروتوكولات حكماء صهيون»

الأستاذ محمد خليفة التونسى

«الصهيونية وربيبتها دولة إسرائيل»

الفريق محمد فوزى والأستاذ عمر رشدى

«خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية»

السيد/ عبد الله التل

«الدولة العربية الكبرى»

الأستاذ محمود كامل المحامى

«بلاد ما بين النهرين» «الحضارتان البابلية والأشورية»

ديلابورت. ترجمة الأستاذ/ محرم كمال

«محنة التوراة» الأستاذ عصام الدين حفنى ناصف

أهم المراجع الإفرنجية

,, Antiquities of the Jews,, By F. Josephus.

,, Wars of the Jews,, ,, ,, ,,

,, History of the Jews,, ,, Milman. I, II,III,V.

,, Israel in Egypt,, ,, F. Petrie

,, The Exodus,, ,, Ali Shaffei.

,, Historical Notes on the Pelusisc Branch,,

,, The Red Sea Canal and the Route the Exodus,,.

,, The Bible,,.

,, Dictionary of the Bible,, Hastings.

,, The Archeology of the Bible,, By F. Kenyon

,, The Bible and its Background,, ,, A. Robertson,v.

,, The God of the Bible,, ,, Evans Ball.

,, Hedrew Religion and its developments"By osterly & Robinon.

,,Shulkan Araq,,

,, Jewish Ritual Mueder,, By A. Leess,, 1938

,, Cuneiform Parallels to the Old Testament,, E.W.Rogers.

,, The Cuneiform texts of Ras - Shamra,, C,p.Shaepfer.

,, The Ras - Shamra tablets,, J.W.Jack.

,, Babyloniao Historicsl texts,, S. Smith.

,, The World, s Earlies Laws,, Ch. W.King.

,,History of Bsbylon,, L. W. King.

,, The Religiogy of Pslestine,, Roberson & Smith.

,, Religion on Anciect Egypt, By G. Maspero.

,, The Passing and Time of Aknaton,, ,,A. Werigall.

,, EGYPT,, ,, A. Weigall.

,, Egypt,, ,, J.H. Budge

,, Histoirse ancienne des Peuples de LOrient Cassique,, Maspero.

The Ancient Histiry of the Near East,, Hall

,, The Pepopl of the Sea,,

,, Zionism,, E,B.

The World´s Great Restoration, Calling ef the Jews,,
Sir"H.Finch.

Judeenstaat,, Th.Hertzel.



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

٨ ش أبو المعالى (المجروزة) الجيزة - ت/ فاكس : ٣٤٧٣٦٩١

١ ش سوهاج من ش الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - جيزة
تليفون وفاكس ٥٦٣٤٦٩٩

المؤلفة والكتاب :

«أبكار محمد السقاف» وهى شريفة عربية تنحدر من أسرة عريقة تنتشر فى شبه الجزيرة العربية والكثير من الأقطار الإسلامية، ويرتفع نسبها إلى الحسين حفيد الرسول ﷺ.

الجد الأعلى للمؤلفة هو القطب الصوفى «العيدروس» مصطفى بن عبدالرحمن السقاف»، أستاذ الجبرتى والمعروف بـ«سيدى العيدروسى» وصاحب المزار القائم بجوار المسجد الزينبى بالقاهرة.

أول مفكرة عربية تسهم فى الدراسات الفلسفية العقائدية بعمق وجلد؛ قدمت إلى المكتبة العربية كتاب «العقل الإنسانى فى مراحله التطورية» وهو يقع فى ثلاثة أجزاء كبيرة استغرق وضعه عشر سنوات ووضعت فيه نظرية فلسفية جديدة عن «الكون والمكون والكائن».

أول أديبة تتفرغ للتأليف بتكليف من الدولة.

وقع عليها اختيار لجنة الأدب بوزارة الثقافة وبرياسة المغفور له الأستاذ عباس محمود العقاد، فى مستهل عام ١٩٦٢، لوضع مؤلف عن «إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة» وهو هذا الكتاب الذى تقدمه اليوم بعد عمل استغرق أكثر من خمس سنوات. وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٧، وتتعرض فيه المؤلفة لموضوع خطير يشغل بال العرب جميعاً، وخاصة أنه قد جاء بعد ثلاث نكسات أصابت العروبة والإسلام فى مأساة فلسطين.

أبكار السقاف، ص[illegible] بل المهتمين يعلمون أن كل من كتب وأبدع عن [illegible] الفكر والعقيدة والفلسفة خرج من عباءة أبكار، [illegible] ستاذ عباس العقاد.

النـاشر